يحتوي على

أسئلة للمناقشة

إلـهٌ واحدٌ
رسالةٌ واحدةٌ

اكتشف اللُّغْز

ابدأ الرِّحلة

ب. د. برامسِن

إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدةٌ (One God One Message)

ب. د. برامسِن

حقوق الطَّبع محفوظة © 2009 لـــ "روك إنترناشيونال" (ROCK International)

مِنْ مَنشورات:
بالاتفاق مع روك إنترناشيونال

جميع الحقوق محفوظة. لا يمكن إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب دون الحصول على إذن خطي من الناشر. يُسمح باقتباس أجزاء من هذا الكتاب في المُراجعات والمقالات.

آيات الكتاب المُقدَّس مُقتبسة من:
"ترجمة فاندايك–البُستاني". © جميع حقوق الطبع محفوظة (2002) لدار الكتاب المَقدَّس بمصر.
و "الترجمة التفسيريَّة" (كتاب الحياة). © جميع الحقوق محفوظة (1982) لجمعية الكتاب المُقدَّس الدولية.

تصميم الغلاف والرسوم الداخلية: دايف برامسِن

الترجمة الأوليَّة: سالي وليامز
الترجمة النهائيَّة: رمزي عبَّاد

لمزيد من المعلومات أو للحصول على حقوق ترجمة هذا الكتاب، يُرجى الاتصال بنا:
Paul D. Bramsen
ROCK International
P.O.Box 4766
Greenville, SC 29608
www.rockintl.org
pb@rockintl.org

Arabic translation of One God One Message by P.D. Bramsen.

"مِيَاهٌ بَارِدَةٌ لِنَفْسٍ عَطْشَانَةٍ،
الْخَبَرُ الطَّيِّبُ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ."

النبيُّ سُليمان

(سِفْر الأمثال 25: 25)

المُحتويات

المُقدِّمة

الجُزء الأوَّل
الاستعداد للرِّحلة
مُواجهة العَوائق

1- اقْتَنِ الحَقَّ
2- التغلُّب على العَراقيل
3- مُحَرَّف أَم مَحْفوظ؟
4- العِلْم والكتاب المقدَّس
5- توقيع الله
6- شهادة مُتناغمة
7- الأساس

الجُزء الثَّاني
الرِّحلة
اكتشاف اللُّغز

8- مَنْ هو الله
9- لا مَثيلَ لَهُ
10- خليقة خاصَّة
11- دخول الشر
12- ناموس الخطيَّة والموت
13- الرحمة والعدالة
14- اللَّعنة
15- مأزق مُزدوج

16- نَسْل المرأة
17- مَنْ يكون هذا؟
18- خِطَّة الله الأزليَّة
19- شريعة الذبائح
20- ذبيحة عظيمة
21- دماء تُسْفَك
22- الحَمَل
23- حتى تُكَمَّل الكُتُب
24- قد أُكْمِل
25- موت يَهزم الموت
26- مُتديِّن وبعيد عن الله

الجُزء الثَّالث

نهاية الرِّحلة

إبْطال اللَّعنة

27- المرحلة الأولى: برنامج الله السابق
28- المرحلة الثانية: برنامج الله الحاضر
29- المرحلة الثالثة: برنامج الله المُستقبلي
30- نظرة إلى الفردوس
الخاتمة
الهوامش
تأمَّل في الرِّحلة (أسئلة للمُناقشة)

المُقدِّمة

"**بسبب الأعمال الصالحة التي قُمْتَ بها، أنتَ تستحق الذهاب إلى الجَنَّة. لكن بسبب الرسالة التي تُقدِّمها للناس، أنت تستحق الذهاب إلى جهنَّم!**" هذا هو ما قاله شيخ القرية لصديقي.

كان صديقي وزوجته قد أمضيا عشر سنين من حياتهما في قرية هذا الرجل؛ وهي قرية تقع على حافة الصحراء الكُبرى. كان الزوجان قد أسَّسا مركزاً صحيَّاً ونظاماً للريِّ في تلك القرية. كما أنهما كانا يُفسِّران رسالة الأنبياء لكل مَنْ أراد الإصغاء.

وفقاً لرأي شيخ القرية، ما الذي فعله صديقي "ليستحق الذهاب إلى الجَنَّة"؟ لقد فعل "أعمالاً صالحة."

وما الذي فعله "ليستحق جَهَنَّم"؟ لقد علَّمَ "رسالة" الأنبياء كما وردت في الكتاب المقدَّس.

تُرى، هل كان شيخ القرية مُحقاً في حُكمه على أعمال صديقي ورسالته؟ هل كان محقاً بعض الشيء؟ أم هل كان مُخطئاً تماماً؟

إذا لم تَكُن واثقاً من إجابتك فهذا الكتاب لك.

أين

وُلِدْتُ في أمريكا، أمَّا هذا الكتاب فوُلِدَ في إفريقيا.

المكان: السَّاحل الإفريقي؛[1] وتحديداً في السنغال (غرب إفريقيا).

الإطار العام: انتهى أذان الفَجْر، وكانت أشعة الشمس البرتقالية والبنفسجية تلوح في أُفُق تلك المنطقة الصحراوية ذات الأشجار الشوكية. برودة الطقس مُنعشة؛ لكنَّ هذه البرودة لن تستمر طويلاً. كُنت أجلس على الشُّرفة الأمامية لبيتنا القروي وأمامي حاسوبي الشخصي المَحمول. وكانت هناك قطعة

رقيقة من البلاستيك الشفاف تُغطي لوحة مفاتيح الطباعة لتحميها من ذَرَّات الغُبار المُعلَّقة في الهواء. القرية هادئة تماماً باستثناء بعض الأصوات التي تُمزِّق الصمت بين الحين والآخر مثل صياح ديك أو نهيق حمار. الصوت الوحيد الذي أسمعه الآن هو وقع أصابعي على مفاتيح الطباعة بينما تتحول أفكاري إلى كلمات، والكلمات إلى فقرات.

لماذا

أكتب لأنَّ ذاكَ الذي وَهَبَني الحياة والفرح والسلام، والذي أعطاني هَدَفاً لحياتي، أعطاني أيضاً شيئاً أكتب عنه.

أكتب من قلبٍ مُفْعَمٍ بالمحبة والاحترام لأصدقائي المُسلمين، وخاصة أولئك الذين يعيشون في السنغال حيث أنجَبنا أنا وزوجتي أبناءنا الثلاثة وأمضينا معظم سِنِيِّ شبابنا.

أكتب لأنني تلقَّيت في السنوات الأخيرة أكثر من ألف رسالة إلكترونية من مُسلمين حول العالم. ويجب عَدَم التغاضي عن تعليقاتهم وتساؤلاتهم.

أكتب بسبب تعاطفي مع رِجال الدِّين المَسيحيِّ الذين لا يجدون ما يقولونه للناس سِوى: "الكتاب المقدَّس صحيح لأنه يقول هذا عن نفسه!" ورجال الدِّين الإسلامي الذين لا يجدون ما يقولونه للناس سِوى: "القُرآن صحيح لأنه لا يستطيع أحد أن يكتب كتاباً مثله!"

أكتب لأنني مُندهش من مَيْل القلب البشري لتصديق أي شيءٍ ما عدا الرسالة الصحيحة والمُتناغمة التي أعطاها الله الحقيقي الواحد للبشر.

ماذا

كتاب *"إلهٌ واحدٌ رسالةٌ واحدةٌ"* يُقدِّم فرصة العمر للقيام برحلة مُتأنِّية عَبْر صفحات الكتاب الأكثر مبيعاً وانتشاراً على مَرِّ العُصور لكي نكتشف معاً ما هي الرسالة التي قَدَّمَها الأنبياء الذين كتبوه. كل من يشترك في هذه الرحلة سيَحظى بفرصة ثمينة للتغلب على العديد من العَقَبات (الجُزء الأول)، وحَلِّ الكثير

من الجوانب الغامضة (الجُزء الثاني)، والدخول إلى ملكوتٍ مَجيدٍ مِنَ الأمور البديعةِ والحقائق المُشْبِعَةِ للقلب والعقل (الجُزء الثالث).

لِمَن

هذه الرحلة تَستهدف بصورة رئيسية الأشخاص الذين يؤمنون بإلـــه واحد. لكنني أُرحِّب أيضاً بالذين يؤمنون بآلهة متعددة وبالملحدين والعِلمانيين والوجوديين.[2] هذه المُغامرة هي لكل شخصٍ يُؤمِنُ أنَّ حياته الأبدية تستحق أنْ يُخَصِّصَ لها اثنتي عشرة ساعة؛ وهو الوقت التقريبي الذي يحتاجه المرء لقراءة هذا الكتاب.

لهذا، مهما كانت خلفيتك الدينية أو العِرقيَّة أو الثقافية، ومهما كان ما تؤمن به وما لا تؤمن به، أنت مدعو للانضمام إلى هذه الرحلة الرائعة عبر صفحات الكتاب المقدَّس الذي يَزْعُمُ الكثيرون أنهم يُبَجِّلونه؛ لكنَّ فئة قليلة فقط هي التي تختار أن تتأمَّل فيه.

قبل ثلاثة آلاف سنة، رفع أحد الأنبياء هذه الصلاة إلى خالق الكَوْن ومالكه: *"اكْشِفْ عَنْ عَيْنَيَّ فَأَرَى عَجَائِبَ مِنْ شَرِيعَتِكَ"* (المزمور 119 :18).

ليتنا لا نُخْفِق في رؤية الحقِّ الإلهيِّ حتى لو كان مُختلفاً عن ما اعتَدْنا عليه.

رفيق رحلتك
ب. د. برامسِن

الجُزء الأوَّل
الاستعداد للرِّحلة

مُواجهة العَوائق

1- اقْتَنِ الحَقَّ
2- التغلُّب على العَراقيل
3- مُحَرَّف أَم مَحْفوظ؟
4- العِلْم والكتاب المقدَّس
5- توقيع الله
6- شهادة مُتناغمة
7- الأساس

1
اقْتَنِ الحَقَّ

*"**اِقْتَنِ الْحَقَّ** وَلاَ تَبِعْهُ ...."*

– النبيُّ سُليمان (سِفْر الأمثال 23: 23)[3]

تَخَيَّل أنك تسير في سوق مُكْتَظٍّ بملايين البشر. نعم، الملايين منهم!

وعلى امتداد بَصَرِكَ هناك آلاف المحلات التجارية والأكشاك، وأصوات الباعة تَعْلو من كل جهة. إنهم يَصيحون، ويُغنُّون، ويُنادون، ويَبتهلون؛ بعضهم بهدوءٍ، وبعضهم الآخر بمُكبِّرات الصوت، كُلٌّ يَزْعُم أنَّه يمتلك السِّلعة التي أتيت لشرائها:

الحَقّ!

أرجو ألاَّ تَسْخَر مِنْ هذه الفكرة. فقد أصْدَرَت مطبعة جامعة أكسفورد مُعجماً يحتوي على عشرة آلاف ديانة مختلفة في العالم. وهذا الرقم لا يشمل آلاف الفِرَق والطوائف الفرعيَّة التي تشتمل عليها هذه الديانات.[4]

إذاً، ماذا ينبغي علينا أنْ نشتري؟ ومَنْ يُمكننا أن نُصدِّق؟

إن كان هناك إله حقيقي واحد، وإن كان هذا الإله قد أعلن عن ذاته وعن خِطَّته للبشر، فكيف يُمكننا أن نعرفه؟

لقد طَرَحَ النبي أيُّوب سؤالاً مُشابهاً قبل أربعة آلاف سنة:

*"**أَمَّا الْحِكْمَةُ فَمِنْ أَيْنَ تُوجَدُ، وَأَيْنَ هُوَ مَكَانُ الْفَهْمِ؟** لاَ يَعْرِفُ الإِنْسَانُ قِيمَتَهَا وَلاَ تُوجَدُ فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ. ... لاَ يُذْكَرُ الْمَرْجَانُ أَوِ الْبَلُّوْرُ، وَتَحْصِيلُ الْحِكْمَةِ خَيْرٌ مِنَ اللآلِئِ ..."* (أيُّوب 28: 12–13، 15، 18).

هل ينبغي علينا أن نعيش حياتنا في حيرة وشَكٍّ، أَم هل نستطيع أن نَعرف حِكْمَة الله الحقيقي الواحد والحَقَّ المُتعلِّق به؟

هذا هو ما سنكتشفه معاً.

كتابُ الكُتُب

إنَّ كلمة "بايبل" (*Bible*) الإنجليزية مأخوذة في الأصل عن الكلمة اليونانية "بيبليا" (*Biblia*) والتي تَعني "كِتاب الكُتُب" أو "مكتبة".

بعد أنْ تكلم الله إلى البشر لأكثر من ألفي سنة بطريقة شفهيَّة مِنْ خلال أنبياء مثل آدم ونوح وإبراهيم، استخدم (الله) نحو أربعين رَجُلاً على مدى خمسة عشر قرناً لتدوين رسالته. وقد دُعي هؤلاء أنبياء أو رُسُل. وكلمة *"نبيّ"* تَعني "الذي يتكلم"، وكلمة *"رسول"* تعني "مُرْسَل". ونحن اليوم لدينا ما كتبه أولئك في كتابٍ واحد ألا وهو الكتاب المقدَّس. وهناك أسماء أُخرى تُطْلَق على الكتاب المُقدَّس مثل *"كُتُب الأنبياء"*، أو *"الأسفار المُقدَّسة"* أو *"كلمة الله"*. أمَّا كلمة "تَوراة" أو "زبور" (أي: سِفْر المزامير) أو "إنجيل" فهي تُشير إلى أجزاء مُحدَّدة من الكتاب المقدَّس.

تمضي القرون والأعوام ويبقى الكتاب المقدَّس الأكثر مبيعاً في العالم. فحتى يومنا هذا، تَمَّت ترجمة الكتاب المقدَّس (أو أجزاء منه في بعض الحالات) إلى 2400 لغة، بالإضافة إلى 1940 لغة أخرى ما زالت قَيْد الترجمة.[5] وبهذا، ليس هناك أي كتاب آخر في العالم كله يُجاري الكتاب المُقدَّس في هذا الأمر.

لكن رُغم هذه الشهرة التي لا ينافسه فيها أي كتاب آخر، فإن الكتاب المقدَّس هو أكثر كتاب مكروه ومُهاب في تاريخ البشرية. فعلى مَرِّ العصور والتاريخ، اعتبرته العديد من دول العالم وحكوماته

وقادته – المُتديِّنون وغير المُتديِّنين على حَدٍّ سواء – ممنوعاً ومُحَرَّماً. وكم من أناسٍ أُعْدِموا لمُجَرَّد امتلاكهم لهذا الكتاب.[6] وحتى يومنا هذا، ما زالت هناك بلاد تُنفِّذ هذا القانون. وحتى في بعض الدول التي تدعو نفسها "مَسيحيَّة"[7] فإن قراءة الكتاب المقدَّس مَحظورة في المدارس والمؤسسات الحكومية.

تعذيب

حين كُنت صبياً يافعاً، كان لوالدي صديق يُدعي "ريتشارد"، وهو رَجُل أمضى أربعة عشر عاماً في سجون الشيوعيين في أوروبا الشرقية حيث عُذِّب كثيراً عن طريق حرمانه من الطعام والنوم، وتعليقه من ساقيه، وضربه. وكثيراً ما وضعوه في غرفة مثلجة وثقبوا جسده بأسياخ حديديَّه مُحَمَّاة وسكاكين حادة. وقد رأيت بأُمِّ عيني بعضاً من الندوب العميقة في جسده. كما أنَّ زوجة ريتشارد اعتُقِلت وحُكِم عليها بالأشغال الشاقة لنفس "جريمة" زوجها.[8]

تُرى ماذا كانت تلك الجريمة التي اقترفها الزوجان ضد هذا البلد المُلحد؟ لقد قُبض عليهما بالجُرْم المَشهود وهما يُعلِّمان الكتاب المقدَّس لآخرين.

تَحريم

كان صديقي "علي" في ورطة كبيرة. فقد قام والده بدعوة جميع رِجال العائلة لاجتماعٍ طارئٍ. كان العَمُّ الأكبر حاضراً، وكان إخوة علي الأصغر سناً حاضرين أيضاً.

طَلَبَ الأب من ابنه علي – وهو الابن البِكْر في العائلة – أن يقف في وسط الغرفة قبل أن يبدأ بخطاب شديد اللهجة خَتَمَهُ بالكلمات التالية: "لقد جلبتَ العار على عائلتنا وخُنْت دينك! يجب عليك أن تُغادر المنزل وألاَّ تعود إليه ثانيةً. لا أريد أن أرى وجهك بعد اليوم!"

وأضاف العَمُّ على هذا: "أجل، وإن لم تغادر قبل يوم غد فسأرمي كل أغراضك في الشارع!"

لِمَ كل هذا الغضب؟

السبب هو أنه بعد أن واظب "علي" على قراءة الكتاب المقدَّس لمدة سنة كاملة تقريباً، اختار أن يؤمن بما جاء فيه.

الكلمة الحَيَّة

تُرى ما الذي يَجعل الكتاب المقدَّس كتاباً مُثيراً للجَدَل والنزاع؟ ولماذا تُحرِّمه الحكومات ويَتبرَّأ الآباء والأمهات من أبنائهم في حال إيمانهم به؟ ولماذا يَتَّحد المُلحِدون مع المُتديِّنين في كراهيتهم لهذه الكتابات القديمة؟

أَم هل سبب ذلك هو إعلان الكتاب عن نفسه بأنه كلمة الله الحيَّة والفعَّالة والخارقة والمُميِّزَة؟

"لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ ***حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ*** *وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ،* ***وَخَارِقَةٌ*** *إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ،* ***وَمُمَيِّزَةٌ*** *أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ"* (عِبرانيِّين 4: 12).

الاعتراف بالكتاب (إقامة التوراة والإنجيل)

لقد أمضيت السنوات الخمس والعشرين الماضية مع زوجتي وأبنائي في إفريقيا الغربية؛ وتحديداً في السنغال. كان معظم جيراننا يدينون بدين الإسلام. *الإسلام يعني الاستسلام أو الخضوع، والمُسلم هو الشخص الذي يَخضع أو يَستسلم*. والقرآن هو الكتاب الذي يؤمن به المسلمون. وما سوف أُدوِّنه في هذا الكتاب هو خُلاصة آلاف النقاشات والحوارات الشخصية التي أجريتها مع أصدقاء ومعارف مُسلمين من السنغال وحول العالم.

ورغم أنني قضيت الكثير من الوقت في دراسة الكتاب المقدَّس والقرآن، إلاَّ أنَّ هذا الكتاب *"إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدةٌ"* سيُركز على الكتاب المقدَّس. قبل سنوات عديدة، قُمت أنا وصديق لي من السنغال بإنتاج برنامج إذاعي يتألف من مئة حلقة بلُغة الوُلُف التي ينطق بها السنغاليون.[9] كانت كل حلقة تدور حول أحد أنبياء الكتاب المُقدَّس ورسالته. وقد وَجَّه إليَّ بعض المُستمعين السؤال التالي: "لماذا لا تتحدَّث عن القرآن في تعاليمك؟ وفيما يلي إجابتي عن هذا السؤال:

"في هذا البلد (السنغال)، يَبتدئ الأطفال في ترديد القرآن وهم في الثالثة أو الرابعة من العُمر. كما أن المدارس التي تُعَلِّم القرآن مُنتشرة في كل مكان. لكن هل هناك شخص مُستعد وقادر على تعليم تلك القصص والتعاليم الموجودة في التوراة والزبور (المزامير) والإنجيل؟ فكما تعلم عزيزي القارئ، فإنَّ القرآن يُعلن أن هذه الكتب المقدَّسة أعطيت من الله لكل الناس *"**هُدًى وَنُورٌ** وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى **وَمَوْعِظَةً** لِّلْمُتَّقِينَ."* (سورة 5: 46)[10] كما أن القرآن يقول: *"فَإِنْ كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ **يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ** [أي: الكتاب المقدَّس] **من قَبْلِكَ** ..."* (سورة 10: 94)[11]. ويقول القرآن للذين يؤمنون بالكتاب المقدَّس: *"**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ** لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى **تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم** مِّن رَّبِّكُمْ"* (سورة 5: 68). وبما أنني من "أهل الكتاب" وأقيم التوراة والإنجيل منذ أكثر من ثلاثة عُقود، فإنه لشرف لي أن أُعرِّفك برسالة الأنبياء التي رُبما لم تسمع بها قبل اليوم. هذه الأسفار المقدَّسة التي كُتب بعضها قبل ألفي سنة من ظهور القرآن، تحتوي على حَقٍّ غير مُعْلنٍ في أي مكان آخر.

قِصَّتُهُ

هل حدث أن نَبَّهَكَ والداك قائلين: "لا تثق أبداً بالغُرباء"؟ فَهُمْ يَعلمون أنه قبل أن تثق بأيِّ شخص، يجب عليك – أولاً – أن تَعرف بعض الحقائق عنه.

فَكِّر في بعض الأشخاص الذين تثق بهم. تُرى لماذا تثق بهم؟

أنت تثق بهم لأنك أدركت – بمرور الوقت – أنهم *جديرون بالثقة*. فقد عاملوك بالخير لا الشر، والتزموا بما قالوا إنهم سيفعلونه، ووفوا بوعودهم التي قطعوها على أنفسهم. وهكذا، فقد أصبحت تعرف أنهم جديرون بثقتك لأنك تعرف *تاريخهم*.

على نحو مُشابه، يُقدِّم الكتاب المقدَّس مئات الأحداث التاريخية لمُعاملات الله مع الكثير من الرِّجال والنِّساء والأطفال. وكل قصة من هذه القصص تمنحنا فُرصة فريدة للتقابل مع خالق السماوات والأرض لكي نسمع كلماته ونرى أعماله على مدى آلاف السنين في تاريخ البشرية. مَنْ هو هذا الإله؟ صَحيحٌ أنه

عظيم، لكن أين تَكْمُن عَظَمَته؟ وهل هو ثابت لا يتغير؟ وهل حدث يوماً أنه ناقض شرائعه؟ وهل هو يَفي بوعوده؟ وهل هُناك احتمال – ولو ضئيل – في أن يخدعنا؟ وهل يُمكننا أن نثق به؟

إن *قصة هذا الإله* تُجيب عن هذه التساؤلات وآلاف التساؤلات الأخرى.

الكتاب المقدَّس هو قصة تاريخ الله. وهو لا يكتفي بكشف الصورة الكبيرة لتاريخ البشرية، بل إنه يُقدِّم لنا أيضا ***قصة الله*** ذاته.

أروع مَسرحيَّة

كُلُّنا نُحب القصص الجميلة. والكتاب المقدَّس يحوي آلاف القصص التي تؤلِّف بجُملتها قصة واحدة – أروع قصة في الوجود. فقصة الكتاب المقدَّس عن الله والإنسان هي أروع قصَّة وأروع مسرحيَّة عرفها التاريخ البشري؛ إنها قصة حُب وحرب، خير وشر، صراع وانتصار. وهي تُقدِّم من بدايتها إلى نهايتها إجابات منطقية ومُقنعة عن الأسئلة الكُبرى والأهم في الحياة. أمَّا ذروة هذه القصة ونهايتها فلا مثيل لهما.

قبل بضع سنوات، بعدما انتهيت من سرد قصة الله على مَسْمَع مجموعة من الرجال والنساء في منزلنا في السنغال، عَلَّقت إحدى السيدات والدموع تملأ عينيها: "يا لها من قصة! وحتى لو لم يؤمن الناس بالله، فعليهم – على أقل تقدير – أن يعترفوا أنه أروع كاتبٍ على مَرِّ العُصور!" لقد رأت هذه المرأة كيف أن جميع أجزاء الكتاب المُقدَّس تَتناغم معاً لتُقدِّم مسرحيَّة الأجيال التي بَطَلُها وكاتبها هو الله نفسه.

أعظم رسالة

لكنَّ الكتاب المقدَّس يَحوي ما هو أكثر من هذه القصة الفريدة التي تأسر الألباب. ففي طَيَّات هذه القصص هُناك رسالة من الله – أعظم وأروع رسالة في الوجود.

لقد تحاورت على مَرِّ السِّنين مع آلاف المُسلمين حول رسالة الكتاب المقدَّس. العديد منهم أصدقاء لي، وآخرون أعرفهم من خلال البريد الإلكتروني فقط. لكن في كلتي الحالتين، يُمكنني تلخيص معظم الحوارات التي جَرَت بيننا في سؤال واحد:

رسائل إلكترونية

قد يُطْرَح هذا السؤال بأشكال مختلفة. فعلى سبيل المثال، استلمت الرسالة الإلكترونية التالية من رَجُل سندعوه "أحمد" من إحدى دول الشرق الأوسط.[12]

"مرحباً. أنا أؤمن أن يسوع جاء باعتباره المسيح، لكنه لم يقل قَطُّ إنه الله. فقد كان هو الطريق إلى الله قبل أن يأتي مُحمَّد (صلعم).[13] لكن بعد ذلك، كان ينبغي على كل مسيحي أن يتحول إلى الإسلام لأنه عندما يأتي المسيح ثانية في نهاية العالم سوف يَحْكُم من خلال القرآن وليس من خلال الإنجيل.

المسيح لم يُصلب قَطُّ. وإذا أردت أن تكون منطقياً، فحتى لو كان قد صُلِب فهذا لا يعني أبداً أن خطايا البشر قد مُحِيَت بسبب ذلك. هذا كلامٌ فارغٌ في نظري. علاوة على ذلك، إذا قلت لي إن الله ضَحَّى بابنه العزيز الوحيد فإنني أقول لك: ألا يقدر الله بكل عظمته أن يُخْبِر الناس بما يريد وأن يَغفر لهم خطاياهم دون الحاجة لصلب ابنه الوحيد وتعذيبه؟؟؟! موضوع أننا جميعنا خُطاة لا معنى له بالنسبة لي.

الإسلام هو الدين الكامل الوحيد الذي أُرسل إلى الأرض، ولهذا السبب أنا أصدق أنه الدين الحقيقي والأخير الذي أرسله الله. إنه الدين الوحيد لذي لديه الحل لكل قضايا الحياة، وهو لا يتركك تُخَمِّن رأي الله في أي موضوع.

كما أن القرآن هو أعظم معجزة أُرسلت إلى نبي. حاول أن تكتب آية مشابهة ولو قليلاً لإحدى آيات القرآن! لن تستطيع أن تفعل هذا وإن كنت من فَطاحِل اللغة العربية.

علاوة على ذلك، يحتوي كتابكم المقدَّس "الأصلي" على نبوءات عن مجيء مُحمَّد ...

أنا أعلم وأؤمن أن كُل كتب التوراة تقريباً قد حُرِّفَت. لهذا فإن الكتاب المقدَّس الحالي مُزيَّف ومُحرَّف ...

ولعلمك أيها الصديق، فقد قرأت العهد الجديد لا مَرَّة واحدة بل مَرَّتين، لا للبحث عن الحق لكن رغبة في الإطلاع. وقد رأيت – لا مَرَّة واحدة بل مَرَّتين – أنه لا يوجد في العالم كتاب أعظم من القرآن الذي هو بالفعل كلمات الله التي أرسلها إلى مُحمَّد عن طريق مَلاك. إذا استطعت أن تبرهن العكس فافعل.[14]

والسلام عليكم،
أحمد

يجب ألاَّ نُهمل كلمات أحمد وتحديه. فحيث أنَّ خالقنا لا يتعامل مع هذه الأمور باستخفاف، فيجب علينا نحن أيضا أن لا نأخذها باستخفاف. لقد قَدَّم الله لنا في كتب الأنبياء القديمة إجابات واضحة ووافية عن كل نقطة ذكرها أحمد وذلك لأن كل نقطة من هذه النقاط تتعلق بهذا السؤال الأزلي الهام:

ما هي رسالة الإله الحقيقي الواحد؟

وقد طَرَحَ النبي أيُّوب سؤالين مُشابهين:

*"أَمَّا الْحِكْمَةُ **فَمِنْ أَيْنَ** تُوجَدُ"* (سِفْر أيُّوب 28: 12).
*"**كَيْفَ** يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ عِنْدَ اللهِ؟"* (سِفْر أيُّوب 9: 2).

الرِّحلة

لا أريد أن أضيف آرائي وإجاباتي إلى آلاف الآراء والإجابات المتعارضة الموجودة في هذا العالم الحائر. عوضاً عن ذلك، فإنني أدعوك الى مُرافقتي في رحلة عبر صفحات الكتاب المُقدَّس لكي نكتشف معاً – بقلب وعقل مُنفتحين – الأجوبة عن أسئلة الحياة الهامة. وأثناء قيامنا بهذه الرحلة سوف نلاحظ ما

هو الحق وفقاً لما يُعلِّمه الكتاب المقدَّس. كما أننا سنتأمل في رُدود الأنبياء التي تُجيب عن التحديات التي طَرَحَها أحمد وآخرون غيره.

بعد أن نُنهي المرحلة التمهيدية (الجزء الأول: الفصول 1–7) ستبدأ رحلتنا رسمياً من حيث يبدأ الكتاب المقدَّس: فجر تاريخ البشرية. ومن هناك سنسافر عبر الزمن إلى نهاية المطاف، إلى الأبدية. (الجزءان الثاني والثالث: الفصول 8–30). وسوف نختم الرحلة بزيارة إلى "الجنَّة" نفسها.

خَيارات السَّفَر

"إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدةٌ" هو بمثابة ثلاثة كُتُب في كتاب واحد: *الجُزء الأول* يتحدث عن العَقَبات التي تمنع غالبية الناس من استكشاف الكتاب المقدَّس. والجُزء الثاني يكشف الرسالة الرئيسية لأروع رسالة عرفها التاريخ. والجُزء الثالث يأخذنا وراء الكواليس ليُرينا عن كَثَب ما هي مقاصد الله الرائعة للبشر.

سوف يجد معظم المسافرين أن الجُزء الأول مُفيد جداً في الاستعداد للرحلة. لكن إذا كنت تعرف أصلاً أن كُتُب الأنبياء المقدَّسة صادقة، أو إذا كنت متشوقاً لسماع قصة الله وفهم رسالته دون إبطاء، فلا تتردد في الذهاب مباشرة إلى *الجزء الثاني*. وبعد أن تُكمل الرحلة يمكنك العودة إلى *الجزء الأول*.

إذا كنت تُفضِّل أن تأخذ وقتك في هذه الرحلة، يُمكنك أن تقرأ فصلاً واحداً من الكتاب كل يوم لمُدَّة شهر كامل.

إذا كنت مُسلماً، قد ترغب في الانطلاق في هذه الرحلة في بداية شهر رمضان لا سيَّما وأنه يتألف من 30 يوماً. لا تتردد في هذا، يمكنك أن تتقدم بثقة لأن القرآن نفسه يقول: *"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"*، ويقول أيضاً: *"قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلى إِبْرَاهِيمَ وَاسماعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"* (سورة 2: 256 و 136).

مهما كان اختيارك، أرجو أن تأخذ هذه النصيحة بعين الاعتبار: عندما تبدأ الرحلة، *لا تُفوِّت أي جزء منها*. فكل مرحلة جديدة تقوم على المرحلة التي تسبقها. وحتى لو لم تفهم كل ما تقرأه في أحد الفصول، تابع القراءة والتأمل حتى الصفحة الأخيرة. سوف تجد أن بعض أجزاء الرحلة غريبة عليك، بل ربما تشتمل على بعض التحديات الصعبة. لكني أعدك أنك ستجد واحاتٍ تُنعشك وتُريحك طوال الطريق.

لذلك، أرجو أن تثابر وأن لا تتوقف مهما واجهت من تحديات وعراقيل.

الحَقُّ

يعتقد الكثيرون حول العالم أنه ما مِنْ أحدٍ من البشر يعرف الصواب مِنَ الخطأ فيما يتعلق بأسئلة الحياة الهامة مثل: من أين جاء الجنس البشري؟ ما الهدف من وجودي على هذه الأرض؟ أين سأنتهي؟ ما هو الحق وما هو الباطل؟

وكثيراً ما نسمع في بلاد الغرب تعليقات كهذه في وقتنا الحاضر: "كل شيء نِسْبِيّ"، أو "مِنَ الخطأ الظن بأن الإنسان يستطيع أن يعرف الحق المُطلق." ونحن لسنا بحاجة إلى درجة دكتوراه في المنطق لكي نلاحظ التناقض في هاتين العبارتين. فإن لم يكن هناك حَقٌّ مُطْلَقٌ فكيف يستخدم هؤلاء عِبارات مثل "كل شيء" أو "مِنَ الخطأ" في كلامهم؟

المُفْرِح في الأمر هو أن خالق هذا الكون – الذي كشف لنا عن حَقِّهِ المُغيِّر لقلوبنا وحياتنا – لا يَتَّفق في الرأي مع هؤلاء؛ بل هو يقول لكل من يطلبونه بقلب صادق:

*"**تَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ**"* (يوحنَّا 8: 32).

الاختيار الصحيح

قبل بضع سنوات طلب مني موسى – وهو جار لي في التاسعة والسبعين من العُمر وكان يُعاني من تدهور في حالته الصحية – أن أزوره ثلاث مرات في الأسبوع لكي أقرأ له من الكتاب المقدَّس. كان موسى قد درس القرآن طوال حياته، لكنه لم يَحْظَ بفُرصة قراءة توراة النبي موسى، وزبور النبي داود، وإنجيل يسوع رُغم أن القرآن أوصى المُسلمين بشدة بأن يؤمنوا بهذه الكُتب وأن يَقبلوها.[15]

كان موسى يُصغي باهتمام بينما كُنا نستعرض معاً القصص الرئيسية وفقاً لتسلسُلها التاريخي، ونرى كيف يقوم هذا الخالق الديَّان بتحويل الخُطاة الأثمة إلى أبرار. وفي أكثر من مناسبة علَّقَ موسى قائلاً لي: "بعد كل جلسة، لا يَسَعُني إلاَّ أن أُفَكِّر في ما قرأناه معاً؛ بل إنني أتأمل فيه طويلاً."

وذات يوم، عرف موسى حقيقة أخرى هامة من الكتاب المقدَّس فصاح بشيءٍ من الغضب مُخاطباً زوجته وابنته الجالستين في نفس الغرفة: "لماذا لم يُخبرنا أحد بهذه الأمور مِنْ قَبْل؟"

في وقت لاحق، اكتشف جيران موسى أنه كان "يَدْرُس الكتاب المقدَّس مع رَجُل أجنبي"، وابتدأت الألسُن تتناقل الأخبار. وحين زاد الضغط على صديقي العجوز طلب مني أن أتوقف عن زيارته مُوضِّحاً: "أنا لا أرفض الحق، لكنَّ الضغط على أسرتي يفوق قدرتهم على الاحتمال."

انتظرت ستة أسابيع إلى أن تهدأ الأحوال، ثم ذهبت أنا زوجتي لزيارة موسى وأسرته. رَحَّب بنا موسى بحرارة وطرح عدة أسئلة عميقة. وقبل أن نُغادر علَّق قائلاً: "ما يهمني هو أن آخذ القرار الصائب قبل أن أموت!"

لقد فهم موسى مدى أهمية "شِراء الحق وعدم بيعه".[16] بعد ذلك بأربعة شهور مات صديقي العزيز.

عندما أرجع بذاكرتي إلى تلك الأوقات التي قضيناها معاً فإنني أتذكر ما قاله لي عندما سألته: "يا موسى، إذا مُتَّ الليلة، أين ستمضي الأبدية؟"

فبعد أن صَمَتَ قليلا أجابني: "سوف أذهب إلى الفِرْدَوْس."

سألته: "كيف تعلم هذا؟"

وعندها، أمسك الكتاب المقدَّس بيديه الاثنتين وقال: "لأنني أؤمن بهذا!"

الوعد

إذا كُنت ترغب مِنْ كل قلبك – مثل صديقي موسى – في اتخاذ *الخَيار الصحيح قبل أن تحين ساعة موتك* – فإنني أُهديك هذه الرحلة الاستكشافيَّة. وأنا أرفع صلاتي إلى الله الحقيقي لكي يأخذ بيدك، ويساعدك في التغلب على العوائق، ويقودك لكي تفهم بكل وضوح ودقة مَنْ هو هذا الإله وما الذي فعله لأجلك.

"وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ" (سِفْر إرميا 29: 13).

هذا وعد الله الأكيد لك.

2
التغلُّب على العَراقيل

*"**الجهل** قد يقتلك قبل أن تدري."*
– مَثَل شَعْبي سنغالي

منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة، قال الله: *"**هَلَكَ شَعْبي لِعَدمِ المَعْرِفَةِ**"* (سِفْر هوشَع 4: 6). وحتى يومنا هذا، نجد أن معظم الناس – بمن فيهم حَمَلَة الشهادات الجامعية – يموتون وهُم يجهلون ما كتبه الأنبياء في الكتاب المقدَّس.

وبما أن الكتاب المقدَّس هو من أقدم الكتب وأكثرها تأثيراً، فهل يُعقل أن نقول عن أي شخصٍ إنه "مُثَقَّف" إنْ لم يَكُنْ يَعرف الحقائق الأساسية التي أوردها الكتاب المقدَّس؟

وكما أن البشر ابتدعوا *آلاف الأديان*، فقد ابتدعوا أيضاً *آلاف الأسباب* لتجاهل الأسفار المقدَّسة. سوف نتحدث في هذا الفصل والفصل الذي يليه عن عشرة من هذه الأسباب. وحالما نبدأ رحلتنا، سوف نواجه عراقيل أخرى كثيرة ونتغلب عليها.

عشرة "أسباب" لرفض الناس للكتاب المقدَّس:

1- "خُرافات"

يعتقد الكثيرون من أهل الغرب وبلاد أوروبا أن الكتاب المقدَّس ما هو إلاَّ مجموعة من الخُرافات المؤثرة والأقوال الجميلة التي كتبها بشر. وغالبية هؤلاء يتمسكون بهذا الرأي دون التحقق من صحته من خلال الدراسة الموضوعية للكتاب المقدَّس.

في الرواية الخيالية الكلاسيكية *"The Celebrated Cases of Sherlock Holmes"* لكاتبها السير آرثر كونان دويل، يسأل الطبيب واطسون زميله المُحقِّق هولمز عن قضية قتل مُحَدَّدَة:

"ماذا تستنتج من هذا؟"

يُجيبه هولمز: "ليست لديَّ أية معلومات حتى الآن. وإنه لخطأ جَسيمٌ أن يتوصَّل أي شخص إلى أيَّة نتيجة قبل الحصول على معلومات كافية. فبدونها يبدأ المرء بتغيير الحقائق لتتناسب مع النظريات بدلاً مِنْ أنْ تخدم النظريات الحقائق."[17]

وللأسف الشديد أن الكثيرين يقترفون هذا "الخطأ الجسيم" فيما يتعلق بالكتاب المقدَّس. فَهُم يتوصلون إلى استنتاجاتهم الشخصية دون أن تتوفر لديهم المعلومات الكافية؛ أي أنهم يُبدِّلون الحقائق لتتناسب مع النظريات التي تتوافق مع أفكارهم وأسلوب حياتهم.

2- "كثرة التفسيرات"

البعض لا يقرأون الكتاب المقدَّس لأنهم يسمعون أُناساً يقولون: "الكتاب المقدَّس يقول هذا!" وآخرون يعترضون: "كلا، ليس هذا هو المعنى المقصود! إنه يقول هذا!" وهكذا فإن الادِّعاء بأن الكتاب المقدَّس عَسِر الفهم ليس بالشيء الغريب.

رغم أن الكتاب المقدَّس يُفسِح المجال أمام العديد من الآراء في بعض شؤون الحياة[18] إلا أنه لا يَسمح بذلك عندما يتعلق الأمر بالمصير الأبدي للإنسان. ويمكننا فهم كتاب الله ورسالته عندما نلاحظ ما يقوله.

كذلك، قال شيرلوك هولمز الأسطوري لواطسون: "أنت *تَرى*، لكنك لا *تُلاحظ*. الفرق واضح. فمثلاً، أنت رأيت عدة مَرَّات درجات السلم التي تقود من القاعة إلى هذه الغرفة، أليس كذلك؟"

"أجل، لقد رأيتها مَرَّات عديدة."

"كم مَرَّة بالتحديد؟"

أجاب واطسون: "مئات المَرَّات."

"حسناً، كم عدد درجات هذا السلم؟"

"كم عددها؟ لا أدري."

"تماماً! لقد رأيت، لكنَّك لم تلاحظ! هذا ما أقصده. أمَّا أنا فأعرف أنه توجد سبع عشرة درجة، لأني رأيت ولاحظت أيضاً."[19]

على نحوٍ مُشابهٍ فإن الكثيرين يَرون جُمَلاً مُتفرقة من الكتاب المقدَّس، لكنَّ قليلين هم الذين يلاحظون معاني هذه الجُمَل. وبالتالي، لا عَجَب أن يَخْرُج الناس بتفسيرات عديدة مختلفة.

ولتوضيح هذه الفكرة إليك السؤال التالي: هل *أريد* أن أفهم رسالة الله؟ هل أنا مستعد للبحث عن الحق الذي يُقدِّمه الله بنفس الرغبة والعزيمة التي أبذلها للبحث عن كنز دَفين؟ كتب الملك سُليمان: *"إِنْ دَعَوْتَ الْمَعْرِفَةَ، وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ إِلَى الْفَهْمِ، إِنْ طَلَبْتَهَا كَالْفِضَّةِ، وَبَحَثْتَ عَنْهَا كَالْكُنُوزِ، **فَحِينَئِذٍ** تَفْهَمُ مَخَافَةَ الرَّبِّ، **وَتَجِدُ مَعْرِفَةَ اللهِ**"* (سِفْر الأمثال 2: 3–5).

3- "**المسيحيُّون**"

كثيرون يرفضون الكتاب المقدَّس بسبب أعمال الشر التي يرتكبها بعض من يَزْعُمون أنهم يَنتمون إلى هذه الديانة. لهذا فَهُم يسألون: "ماذا عن الحروب الصليبية التي قُتل فيها الكثيرين تحت راية الصليب؟ وماذا عن محاكم التفتيش؟ وماذا عن الظلم الذي يُمارسه في يومنا هذا أناس يقولون عن أنفسهم إنهم يؤمنون بالكتاب المقدَّس؟" في الحقيقة أن أي شخص يقول عن نفسه إنه مسيحي (أي أنه يُشابه المسيح) ويُخفق في أن يعكس مَحَبَّة المسيح وتعاطُفه ما هو إلاَّ مثال حَيٌّ مُعاكس لكل ما عاشه المسيح وعلَّمه. لهذا، قال المسيح لتلاميذه: *"سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: **أَحِبُّوا***

*أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، **وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ**"* (إنجيل متَّى 5: 43-44).

وهناك مَن يسألون: "ماذا عن المسيحيين الذين يعيشون حياة الغش والسُّكر والخلاعة؟" أقول أيضاً إن الإنسان الذي يعيش حياةً لا أخلاقيَّة إنما يعيش في عدم طاعة لما يُعلنه الكتاب المُقدَّس: *"أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟ لاَ تَضِلُّوا: لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مُأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ، وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ. وَهكَذَا **كَانَ** أُنَاسٌ مِنْكُمْ. لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ **تَبَرَّرْتُمْ** بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا"* (رسالة كورنثوس الأولى 6: 9-11). والتبرير يعني أن يُحْسَب الإنسان بارَّاً وبلا لوم أمام الله. وسوف نكتشف لاحقاً أثناء رحلتنا – ومن خلال الكتاب المُقدَّس – كيف يُمكن للخُطاة أن يُصبحوا أبراراً أمام الله.

ويسأل آخرون: "ماذا عن المسيحيين الذين يَنْحَنون أمام بعض التماثيل ليُصلُّوا إلى مريم والقديسين؟" أقول باختصار إن أولئك الذين يُمارسون هذه الطقوس يتبعون تقاليد كنيستهم بدل اتباع تعاليم كلمة الله التي تُعلن: *"لاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ أَوْثَانًا، وَلاَ تُقِيمُوا لَكُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا أَوْ نَصَبًا، وَلاَ تَجْعَلُوا فِي أَرْضِكُمْ حَجَرًا مُصَوَّرًا لِتَسْجُدُوا لَهُ. لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ"* (سِفْر اللاويِّين 26: 1). فالانحناء أمام تماثيل، وإقامة سُلطة بشرية فوق سُلطة الله، وترديد الصلوات بطريقة آليَّة دون معرفة الإله الحقيقي، كل هذه ما هي إلاَّ أشكال من العبادة الوثنية. كما أن كثيرين يَتحيَّرون لأنهم يعتقدون أن كلمة *"مسيحي"* وكلمة *"كاثوليكي"* تحملان المعنى نفسه. لكنَّ هذا ليس صحيحاً. وكذلك الحال بالنسبة لكلمة *"مسيحي"* و *"بروتستنتي"*. فكما أن التردُّد على الإصطبل لا يجعل الإنسان حصاناً، فإن التردُّد على الكنيسة لا يجعل الإنسان مسيحياً.

4- "مُراؤون"

هُناك سبب آخر يُقدِّمه البعض كعُذر لعدم قراءتهم للكتاب المقدَّس ألا هو "كثرة المُنافقين". وللأسف الشديد أن كثيرين يَزعُمون أنهم يؤمنون بما يقوله الكتاب المقدَّس لكنهم يعيشون بخلاف ذلك. إنهم يُعَوِّجون رسالة الكتاب المقدَّس ويستخدمون اسم الله لتحقيق مقاصدهم الأنانية. لهذا نسمع أن بعض الوعاظ عانوا من الفضيحة بسبب تَرَدِّيهم الأخلاقي وانغماسهم في شهواتهم. والبعض يعدونك بالصحة والغنى إن تبرَّعت لهم بالمال. لكنَّ الكتاب المقدَّس يَفضح هؤلاء الدجالين ويقول عنهم: *"وَمُنَازَعَاتُ أُنَاسٍ*

فَاسِدِي الذِّهْنِ وَعَادِمِي الْحَقِّ، يَظُنُّونَ أَنَّ التَّقْوَى تِجَارَةٌ. تَجَنَّبْ مِثْلَ هؤُلاَءِ" (رسالة تيموثاوس الأولى 6: 5).

وإليك ما قاله يسوع عن القادة الدينيِّين الأنانيِّين والسطحيِّين في زمانه:

*"**يَا مُرَاؤُونَ!** حَسَنًا تَنَبَّأَ عَنْكُمْ إِشَعْيَاءُ قَائِلاً: يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هذَا الشَّعْبُ **بِفَمِهِ**، وَيُكْرِمُنِي **بِشَفَتَيْهِ**، وَأَمَّا **قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا**. وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ"* (إنجيل متَّى 15: 7–9). وقال يسوع لتلاميذه: *"وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ **كَالْمُرَائِينَ**، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ، لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ!"* (إنجيل متَّى 6: 5).

وفي ضوء الحقيقة القائلة بأن كل شخصٍ فينا يُمارس بعض النِّفاق في حياته (أي أنه يتظاهر بما هو ليس عليه في حقيقة الأمر)، فلماذا نَسمح للمُرائين بمنعنا من التعرف إلى خالقنا؟ ولماذا لا نسمح لكلمة الله الحيَّة أن تُغيِّرَنا لنصير أُناساً بحسب قصده؟

5- "التعصُّب العِرْقِيُّ"

البعض يَرفضون الكتاب المقدَّس لأنهم يظنون أنه يُفضِّل بعض الجماعات العِرقيَّة على غيرها. ورغم أن غالبية الناس مُذنبين بدرجات مُختلفة في مسألة التعصُّب أو التحزُّب لشعوبهم، إلاَّ أنَّ الكتاب المقدَّس واضح في هذا الشأن: *"بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ* [لا يُفَضِّل أحَداً على أحَدٍ]" (أعمال الرُّسُل 10: 34).

فمثلاً، هل تَعلم أنَّ النبيَّ مُوسى تزوج من امرأة أثيوبية؟[20] وهل قرأت كيف عمل الله – مِنْ خلال نبيِّه أليشَع – على شِفاء قائد الجيش السوري من بَرَصِهِ بعد أن تواضَع أمام الله؟[21] وهل تعرف أنَّ الله أمَرَ نبيَّه اليهودي يونان (النبي يونس) أن يذهب لتوصيل رسالة التوبة والخلاص إلى مدينة نينوى (في العراق)؟ كان النبي يونان يكره أهل نينوى ويتمنى لهم الهلاك، لكنَّ الله أحبهم وأظهر لهم رحمته.[22] وهل أنت على دِرايةٍ بالدور الهام الذي قامت به بلاد فارس (إيران حالياً) في تتميم مقاصد الله في تقديم

الخلاص للعالم؟[23] وهل تأملت في مقابلة يسوع العجيبة مع المرأة السامرية الخاطئة حين كَلَّمها عن الحياة الأبدية رغم أنَّ اليهود كانوا يتجنَّبون التعامل مع السامريين ويعتبرونهم "نجسين"؟[24]

ما مِنْ شَكٍّ أنَّ عالمنا مُصاب بداء التعصُّب، لكنَّ إلهنا ليس كذلك. فهو لا يرى أمامه سوى جنساً واحداً ألا وهو الجنس البشري.

> *"الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ، هذَا، إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي، وَلاَ يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ، إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ.* ***وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ*** *مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ، وَحَتَمَ بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ،* ***لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا.*** *لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ"* (أعمال الرُّسُل 17: 24–28).

هذا الإعلان بأن الله خَلَقَ جميع البشر مِنْ دمٍ واحدٍ يُثبته العلم الحديث الذي يُقِرُّ بأن: "الجينات الوراثية للجنس البشري مُتماثلة بنسبة 99,9 بالمئة في كل العالم. أمَّا النسبة الضئيلة المختلفة فهي المسؤولة عن الاختلافات الفردية مثل لون العينين ومدى مُقاومتنا للأمراض المختلفة."[25]

إنَّ رَبَّ *"السَّماءِ وَالأَرْضِ"* وخالقهما *"لَيْسَ بَعِيدًا عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا"*؛ بل هو يهتم بي وبك بصورة شخصية، وهو يريدنا أن "نَطْلُبَهُ" وأن نفهم رسالته. فهو الذي دَبَّر كل تفاصيل ولادتنا، وهو يُحب كل الناس – مِنْ كُلِّ أُمَّة ولِسان وثقافة ولون – ويدعوهم لأن يلتمسوه بلُغَة قلوبهم الخاصة.

6- "إله الكتاب المقدَّس يُبيح القتل"

وصلتني هذه الرسالة الإلكترونية من شخص مُلْحِد (أو "عِلماني مُحِبّ للخير" كما يُفَضِّل أن يُدعى):

> يقول الكتاب المقدَّس: "أنا الرب إله حَنَّان ورؤوف، بطيء الغضب، وكُلِّي محبَّة وأمانة." إنَّ كلمات الله جميلة في مدحه لنفسه، لكنَّ كلماته لا تتوافق مع أفعاله. فالله

لم يَظْهَر كالمُحب عندما سمح بموت أكثر من رُبع مليون إنسان في كارثة تسونامي التي وقعت في شهر كانون الأول/ديسمبر 2004 في جنوب شرق آسيا. وفي ما يُسَمَّى "الدخول إلى كنعان" يُجيز إله الكتاب المقدَّس قتل الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال المُسالمين. لماذا وأنا مخلوق زائل أُشفق على البشر أكثر من ذاك المدعو "خالقاً"؟ لو كُنت أقدر لمنعت كل صِراع، وكراهية، وحروب، وقتل وكوارث، وفقر، ومجاعات، وأمراض، وآلام، وأحزان يُعاني منها البشر على كوكبنا. أجل، كُنت لأوقف كل هذا فوراً بحركة واحدة من إصبعي!"

كثيرون يسألون: "إنْ كان الله صالحاً وكُلِّيَّ القُدرة في الوقت نفسه، *فلماذا لا يضع حَدَّاً* ***للشر؟*** لكِنْ من المؤسف أننا لا نسأل أنفسنا: "إنْ كان الله صالحاً وكُلِّيَّ القُدرة، *فلماذا لا يَضَع حَدَّاً* ***لي*** حين أقتَرِف الشر؟" فنحن نريد من الله أن يُدين الشر؛ لكننا لا نريده أن يُديننا نحن.

بعد أن أوضحت هذا التناقُض في موقفنا كبشر، لا أتردَّد في القول بأن صديقنا العِلماني أثار بعض التحديات الصعبة. ورغم أنه لا توجد إجابات بسيطة عن أسئلته، إلاَّ أن هناك ردود وافية ومُقنعة. فأثناء رحلتنا عبر صفحات الكتاب المقدَّس، سوف نتقابل مع الله وعواقب الخطية وجهاً لوجه؛ وعندها سوف تصبح إجابات الله واضحة لنا. والآن، أريد أن أطرح *ثلاثة مبادئ* لكي نتحاشى إساءة الحُكْم على خالقنا عندما نرى أنه يَسْمَح – أو حتى يَأمُر – بوقوع المصائب التي تخطف حياة الرجال والنساء والأطفال؛ بل وحتى حياة الأطفال الرُّضَّع.

أ) الإنسان يرى جزءاً من الصورة، لكنَّ الله يَرى الصورة الكاملة.

في حين أنَّ الناس يُصنِّفون المآسي التي يموت فيها "الأبرياء" قَبْل أوانِهم على أنها "ظالِمَة"، فإنَّ الله ينظر إليها مِنْ مَنظوره الأبدي. وهو يُعلن أن حياة الإنسان الوقتية على الأرض ما هي إلاَّ مقدمة للحدث الرئيسي.[26] فالحياة لا تقتصر على ما تراه العين. فمثلاً، تَخَيَّل جنيناً في بطن أمه. إذا استطاع هذا الجنين أن يُفَكِّر فربما سيُخاطب الله ويقول له انطلاقاً مِنْ عِلْمِهِ المحدود: "ماذا فَعَلْتُ لأستحق عقاب سجني في هذا الكيس الصغير؟ إنني أسمع في الخارج أصوات أطفال يضحكون ويلعبون، في حين أنني مدفون في هذا العالم المائي المظلم! هذا ظُلْم! لماذا أنا أكثر عطفاً من خالقي رُغْم أنني مُجرَّد جَنين؟"

طبعاً، لا يوجد جَنين يتحدَّى خالقه بهذه الطريقة؛ لكنَّ البالغين يفعلون ذلك: *"بَلْ مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تُجَاوِبُ اللهَ؟ أَلَعَلَّ الْجبْلَةَ تَقُولُ لِجَابِلِهَا: 'لِمَاذَا صَنَعْتَنِي هكَذَا؟'"* (رسالة رومية 9: 20).

ب) ما هو غير صائب عند الإنسان ليس بالضرورة كذلك عند الله.

بما أن الله هو مَصْدَر الحياة وحافظها، فَمِنْ حَقِّهِ أيضاً أن يُنهيها. وقد أعلن النبي أيُّوب الذي خسر كل ممتلكاته وأبنائه العشرة عبر أحداث متلاحقة قائلاً: *"عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسم الرَّبِّ مُبَارَكًا. فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوب وَلَمْ يَنْسِبْ للهِ جِهَالَةً"* (سِفْر أيُّوب 1: 21–22).

سوف نتعرف – أثناء رحلتنا – على بعض تدابير وخطط الله الغريبة والحكيمة.[27] وسوف نتقابل مع ملك الكون الذي لا يُرْغِم البشر على محبته وطاعته. وسنكتشف أيضاً أسباب الحالة المُزرية لعالمنا الحاضر.

ج) في نهاية المَطاف، سوف يُصْدِر الله حُكْماً عادلاً تماماً على الجميع.

أثناء محاولتنا لفهم الأحداث الماضية والحاضرة، مِنَ المُفيد أن نتذكَّر أنَّ خالق الإنسان يَعرف كل شيءٍ عن كل فرد؛ أمَّا نحن فلا نعرف كل شيء. والله لا يَعمل وفقاً لمبادئنا الأخلاقيَّة، بل وفقاً لمبادئه هو. لهذا، لسنا نحن الذين نقول لله ما هو الصواب وما هو الخطأ، بل هو الذي يُخبرنا بذلك. ورغم أن الله يَسمح للبشر باتخاذ قراراتهم بأنفسهم (رُغم أنها قد تكون قرارات خاطئة وتؤثِّر بدورها على الآخرين) إلاَّ أنه لا يقف صامتاً أمام الشَّر. فسوف يأتي يومٌ يُدين فيه الله كل رجل وامرأة وطفل وفقاً لمعايير الصَّلاح التي وضعها هو. كذلك، فإنَّ محبَّة الله وعدله بلا حُدود.[28] *"لأَنَّ الرَّبَّ إِلهُ حَقّ. طُوبَى لِجَمِيعِ مُنْتَظِرِيهِ"* (سِفْر إشعياء 30: 18).

لهذا، إذا كنت تعتقد – مثل ذلك الشخص الذي أرسل تلك الرسالة الإلكترونية – أنك أكثر إشفاقاً مِنْ خالقك، فأرجو أن تُتابع القراءة. فالله يكشف أسراره للمُتَّضِعين الذين يَنتظرون سَماع صوته.

"السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا، وَالْمُعْلَنَاتُ لَنَا وَلِبَنِينَا إِلَى الأَبَدِ" (سِفْر التَّثنية 29: 29).

7- "لا يُمكن لكتاب الله أن يحتوي على ..."

يُعلِّل البعض سبب تغاضيهم عن الكتاب المقدَّس بقولهم: "لو كان الكتاب المقدَّس موحى به من الله، لما احتوى على تلك القصص المُنفِّرة عن أولئك الأشخاص الذين ارتكبوا الجرائم، والمذابح، والزِّنَى، والخيانات، وعبادة الأوثان، وغيرها. فبحسب مفهومهم للوحي الإلهي، يجب أن يَقْتَصِرَ كِتابُ الله على الاقتباسات المُباشرة مِنَ الله."

لَكِنْ إنْ كان الهدف من الكتاب المقدَّس هو تعريف البشر بخالقهم في إطار التاريخ، فهل يحق لنا الاعتراض إن كان الكتاب المقدَّس يُدوِّن لا كلام الله وأعماله فحسب، بل وأيضاً خطايا البشر وضعفاتهم؟ كذلك، ألا يحق لله أن يُعلِن عن مجده وقداسته وعدله ورحمته وأمانته بالمُقابلة مع حالة الإنسان المُريعة؟ وهل نجرؤ حقاً على أن نُملي على الله القدير كيف ينبغي عليه أن يُعلن عن نفسه ورسالته؟

"يَا لَتَحْرِيفِكُمْ! هَلْ يُحْسَبُ الْجَابِلُ كَالطِّينِ، حَتَّى يَقُولُ الْمَصْنُوعُ عَنْ صَانِعِهِ: 'لَمْ يَصْنَعْنِي' . أَوْ تَقُولُ الْجُبْلَةُ عَنْ جَابِلِهَا: 'لَمْ يَفْهَمْ'؟" (سِفْر إشعياء 29: 16).

يُدَوِّن الكتاب المقدَّس أحداثاً تاريخيةً عديدة سمح الله بحدوثها رُغم عَدَم رِضاه عنها. فالله الحَيُّ الحقيقي الواحد يَفرح حين يُحَوِّل وضعاً سيئاً إلى شيءٍ صالح. لَعَلَّك قرأت قصة يوسف المؤثرة [الابن الحادي عشر ليعقوب] (سِفْر التكوين 37–50). كان إخوة يوسف العشرة الأكبر منه يكرهونه ويُسيئون مُعاملته، بل إنهم باعوه عبداً للإسماعيليين. بعد ذلك، أُلقي يوسف في السجن ظلماً. لكنَّ يوسف – ومن خلال تلك المحنة – ارتقى ليُصبح الرَّجُل الثاني في مصر بعد فرعون، وخلَّص إخوته والمصريين والبلاد المجاورة من الموت بسبب مجاعة شديدة حدثت في زمانه. وبعد أن تغيَّرت قلوب إخوته من نَحْوِه، قال لهم يوسف: *"أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا، لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا"* (سِفْر التكوين 50: 20).

8- "مليء بالتناقضات"

يُصِرُّ الكثيرون على أن الكتاب المقدَّس مليء بالتناقضات، لكنَّ قليلين يُخَصِّصون وقتاً لدراسته بموضوعية. فهل من العدل أن نَحْكُمَ على الكتاب المقدَّس بناءً على أقوال الآخرين؟ وهل يمكننا أن نفهم أيَّ كتاب بمُجرَّد قراءة بعض الجُمَل المُتفرِّقة منه؟ وهل يجوزُ أنْ نقرأ كتاباً عظيماً لمُجرَّد البحث عن

أخطاء مطبعيَّة أو أيِّ تناقضات فيه؟ أرجو ألاَّ يكون الأمر هكذا. لكنَّ الكثيرين يقرأون الكتاب المقدَّس بهذه الطريقة.

قبل سنوات طويلة، استلمتُ رسالة الكترونية فيها لائحة طويلة من التناقضات والأخطاء المزعومة في الكتاب المقدَّس؛ وهي تناقضات وأخطاء نَقَلَها كاتب الرسالة عن أحد مواقع الإنترنت.

وفيما يلي أجزاء من هذه الرسالة:

إنَّ كتابكم المقدَّس يُناقض نفسه. فمثلاً:

- في اليوم الأول، خلق الله النور ثم فصل بين النور والظلمة (سِفْر التكوين 1: 3–5). لكنَّ الشمس التي تفصل النهار والليل لم تُخلق إلاَّ في اليوم الرابع (سِفْر التكوين 1: 14–19).
- كان يجب أن يموت آدم في نفس اليوم الذي أكل فيه من الثمرة المُحَرَّمة (سِفْر التكوين 2: 17). لكنَّ آدم عاش 930 سنة (سِفْر التكوين 5: 5).
- يسوع لا يُدين (إنجيل يوحنَّا 3: 17؛ 8: 15؛ 12: 47). ثم يسوع يُدين (إنجيل يوحنَّا 5: 22, 27–30؛ 9: 39؛ أعمال الرُّسل 10: 42؛ رسالة كورنثوس الثانية 5: 10).
- وهَلُمَّ جَرَّا.

والآن أود أن أسألك سؤالاً: هل يَسمح لي دينك أن أطرح أسئلة وأن أستخدم عقلي قبل أن أَقبله، أَم أنه يطلب مني أن أُغمض عينيَّ وألغي عقلي حتى لا أسأل؟ إنني أسأل نفسي إذا كان من الممكن أن يرتكب الله مثل هذه الأخطاء في كتابه، وبسرعة أُجيب: لا!؟

نعم، إنَّ الله الذي قال: *"هَلُمَّ **نَتَحَاجَجْ**، يَقُولُ الرَّبُّ"* (سِفْر إشعياء 1: 18) هو نفسه الذي يُريدني أن أطرح الأسئلة وأن أستخدم عقلي. فالله يَدعو كل واحد منا للتأمُّل في كلمته. أمَّا أنْ ننقل لائحة

"اعتراضات" شخصٍ آخر فهذا لا يُجدي نَفْعاً. قال الحكيم سُليمان: *"اَلْغَبِيُّ يُصَدِّقُ كُلَّ كَلِمَةٍ، وَالذَّكِيُّ يَنْتَبِهُ إِلَى خَطَوَاتِهِ"* (سِفْر الأمثال 14: 15).

أمَّا الإجابات عن "التناقُضات" التي أورَدَها كاتب هذه الرسالة فنجدها أثناء قراءتنا للكتاب المقدَّس وتأمُّلنا فيه.[29] لكِنْ أرجو أن نتمكن الآن من الاتفاق على ما يلي: الحياة قصيرة جداً والأبدية طويلة جداً. لهذا، يَجْدُر بكُلِّ شخصٍ فينا أن يبحث بجدية في هذا الموضوع.

إذا تناولت يوماً فاكهة لذيذة، فأنت تعرف أن وصف طعمها لأحدهم ليس كافياً؛ فينبغي عليه أن يتذوقها لكي يختبر مذاقها بنفسه. وبالمثل، فإن قبول ما يقوله شخص آخر عن كلمة الله لا يكفي؛ فينبغي عليك أن تتذوقها بنفسك.

*"**ذُوقُوا وَانْظُرُوا** مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ!"* (سِفْر المزامير 34: 8).

إذا كان المرء يبحث عن مَصْلَحَتِهِ الأبدية فينبغي عليه أن يدرس الكتاب المقدَّس بعناية وأن يكون *"عَامِلاً لاَ يُخْزَى، مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالاسْتِقَامَةِ"* (رسالة تيموثاوس الثانية 2: 15). فعدم الانتباه إلى السِّياق بأكمله (وهو المَقْطَع الكامل الذي يوجد فيه التناقُض المَزْعوم) هو طريقة خاطئة لفهم كلمة الله التي هي حَقٌّ.

على سبيل المثال، هناك عبارات في الكتاب المقدَّس توصينا ***بألَّا*** نُدين الآخرين، بينما تُقابلها عبارات أخرى توصينا بأن *نُدين*.[30] ترى هل تُناقض تلك الآيات بعضها بعضاً؟ كلا، بل ***يُكَمِّل*** أحدها الآخر. فمن جهة فإنَّ كلمة الله توصيني ألاَّ أُدين (أحْكُم على) الآخرين لكوني مخلوق محدود المعرفة. وهذا يَعني أنه ينبغي عليَّ ألاَّ أحْكُم على نوايا الآخرين أو أعمالهم مِنْ مُنطلق روح النقد والبِرِّ الذاتيِّ. لكن من جهة أخرى، يجب عليَّ أنْ أُميِّز (أحْكُم على) ما يقوله الآخرون ويفعلونه لكي أُدرك الفرق بين الخير والشر وبين الحق والكذب في ضوء ما يقوله الكتاب المقدَّس.

إذاً، ماذا عن التناقضات المَزعومة في الكتاب المقدَّس؟

أنا شخصياً وجدت حَلاً مُريحاً لجميع هذه الأمور التي يُسمِّيها البعض "تناقُضات". كما أنني اكتشفت أنّه ما لم يرغب الناس في فهم الكتاب المُقدَّس من كل قلوبهم، فسوف يَستمِرُّون في البحث عن "تناقُضات" جديدةٍ حال حصولهم على إجابات بشأن القديمة منها.[31]

هل تريد حقاً أن تفهم رسالة الله؟ إذاً لا تفتح كتاب الله بحثاً عن *أفكارك* أنت، بل بحثاً عن *أفكاره* هو. ادرس الكتاب المُقدَّس سِفْراً تلو الآخر. لا تُحاول جاهداً أن تُفسِّر بنفسك ما تقرأ، بل دَع المكتوب يُفسِّر نفسه. فالأسفار المقدَّسة التي كتبها العديد من الأنبياء على مدى قرون كثيرة تُفسِّر نفسها بنفسها.[32]

"هُوَ يَكْشِفُ الْعَمَائِقَ وَالأَسْرَارَ. يَعْلَمُ مَا هُوَ فِي الظُّلْمَةِ، وَعِنْدَهُ يَسْكُنُ النُّورُ" (سِفْر دانيال 2: 22).

9- "أنا لا أؤمن بالعهد الجديد"

منذ فترة استلمت هذه الرسالة الإلكترونية من سيدة:

"أنا لا أؤمن بالعهد الجديد، بل بالعهد القديم فقط. كما أنني لا أؤمن أنَّ كلام الله يُمكن أنْ يتم تعديله أو أنْ تُعاد كتابته ليُلائم أزمنة جديدة."

هذه السيدة – كغيرها من الناس – لا تفهم لماذا يحتوي كتاب الله على عهدين: قديم وجديد. لكنَّ وجود هذين الجُزأين لا يعني بتاتاً أنَّ كلمة الله قد "عُدِّلَت أو أُعيدت كتابتها"، بل يعني أنَّ خطة الله للجنس البشري التي *سَبَقَ* الله وأنْ أعلنها لنا في القديم قد *تحقَّقت*.

إنَّ الأحداث التاريخية تُؤرَّخ وفقاً لتواريخها. فمثلا، تاريخ ولادة النبي إبراهيم يعود إلى 2000 سنة **قبل الميلاد**، أمَّا تاريخ انهيار البُرجين التوأمين في مدينة نيويورك فهو 2001 **بعد الميلاد**. إذاً، تاريخ العالم مقسوم إلى قسمين. وهكذا هو الحال في كتاب الله.

يحتوي الكتاب المقدَّس على عهد قديم وعهد جديد. وكلمة "عَهْد" تعني *وثيقة قانونية أو عَقْد أو ميثاق أو اتفاق بين طرفين.*[33] ولكي نفهم هذا، سوف نقوم الآن بجولة سريعة في العهدين (القديم والجديد) لكي نرى الهدف والقصد منهما.

الجُزْء الأوَّل: العهد القديم. كُتب بالعبريَّة والآراميَّة، وهو يحتوي على *"شريعة مُوسى* [التي تُعرف أيضاً بالتوراة]، *والأنبياء والمزامير* [التي تُعْرَف أيضاً بالزَّبور]." (إنجيل لوقا 24: 44). هذه الكتابات التي أرسلها الله من خلال ثلاثين نبياً تقريباً على مَرِّ أكثر من ألف سنة، تُزوِّدُنا بسجل من الأحداث التي تَدَخَّل فيها الله في تاريخ البشرية – مُنذ خلق آدم إلى أيام مملكة الفُرْس (حوالي سنة 400 قبل الميلاد).

من الناحية النبويَّة، يَنْظُر العهد القديم عَبْر سراديب الزمن إلى نهاية العالم، مُعْلِناً عن مئات الأحداث التاريخية قبل حدوثها.[34]

يَشْرَح العهد القديم الميثاق الذي قَدَّمَهُ الله للبشر قبل ميلاد المسيح (قبل الميلاد). وكلمة *"المسيح"* هي الترجمة اليونانية للكلمة العِبريَّة *"المسيَّا"* أي "المَمْسوح" أو "المُختار". وقد تنبَّأت كتب العهد القديم عن أحداث رئيسية ستحدث في التاريخ، مُشيرة فيها إلى المسيَّا الذي سيأتي ليُنقذ شعبه من الخطية وعواقبها. كما أنَّ الميثاق القديم اشتمل على هذا الوعد الهام:

*"هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ ... **عَهْدًا جديدًا**"* (سِفْر إرميا 31: 31).

الجُزء الثاني: العهد الجديد. كُتب باليونانيَّة، ويُدعى أيضاً *"الإنجيل"* (أي الخَبَر السَّار). أكثر من ثمانية رجال كتبوا العهد الجديد في القرن الأول الميلادي، وقد دُوِّنَت فيه أحداث المجيء الأول للمسيح إلى الأرض. كما أنه يحتوي على شواهد من العهد القديم ويتنبأ عن كيفية نهاية العالم. ويَجْدُر التنويه إلى أنَّ جميع نبوَّات العهد الجديد تتناغم تماماً مع تلك الواردة في العهد القديم.

العهد الجديد يَشْرَح هِبَة الله العظمى للبشر من خلال مجيء المسيَّا المُنتظَر. وهذه الأسفار تُشير إلى مئات النبوَّءات التي تنبَّأ عنها أنبياء العهد القديم وتكشف كيف أنها تحققت تاريخياً.

وكما هو حال العهد القديم فإنَّ العهد الجديد يُشير أيضاً إلى اليوم الذي سيرجع فيه المسيَّا إلى الأرض. لهذا يقول المسيح: *"لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ* ***لأُكَمِّلَ"*** (إنجيل متَّى 5: 17).

أجل، لا يوجد تناقض بين العهدين القديم والجديد. فكما أنَّ البذرة تنبت وتكبر وتصبح شجرة مُثمرة، هكذا هي أيضاً خِطَّة الله القديمة للبشر. فالعهد القديم هو الجُذور، والعهد الجديد هو الشجرة المُثمرة. وبالتالي فإنَّ كل جزء من كتاب الله يُشير إلى الرسالة التي يريدنا الله أن نفهمها.

إنَّ السيدة التي بعثت برسالتها الإلكترونية مُحِقَّة في إيمانها بأن *"كلام الله لا يُمكن أن يتم تعديله أو أن تُعاد كتابته ليلائم أزمنة جديدة."* لكنها أخفقت في مُلاحظة أن *"كلمات الله"* قابلة للتحقيق وسوف تتحقَّق.

10- "مُحَرَّف"

لقد تناولنا حتى الآن تسعة عوائق تمنع الناس من قراءة الكتاب المقدَّس والإيمان بما جاء فيه. لكني لم أتحدث بعد عن العائق الأكثر شيوعاً والذي أسمعه من أصدقائي المُسلمين. وقد عَبَّر أحمد بوضوح عن هذا العائق في رسالته الإلكترونية:

> أنا أعلم وأؤمن أن كُل كتب التوراة تقريباً قد حُرِّفَت. لهذا فإن الكتاب المقدَّس الحالي مُزيَّف ومُحرَّف ...

هل أحمد على حَقٍّ؟ هل فعلاً تم تحريف الكتاب المقدَّس؟ سوف نجد الإجابة عن هذا السؤال في الفصول القادمة.

3
مُحَرَّف أَم مَحْفوظ

*"يَبِسَ الْعُشْبُ، **ذَبُلَ** الزَّهْرُ. وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثْبُتُ **إِلى الأَبَدِ**."*
– النبيُّ إشعياء (سِفْر إشعياء 40: 8)

مُقتطفات الرسائل الإلكترونية التالية التي استلمتها من أربعة أماكن مختلفة من العالم تُعَبِّر عن رأي أكثر من بليون من البشر:

"نحن نؤمن **بالنسخ الأصليَّة** لجميع الكتب المقدَّسة."

"لا تَنْسَ أنه بحوزتك العهدين القديم والجديد اللذين حُرِّفت كلماتهما. لكنَّ كلمات القرآن لم تتبدَّل عبر السنين."

"إنَّ نُصوص كتابكم المقدَّس مُحَرَّفة. فقد أُعيدت كتابته وزيد عليه ونُقِّح منذ البداية لكي يُلائم عقائدكم الخاطئة."

"أنا مُتيقِّن أنَّ الكتاب المقدَّس قد حُرِّف منذ قرون عديدة بل منذ آلاف السنين، وأنَّ معظم العهد الجديد، إن لم يكن كله، ما هو إلا تفاهة اختلقها نبي كذاب اسمه بولُس. لذلك فإن استشهادكم من الكتاب المقدَّس هو هَدْر للوقت في طباعة الكلمات أو نسخها."

تُرى هل هذه الادِّعاءات صحيحة؟ هل سمح الإله غير المحدود للإنسان المحدود بأن يُغيِّر ويُحرِّف الأسفار التي أعلنها لأنبيائه منذ زمن بعيد؟

كلمة خاصة للمُسلمين

أود أن أوجِّه كلمة خاصة للقارئ العزيز المُسلم.

كما تعلم، فإنَّ القرآن يُعلن بوضوح أنَّ الكُتُب المُقدَّسة – التَّوراة والمزامير (الزبور) والإنجيل – قد أُعطيت من الله "**هُدىً ونور**" (سورة 5: 44–51). كما أنَّ القُرآن يقول: *"وَأَنزَلْنَا* [الله] *إِلَيْكَ* [مُحمَّد] *الْكِتَابَ* [القرآن] ***بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ*** [الكتاب المقدَّس] *وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ"* (سورة 5: 48). وأيضاً: *"وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا* ***رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ*** [الكتاب المقدَّس] *إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ."* (سورة 21: 7). كما أنَّ القرآن يُحذِّر قائلاً: *"الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ... فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ."* (سورة 40: 70، 72).

يُعلن القرآن مَرَّات عديدة[35] أنَّ أسفار الكتاب المقدَّس موحى بها من الله، وكل من يرفضها سيذهب إلى الجحيم. هذا هو ما يقوله القرآن.

إنَّ مثل هذه الإعلانات في القرآن تخلق مشكلة فعلية للمُسلمين في كل مكان لأن الكتاب المقدَّس والقرآن يُقدِّمان رسالتين مُختلفتين تماماً عن طبيعة الله وخطته للبشر.

لهذا السبب استَنْتَج معظم المُسلمين أنَّ الكتاب المقدَّس قد حُرِّف. لكنَّ الأسئلة التالية ساعدت الكثيرين على إعادة النظر في هذا الاستنتاج.

أسئلة للمُسلمين بصورة خاصَّة

- هل تظن أن الله *قادر* على حِفْظ كُتُبه المُقدَّسة؟
- إن كان الأمر كذلك، هل تظن أنه *يُريد* أن يحفظها؟
- إذا كنت تظن أنَّ كُتُب الأنبياء قد حُرِّفت:
  - متى حُرِّفت؟
  - *أين* حُرِّفت؟
  - مَنْ حَرَّفها؟ إذا كنت تظن أنَّ المسيحيين أو اليهود حَرَّفوا الكُتُب المقدَّسة، إذاً لماذا مات الكثيرون منهم طوعاً للحفاظ عليها؟[36]

- ما هي الأدِلَّة التي يُمكنك تقديمها؟
- كيف يَسمح الإله الكُلي القدرة لأناس زائلين بتحريف سِجِلِّه وإعلانه المكتوب للجنس البشري؟

- إذا سمح الله للبشر بتحريف الكُتُب التي كتبها أنبياء مثل موسى وداود، *فكيف* تَثِق أنَّ الكتاب الذي تؤمن أنت به لم يواجِه المصير نفسه أيضاً؟

لا أرمي من هذه الأسئلة إلى إرباك أي إنسان بأسئلة كثيرة، لكن حيث أنَّ الكثيرين يؤمنون بتُهمة "التَّحريف" هذه، وحيث أنَّ لهذا الإيمان عواقب أبدية، فإليك سؤال آخر:

- هل تظن أنَّ الكُتُب المقدَّسة حُرِّفت ***قبل*** مجيء القرآن أَم ***بعده***؟

قبل أن تُكمِل القراءة، أرجو – عزيزي القارئ – أن تُفكِّر في الإجابة عن السؤال الأخير [قبل مجيء القُرآن أَم بعده؟]. ولعلَّهُ من الأفضل أنْ تُدوِّن إجابتك أيضاً.

قبل؟

إذا كنت تقول إنَّ التَّحريف وقع *قبل كتابة القرآن*، فكيف يُعلن القرآن أنَّ هذه الكتب ليست ضلالاً بل "هُدىً" للبشر، وليست ظلاماً بل "نوراً" لهُم؟ لماذا يقول القرآن: *"وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ. وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"* (سورة 5: 46–47)؟ ولماذا يقول أيضاً: *"لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ"* (سورة 10: 64)؟

وإنْ كانت الكُتُب المقدَّسة غير جديرة بالثقة، فلماذا يأمر القرآن: *"فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ"* (سورة 10: 94)، وأيضاً: *"فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"* (سورة 3: 93)؟

فرغم أنَّ البعض اتُّهموا بأنهم *"مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ"* (سورة 3: 78)، إلاَّ أنَّ الكُتُب نفسها اعتُبرت سليمة وغير مُحَرَّفة.

بعد؟

مِنْ جهة أخرى، إذا كنت تقول إنَّ الكتاب المقدَّس حُرِّف *بعد كتابة القرآن* فيجب التذكير بأنَّ الكتاب المقدَّس المتداول اليوم مُتَرْجَم من مخطوطات يدوية قديمة تسبق القرآن بقرون عديدة.

فقبل الوقت الذي كُتب فيه القرآن، كانت الأسفار المقدَّسة قد نُشِرت في أوروبا وآسيا وإفريقيا، وتُرجمت إلى لغات عديدة مثل اللاتينية، والسريانية، والقبطية، والقوطية، والأثيوبية، والأرمنية.[37]

فَكِّر في الأمر! فكيف تَمَكَّن أي أشخاص من تحريف تلك الأسفار المشهورة المترجمة إلى لغات عديدة، والمنسوخة بمئات الآلاف من النُّسَخ، والمُنتشرة في أرجاء العالم المعروف آنذاك؟ تخيَّل مَشَقَّة جَمْع نُسَخ اللغة الأصلية للأسفار المقدَّسة (بالإضافة إلى النُّسَخ المُترجمة) ومحاولة تغيير كل منها ومطابقتها بعضها مع بعض لتكون النتيجة هي الترجمة الموجودة بين أيدينا اليوم. إنها عملية مستحيلة!

الاستنتاج واضح:

- الادِّعاء بأنَّ الكتاب المقدَّس حُرِّف قبل كتابة القرآن يناقض عشرات الآيات القرآنية.[38]
- الادِّعاء بأنَّ الكتاب المقدَّس حُرِّف بعد كتابة القرآن يناقض البراهين التاريخية والأثرية التي تدعمها آلاف المخطوطات القديمة.

هذا الاستنتاج يُثير مجموعة أخرى من الأسئلة:

- مِنْ أين جاءت آلاف المخطوطات والترجمات هذه؟
- أين هي الكتابات *الأصلية*؟

النُّسَخ الأصلية و "سُلالاتها"

بسبب واقع أنَّ كل شيء على الأرض يهترئ ويندثر، فإن مخطوطات الكتاب المقدَّس الأصلية لم تعد موجودة. لَكِنْ هناك آلاف النسخ القديمة لكتابات الأنبياء الأصلية والمحفوظة في العديد من المتاحف والجامعات حول العالم.

إذا كنا نتحدث عن التوراة، أو الإنجيل، أو الفيلسوف أرسطو، أو المؤرخ يوسيفوس، أو حتى القرآن الأكثر حداثة،[39] فإن جميع الوثائق الأصلية غير موجودة. فهكذا هو الحال بالنسبة لكل كتب العصور القديمة حيث لم يبق منها إلاَّ "سُلالات" النسخ الأصلية.

معظم الناس في السنغال يؤمنون أن الكتاب المقدَّس مُحَرَّف. وهم لا يثقون فيه. لكنهم بالمقابل يثقون بقصص الأجداد. وهذه القصص هي تأريخ شفهي يحفظ فيه الإنسان تاريخ أسرته وأجداده وأصله والقرية التي جاء منها. وهذه القصص تنتقل من جيل إلى جيل. ورغم أنَّ المرء يندهش حقاً من قُدرة هذه القصص على حفظ تواريخ العائلات بدرجة عالية من الدِّقَّة، إلاَّ أنَّ هذه الدِّقَّة تَضْعُف بمرور الوقت. ونحن نَعلم أنَّ الطريقة الشفهية في حفظ الحقائق عند البشر لا تُضاهي الكتابة بأي حال من الأحوال.

إذاً لماذا يثق الكثيرون بسرعة بشهادة البشر الشفهية، لكنهم يتردَّدون في تصديق شهادة الله المكتوبة؟ وهل هذا سلوك حكيم؟

*"إِنْ كُنَّا نَقْبَلُ **شَهَادَةَ النَّاسِ، فَشَهَادَةُ اللهِ أَعْظَمُ**، ... مَنْ لاَ يُصَدِّقُ اللهَ، فَقَدْ جَعَلَهُ كَاذِبًا، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا اللهُ ..."* (رسالة يوحنَّا الأولى 5: 9-10).

الرِّقوق والنُّسَّاخ

كُتِبت الأسفار المقدَّسة قبل أن يَعرف الناس الورق والطباعة والحاسوب بوقت طويل. فقد كَتَبَ أنبياء الله كلمات الله على رِقوق مصنوعة من جلود الحيوانات أو أوراق البَرْدِيِّ. وكل ما كُتِب على الرقوق الأصلية نقله نُسَّاخ بخط اليد. كان هؤلاء النُّسَّاخ حِرَفِيِّين مُتميِّزين في العالم القديم حيث كانوا يُتقنون القراءة والكتابة وصياغة المُستندات القانونية ونسخها. وقد قام بعض هؤلاء النُّسَّاخ بإنتاج نُسَخ من الكتاب المقدَّس. وكان هدفهم هو نَسْخ النصوص بدقة مُتناهية. وفي نهاية بعض الكتب، كان النُّسَّاخ يُدوِّنون عدد كلمات الكتاب والكلمة الواقعة في مُنتصف النص لكي يتمكن النُّسَّاخ الآخرون مِنْ إحصاء الكلمات مِنْ جِهَتَي الكتاب ليتأكدوا أنه لم يُحذَف منه حرف واحد.[40]

ورغم حذرهم الشديد، فقد احتوت هذه النُّسَخ على بعض الاختلافات البسيطة: كلمة أو عبارة أو فقرة محذوفة، أو رقم منقول بطريقة خاطئة.[41] لكنَّ هذه الاختلافات في المخطوطات القديمة لم تؤثر بتاتاً على أي حق أساسي.

لم يحدث قَطّ أن وجد العلماء مُشكلة في النصوص القديمة – الدينيَّة وغير الدينيَّة – بسبب الاختلافات البسيطة في النُّسَخ. بل على العكس تماماً؛ فهذه الاختلافات الموجودة في النصوص المنسوخة باليد تؤكِّد وتؤيِّد حُجَّة *عدم التلاعب* بالكتب المقدَّسة. وخلافاً للقرآن، فإنَّ تاريخ الكتاب المقدَّس لا يتحدث عن مُحاولة أحدهم لكتابة "نسخة مثالية" وحرق النسخ المُتبقية.[42]

لقد حفظ الله رسالته لنا. لكن كيف نتأكد أنَّ الكتاب المقدَّس الموجود بين أيدينا اليوم هو نفسه الذي كتبه الأنبياء والرُّسُل؟

مخطوطات البحر الميِّت

حتى وقت قريب، كانت أقدم نُسَخ معروفة لأسفار العهد القديم (والتي كتبها الأنبياء ما بين سنة 1500 و 400 قبل الميلاد) يعود تاريخها إلى نحو سنة 900 بعد الميلاد. وبسبب طول الزمان بين الأسفار الأصلية والنُّسَخ الموجودة، فقد زعم النُّقَّاد أنه من المستحيل معرفة ما كتبه الأنبياء وذلك بسبب تكرار نَسْخ النصوص القديمة قرناً تلو الآخر.[43]

بعد ذلك، تم اكتشاف مخطوطات البحر الميِّت.

السنة: 1947.

المكان: وادي قُمْران قُرب البحر الميِّت.

العُنوان الرئيسي: صَبِيٌّ بدويٌّ يَعْثُر على كهفٍ فيه جِرار فخَّاريَّة تحوي مخطوطات قديمة باللغات العِبريَّة والآراميَّة واليونانيَّة أثناء بحثه عن عنزته الضائعة.

في الفترة الواقعة بين سنة 1947 وسنة 1956، تم العثور على أكثر من 225 مخطوطة للكتاب المقدَّس في أحد عشر كهفاً. وقد أرْجَع علماء الآثار تواريخ هذه المخطوطات إلى ما بين سنة 250 قبل

الميلاد و 68 ميلادية. وهكذا، فإن غالبية هذه المخطوطات يزيد عُمْرُها عن 2000 سنة. يا له من اكتشاف رائع!

كانت جماعة من اليهود الذين عُرِفوا بالأسينيِّين هُم الذين خَبَّأوا هذه المخطوطات في كُهوف قُمران في نحو سنة 70 ميلادية (السَّنة التي هَدَم فيها الرُّومان أورشليم). فقد عقد هؤلاء الرجال العَزْم على حِفْظ تلك المخطوطات وحمايتها للأجيال القادمة مهما واجهوا من أخطار. وهكذا، رُغم أنَّ الكثيرين منهم تعرضوا للقتل أو الشَّتات في بلدان متفرقة، إلاَّ أنَّ الأسفار المقدَّسة بقيت محفوظة. فقد بقيت هذه الرقوق المصنوعة من ورق البَرْدِيِّ محفوظة لأكثر من 1900 سنة في جِرار فَخَّاريَّة في مُناخٍ جافٍّ ومُلائمٍ في منطقة البحر الميِّت.

عندما انتشر خبر اكتشاف هذه المخطوطات القديمة في أرجاء العالم، ظن كثيرون أن النصوص ستحوي اختلافات جوهرية عن النصوص الأحدث منها بألف سنة؛ وعندها سَيَصْدُق ادِّعاء البعض بأنَّ الكتاب المقدَّس مُحَرَّف!

لَكِنَّ ظَنَّ المُشَكِّكين خاب إذ لم يتم العثور إلاَّ على فروق إملائية ولغوية ضئيلة الأهمية. كما أنَّ تلك المخطوطات القديمة احتوت على نفس كلمات ورسالة الكتاب المقدَّس الذي بين أيدينا اليوم.

مخطوطات البحر الميِّت:
250 قبل الميلاد – 68 ميلادية

أقدم مخطوطات منسوخة معروفة:
900 ميلادية

الكتاب المقدَّس اليوم:
لم يتغيَّر.

ما هو الحُكْم الرسمي الذي أَقَرَّه عُلماء مخطوطات البحر الميِّت فيما يتعلَّق بتُهمة تحريف الأسفار المقدَّسة؟ لقد قالوا: "الأدلَّة المتوفرة لدينا حتى يومنا هذا تُشير إلى أنَّ هذا التحريف المزعوم لم يَحْدُث."[44]

أكثر كتاب محفوظ في التاريخ

فيما يتعلق بالعهد الجديد، هناك ما لا يقل عن 24000 مخطوطة قديمة بالإضافة إلى 5300 مخطوطة يونانيَّة أصلية من بينها 230 مخطوطة يعود تاريخها إلى ما قبل القرن السادس. كل هذا يثبت أنَّ العهد الجديد هو أكثر كتاب مُوَثَّق في التاريخ.

بالمقارنة، لنأخذ مثلاً كتابات الفيلسوف اليوناني أرسطو الذي عاش ما بين سنة 384 و 322 قبل الميلاد. أرسطو هو من أكثر المفكرين تأثيراً على مَرِّ العصور. رغم ذلك فإن كل المصادر التي لدينا عن فلسفته وفكره لا تتعدى عدداً قليلاً من المخطوطات التي يعود تاريخ أقربها إلى سنة 1100 ميلادية؛ وهذا يعني وجود فجوة مقدارها 1400 سنة بين هذه المخطوطات وتاريخ الكتابات الأصلية. رغم ذلك، لا أحد يُشَكِّك في صِحَّة كلمات أرسطو وفلسفته.

وعلاوة على آلاف مخطوطات العهد الجديد، فقد عثر العلماء في بعض الكُتُب غير الدينيَّة التي يعود تاريخها إلى ما قبل سنة 325 ميلادية (وهو تاريخ أقدم مخطوطة كاملة موجودة للعهد الجديد) على آلاف الاقتباسات المأخوذة من العهد الجديد. وهذه الاقتباسات كثيرة جداً بحيث أننا نستطيع أنْ نُعيد كتابة العهد الجديد بأكمله تقريباً بالاعتماد على هذه الاقتباسات وحدها.[45]

هذه الدلائل تؤكِّد أنَّ العهد الجديد هو أفضل نَصٍّ قديمٍ محفوظٍ.

كُتُب مُقدَّسة مُختلفة؟

ربما سمعت أحدهم يقول: "لَكِنْ هُناك الكثير من الكُتُب المُقدَّسة التي يختلف بعضُها عن بعض! فأيُّ نُسخة أو ترجمة هي الصحيحة؟"

مِنَ المهم أن نفهم الفرق بين *مخطوطات* الكتاب المقدَّس القديمة *والترجمات* المختلفة لهذه المخطوطات. فالمخطوطات نَسَخَها النُّسَّاخ في القديم – قبل قُرون عديدة مِنَ القرآن. أمَّا الكُتُب المقدَّسة المُتداولة في يومنا هذا فهي مُترجمة عن تلك المخطوطات القديمة.[46] فقد تَمَّت ترجمة الكتاب المقدَّس من

لغاته الأصلية (العِبريَّة والآراميَّة واليونانيَّة) إلى أكثر من 2400 لغة مختلفة. وإحدى تلك اللغات هي العَربيَّة.

الكتاب المقدَّس مُتوفر بعِدَّة ترجمات عربيَّة ممتازة. وكل ترجمة تختلف قليلاً عن الأخرى، وهذا ما يحدث عادةً عندما تُتَرْجَم الكلمات من لغة إلى أخرى. فقد تختلف الكلمات التي يختارها المترجمون، لكنَّ المعنى والرسالة لا يتغيران عندما تكون هناك أمانة في الترجمة.

في هذا الكتاب، قُمنا باقتباس آيات الكتاب المقدَّس مِنْ الترجمة العربيَّة المعروفة باسم "فاندايك–البُستاني"؛ وهي ترجمة دقيقة وجميلة في الوقت نفسه. كما أننا استخدمنا أيضاً الترجمة التفسيريَّة المعروفة باسم "كتاب الحياة" في أماكن مُتفرقة بسبب سهولة فهمها.

إليك هذا النموذج لنفس الآية الكتابيَّة مأخوذة عن ترجمتين مُختلفتين:

ترجمة فاندايك–البُستاني: *"وَمَتَى صُمْتُمْ فَلاَ تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ"* (إنجيل متَّى 6: 16).

الترجمة التفسيريَّة (كتاب الحياة): *"وَعِنْدَمَا تَصُومُونَ، لاَ تَكُونُوا عَابِسِي الْوُجُوهِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ الَّذِينَ يُقَطِّبُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ قَدْ نَالُوا مُكَافَأَتَهُمْ"* (إنجيل متَّى 6: 16).

لقد بقي المعنى نفسه في هذه الآية رُغم اختلاف الكلمات المُستخدمة.

الله أكبر

الطَّريف في الأمر هو أنَّ أقوى حُجَّة تَدْحَضُ زعم البعض بأنَّ البشر حَرَّفوا كلمة الله هو الإعلان الذي يَصْدَح كل يوم من المساجد حول العالم والذي سمعتُه هذا الصباح:

الله أكبر! الله أكبر!"

نعم، الله أكبر! فهو أكبر من الإنسان ومن الأزمنة والعصور. ولأجل بَرَكَة جميع الأمم، ولكي يَصون اسمه، فإنَّ هذا الإله الحقيقي الحي حفظ رسالته لتصل إلى جميع الأجيال.

فالله هو ليس الخالق والحافظ لعالمه فحسب، بل هو أيضاً كاتب كلمته وحارسها.

"إِلَى الأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ" (المزمور 119: 89).

عَقَبات لا نهاية لها

في هذه المرحلة، من الرائع أن نَعتقد أنَّ جميع القُرَّاء الذين يستعدون للرِّحلة قد تجاوزوا العَقَبات التي تمنعهم من الإصغاء إلى كلمة الله. لكن في حقيقة الأمر أنَّ خبرتي الشخصية تُشير إلى عكس ذلك. فهناك عقبات أخرى تمنع كثيرين من الوصول إلى الحق.[47] استلمت مؤخراً هذه الرسالة الإلكترونية:

> شكراً على إجاباتك. أذْكُرُ أنَّ الله قال في مكانٍ ما: "نَصْنَعُ الإنسانَ على صُورَتِنا". ولطالما تساءلتُ إلى مَنْ يعود الضمير "نحن". أليست هناك ترجمات مختلفة للكتاب المقدَّس؟ أيها هو الصحيح؟ ألا تعتقد أنه توجد ديانات أكثر من اللازم؟ لو لم تكن تلك الديانات موجودة، هل كان بُرجا نيويورك موجودين اليوم؟ أليست المسيحية مسؤولة عن موت الكثيرين؟ ولماذا تثق أنت بما تؤمن به؟ **لماذا، لماذا، لماذا؟** يُمكننا أن نستمر في طرح الأسئلة إلى الأبد عن أُسطورةٍ ما، وأن نخترع لها ردوداً ذكيَّةً – كما يفعل الوُعَّاظ – لكي يستمر التبرع بالأموال لهم. مَنْ خَلَقَ الله؟ لقد نسيت. وشكراً.

في حين أنَّ كِتاب الله يُقدِّم إجابات وافية عن أسئلة هذا الشخص، إلاَّ أنه ينبغي على كل من يبحث عن الحق الأبدي أن يتوقف – عند نُقطة ما – عن التركيز على ***الأسئلة البشرية*** وأن يبدأ بالتأمُّل في ***كلمات*** *الله*.

أسباب ***حقيقية*** *لرفض الكتاب المقدَّس*

يكشف الكتاب المقدَّس عن الأسباب الحقيقية التي بِسَبَبِها يرفض الناس الحق الإلهي. إليك ثلاثاً منها:

1- فساد القلب

البعض لا يتأملون في الكتاب المقدَّس لأنهم ببساطة لا يريدون أن يعرفوا خالقهم ومالكهم.

يقول الكتاب المُقدَّس في تقييمه لقلوب البشر (وهو هُنا لا يتحدث عن المضخَّة العضليَّة، بل عن النفس الداخلية المسيطِرة): *"**فَسَدُوا وَرَجِسُوا بِأَفْعَالِهِمْ**. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا. اَلرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ، لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللهِ؟ **اَلْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعًا**، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ"* (المزمور 14: 1-3).

إنَّ رَفْضَ الإنسان للكتاب المقدَّس يرجع إلى فساد قلبه وليس إلى تحريف الكتاب.

كتب الملك سُليمان: *"الله صَنَعَ الإِنْسَانَ مُسْتَقِيمًا، أَمَّا هُمْ فَطَلَبُوا **اخْتِرَاعَاتٍ كَثِيرَةً**"* (سِفْر الجامعة 7: 29). فإنْ تُركنا لأهوائنا الطبيعية فسوف نختار الطريق التي تروق لنا، ونضع الخِطَط التي تحلو لنا، ونعيش ونموت على دين آبائنا. بل إننا سنبحث عن بعض العِلَل التي تُبرِّر عدم سعينا إلى معرفة الله. بعد أن نبدأ رحلتنا عبر صفحات الكتاب المقدَّس سوف نكتشف لماذا نحن هكذا. لكن الآن، اعلم أنه يوجد سبب وجيه للتحذير الذي كَرَّره كتاب الله لنا: *"مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ"* (إنجيل متَّى 13: 9).[48]

2- القلق والغنى

البعض لا يدرسون كلمة الله أبداً لأن محور تركيزهم هو الحياة الأرضية والزمان الحاضر: *"وَهَمُّ هذَا الْعَالَمِ وَغُرُورُ الْغِنَى يَخْنُقَانِ الْكَلِمَةَ فَيَصِيرُ بِلاَ ثَمَرٍ"* (إنجيل متَّى 13: 22).

سَرَدَ يسوع الناصري قصة رَجُل غني رفض كتب الأنبياء طوال حياته. ربما كان هذا الرَّجُل يُحاول أن يُخَدِّر ضميره بقوله إن هذه الكتب غير جديرة بالثقة. ومهما كان السبب، فقد مات ذلك الغني ووجد نفسه في الجحيم. ولكي يُعطينا الله تحذيراً واضحاً فقد سمح لهذا الرجل أن يتكلم لفترة وجيزة مع النبي إبراهيم في الفردوس. طلب الرجل الغني نقطة ماء يُبَرِّد بها لسانه، لكنه لم يحصل عليها. وعندما

أدرك أنه سيبقى إلى الأبد بلا رجاء، ابتدأ يتوسَّل إلى أبينا إبراهيم لكي يُرْسِل أحداً من الأموات ليُحذِّر إخوته الخمسة الأحياء: *"لِكَيْلاَ يَأْتُوا هُمْ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ هذَا."*

وكان رد النبيِّ إبراهيم واضحاً:

*"قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: عِنْدَهُمْ [كُتُب] مُوسَى وَالأَنْبِيَاءُ، **لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ**. فَقَالَ: لاَ، يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يَتُوبُونَ."*

فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ، وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ" (إنجيل لوقا 16: 27-31).

لقد أعلن الله أنَّ كلمته المكتوبة هي دليل أقوى من المُعجزات والعجائب على صِدْق الحَقِّ الذي يُنادي به. لهذا، فقد أعطانا الله كتب أنبيائه وحفِظها لنا؛ وهو يتوقع منا أن "نسمع منهم".

3- الخوف من الإنسان

البعض لا يدرسون الكتاب المقدَّس لأنهم *يخافون* من ردود فعل الآخرين.

اعترف لي أحد جيراني ذات يوم قائلاً: "لولا خوفي من أُسرتي لكنت قرأت الكتاب المقدس." والكتاب المقدَّس يقول لنا: ***"الْخَشْيَةُ مِنَ النَّاسِ فَخٌّ مَنْصُوبٌ، أَمَّا الْمُتَّكِلُ عَلَى الرَّبِّ فَآمِنٌ"*** (سِفْر الأمثال 29: 25).

وماذا عنك؟ هل تخشى الأسرة والأصدقاء وما يمكن أن يفعلوه أو يقولوه أو يفكروا فيه إذا اكتشفوا أنك تقرأ كتابات نفس الأنبياء الذين يَدَّعون تكريمهم.

لا تَخَفْ لأنَّ كلمةَ اللهِ تقول: *"أَمَّا الْمُتَّكِلُ عَلَى الرَّبِّ فَآمِنٌ."*

ومن وجهة نظر الله، لا يوجد أيُّ سببٍ مُقْنِعٍ لإهمال رسالته.

4
العِلْم والكِتاب المُقدَّس

*"وَيُعَلِّقُ الأَرْضَ عَلَى **لاَ شَيْءٍ**."*
– النبي أيُّوب (سِفْر أيُّوب 26: 7)

منذ بضع سنوات ذهبنا أنا وزوجتي في رحلة اشتملت على زيارة لأحد الكهوف العميقة في الأرض. وبينما كانت المُرْشِدَة تُوجِّه أنظارنا إلى التشكيلات الصخريَّة العجيبة، والرواسب الكِلسيَّة الناتئة، قالت ما معناه: "كل هذا بدأ من نُقطة مياه. فقد كان هناك بَحْر داخلي ضَحْل يَغمر هذه البقعة منذ 330 مليون سنة ممَّا أدى إلى تَشَكُّل طبقات من الرواسب التي تَصلَّبت فيما بعد وأصبحت أحجاراً كِلْسيَّة ...."

بدا كلام تلك المُرْشِدَة عِلمياً جاداً كما لو أنَّ الإنسان كان هناك منذ البدء يُلاحظ كل تلك التطورات. وبينما هي تتكلم، دَوَّت كلمات الله للنبي أيُّوب في داخلي: *"أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الأَرْضَ؟ أَخْبِرْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ"* (سِفْر أيُّوب 38: 4). وفي نهاية الرحلة شَكَرْتُ المُرْشِدَة على الجولة ثم سألْتُها كيف يَعْلَم عُلماء الآثار أنَّ عُمْر الكهف يبلغ ملايين السنين. فاعترفَت أنهم لا يَعلمون هذا بالضبط، ثُمَّ أضافت قائلةً: "لقد قُلت لكم ما دَرَّبوني على قوله."

العِلْم الصادق

كلمة *"عِلْم"* (*science*) مُشتقة من الاسم اللاتيني (*scientia*) الذي يعني ***"مَعرفة"***.[49] أمَّا الفعل (*scire*) فيعني ***"يَعْرِف"***. والعِلْم بالشيء هو أن ننظر إلى شيء ما باعتباره صحيحاً وفوق الشُّبُهات. لذلك، رغم أنَّ العالِم قد يختار أن يُصنِّف نظريته على أنها "عِلْم"، إلاَّ أنَّ هذا لا يَجْعَل هذه النظرية عِلْماً.

في منتصف السبعينات مِنَ القرن العشرين، قام الدكتور الفرنسي موريس بوكاي (وهو الطبيب الخاص للملك فيصل) بتأليف كتاب أسماهُ *"الكتاب المقدَّس، والقرآن، والعِلْم"*. هذا الكتاب – المعروض في مكتبات العالم الإسلامي ومساجده – يَجْزِم بأنَّ الكتاب المقدَّس يتعارض مع العلم الحديث. ويشير بوكاي إلى أنَّ قصة الخليقة المُدوَّنة في الفصل الأول من الكتاب المقدَّس مُقتبسة على الأرجح من أسطورة، لأنها

لا تتلاءم مع نظريات الإنسان المتغيرة عن أصل الكون.[50] وكما يفعل كثيرون فإنَّ بوكاي يُساوي نظرية التطوُّر[51] بالعِلْم الحقيقي؛ وهذا خطأ.

من الضروري أن نفهم أنَّ الأسفار المُقدَّسة لم تُعْطَ لتدريس *علم الفيزياء*، بل لتكشف *العلم الروحي*. فقد أعطانا الله كتابه لكي يكشف لنا *مَنْ هُوَ، وما هي طبيعته، وما الذي فعله لأجلنا*. كما أنه أعطانا الكتاب المُقدَّس لكي يُعلِّمَنا *مِنْ أين أتينا، وما هو هدف وجودنا على الأرض، وإلى أين سنذهب بعد ذلك*. وبالطبع، لا يُمكن استنباط معلومات كهذه أو التحقُّق منها في أحد مُختبرات الأبحاث. ومع هذا، حيث أنَّ الكتاب المقدَّس يتعامل مع كل جوانب الحياة، فلا عَجَبَ أنه يتضمَّن أيضا معلومات عن العالم الطبيعي لم تكن معروفة عند الإنسان عندما كُتِبَتْ الأسفار المقدَّسة.

الله قالها أولاً

سوف نتناول سبعة نماذج دَوَّن فيها كِتاب الله بيانات علمية قبل فترة طويلة من اكتشاف علماء اليوم لها. وفي فصول لاحقة، سوف نُشير إلى مقاطع أخرى من الكتاب المقدَّس نكتشف من خلالها حقائق عِلمية مُذهلة.

1- كُرَوِيَّة الأرض: تُعلِّم غالبية كُتُب التاريخ المعاصر أنَّ اليونانيِّين (في سنة 500 قبل الميلاد) "كانوا أوَّل مَنْ طَرَحوا نظريَّة كُرَوِيَّة الأرض ... كما أنَّ فلاسفة اليونان استنتجوا أنه لا يُمكن للأرض إلاَّ أن تكون كروية لأنَّ الشكل الكروي هو أكمل شكل مِنْ وجهة نظرهم."[52] لكن قبل ذلك بأكثر من ألف سنة، كان النبي أيُّوب قد أعلن أن الله *"**يَمُدُّ الشَّمَالَ عَلَى الْخَلاَءِ**، وَيُعَلِّقُ الأَرْضَ **عَلَى لاَ شَيْءٍ**. ... رَسَمَ حَدًّا* [دَائِرَةً] *عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ عِنْدَ اتِّصَالِ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ"* (سِفْر أيُّوب 26: 7، 10). وقبل 400 سنة من زمان اليونانيِّين، أعلن النبي سُليمان أن الله *"رَسَمَ **دَائِرَةً** عَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ"* (سِفْر الأمثال 8: 27). وفي سنة 700 قبل الميلاد (أي قبل مئتي سنة من ظهور فلاسفة اليونان) أعلن إشعياء النبي: *"الْجَالِسُ عَلَى **كُرَةِ** الأَرْضِ"* (سِفْر إشعياء 40: 22). وكلمة *دائرة* باللغة العبرية تعني أيضا *كروي*. إذاً، مَنْ كان أوَّل من تكلم عن كروية الأرض – اليونانيون أَم الله؟ أجل، الله – الذي هو مُهندس هذه الأرض – هو أوَّل من تكلم عن هذا الأمر.

2- دورة المياه: يتحدَّث سِفْر أيُّوب أيضاً عن دورة المياه: *"**لأَنَّهُ يَجْتَذِبُ قَطَرَاتِ الْمَاءِ، وَيَجْعَلُ سُحُبَهُ تَهْطِلُ أَمْطَاراً**، تَسْكُبُهَا السَّمَاوَاتُ وَتَصُبُّهَا بِغَزَارَةٍ عَلَى الإِنْسَانِ. أَهُنَاكَ مَنْ يَفْهَمُ كَيْفَ تَنْتَشِرُ السُّحُبُ، وَكَيْفَ تُرْعِدُ سَمَاؤُهُ؟"* (سِفْر أيُّوب 36: 27-29) هكذا يصف الكتاب المقدَّس دورة المطر التي تكون أولاً بُخاراً ثم تتكاثف إلى قطرات صغيرة من الماء في الغيوم، ثم تتحد لتُكَوِّن قطرات ماء أكبر تتغلب على الرياح التي تعلقها في الهواء. كما يذكر أيُّوب كمية الماء الهائلة الممكن أن تُحْبَس عن طريق عملية التكثيف في الغيوم: *"يَصُرُّ الْمِيَاهَ فِي سُحُبِهِ فَلاَ يَتَمَزَّقُ الْغَيْمُ تَحْتَهَا"* (سِفْر أيُّوب 26: 8).[53]

3- أُمٌّ واحدة: قبل 3500 سنة، كتب النبي موسى: *"وَدَعَا آدَمُ اسم امْرَأَتِهِ حَوَّاءَ لأَنَّهَا **أُمُّ كُلِّ حَيٍّ**"* (سِفْر التكوين 3: 20). وفقاً للكتاب المقدَّس فإن جميع البشر يَنحدرون من أُمٍّ واحدة. لكنَّ علماء نظرية التطور لم يقتنعوا بهذه الحقيقة حتى سنة 1987. فبعد تحليل دقيق جداً لجزيئات عديدة مأخوذة من المَشيمة من أناس من جميع أنحاء العالم (وهي رموز وراثية منقولة دون أي تشوه من الأم إلى الجنين)، كانت نتيجة البحث هي أن جميع البشر الموجودين اليوم هم من سُلالة *"أنثى واحدة"*.[54] بعد هذا ببضع سنوات، استنتجت دراسات أخرى أن جميع البشر هم من سُلالة أب واحد.[55] لكنَّ هؤلاء الباحثين لم ينتبهوا إلى أنَّ كل الجهود التي بذلوها والأموال التي أنفقوها تؤكد صِحَّة الكتاب المقدَّس!

4- الحياة في الدم: قال النبيُّ مُوسى أيضاً: *"لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ **فِي الدَّمِ**"* (سِفْر اللاَّويِّين 17: 11) وهذه الحقيقة لم يفهمها المجتمع الطبي إلاَّ مؤخراً بعد أن استمر الأطباء في مُمارسة طريقة "الفَصْد" (إخراج الدم من أجزاء مُعينة من الجسم كإجراء علاجي) حتى القرن التاسع عشر.[56]

5- شيخوخة الأرض: قبل ثلاثة آلاف سنة، كتب النبي داود أنَّ الأرض سوف *"**تبلى**"* و *"**تتغيَّر**"* ذات يوم مِثلما يَحْدُث لملابسنا. (المزمور 102: 25-26). والعلم الحديث يقول إنَّ كوكبنا يتباطأ، وأنَّ قوته المغناطيسيَّة تضعف، وأنَّ طبقة الأوزون التي تَحميه تَتَرقَّق.

6- خرائط البحار: كتب أيضا النبي داود عن "طُرُق البِحار" (المزمور 8: 8). وقد عملت عبارته الصغيرة هذه على إلهام الأدميرال البحري "ماثيو فونتين موري" (1806-1873) لتكريس حياته لاكتشاف هذه التيَّارات البحريَّة وتوثيقها. فقد فَكَّر أنه طالما أن الله تكلم عن " طُرُق" في البحار، فبوسعه هو أن يرسم خرائط لهذه الطرق. وبالفعل قام موري بهذا العمل وأصبح يُعْرَف بـــ "أبو خرائط البحار".[57]

7- عِلْم الفَلَك: منذ حوالي ألفي سنة، كتب الرسول بولس: *"مَجْدُ الشَّمْسِ شَيْءٌ، وَمَجْدُ الْقَمَرِ آخَرُ، وَمَجْدُ النُّجُومِ آخَرُ. **لأَنَّ نَجْمًا يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ**"* (1 كورنثوس 15: 41). فقد تبدو جميع النجوم مُتشابهة للعين المُجرَّدة، لكن اليوم – ومِنْ خلال المناظير القوية وأسلوب تحليل الضوء – يؤكِّد لنا علماء الفَلَك أنَّ "النجوم تختلف بعضُها عن بعض كلياً في اللون والبريق. بعض النجوم تبدو صفراء مثل الشمس والبعض الآخر أزرق أو أحمر."[58] "كل نجم مُتميِّز عن غيره".[59] كيف أمكن لبولس أن يَعرف هذا في القرن الميلادي الأول؟

إيمان أعمى؟

رُغم أنه بإمكاننا أن نذكر أمثلة كثيرة أخرى عن "العِلْم في الكتاب المقدَّس"، إلاَّ أننا نكتشف ما يلي من خلال هذه الأمثلة السبعة: رُغم أنَّ الكتاب المقدَّس ليس كتاباً عِلميَّاً، إلا أنه حين يتحدث عن شيء عِلمي فإنه يكون دقيقاً وعلى صواب.

البعض يَصِف الإيمان بالكتاب المقدَّس بأنه "إيمان أعمى." لكن هل هذا صحيح؟ أم أنه إيمان نكي لأنه قائم على حقائق مؤكدة لا يمكن دحضها؟ فإنْ كان العِلْم الحديث يَتَّفق بدقة مع ما يقوله الكتاب المقدَّس، فهل نكون أغبياء أَم حُكماء حين نَقبل هذه الكتابات على أنها صحيحة – حتى عندما تُعَلِّم أشياءً لا يُمكننا أنْ نُبرهن صِحَّتها أو أن نُفَسِّرها تماماً؟

الله لا يطلب مِنَّا أن نلغي عقولنا، بل إنه زَوَّدَنا بالعديد من *"البَرَاهين الكَثيرَة"* (أعمال الرُّسُل 1: 3) التي تؤكد أن كتابه جدير بالثقة.

التاريخ، والجغرافية، وعِلْم الآثار

في الفصل السابق، تفحَّصنا بعض البراهين التي تُبيِّن أن العهدين القديم والجديد هما أفضل كتابين محفوظين من العصور القديمة. لكن ماذا عن المعلومات الواردة في الأسفار المقدَّسة؟ هل يمكن الوثوق بها؟

يُزَوِّد الكتاب المقدَّس الباحثين والمُشَكِّكين بآلاف الفرص لفحص دقته، إذ أن كل صفحة فيه تَذْكُر أسماء أو أماكن أو أحداثاً تاريخية.

تُرى، ماذا يكشف لنا التاريخ والجغرافية وعلم الآثار؟

حاول الكثيرون – ولِعِدَّة قرون – أن يُشَكِّكوا في صِحَّة الكتاب المقدَّس التاريخية. وأحد هؤلاء المُشَكِّكين هو السير والتر رامسي (1851–1939)، وهو واحد من أعظم علماء الآثار على مَرِّ العصور وحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء سنة 1904. كان رامسي متأكداً في فترة شبابه بأنه لا يمكن الوثوق بالكتاب المقدَّس. لكنَّ اكتشافاته غَيَّرَت تفكيره ودفعته لأن يكتب: "البشير لوقا هو مؤرِّخ تاريخي من الدرجة الأولى، فتصريحاته ليست مُجَرَّد حقائق جديرة بالثقة ... بل يجب أن يُوضع هذا المؤرِّخ جنباً إلى جنب مع أعظم مؤرِّخي التاريخ."[60]

كان لوقا طبيباً، ومؤرِّخاً، وتابعاً للمسيح، وكاتباً لكُلٍّ مِنَ الإنجيل الذي يَحْمِلُ اسمه (الإنجيل بحسب البشير لوقا) وسِفْر أعمال الرُّسُل. وهذان السِّفْران يُشيران إلى 95 موقعاً جغرافياً (32 بلداً و 54 مدينة و 9 جُزُر)، بالإضافة إلى العديد من الشخصيات والأحداث التاريخية. وقد حاول النقاد جاهدين أن يجدوا تعارُضاً بين ما دَوَّنه لوقا وبين ما تكشفه علوم الآثار والجغرافية والتاريخ. لكنَّ آمالهم خابت لأنَّ كتابات لوقا أثبتت دقتها التامة.

ولتوضيح ذلك، تعال بنا ننظر إلى جُملة واحدة وَرَدَت في الإنجيل بحسب البشير لوقا. هذه الجُملة كُتِبَت لتأكيد الخلفية التاريخية لخدمة يسوع الناصري على الأرض.

> *"وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ سَلْطَنَةِ **طِيبَارِيُوسَ قَيْصَرَ**، إِذْ كَانَ **بِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ** وَالِيًا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ، وَهِيرُودُسُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى الْجَلِيلِ، وَفِيلُبُّسُ أَخُوهُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى إِيطُورِيَّةَ وَكُورَةِ تَرَاخُونِيتِسَ، وَلِيسَانِيُوسُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى الأَبِلِيَّةِ، فِي أَيَّامِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ حَنَّانَ **وَقَيَافَا**، كَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ عَلَى يوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ"* (إنجيل لوقا 3: 1–2).

هل كان لوقا على حَقٍّ؟

هذه الأسماء والتفاصيل تجعلنا نتساءل: "هل كان لوقا على حَقٍّ؟" لمعرفة الإجابة عن هذا السؤال، تعال بنا نَختبر صِحَّة أربعة أسماء وَرَدَت في هاتين الآيتين.

أولاً، يُشير لوقا إلى *الإمبراطور الروماني طيباريوس قيصر والوالي بيلاطس البنطي*. هل كانا فعلاً شخصيتين تاريخيتين؟ هل كانا يَحْكُمان في نفس الوقت؟ في سنة 1961، وفي الجزء المُرَمَّم من مسرح هيرودس في قيصرية (وهذا أيضاً ذكره لوقا في سِفْر أعمال الرُّسُل 12: 19–24)، تم اكتشاف حجر ارتفاعه متر عليه كتابة منقوشة تؤكِّد أنَّ بيلاطس البنطي كان والياً بالفعل في الوقت الذي كان فيه طيباريوس قيصر سُلْطاناً. وقد كتب المؤرخ العالمي يوسيفوس (37–101 ميلادية) أيضاً عن نفس هذه الشخصيات والأماكن والأحداث.[61]

إذاً، كان لوقا على حق!

كذلك، يَذْكُر لوقا أيضاً *ليسانيوس* كرئيس رُبْعٍ (واحد مِنْ أربعة حُكَّام مُشْتَرَكين) على أبلية في مُقاطعة سوريا. ولسنين طويلة تمسَّك العلماء بهذه المعلومة ليظهروا أن لوقا كان على خطأ لأنَّ المؤرِّخين لم يكونوا يعرفون إلاَّ ليسانيوس واحداً فقط ألا وهو حاكم مُقاطعة خالكيذا (أو خالكيس) في اليونان والذي قُتِلَ قبل سِتِّين سنة من الفترة التي كتب عنها لوقا (27 ميلادية). لم يكن المؤرخون يعرفون أي شيءٍ عن *ليسانيوس، رئيس ربع أبلية* في سوريا إلى أن تم العثور على كتابة منقوشة قُرب دمشق يعود تاريخها إلى ما بين سنة 14 و 29 ميلادية وتحمل اسم "ليسانيوس رئيس الربع".[62] إذاً كان هناك بالفعل رَجُلين اسمهما ليسانيوس.

إذاً، كان لوقا على حق!

كتب لوقا أيضاً عن *قيافا*، أحد رؤساء الكهنة في الهيكل اليهودي عندما كان يسوع على الأرض. وفي شهر كانون الأول/ديسمبر من سنة 1990 اكتشف بعض العُمَّال قبر أُسرة قيافا بالصُّدفة أثناء تعبيدهم لطريق يقع جنوب أورشليم القديمة. وبالطبع، فقد تم استدعاء عُلماء الآثار إلى ذلك المكان. احتوى القبر على اثني عشر صندوقاً حجرياً تحوي عظاماً. ومِنْ بين هذه الصناديق، كان هناك صندوق مُزَيَّن أكثر من

الصناديق الأخرى نُقِشَ عليه اسم "يوسف بن قيافا"؛ وهو الاسم الكامل لرئيس الكهنة الذي قام باعتقال يسوع.[63] وبداخل الصندوق كانت هناك بقايا رَجُل في الستين من عمره؛ وهي تعود على الأرجح إلى قيافا المذكور في العهد الجديد.[64]

إذاً، كان لوقا على حق.

عَلَّق عالم الآثار المعروف نيلسون جلوك بالقول: "يُمكنني أن أُصَرِّح بأنه لا يوجد أي اكتشاف في عِلْم الآثار يتعارض مع أي إشارة له في الكتاب المقدَّس. بل على العكس، فإن نتائج الأبحاث الأثرية تؤكد بدقَّة ووضوح مُتناهيين صِحَّة المعلومات التاريخية الواردة في الكتاب المقدَّس."[65] لكِنَّ ما يُقال عن الكتاب المُقدَّس لا يُمكن أن يُقال عن الكتب التي تُقدِّسُها أديان العالم الأخرى. فمثلا، أظهرت الاكتشافات الأثرية أن كتاب المورمون يتعارض مع التاريخ والجغرافية.[66]

وقد عَلَّق عالم الآثار جوزيف فري، وهو رئيس قسم عِلْم الآثار في جامعة ويتون الأمريكيَّة، في خاتمة كتابه "*عِلْم الآثار وتاريخ الكتاب المقدَّس*" بهذه الكلمات: "لقد قَلَّبت صفحات سِفْر التكوين ولاحظت أنَّ كُلَّ أصحاح من أصحاحاته الخمسين إمَّا يحتوي على اكتشافٍ أثريٍّ أو يؤكِّده اكتشاف أثري ما؛ وهذا ينطبق على غالبية أصحاحات الكتاب المقدَّس الأخرى في العهدين القديم والجديد."[67]

ما لا يُمكن للعلم أن يُثبته

في الوقت الذي تؤكد فيه المعلومات الأثرية صِحَّة الكتاب المقدَّس وتعترف به مرجعاً تاريخياً دقيقاً، فإن علم الآثار لا يَقْدِر أن *يُثْبِت* حقيقة الوحي المقدَّس. ورغم وجود تصريحات علمية هامة في الكتاب المقدَّس، إلاَّ أن العِلْم لا يَقْدِر أن *يُبَرْهِن* على أنَّ كتاباً ما هو كلمة الله بالفعل. ويَجْدُر بنا أن نقول هذا لأن البعض يحاولون إقناع غيرهم بأنَّ الكتاب الذي يؤمنون به هو كتاب الله بسبب احتوائه على معلومات عِلْميَّة صحيحة.

لا يُمكن إثبات أية حقائق *روحيَّة* عن طريق الاكتشافات *العلمية*. ولا يُمكن للحقائق العلمية أن تُثْبِت أنَّ كتاباً ما هو من عند الله. فإبليس، الموجود منذ زمان طويل، يَعرف الكثير عن العِلْم أيضاً. لذلك، سوف نتقابل أثناء رحلتنا في رِحاب الكتاب المقدَّس مع إبليس أو الشيطان – الذي كان قبل سقوطه ملاكاً؛ لكنه أصبح بعد ذلك عَدُوَّاً لله. أمَّا الآن، فيكفي أن تتذكَّر فقط أنَّ إبليس ذكي جداً وأنه يستطيع أن يوحي للبشر بكتابة أشياء مؤثرة.

كان النبيُّ دانيال رَجُلاً حكيماً استخدمه الله لكتابة واحدٍ مِنْ أعمق الأسفار المقدَّسة. لكنَّ إبليس – وهو الرُّوح المُعانِد لله – *"أَحْكَمُ مِنْ دَانِيآلَ"* (سِفْر حزقيال 28: 3). فالشيطان هو العقل المُدبِّر للديانات الزائفة، وهو ماهر في فن الخداع. وكلمة إبليس نفسها تعني "المُشْتَكي" أو "المُفْتَري".

وهناك مَثَلٌ عَرَبِيٌّ يُلَخِّص هذا الخطر: *"حذارِ! فبعض الكاذبين يقولون الحقيقة."*

ما لا يمكن للشِّعْر أن يُثبته

بعض الديانات تَدَّعي أنَّ كُتُبها من عند الله بسبب أسلوب الكتابة الذي لا يمكن لبشرٍ أن يُنتجوه.[68] *فكما كتب أحمد في رسالته الإلكترونية:*

> القرآن هو أعظم معجزة أُرسلت إلى نبي. حاول أن تكتب آية مشابهة ولو من بعيد لإحدى آيات القرآن! لن تستطيع أن تفعل هذا وإن كنت من فَطاحِل اللغة العربية. ... لا يوجد في العالم كتاب أعظم من القرآن ... إذا استطعت أن تبرهن العكس فافعل.

هذا التحدِّي الذي أعلنه أحمد أساسه آية من السورة الثانية في القرآن والتي تقول: *"وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا* ***فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ***" (سورة 2: 23)

الصعوبة في هذا الادِّعاء هو أنه لا يمكن إثباته أو عدم إثباته.

وللتوضيح، افترض أنني أقَمْتُ مسابقة فنية لِلَوْحَةٍ رَسَمْتُها بنفسي، وأقمتُ نفسي حَكَماً، وأعلنتُ أنني الفائز؛ ثم تَحَدَّيت المتسابقين الآخرين قائلا: "لا يقدر أحد أن يرسم مثلي. وإذا شككتم في أنني أعظم رَسَّامٍ في العالم، حاولوا أن ترسموا لوحة مثل التي رسمتها!"

هل هذا يُبَرْهِن أن لوحتي هي الأفضل؟ وأنني أعظم رَسَّامٍ؟ كلا. لكن في نفس الوقت لن يقدر أحد أن يُبَرْهِن أنني على خطأ! لماذا؟ لأن كل شخص يرى الجمال من زاويته الخاصة.

وهكذا هو الحال مع جمال الأدب الموزون. إنه أمْرٌ شَخْصِيٌّ أو نِسْبِيٌّ.

الكتاب المقدَّس غَنِيٌّ بالشعر العِبْرِيِّ الجميل والأنماط الرقمية التي يصعب استيعابها.[69] رغم ذلك، فإن الله لا يتوقع مِنَّا أن نُصَدِّق كلمته بسبب ذلك الأدب البليغ.

وكما أنه لا يمكن للعِلْم أن *يُبَرْهِن* وجود وحي إلهي، فلا يمكن للعبارات الجميلة المُتناغمة أن تؤكِّد أنَّ كتاباً ما هو من عند الله.

مِنَ الحِكْمَة أن نتذكر دائماً أن إبليس، المُخادِع الأكبر، يستطيع أيضاً أن يوحي بشعر عجيب و *"أمور طَنَّانَة"* (رسالة يهوذا، الآية 16). والكتاب المقدَّس يُحذِّرنا بأن لا ننخدع *"بِالْكَلاَمِ الطَّيِّبِ وَالأَقْوَالِ الْحَسَنَةِ* [التي] *يَخْدَعُونَ* [بها] *قُلُوبَ السُّلَمَاءِ"* (رسالة رومية 16: 18) – ولا سِيَّما عندما تتعارض تلك الكلمات مع خِطَّة الخالق ورسالته المُعْلَنتين منذ الأزَل.

إذاً، لا يُمكن للعِلْم أو الشِّعْر أو عِلْم الآثار أن يُثبت أنَّ كتاباً ما هو كلمة الله بالفعل. فمثل هذا الدليل المُتعلِّق بالوحي الإلهي يجب أن يُبنى على مجلس قضائي أعلى – على دليل أقوى وغير قابل للجَدَل.

وهذا هو الدليل الذي سنتأمَّل فيه الآن.

5
تَوقيع الله

*"اِجْتَمِعُوا يَا كُلَّ الأُمَمِ مَعًا ... لِيَسْمَعُوا فَيَقُولُوا: **صِدْقٌ**."*
– الله (سِفْر إشَعياء 43: 9)

مُعظم المُستندات القانونية تحتاج توقيعاً رسمياً. وأسفار العهدين القديم والجديد – التي تُعلن أنها عهد الله وسِجِلُّه الرَّسميُّ – مُوَقَّعة هي الأخرى لا بقلمٍ، بل بتوقيعٍ مُمَيَّزٍ جدًّا يُدعى *النُّبوءات المُتحَقِّقَة*.

*"هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ ... أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي. وَمَنْ مِثْلِي؟ يُنَادِي، **فَلْيُخْبِرْ بِهِ وَيَعْرِضْهُ** لِي مُنْذُ وَضَعْتُ الشَّعْبَ الْقَدِيمَ. **وَالْمُسْتَقْبَلاَتُ** وَمَا سَيَأْتِي لِيُخْبِرُوهُمْ بِهَا ... **مَنْ أَعْلَمَ بِهذِهِ مُنْذُ الْقَدِيمِ، أَخْبَرَ بِهَا مُنْذُ زَمَانٍ؟** أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلهَ آخَرَ غَيْرِي؟"* (سِفْر إشعياء 44: 6–7؛ 45: 21)

ليتنا لا نُهْمِل فَهم مَنْطِق الله.

فنحن نَعْلَم أننا نستطيع الوثوق بما يُعلنه الكتاب المقدَّس عن الماضي والحاضر والمستقبل لأنَّ الكتاب المقدَّس مليء بنبوءات مُفَصَّلَة تَحَقَّقت بدِقَّة مُتناهية.

دليل إيجابي

الله الموجود خارج نطاق الزمن هو الوحيد الذي يقدر أن يُعلن التاريخ ويُدَوِّنه قبل حدوثه.

لقد تمكَّن بعض الرجال والنساء أحياناً مِنْ تخمين ما يُمكن أن يحدث في المستقبل. لكنَّ الله هو الوحيد الذي يَرى المستقبل وكأنه قد حدث سابقاً. كما أنَّ الله هو الوحيد الذي يَعلم ما سيحدث بعد ألف سنة من الآن. وبدون وَحْيٍ إلهيٍّ لا يُمكن لبشر أو ملائكة أو شياطين أن يكشفوا عن أيِّ حَدَثٍ مُستقبليٍّ.

قد يقول البعض: "لكن ماذا عن المُنَجِّمين والسَّحرة وقارئي الحظ؟ إنهم يتنبأون عن المستقبل!"

أولاً، من المهم أن نفهم أنَّ إبليس يقدر أن يُعطي مَعرفة دُنيوية وقوة لأولئك الذين *"اقْتَنَصَهُمْ لإِرَادَتِهِ"* (رسالة تيموثاوس الثانية 2: 26).

ثانياً، إبليس – وهو أبرع مُقَلِّد وعالِم نفساني يُراقب تاريخ البشرية منذ آلاف السنين – أصبح بارعاً جداً في تزييف "توقيع" الله.

ثالثاً، رغم حذاقة الشيطان في توقُّعه لكيفية سَيْر أحداث مُعيَّنة، إلاَّ أنه لا يَعلم المستقبل. وفي معظم الأوقات تكون "تنبُّؤاته" غير صحيحة. علاوة على ذلك، فإنها توقعات غامضة ومُبْهَمَة. فمثلاً، قد يقول قارئ حَظٍّ لفتاةٍ ما: "في السنوات القادمة سوف تتزوجين وتعثرين على الحُب الحقيقي." لكننا نعرف أن هذه "النُبوَّة" متوقعة وسوف تتحقق إلى حَدٍّ ما. لكن عندما نتكلم عن *نُبُوَّات الكتاب المقدَّس المُتحَقِّقَة*"، فإننا لا نقصد بها هذه التوقعات الغامضة والمليئة بالالتباسات.

دعنا نتأمل في **ثلاثة أمثلة على نُبُوءات الكتاب المقدَّس:** نُبُوَّة عن مكان، ونُبُوَّة عن شعب، ونُبُوَّة عن شخص.

نُبوءات عن مكان

في نحو سنة 600 قبل الميلاد، تنبَّأ النبي حزقيال على المدينة الفينيقيَّة القديمة التي تُدعى "صُوْر". كانت صُوْر الواقعة على ساحل لبنان عاصمة عالمية لأكثر من ألفي سنة. وكانت تُعْرَف *بملكة البحار*. وفيما هي في أَوْجِها وقُوَّتها قال الله لحزقيال أن يُعلن ويُدَوِّن نُبُوءَةً مُفَصَّلَةً عن الدمار القادم على صُوْر نتيجة لشَرِّها وتكَبُّرِها على الله.

وهكذا، فقد دَوَّن النبي حزقيال هذه النُّبوءات:

1– أُمَم كثيرة تصعد على صور (سِفْر حزقيال 26: 3).

2- بابل – بقيادة ملكها نبوخذنَصَّر – ستكون أوَّل مَنْ يَشِنُّ هُجوماً عليها (الآية 7).
3- تُهْدَم أسوار صُوْر وأبراجها (الآيتان 4 و 9).
4- يُقتل شعب صُوْر بالسيف (الآية 11).
5- تُرمى حجارة المدينة وأخشابها في وسط المياه (الآية 12).
6- تَتَعَرَّى مثل "ضِحَّ الصَّخْر"؛ أي تصير مثل صَخْرَةٍ جَرْداء (الآية 4).
7- مكان عمل الصيادين يصير "مَبْسَطاً [أو مَنْشَرَاً] للشِّباك" (الآيتان 5 و 14).
8- مدينة صور العظيمة لا تُبْنَى بعد ***"لأنِّي أنا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ"*** (الآية 14).

ونقرأ في كُتُب التاريخ أنَّ هذه النبوءات الثماني تحقَّقت جميعها:

1- أمم كثيرة صعدت فعلاً على صور.
2- أولها كانت بابل بقيادة الملك نبوخذنصَّر.
3- بعد حِصارٍ دام 13 سنة (585-572 قبل الميلاد)، دَمَّر نبوخذنصَّر أسوار صُوْر وأبراجها مُتَمِّماً أولى نُبوءات النبي حزقيال.
4- قام نبوخذنصَّر بذبح سُكَّان المدينة إذ لم يستطيعوا الفرار إلى حصن جزيرة صُوْر الموجود على بُعْد كيلومتر واحد في البحر الأبيض المتوسط.
5- يُدَوِّن التاريخ أنه في سنة 332 قبل الميلاد "أصبح الإسكندر الأكبر أوَّل فاتح لجزيرة صور الواقعة في البحر. وقد تَمَكَّن مِنْ ذلك عن طريق هدم أحجار المدينة واستخدامها مع الأخشاب لبناء طريق في المياه تصل إلى الجزيرة.[70] وهكذا فقد تَمَّم – دون أن يدري – جُزءاً آخر من النبوءة: *"وَيَضَعونَ حِجَارَتَكِ وَخَشَبَكِ وَتُرابَكِ فِي وَسْطِ المِياهِ"*. وبانتصار الإسكندر هذا، انتهى عهد الإمبراطوريَّة الفينيقيَّة.[71]
6- أصبحت المدينة عارية مثل *"ضَحِّ الصَّخْر"*.
7- أصبحت مكاناً لنَشْر شِباك الصيادين.
8- في السنين اللاحقة جَرَت محاولات عديدة لإعادة بناء صور؛ لكنها كانت تتهدَّم في كل مَرَّة.

في وقتنا الحاضر، يوجد في لبنان مدينة مُعاصرة اسمها صُوْر. لكنَّ المدينة الفينيقيَّة القديمة التي تنبَّأ عنها حزقيال النبي لم يتم بناؤها مُطلقاً. وقد التقطت مَجَلَّة "National Geographic" صورة لرصيف حَجَري وكتبت تعليقاً أسفل الصورة

يقول: "صور الفينيقيَّة مدفونة اليوم تحت هذه الحجارة المرصوفة وأسفل أعمدة الحضارة الرومانية. القليل مِنَ الحَفْر يَصِل بنا إلى العالم الفينيقي الضائع."[72]

لو أراد النبيُّ حزقيال نفسه أن يُحَدِّد – بحكمته البشرية – نسبة تَحَقُّق نبوءاته الثماني وهو ينظر إلى مدينة صُوْر المُزدهرة في يومه، فما هي النسبة المئوية التي سيضعها لاحتمال تَحَقُّق هذه النبوءات؟

بما أن الله هو الوحيد الذي يرى التاريخ قبل أن يحدث، فهو الوحيد الذي أعطى حزقيال هذه المعلومات.

نُبوءات عن شعب

يحتوي الكتاب المُقدَّس على مئات النبوءات المحدَّدة عن شعوب وأمم عديدة: مصر، أثيوبيا، الجزيرة العربية، فارس، روسيا، إسرائيل، وغيرها.

قبل أن نتأمل في المثال التالي، أود أن أقول إننا لا نقصد من هذه الأمثلة أن نَدَع النبوءات تقول ما نريد نحن أن نسمعه، ولا أن نُرَوِّج لأفكارٍ سياسيَّة أو دينيَّة مُعيَّنة. فكل ما نسعى إليه هو أن نتعرَّف على ما يقوله الكتاب المقدَّس.

إليك هذه النبوءة التي تَحَقَّقت عن شعب مُعيَّن، وهي نبوءة يَسْهُل شَرْحُها رُغم أنَّ الكثيرين يجدون صعوبة في تَقَبُّلِها.

في نحو سنة 1920 قبل الميلاد، أعطى الله هذا الوَعْدَ لإبراهيم: *"لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الأَرْض."* (سِفْر التكوين12: 7)

وفي وقت لاحق، كَرَّر الله الوعد نفسه لإسحاق ويعقوب.[73] دُعِيَ نَسْل إبراهيم وإسحاق ويعقوب "عِبْرانيِّين" ثُمَّ "إسرائيليِّين"، وَهُم يُعْرَفون الآن باليهود.

بعد مئات السنين أخبر الله مُوسى عَمَّا سيحدث لهذا الشعب إنْ لم يُطيعوه:

*"**وَأُذَرِّيكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ، وَأُجَرِّدُ وَرَاءَكُمُ السَّيْفَ فَتَصِيرُ أَرْضُكُمْ مُوحَشَةً، وَمُدُنُكُمْ تَصِيرُ خَرِبَةً**"* (سِفْر اللاويِّين 26: 33).

*"**وَتَكُونُ دَهَشًا وَمَثَلاً وَهُزْأَةً** فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ يَسُوقُكَ الرَّبُّ إِلَيْهِمْ ... وَفِي تِلْكَ الأُمَمِ **لاَ تَطْمَئِنُّ** وَلاَ يَكُونُ قَرَارٌ لِقَدَمِكَ، بَلْ يُعْطِيكَ الرَّبُّ هُنَاكَ قَلْبًا مُرْتَجِفًا وَكَلاَلَ الْعَيْنَيْنِ وَذُبُولَ النَّفْسِ"* (سِفْر التَّثنية 28: 37، 65).

ويحتوي العهد القديم على الكثير من النبوءات المُماثلة.

وفي نحو سنة 30 ميلاديَّة، تنبَّأ يسوع الناصريُّ عن خَراب أورشليم مؤكداً كلام الأنبياء: *"وَفِيمَا هُوَ [يسوع] يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ [أورشليم] وَبَكَى عَلَيْهَا قَائِلاً: ... سَتَأْتِي أَيَّامٌ **وَيُحِيطُ بِكِ أَعْدَاؤُكِ بِمِتْرَسَةٍ، وَيُحْدِقُونَ بِكِ** وَيُحَاصِرُونَكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ، وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ، لأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ"* (إنجيل لوقا 19: 41–44). وفي كلامه عن الهيكل نفسه تنبَّأ يسوع: *"سَتَأْتِي أَيَّامٌ **لاَ يُتْرَكُ فِيهَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ**"* (إنجيل لوقا 21: 6).

بعد أربعين سنة من هذه النبوَّة، تَمَّت تلك الأحداث.

دَوَّن المؤرخ الشهير فلافيوس يوسيفوس (المولود سنة 37 ميلاديَّة) ما شاهده بأُمِّ عَينيه. ففي سنة سبعين ميلادية، حاصر الجيش الروماني مدينة أورشليم وبنوا مترسة حولها. وبعد حصار دام ثلاث سنين هدم الجيش المدينة. ورُغم أن قيصر نفسه أمر جنوده بالحفاظ على الهيكل العظيم، إلاَّ أن الجنود الرُّومان الممتلئين بالغيظ أشعلوا فيه النيران فمات اليهود الذين كانوا مختبئين فيه، وذاب ذهب الهيكل وفِضَّته وسالا بين حجارته. وهكذا فقد تم هدم الهيكل "ولم يُتْرَك فيه حجر على حجر" كما تنبَّأ يسوع.[74] وكما تنبَّأ موسى والأنبياء، فقد تَشَتَّت اليهود في جميع أنحاء العالم. وفي الألفي سنة التي أعقبت ذلك، شهد التاريخ على تحقيق تلك النبوءات إذ أصبح اليهود المُشَتَّتون *"مَثَلاً وهُزْأَةً في جَميعِ الشُّعوبِ"* دون أن يكون لهم قَرار لأقدامهم أو مكان لراحتهم.

ومهما كانت مشاعرنا الشخصية بشأن ذلك، هناك وَجْه آخر لهذه النبوَّة الكتابيَّة التي لا يمكن لأحد إنكارها. فقد قال الله أيضاً لأنبيائه إنه رغم هذا كُلِّه فإن اليهود سَيُحفظون بين الشعوب وإنهم سيعودون في يومٍ ما إلى الأرض التي أعطاها الله لإبراهيم وإسحق ويعقوب.

وقد تنبَّأ موسى لبني إسرائيل: *"... وَيَعُودُ **فَيَجْمَعُكَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ** الَّذِينَ بَدَّدَكَ إِلَيْهِمِ الرَّبُّ إِلهُكَ"* (سِفْر التَّثنية 30: 3). وأضاف النبي عاموس على ذلك: *"وَأَرُدُّ سَبْيَ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ **فَيَبْنُونَ مُدُنًا خَرِبَةً** وَيَسْكُنُونَ، ... **وَأَغْرِسُهُمْ فِي أَرْضِهِمْ**، وَلَنْ يُقْلَعُوا بَعْدُ مِنْ أَرْضِهِمِ الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ ..."* (سِفْر عاموس 9: 14-15).

وها نحن نُشاهد ونسمع مَحطَّات الأخبار حول العالم وهي تُخبرنا بتتميم هذه الأحداث.

ما حدث للشعب العِبراني لا مثيل له في تاريخ العالم. فمن جهة، فهو يتعارض كُليَّاً مع *قانون الاْندِماج*. فهذا القانون يُبَيِّن أنه عندما تقوم أُمَّةٌ بقهر أُمَّةٍ أخرى، فما يحدث على مَدى بضعة أجيال هو أنَّ النَّاجين من هذه الأمة يَنْدَمِجون أو يَذوبون في الشعوب التي لجأوا إليها. فَهُمْ يتزوجون من الشعوب الأخرى ويَتَبَنُّون اللغات والثقافات الجديدة؛ وبالتالي يفقدون هويتهم السابقة. لكنَّ هذا لم يحدث لليهود. فرغم أنَّ الملايين منهم حاولوا جاهدين أن يذوبوا داخل المجتمعات الأخرى، إلاَّ أنهم لم يتمكنوا مِنْ ذلك.[75]

أَعلم أنَّ كثيرين يواجهون صعوبة شديدة في قبول هذه الكلمات. كتب لي مؤخَّرا صديق من لبنان: *"فيما يتعلَّق بإتمام النُبُوَّات* [أي بوعد الله بأن يُعيد الشعب اليهودي إلى الأرض]، *لا يُمكنني أن أتغاضى عن التلميحات التي تدعوني إلى قبول هذا التصريح. فقبول ذلك سيكون على حساب قَضيَّتي."*

لكي أكون واضحاً أقول إنَّ الاعتراف بنجاة اليهود كشعب وعودتهم إلى أرضهم لا يعني مُطلقاً أنه يجب علينا أن نؤيِّد سياسات الحكومة الإسرائيلية. إنني أفهم صديقي اللبناني وأتعاطف معه. ففي سنة 1948 اضطر أهل والدته وجيرانهم إلى هَجْر منازلهم مع آخرين كثيرين. كما أنَّ وطنه عانى الكثير. لكن يجب أن نفهم هذه النقطة: كلمات أنبياء الكتاب المقدَّس تتحقَّق في هذه الأيام أمام أعيننا.

كما أنَّ رَفْض غالبية اليهود في وقتنا الحاضر لرسالة الأنبياء الذين يَزْعُمون أنهم يُوقِّرونهم ما هو إلاَّ تتميم لنبوَّات الكتاب المقدَّس. فَهُمْ – كأُمَّة – يُعانون مِنَ العَمى الرُّوحِيِّ. *"غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ الْحِجَابَ مَا زَالَ حَتَّى الْيَوْمِ مَوْضُوعاً عَلَى قُلُوبِهِمْ عِنْدَمَا يُقْرَأُ كِتَابُ مُوسَى* [التوراة التي يؤمنون بها]" (رسالة كورنثوس الثانية 3: 15). وَهُمْ كأُمَّة لن يدخلوا إلى بَرَكَة الله الحقيقية إلى أن يأتي اليوم الذي فيه يتوبون (أي إلى أن يَحْدُث تغيير جذري في قُلوبهم وأفكارهم) ويؤمنون برسالة الله.[76]

حين نقترب مِنْ نهاية رحلتنا في أسفار الكتاب المقدَّس، سوف نرى كيف أنَّ هذه الأحداث تنسجم مع خِطَّة الله لنهاية الأزمنة. وسوف نسمع أيضاً بعض النبوَّات عن البَرَكات التي يذخرها الله لمنطقة الشرق الأوسط ولكل العالم.

*"لأَنِّي عَرَفْتُ الأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَفْكَارَ سَلاَمٍ لاَ شَرّ، **لأُعْطِيَكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً**"* (سِفْر إرميا 29: 11).

نُبوءات عن شخص

هناك مئات النبوَّات في العهد القديم تتمحور حول شخص المسيح المُخَلِّص الذي وعد الله بأنه سيُرسله إلى العالم. وتؤكِّد مخطوطات البحر الميِّت أنَّ أسفار العهد القديم هذه كُتِبَت قبل مئات السنين من ولادة المسيح. إليك بعضاً من هذه النبوءات:

- نُبُوَّة لإبراهيم سنة 1900 قبل الميلاد: **المسيح سيَدخُل العالم من خلال نسل إبراهيم وإسحاق** (تكوين 12: 2–3؛ 22: 1–18. النُبُوَّة تَحَقَّقت: إنجيل متَّى 1).
- نُبُوَّة إشعياء سنة 700 قبل الميلاد: **سيُولَد من عذراء بدون أب أرضي** (سِفْر إشعياء 7: 14؛ 9: 6. النُبُوَّة تَحَقَّقت: إنجيل لوقا 1: 26–35؛ إنجيل متَّى 1: 18–25).
- نُبُوَّة ميخا سنة 700 قبل الميلاد: **سيولَد في بيت لحم** (سِفْر ميخا 5: 2. النُبُوَّة تَحَقَّقت: إنجيل لوقا 2: 1–20؛ إنجيل متَّى 2: 1–12).
- نُبُوَّة هوشع سنة 700 قبل الميلاد: **سوف يُدعى من مصر** (سِفْر هوشع 11: 1. النُبُوَّة تَحَقَّقت: إنجيل متَّى 2: 13–15).

- نُبُوَّة ملاخي سنة 400 قبل الميلاد: **سوف يأتي قبل المسيح شخص يُهيِّي الطريق قُدَّامه** (سِفْر ملاخي 3: 1؛ سِفْر إشعياء 40: 3-11. النُبُوَّة تَحَقَّقت: إنجيل لوقا 1: 11-17؛ إنجيل مَتَّى 3: 1-12).
- نُبُوَّة إشعياء سنة 700 قبل الميلاد: **سوف يَفْتَح أعيُن العمي، والخرس يسمعون، والعُرج يمشون، وسوف يَكرز بالبشارة للمساكين والفقراء** (سِفْر إشعياء 35: 5-6؛ 61: 1. النُبُوَّة تَحَقَّقت: إنجيل لوقا 7: 22؛ إنجيل متَّى 9؛ وغير ذلك).
- نُبُوَّة إشعياء سنة 700 قبل الميلاد: **سوف يُرفَض مِنْ شعبه** (سِفْر إشعياء 53: 2-3؛ أيضاً المزمور 118: 21-22. النُبُوَّة تَحَقَّقت: إنجيل يوحنَّا 1: 11؛ إنجيل مَرْقُس 6: 3؛ إنجيل مَتَّى 21: 42-46؛ وغير ذلك).
- نُبُوَّة زكريَّا سنة 500 قبل الميلاد: **سوف يُباع بثلاثين من الفضة والتي سيُشترى بها حقل.** (سِفْر زكريَّا 11: 12-13. النُبُوَّة تَحَقَّقت: إنجيل مَتَّى 26: 14-16؛ 27: 3-10).
- نُبُوَّة إشعياء سنة 700 قبل الميلاد: **سوف يُرفَض المسيح، ويُتَّهم زوراً، ويُحاكَم، ويُقتل على يد اليهود والأمم.** (سِفْر إشعياء 50: 6؛ 53: 1-12؛ أيضاً المزمور 2 و 22؛ سِفْر زكريَّا 12: 10. النُبُوَّة تَحَقَّقت: إنجيل يوحنَّا 1: 11؛ 11: 45-57؛ إنجيل مَرْقُس 10: 32-34؛ إنجيل مَتَّى 26 و 27).
- نُبُوَّة داود سنة 1000 قبل الميلاد: **سوف تُثقَب يداه ورجلاه، وتَهزأ به الجموع الواقفة، وتُلقى قُرعة على ردائه، إلخ.** (المزمور 22: 16، 8، 18. النُبُوَّة تَحَقَّقت: إنجيل لوقا 23: 33-37؛ 24: 39) (لاحِظ أنَّ جميع هذه النبوءات كُتِبَت قبل أنْ يُعْرَف الصَّلب كطريقة للإعدام).
- نُبُوَّة إشعياء سنة 700 قبل الميلاد: **مع أنه سيُقتَل مثل أسوأ المجرمين، إلاَّ أنه سوف يُدفَن في قبر رجل غني.** (إشعياء 53: 8-9. النُبُوَّة تَحَقَّقت: إنجيل مَتَّى 27: 57-60).
- نُبُوَّة داود سنة 1000 قبل الميلاد: **جَسَد المسيح لن يتعفن في القبر لأنه سيغلب الموت.** (المزمور 16: 9-11 [انظر أيضاً: إنجيل مَتَّى 16: 21-23؛ 17: 22-23؛ 20: 17-19؛ إلخ.] النُبُوَّة تَحَقَّقت: إنجيل لوقا 24؛ سِفْر أعمال الرُّسُل 1 و 2).

يُبيِّن لنا قانون الاحتمالات "استحالة" تَحَقُّق هذه النُبُوَّات بهذه الدقَّة في شخص واحد. لَكِنَّ هذا هو ما حدث تماماً!

يُمكنك أن تعود إلى قائمة النُّبوَّات هذه وأن تَفتح كتابك المقدَّس وتقرأ كل نُبُوَّة وَرَدَت في العهد القديم وكيف أنها تَحَقَّقت في العهد الجديد.

رموز ونماذج نَبَوِيَّة

بالإضافة إلى مئات *النُبُوَّات*، هناك مئات الرُّموز والنماذج في العهد القديم (والتي تُعرَف أيضاً بالأساليب، والصُّور البلاغيَّة، والتشبيهات، والإشارات، والأمثلة التوضيحيَّة). وقد وضع الله كُلَّ واحدة من هذه المُعينات البَصَرِيَّة لكي يُخْبِر العالم عن نفسه وعن خِطَّته للجنس البشري.

أثناء رحلتنا في رِحاب الكتاب المُقدَّس، سوف نَتَقابل مع العديد من الرُّموز والنماذج. فمثلاً، أحد الرُّموز الهامَّة هو *"الحَمَل المَذبوح"* المُفَسَّر بوضوح في الفصلين 19 و 26 من هذا الكتاب.

وفي الفصل الحادي والعشرين، سوف نتعلَّم عن خَيْمَة خاصَّة تُدعى *"خَيْمَة الاجتماع"*؛ وهي الخَيْمَة التي أَمَرَ الله شعبه القديم ببنائها كنموذج. فخيمة الاجتماع وكل ما يتعلَّق بها هي مُعينات بَصريَّة قوية تُساعد الناس في فهم طبيعة الله وكيف يمكن للخطاة أن ينالوا الغفران والحياة الأبدية معه.

وفي دراسةٍ مُقارَنَةٍ سنُجريها بين حياة يوسف (ابن يعقوب) ويسوع الناصري، سوف نرى مثالاً واضحاً على أحد أساليب التشبيه في الكتاب المقدَّس. فهناك أكثر من مئة تشابُه بين حياة يوسف وحياة يسوع. وقد استخدم الله حياة يوسف ليرسم صورة ليسوع المزمع أن يأتي إلى العالم بعد 1700 سنة لاحقة.[77]

هناك تفسير واحد منطقي لمثل هذه النُبُوَّات والإشارات ... الله.

القصد من النبوءَة

قال المسيح أثناء حياته على الأرض:

*"أَقُولُ لَكُمُ الآنَ **قَبْلَ أَنْ يَكُونَ**، حَتَّى **مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ** أَنِّي أَنَا هُوَ"* (إنجيل يوحنَّا 13: 19).

التنبُّؤ بالأحداث المُستقبليَّة وتَحقُّقها عبر التاريخ هي إحدى الطرق التي يؤيد الله من خلالها رُسُله ورسالته. ولكي يُقَوِّي الله إيماننا بكلمته، أعلن الإله الحي الحقيقي أنه: *"**مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالأَخِيرِ، وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ**، قَائِلاً: رَأْيِي يَقُومُ وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي"* (سِفْر إشعياء 46: 10).

سوف تبدأ رحلتنا القادمة بأوَّل سِفْر في الكتاب المقدَّس ألا وهو سِفْر التَّكوين الذي يُدَوِّن كيف ابتدأ العالم. وسوف تنتهي رحلتنا بآخر سِفْر في الكتاب المقدَّس ألا وهو سِفْر الرؤيا الذي يُخبرنا عن الأحداث النهائية في تاريخ العالم.

لَكِنْ كيف يُمكننا أن نَثِق في صِحَّة ما يقوله الكتاب المقدَّس عن الماضي الذي لا يُمكننا التحقُّق منه، والمستقبل الذي لا يُمكننا معرفته؟ يُمكننا ذلك عن طريق تطبيق نفس المنطق الذي نَثِق من خلاله بأنَّ الشمس ستُشرق غداً. فنظامنا الشمسي له سِجِلٌّ مثاليٌّ مُنذ آلاف السنين. فالأرض لم تُخْفِقْ يوماً في الدَّوَران، والشمس لَمْ تُخْفِق يوماً في أن تُشْرِق وتغرب. وهكذا الحال أيضاً فيما يتعلَّق بنبوءات الكتاب المقدَّس. فمن خلال كل ما يُمكن إثباته، فإنَّ كتاب الله له سِجِلٌّ مِثاليٌّ.

تَحَدِّي الله

يَدَّعي بعض المُتديِّنين أنَّ كتابهم يحتوي أيضاً على نُبوءات قد تحققت. إذا سمعت أحدهم يزعم ذلك، اطلب منه بكل احترام أن يُقَدِّم لك قائمة قصيرة تحتوي على أهم ثلاث أو أربع نُبُوَّات في كتابه. على الأرجح أنه لن يتمكن من ذلك. لكن في حال أنه قَدَّم لك أمثلة على تلك النُّبوَّات، تَحَقَّق أوَّلاً مِنْ أنَّ النُّبُوَّات كُتبت قبل وقوع الأحداث، ثم قابلها مع سجل التاريخ المدني لتتأكد من صِحَّة تَحَقُّقها. من اختباري الشخصي فإنَّ كل النُّبُوَّات التي قد يأتي بها هؤلاء الأشخاص هي نُبُوَّات غامضة وغير صحيحة.

لهذا السبب الواضح، يُقَدِّم الله الحي الحقيقي هذا التحدِّي لكل الأديان وأشباه الآلهة:

"اعْرِضُوا دَعْوَاكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ، وَقَدِّمُوا حُجَجَكُمْ .... أَحْضِرُوا أَصْنَامَكُمْ لِيُنْبِئُونَا عَمَّا يَأْتِي بِهِ الْمُسْتَقْبَلُ، وَعَنِ الأُمُورِ الْغَابِرَةِ. أَطْلِعُونَا عَلَى أَحْدَاثِ الْغَيْبِ فَنَعْلَمَ أَنَّكُمْ آلِهَةٌ حَقّاً. ائْتُوا بِمُعْجِزَةٍ خَيْراً كَانَتْ أَمْ شَرّاً، تُثِيرُ دَهْشَتَنَا أَوْ رُعْبَنَا. وَلَكِنْ أَنْتُمْ لاَ شَيْءَ، وَفِعْلُكُمْ عَدَمٌ، وَلاَ يَصْطَفِيكُمْ سِوَى الرِّجْسِ" (سِفْر إشعياء 41: 21-24).

عندما يتعلَّق الأمر بنُبُوَّات مُحدَّدة ومُفصَّلة قد تَحَقَّقت بدقة مُتناهية، فإنَّ الكتاب المقدَّس يَنفرد بذلك. فقد قام الله الحقيقي الحي بتوثيق رسالته للبشر من خلال كتابته للتاريخ قبل أن يحدث.

أجل، النُّبُوَّات التي تَحَقَّقت هي ***توقيع إصبع الله***.

6
شَهَادة مُتناغِمَة

*"إذا أرَدْتَ أنْ تَعْرِفَ شَيْئاً عَنِ المَاءِ، **لا تَسْأل السَّمَك!**"*

– مَثَل صيني

تَخَيَّل ما يلي:

فيما أنت تَسير على ضِفَّة أحد الأنهار في يومٍ حارٍّ، تَخْطُرُ في بالك فكرة السِّباحة فتتساءل: هل درجة حرارة المياه مُناسبة؟ هل تيار المياه قوي؟ هل الأحوال العامة ملائمة؟

يَنْصَحُنا المَثَل الصيني ألاَّ نسأل السَّمَك.

تُرى لماذا يُخْبِرُنا هذا المَثَل أنَّ السَّمَك الذي يعيش في النهر لا يُمكنه أن يُخبرنا عن "حالة المياه" (إلى جانب أنَّ السَّمَك لا يتكلم لُغتنا!)؟ ببساطة مُتناهية، لا يُمكن للسَّمَك أن يُقَدِّم المعلومات اللازمة لأنه يَفْتَقِر إلى أيَّة خبرة خارج نِطاق المياه التي يعيش فيها. فهو لا يَعرف سِوى عالم المياه الموحلة.

على نَحْوٍ مُشابهٍ، إذا أردنا أن نفهم هذا العالم الذي نعيش فيه ولماذا نحن هنا، يجب أن تأتي المعلومات من خارج دائرة الإنسان المحدودة والمُتمحورة حول ذاته.

الخَبَر المُفْرِح هو أنَّ إله السماء وَفَّر هذه المعلومات لكل من يطلبها.

*"كُلُّ الْكِتَابِ **هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ**، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ"* (رسالة تيموثاوس الثانية 3: 16).

لَكِنْ كيف نَعْلَمُ أنَّ الأسفار المقدَّسة مُوحى بها من عِنْد الله؟ لقد رأينا في الفصل السَّابق كيف وضع الخالق بَصْمَتَه الأصلية على الكتاب المقدَّس من خلال تَضمينه لمئات النُّبُوَّات في صفحاته؛ وهي نُبُوَّات تَحَقَّقت لاحقاً.

الله هو الوحيد الذي يقدر أن يتنبَّأ مَرَّةً تلو الأخرى عن المستقبل البعيد بدِقَّة فائقة (100 بالمئة).

وهناك طريقة أخرى وضعها الله لتأكيد صِحَّة وَحْيه ألا وهي أنه أعلن مَشيئته للعديد من الأنبياء على مَرِّ العُصور.

شاهد واحد غير كافٍ

قال الله لموسى: "***لاَ يَقُومُ شَاهِدٌ وَاحِدٌ*** *عَلَى إِنْسَانٍ فِي ذَنْبٍ مَّا أَوْ خَطِيَّةٍ مَّا مِنْ جَمِيعِ الْخَطَايَا الَّتِي يُخْطِئُ بِهَا.* ***عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ عَلَى فَمِ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَقُومُ الأَمْرُ***" (سِفْر التَّثنية 19: 15).

هذا المبدأ معروف في كل أنحاء العالم. فالمَحاكم القانونية تَطْلُب وجود أكثر من شاهد واحد للتحقُّق من الأحداث. وقبل قبول أيَّة شهادة على أنها صحيحة، يجب تأييدها ودعمها بالعديد من المصادر الموثوق بها.

عندما أعلن الله الحَقَّ للناس فهو لم يتغاضى عن هذا القانون الذي وَضَعَهُ هو شخصياً والذي يقول: *"لا يَقومُ شَاهِدٌ وَاحِدٌ."* فالكتاب المقدَّس يُعلن أنَّ *"الإِلهَ الْحَيّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا ... تَرَكَ جَمِيعَ الأُمَمِ يَسْلُكُونَ فِي طُرُقِهِمْ مَعَ أَنَّهُ* ***لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلاَ شَاهِدٍ*** *..."* (أعمال الرُّسُل 14: 15-17).

فحتى أكثر قبائل الأرض انعزالاً عن العالم لديهم *"شهادة الخليقة الخارجية"* (رؤية الأشياء التي عملها الخالق) و *"شهادة الضمير الداخلية"* (الإحساس الفطري بالصواب والخطأ والأبديَّة). فكل إنسانٍ على وجه الأرض أُعطي قَدْراً مِنَ النُّور أو الحَقِّ. لذلك، يُعلن الله أنَّ البشر *"لا عُذْرَ لَهُم"*.[78] ومع هذا فإنه يَعِدُ بأنه سيُعطي مزيداً مِنَ النُّور لكل من يَسعى بِجِدٍّ لمعرفة خالقه.

شَهادة مُستمرة

الله لم يَتْرُك نفسه بلا شاهدٍ أبداً. ففي الألف سنة الأولى من تاريخ البشرية، تكلَّم الله للناس إمَّا بصورة مُباشرة أو أنه أعلن حقَّه لَهُم من خلال الشهادة الشفهيَّة للبشر الأوائل. فقد عاش آدم (أوَّل إنسان على وجه الأرض) 930 سنة. لذلك فإن البشر الذين عاشوا في الألف سنة الأولى من تاريخ البشرية لا عُذْر لهم في عدم معرفة الحق بشأن خالقهم لأنه كان بمقدورهم أن يتحدَّثوا مع *"الشاهِدَيْن الأصليَّيْن"* (آدم وحوَّاء).[79] كان عُمْر الإنسان يزيد عن عُمره الحالي بحوالي إحدى عشرة مَرَّة. بعد ذلك، حَدَّد الخالق عُمْر الإنسان بسبعين أو ثمانين سنة تقريباً: *"أَيَّامُ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ فَثَمَانُونَ سَنَةً ..."* (المزمور 90: 10).

وفي نحو سنة 1920 قبل الميلاد، اختار الله رَجُلاً مُتقدِّماً في السِّنِّ وأطلق عليه اسم إبراهيم. ووعد الله إبراهيم أنه سيجعله شعباً يُعَلِّم من خلاله شعوب العالم دروساً مُهمَّة عن نفسه وعن خِطَّته للبشر. ومن خلال هذا الشعب المختار، سوف يُرسل الله أيضاً الأنبياء والأسفار المُقدَّسة، ومن ثُمَّ سيُرسل المَسِيَّا إلى العالم. وفي نحو سنة 1490 قبل الميلاد، دَعا الله رَجُلاً من تلك الأُمَّة ليكون النَّاطِق الرَّسمي باسمه. وكان اسم ذلك الرَّجُل "مُوسى" ولَقَبُهُ "كَليمُ الله".

شَهادة مَكتوبة

أوحى الله لنبيِّه مُوسى أن يكتب الجزء الأول من الأسفار المقدَّسة ألا وهو *"التَّوراة"*. فقد قَصَدَ خالق السَّماء والأرض أن يُعلِن حقَّه ويوفِّره بصيغة مكتوبة للأجيال القادمة إلى نهاية الدَّهر. لهذا فقد وضع في عقل مُوسى الكلمات التي يريده أن يكتبها. كما أنه أَيَّد كلمته للشعوب بمُعجزات أجراها على يد موسى. كما كشف الله عن أحداث مُستقبليَّة أعلنها موسى للمصريِّين والعِبرانيِّين. وقد تَحَقَّقت نبوءات موسى بدِقَّة. وهكذا، لَمْ يترك الله أيَّ مَجالٍ للشَّك.

لهذا، لم يَجِد الناس – بِمَنْ فيهم الأكثر تَشَكُّكاً – مَفَرَّاً مِنَ الاعتراف بأنَّ الله الذي تكلَّم من خلال مُوسى هو الإله الحي الحقيقي.[80]

كان موسى هو الأوَّل في سلسلة طويلة مِنَ الأنبياء الذين دَوَّنوا كلمة الله على مَدى أكثر من خمسة عشر قرناً.[81] وقد جاء هؤلاء الأنبياء مِنْ خلفيَّات مُختلفة وكان البعض منهم مُتَبَحِّراً في العِلْم والثقافة

والبعض الآخر غير مُتعلِّم. ورغم أنهم عاشوا في أجيال مُختلفة، إلاَّ أنهم كتبوا رسالة مُنسجمة ومتوافقة الأجزاء من بدايتها إلى نهايتها.

اختار الله رجالاً مثل مُوسى وداود وسُليمان وحوالي ثلاثين آخرين لكتابة أسفار العهد القديم. وقد أيَّد كلمته بوعود ونُبُوَّات تَحَقَّقَت بالفعل، بالإضافة إلى الكثير مِنَ الآيات والمُعجزات.

أمَّا في العهد الجديد، فنجد أنَّ كل التفاصيل المُتعلِّقة بالمسيح – ولادته، وحياته وكلماته، وأعماله، وموته، وقيامته – قد دَوَّنها أربعة رجال: مَتَّى، ومَرْقُس، ولوقا، ويوحنَّا. وهكذا، فقد دَوَّن هؤلاء الرِّجال الأربعة سِجِلاَّت الإنجيل مُقَدِّمين للعالم أربع شهادات مُستقلَّة. كذلك، أوحى الله لبُطرس (صَيَّاد سَمَك)، وليعقوب ويهوذا (أخوان غير شقيقين ليسوع) ولبولُس (مُعَلِّم ديني وإرهابي سابق) أن يُبَيِّنوا بالتفصيل قَصْد الله الحالي والمُستقبلي لشعبه. وقد كتب الرسول يوحنَّا آخر سِفْر في الكتاب المقدَّس والذي يتنبَّأ بأسلوبٍ تَصْويريٍّ عن نهاية تاريخ العالم الذي نعرفه ونعيش فيه.

شَهادة مُتناغِمَة

في المَجْمَل، استخدم الله أربعين رَجُلاً تقريباً على مَدى خمسة عشر قرناً لتدوين وَحْيه للبشر. ورُغم أنَّ مُعظم هؤلاء الشُّهود لم يعرفوا بعضهم بعضاً، إلاَّ أنَّ كل ما كتبوه يُشَكِّل قِصَّة واحدة ورسالة مُتكاملة.

ومَنْ غير الله السَّرمدي يُمكنه أن يَسْرُدَ مثل هذه القِصَّة المُنْسَجِمَة؟

"لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (2 بُطْرُس 1: 21).

حاول الكثيرون على مَرِّ العُصور أن يُشَكِّكوا في كُتَّاب العهد الجديد ورسالته. وهُناك مَنْ رَكَّزوا هُجومهم على كِتابات الرسول بولُس بشكل خاص.

لكنَّ الرسول بُطرس يوصينا بأن نؤمن بكتابات بولس وأن نأخُذَها على مَحْمَل الجِدِّ: *"وَاحْسِبُوا أَنَاةَ رَبِّنَا خَلاَصًا، كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضًا بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ، كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضًا، مُتَكَلِّمًا فِيهَا عَنْ هذِهِ الأُمُورِ، الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ، **كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضًا**، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ"* (رسالة بُطْرُس الثانية 3: 15–16).

فكل ما كتبه الرسول بولُس مُتناغم تماماً مع ما كتبه الأنبياء. وقد شَهِدَ بولُس عن نفسه: *"فَإِذْ حَصَلْتُ عَلَى مَعُونَةٍ مِنَ اللهِ، بَقِيتُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، شَاهِدًا لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ. **وَأَنَا لاَ أَقُولُ شَيْئًا غَيْرَ مَا تَكَلَّمَ الأَنْبِيَاءُ وَمُوسَى أَنَّهُ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ ... أَتُؤْمِنُ ... بِالأَنْبِيَاءِ؟**"* (أعمال الرُّسُل 26: 22، 27).

مُتناغِمَة أَم غير مُتناغِمَة

إن جَدارة الشَّاهِد بالثقة لا تُقاس بكمية الحق التي تَتَضَمَّنُها شهادته، بل بتناغُم شَهادته أو عدم تَناغُمِها. ويُمكننا توضيح ذلك مِنْ خلال الحكاية الطَّريفة التالية:

> في أحد أيام الصَّيف الجميلة قَرَّر أربعة أصدقاء أن يَتغيَّبوا عن المدرسة لكي يَستمتعوا بيومهم على الشَّاطئ. وفي صباح اليوم التالي أخبروا مُعلِّمتهم أنهم اضطروا للتغيُّب عن المدرسة بسبب مُشكلة في إطار سَيَّارتهم. وكم شَعَروا بالراحة حين قالت والابتسامة تَعْلو وَجْهَها: "حسناً، لقد فاتكم امتحان قصير يوم أمس." لكنها أضافت على الفور: "اجلسوا في أماكنكم وأخْرِجوا قلماً وورقة. السُّؤال الأوَّل هو: أيُّ إطارٍ كان سَبَب المُشكلة؟"[82]

وبالطبع، أظهرت إجاباتهم المُتعارضة أنَّ قصتهم مُلَفَّقَة وغير صحيحة.

لكن على النقيض مِنْ شَهادة هؤلاء التلاميذ الأربعة المُتناقضة، فإنَّ شَهادة الله مُتناغِمَة. فقد استخدم خالقنا عشرات الشُّهود والكُتَّاب على مدى أجيال عديدة لكي يُعْلِن عن نفسه وعن خِطَّته بتناغُمٍ تامٍّ.

وفي وسط المُحيط الهائج للديانات والفلسفات البشريَّة المُتناقضة، أعطانا الله صخرةً ثابتةً وحفظها لنا لكي ترتاح نفوسنا عليها. وهذه الصَّخرة هي *كلمته*.

*"وَعِنْدَنا **الْكَلِمَةُ النَّبوِيَّةُ، وَهِيَ أَثْبَتُ**، الَّتِي تَفْعَلُونَ حَسَنًا إِنِ انْتَبَهْتُمْ إِلَيْهَا، كَمَا إِلَى سِرَاجٍ مُنِيرٍ فِي مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ، ... وَلَكِنْ، كَانَ أَيْضًا **فِي الشَّعْبِ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ**، كَمَا سَيَكُونُ **فِيكُمْ أَيْضًا مُعَلِّمُونَ كَذَبَةٌ**، ... وَسَيَتْبَعُ كَثِيرُونَ **تَهْلُكَاتِهِمْ**. الَّذِينَ بِسَبَبِهِمْ يُجَدَّفُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ. **وَهُمْ فِي الطَّمَعِ يَتَّجِرُونَ بِكُمْ بِأَقْوَالٍ مُصَنَّعَةٍ ...**"* (رسالة بُطْرُس الثانية 1: 19–2: 3).

أنبياء كَذَبَة

وهكذا، فإنَّ كلمة الرَّبِّ تُحذِّرُنا من الأنبياء والمُعلِّمين الأنانيِّين المُمتلئين بالطمع والذين *"يَتَّجِرونَ بِكُمْ بِأَقوالٍ مُصَنَّعَةٍ"* [بدافِعِ الطَّمَعِ يُتاجِرونَ بِكُمْ بالأقوالِ المُحَرَّفَةِ المُزَخْرَفَةِ].[83] ويحتوي الكتاب المقدَّس على قِصَصٍ عَديدةٍ عن رجال ادَّعوا أنهم يتكلمون بكلام الله، لَكِنَّ رسالتهم كانت موحى بِها مِنْ "رُوْحِ الكَذِبِ" (سِفْر مُلوك الأوَّل 22: 22).

كما أنَّ الكتاب المقدَّس يَصِف فترة في تاريخ إسرائيل وُجِدَ فيها 850 نبياً كاذباً، ونبيَّاً حقيقياً واحداً فقط ألا وهو إيليَّا. ورُغم أنه كان هناك 7000 عِبرانيٍّ يؤمنون بالله الحقيقي الواحد، إلاَّ أنَّ ملايين الناس اختاروا أن يُصَدِّقوا الشُّهود أو الأنبياء الكذبة.[84]

لهذا، كتب أحَد أنبياء الله الأُمَناء ألا وهو النبي ميخا:

*"هكَذَا قَالَ الرَّبُّ عَلَى **الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يُضِلُّونَ شَعْبِي**، الَّذِينَ يَنْهَشُونَ بِأَسْنَانِهِمْ، وَيُنَادُونَ: 'سَلاَمٌ'! وَالَّذِي لاَ يَجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ شَيْئًا، يَقْتَحُونَ عَلَيْهِ حَرْبًا"* (سِفْر ميخا 3: 5).

وهذا هو ما حَدَثَ ويَحْدُثُ مَرَّةً تلو الأخرى عَبْر التاريخ. لهذا فقد حَذَّر يسوع قائلاً:

*"ادْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، لأَنَّهُ **وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ** الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ، **وَكَثِيرُونَ** هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى*

*الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ! **اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ** الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ **بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ**، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلٍ **ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ!** مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِينًا؟ هكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ **أَثْمَارًا رَدِيَّةً**"* (إنجيل متَّى 7: 13–17).

على مَرِّ القُرون، ظَهَر الكثير من الأنبياء والمُعَلِّمين الكذبة ثُمَّ اختفوا. البعض أثَّروا في المئات والآلاف، بينما اقتاد البعض الآخر ملايين – بل ربما بلايين – النفوس إلى *"الطَّريق الذي يُؤدِّي إلى الهَلاك."*

لهذا، إذا أردت أن تَحمي نفسك مِنْ أن تُصبح واحداً من أولئك العُميان "الكثيرين" الذين اختاروا أن يَتْبَعوا نبيَّاً كاذباً يقودهم إلى "الهلاك"، فعليك أن تَمتحن تعاليم ذلك الشخص بالطريقة التالية:

رسالة النبي الحقيقي تَنسجم دائماً مع أسفار الكتاب المقدَّس النَبوِيَّة المؤكَّدة التي سَبَقَتْه.

فَكِّر في الحالات الثلاث التالية عن رجال ادَّعوا أنهم أنبياء مُرسلين مِنْ عند الله. تُرى، هل كانوا أنبياء حقيقيِّين أَم كَذَبة؟

الحالة الأولى: مَسيح "مَدفون"

ظهر على مَرِّ العُصور عشرات الأشخاص الذين زَعُموا أنهم أنبياء ومُسَحاء؛ وقد جاء هؤلاء بعد زَمَن المسيح.[85] وَمِنْ بين هؤلاء أبو عيسى.

عاش *أبو عيسى الفارسي* في أواخر القرن السابع الميلادي. وكان أتباعه يؤمنون أنه المَسِيَّا لأنه وَعَدَهُم بالنَّصر. ومع أنه كان أُمِيَّاً، إلا أنه يُقال بأنه أَلَّفَ كُتُباً. لكنَّ رسالته كانت تتعارض مع الأسفار المقدَّسة.

عَلَّم أبو عيسى أتباعه أن يُصَلُّوا سبع مَرَّات في اليوم وأن يَتبعوه في المعركة واعداً إيَّاهم بالحماية الإلهية. لَكِنْ بعد أن مات أبو عيسى في إحدى المعارك، ودُفِن، ولم يتمكَّن من العودة إلى الحياة مَرَّةً أخرى، اضطر أتباعه أن يعترفوا بأنه لم يكن المسيح.

قبل زَمَن أبو عيسى بوقتٍ طويلٍ، حَذَّر يسوع سامعيه:

*"لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا. **هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ**"* (إنجيل متَّى 24: 24–25).

الحالة الثانية: "نَبِيٌّ" انتحاريٌّ

أسَّس "جيم جونز" طائفة دعاها "مَعْبَد الشَّعْب". كان جيم واعظاً مشهوراً في أوائل السبعينات في مدينة سان فرانسيسكو بكاليفورنيا. وقد عُرِف بقدرته على دفع الآلاف للانخراط في السياسة وفي المشاريع التي ترمي إلى مُساعدة الفقراء. دَعى جيم نفسه "النبي" وزَعُمَ أنه يمتلك القدرة على شفاء مَرضى السَّرطان وإقامة الموتى.

بعد ذلك، نجح جيم جونز في إقناع أكثر من ألفٍ من أتباعه على الذهاب معه إلى "جونزتاون" في "غويانا" بأمريكا الجنوبية. وفي هذا المجتمع الجديد، وعد "النبي جيم" أتباعه بحياة مليئة بالسلام والسعادة. لَكِنَّ هذا كله كان كذبة كبيرة.

لم يكن جيم إلاَّ ذئباً شرساً بثوب حَمَل. فقد أوردت صحيفة *سان فرانسيسكو كرونيكل* بتاريخ 18 تشرين الثاني/نوفمبر 1978: "جونز يأمر أتباعه أن يقتلوا أنفسهم عن طريق تناول حُبوب السيانيد. وكل من يَرفض سيُعطى هذا السُّمَّ رُغماً عنه. وقد تم قتل الأطفال بِحُقَن سامَّة. وهكذا، تم العثور على 914 جُثَّة في جونزتاون، ومن بينها جُثَّة جونز نفسه!"[86]

الحالة الثالثة: "كِتاب مُقَدَّس" غير مُؤكَّد

وُلِدَ جوزيف سميث في أمريكا الشمالية سنة 1805، ونشأ في مجتمع فقير تَسوده الخرافات. وعندما أصبح شاباً ابتدأ يقول للآخرين إنه نبي الله. كما أنه ادَّعى أنَّ الله كَلَّمَهُ عن طريق رؤى من خلال ملاكٍ نورانيٍّ اسمه موروني.

كتب جوزيف: "تَمَلَّكَتْني قُوَّة سَرَت في جميع أوصالي، وكان تأثيرها قوياً لدرجة أنَّ لِساني انعقد فلم أَعُدْ قادراً على التكلُّم. ثُمَّ اكتنفتني ظُلْمَة رهيبة فَحَسِبْتُ لوهلةٍ أنني على وشك الهلاك." ثُمَّ أضاف بأنَّ عموداً من نور ظهر فوقه وكان نوره أعظم من نور الشمس، وأنَّ هذا العمود راح ينخفض شيئاً فشيئاً إلى أن استقر على رأسه.[87] وأعلن جوزيف أنَّ الله كشف له عن كتاب مُقَدَّس جديد –*كتاب المورمون*. وأخبر أتباعه أنَّ الكتاب المقدَّس جاء مِنْ عِنْد الله، وأنَّ كتابه الجديد كان إعلان الله الأخير. عَلَّم جوزيف أتباعه أن يَتلوا صلوات مُعيَّنة، وأن يصوموا، وأن يُخرجوا صَدَقَة عن أموالهم، وأن يفعلوا الخير، وأن يَقبلوه نبيَّاً. لَكِنَّ جوزيف كان يُبيح لنفسه أن يعيش حياةً أنانيَّةً مُنغمسةً في الشَّهوات.

ورُغم أنَّ "إعلانات" جوزيف سميث لم تَكُن مُدَعَّمة بشهادات أيِّ شُهود آخرين (رغم ادِّعائه بوجود ثلاثة شهود)، ورغم أنَّ كتابه يتعارض مع الكتاب المقدَّس ومع الحقائق التاريخيَّة والاكتشافات الأثريَّة[88]، إلاَّ أنَّ ملايين الناس ما زالوا يَعتنقون هذه البِدْعَة التي تُدْعى "المورمون". كما أن كنائس المورمون الغنية تُرسل مُرْسَليها إلى جميع أنحاء العالم. وفي كل يوم يَنْضَمُّ العديد من الناس إلى ديانة المورمون (ويُطلق عليهم اسم "قِدِّيسو الأيام الأخيرة"). مُعظم المورمون هم أناس جادُّون لُطفاء، لكن إذا قارنت رسالة "النبي جوزيف" بما أعلنه وكتبه أنبياء الكتاب المقدَّس، فسوف تكتشف أنَّ الكِتابين مُختلفان تماماً.

مِنَ الجهل أن نُعَلِّق مصيرنا الأبدي على رسالة مُتناقضة وغير مُتناغمة أعلنها شخص قال عن نفسه إنه نَبِيٌّ مِنْ عند الله وذلك بِصَرْف النَّظَر عن مستوى ذكائه أو فَصاحته في الكلام *"لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ!"* (رسالة كورنثوس الثانية 11: 14).

رسالة مُؤكَّدة

في عالم مُحَيِّر استبدل فيه كثيرون *"حَقَّ اللهِ بِالكَذِبِ"* (رسالة رُومية 1 :25)، مَيَّز الله حَقَّه بوضوحٍ تامٍّ عن الأصوات الكثيرة الأخرى المضادة.

إحدى الطُّرُق التي أكَّد فيها الله رسالته هي أنه أعلنها بصورة تدريجيَّة وبتناغُم عَجيب وتام لأنبياء كثيرين عبر أجيال عديدة. ولا يُمكن لأحد سوى هذا الكاتب الإلهي الأزلي أن يُعطي وَحْيَاً كهذا.

الرِّجال الأربعون في هذا الرَّسم يُمَثِّلون الرُّسُل
الذين دَوَّنوا على مَدى أكثر من 15 قرناً رسالة الله
المُتناغمة والمؤكَّدة في أسفار الكتاب المقدَّس.

هذا *الإنسان الوحيد* يُمَثِّل أيَّ رَسول جاء بعد ذلك
مُقَدِّماً رسالةً مُناقضةً وغير مُؤكَّدة.

تناولنا في الفصول القليلة السابقة العديد من البراهين التي تُبيِّن أنَّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله. لكن رُغم قُوَّة إقناع هذه الحقائق، فإنَّ أقوى حُجَّة على رسالة الله هي أن تَسمعها، وتَفهمها، وتَقبلها.

إنَّ قِصَّة كتاب الله التي تتكشف أمامنا تُعَرِّفُنا بالإله الذي يَسمو على أفكارنا وعقولنا. كما أنها تَعْرِضُ أمام أعيُنِنا مَجْد خالقنا وطبيعته الكاملة المتوازنة. إنها تُحَرِّر البشر من خوفهم من الموت وتُعطيهم رجاءً أكيداً بالحياة الأبدية. كما أنها تُغَيِّر طبيعتهم وتصرفاتهم وتقودهم إلى الله الحقيقي الواحد.

لهذا، لا يُمكن لأيِّ شيطان أو إنسان أن يكون قد أتى بمثل هذه الرِّسالة.

لكن أرجو منك أن لا تعتمد على كلامي فقط، بل:

امْتَحِنْ كُلَّ شَيْءٍ، تَمَسَّكْ بِالحَسَنْ " (رسالة تسالونيكي الأولى 5: 21).

7
الأَساس

*"الرَّجُلُ العَاقِلُ ... بَنَى بَيْتَهُ **عَلَى الصَّخْرِ**."* (إنجيل متَّى 7: 24)

في *الموعظة على الجبل*، خَتَمَ يَسوع الناصريُّ عِظَتَه بهذه الكلمات:

"فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أُشَبِّهُهُ بِرَجُل عَاقِل، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَوَقَعَتْ عَلَى ذلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا، يُشَبَّهُ بِرَجُل جَاهِل، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَصَدَمَتْ ذلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ، وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيمًا!" (إنجيل متَّى 7: 24–27).

ما الفَرْق بين البيت الذي صَمَدَ في وَجْه العاصفة والبيت الذي سَقَط؟

الأساس!

فالرَّجُل العاقل بَنى بيته على الصخر الصَّلب، أمَّا الرَّجُل الجاهل فبَنى بيته على الرَّمل القابل للانجراف.

وقد وضع الله في الكتاب المقدَّس أساساً مَتيناً للرسالة التي يريد للجميع أن يفهموها ويؤمنوا بها، وهذا الأساس هو *التَّوراة* (التي تُعْرَف أيضاً بـــ *"شريعة مُوسى"* أو *"ناموس مُوسى"* أو *"أسفار مُوسى الخمسة"*).

كتاب البدايات

تُشَكِّل التَّوراة الأسفار الخمسة الأولى مِنَ الكتاب المقدَّس. السِّفْر الافتتاحي هو *"**التكوين**"* ويعني *"الأصل"*. وسِفْر التكوين هو كتاب البدايات الذي عَرَّفَنا فيه الله على أصل الأرض، والحياة، والجنس البشري، والزواج، والأسرة، والمجتمعات، والشعوب، واللغات. يُقَدِّم هذا السِّفْر أجوبة لأكبر ألغاز الحياة. مَنْ هو الله؟ مِنْ أين أتى الإنسان؟ لماذا نحن هنا؟ ما هو مَصْدَر الشر؟ لماذا يتألم البشر؟ كيف يُمكن لله الكامل أن يَقْبَل البَشَر الناقصين؟

ورغم أنَّ الإجابات عن هذه الأسئلة وغيرها مِنَ الأسئلة الهامة تَتَّضِح أكثر في الأسفار اللاحقة، إلاَّ أنَّ سِفْر التكوين هو المكان الذي وضع فيه الخالق الخطوط العريضة لإجاباته. لهذا فإنَّ السِّفْر الأول في الكتاب المقدَّس هو الأساس لكل الأسفار التي تَليه.

قِصَّة الله

يحتوي الكتاب المقدَّس على مئات القصص التي حدثت على مَرِّ آلاف السِّنين. وهذه القصص جميعها تُشَكِّل *قِصَّة واحدة* – أفضل قِصَّة في الوجود. ففي هذه القصة وَضَعَ الله *رسالة رئيسيَّة واحدة* – أفضل خَبَر أُذيع على الإطلاق.

تحتوي قِصَّة الله الدراميَّة هذه على أكثر من ذروة واحدة. فأثناء تَنَقُّلنا بين الأسفار، نُقابل قِمَّة مُرتفعة في *الأناجيل* الأربعة. كما أننا نُقابل قِمَّة مُدهشة أخرى في آخر سِفْر في الكتاب المُقدَّس ألا وهو سِفر *الرؤيا* الذي يعني أيضا "الكَشْف" أو "الإعلان".

ورغم أنَّ الله كشف لنا خِطَّته، إلاَّ أنَّ تلك الخِطَّة ما زالت غامضة لكثيرين.

الأهَمُّ فالمُهِمُّ

يحتوي سِفْر التَّكوين على 50 أصحاحاً مِنْ أصل 1189 أصحاحاً يتألَّف منها الكتاب المقدَّس بمُجملة.[89] وإذا افترضنا أنك بدأت بقراءته دون تَوقُّف، فسوف تُنهيه بالكامل في ثلاثة أيام وثلاث ليال تقريباً.

ورُغم أننا سَنَتطرَّق – أثناء رحلتنا هذه – إلى مُعظم القصص الموجودة في الكتاب المُقدَّس، إلاَّ أننا سنُركِّز على بعض القصص والأحداث الرئيسية التي تَكشف لنا "الصورة العامة" لخطة الله العجيبة للجنس البشري. وسوف نَصْرِف جُزءاً كبيراً من وقت رحلتنا في الأصحاحات الأربعة الأولى من الكتاب المقدَّس حيث أنَّ هذه الصفحات الافتتاحية تكشف حقائق عظيمة موجودة في مَواضِع أخرى مِنْ كلمة الله.

لهذا، نؤكِّد مَرَّةً أخرى أنَّ الأصحاحات الأولى مِنَ الكتاب المقدَّس بالغة الأهميَّة.

مِنْ أين نبدأ عندما نرغب في قراءة أو سَرْد قِصَّةٍ ما لأحد الأطفال؟ هل نبدأ من مُنتصف القصة أو نقفز إلى النهاية قارئين سطراً هنا وآخر هناك؟ كَلاَّ، بل إننا نبدأ من بداية القصة. رغم ذلك فإن مُعظم مَنْ يقرأون الكتاب المُقدَّس يَكتفون بقراءة أجزاءٍ مُتفرِّقة منه. تُرى هل سَبَب غموض قِصَّة الله لهم هو أنهم أهملوا قراءة الصفحات الأولى لكتاب الله؟ وهل نتعجب عندما يَتَّفق الكثيرون مع أحمد الذي قال في رسالته الإلكترونية: *"موضوع أننا جميعنا خُطاة لا معنى له بالنسبة لي."* (الفصل 1)

وهكذا، إذا لم نَعْرِف ما هي بداية قِصَّة الله فسوف نُواجِه صعوبة كبيرة في فهم باقي أجزاء القصة. لكن عندما نفهم الأصحاحات الأولى، فسوف نفهم مغزى باقي الأجزاء.[90]

البذرة الرئيسيَّة

تَخَيَّل حَبَّة قمح واحدة. إنها لا تبدو شيئاً كثيراً، لكن في داخل هذه الحَبَّة الصغيرة يَكْمُنُ رمز مُعَقَّد وقوة عجيبة تُصَيِّر هذه الحبة سُنْبُلة كاملة مليئة بالحُبوب. ويَشرح لنا الكتاب المقدَّس هذه العملية بقوله:

*"لأَنَّ الأَرْضَ مِنْ ذَاتِهَا تَأْتِي بِثَمَرٍ. **أَوَّلاً** نَبَاتًا، **ثُمَّ** سُنْبُلاً، **ثُمَّ** قَمْحًا مَلآنَ فِي السُّنْبُلِ"*
(إنجيل مَرْقُس 4: 28).

لقد شاء الله أن لا تَنْضُج الحُبوب والفاكهة والخضروات في الحال. كما أنه شاء أن لا يُعْلِن قِصَّته ورسالته دُفعةً واحدة. وكما أنَّ الله شاءَ أن يُعطي طعاماً لجسد الإنسان من خلال نباتات تنمو تدريجيَّاً، فقد شاء أيضا أن يُعطي غذاءً لرُوح الإنسان من خلال حَقٍّ *يَنكشف تدريجيَّاً*.

*"لأَنَّهُ أَمْرٌ **عَلَى** أَمْرٍ. أَمْرٌ **عَلَى** أَمْرٍ. فَرْضٌ **عَلَى** فَرْضٍ. فَرْضٌ **عَلَى** فَرْضٍ. هُنَا قَلِيلٌ هُنَاكَ قَلِيلٌ"* (سِفْر إشَعياء 28: 10).

يُشبه سِفْر التكوين قطعة أرض خصبة زرع فيها الله "بذور" حَقِّه بكل عناية. ومن تلك الحقائق نَمَتْ رسالته ونضجت في الأسفار الكِتابيَّة الأخرى لتُعطي حياةً وانتعاشاً للعالم.

جَنين

بِفَضْل التكنولوجيا الحديثة، تَمَكَّن الإنسان مِنْ كشف الكثير من الأمور التي كانت غامضة في الماضي. فمثلاً، يُمكننا الآن أن نرى صوراً واضحة للجنين البشري. وهذا أمر رائع بالفعل! فخلال ثمانية أسابيع تُصبح البويضة المُلَقَّحة داخل رَحِم الأم طفلاً كاملاً (بحجم حبة الفول) له عينان وأذنان وأنف وفم وذراعان ويدان وساقان وقدمان، وله أيضاً بصمته الخاصة. ورغم أنه لم يكتمل تماماً إلاَّ أنه يمتلك جميع الأجزاء.

وعلى نحو مُشابه فنحن نَعْلَم اليوم أنَّ كل حقيقة هامة كشفها لنا خالقنا عن نفسه وعن خطته للبشر يمكن أن نجدها في شكل جنيني في سِفْر التكوين. لكنَّ أسفار الكتاب المقدَّس الأخرى هي التي تكشف لنا *"سِرَّ اللهِ"* (سِفْر الرؤيا 10: 7) شيئاً فشيئاً.

وحتى يومنا هذا، ما زال شخص الله وقصده غامضين للكثيرين مِنَ الناس رُغم أنه لا حاجة لمثل هذا الغُموض: *"**السِّر** الْمَكْتُوم مُنْذُ الدُّهُورِ وَمُنْذُ الأَجْيَالِ، **لكِنَّهُ الآنَ قَدْ أُظْهِرَ** لِقِدِّيسِيهِ"* (رسالة كولوسي 1: 26).

وهكذا، فالله يدعونا لكي نفهم سِرَّه، لَكِنْ يجب علينا أولاً أن نُبدي رَغبتنا في فَهمه.

قِطَع وأجزاء

يُشبه الكتاب المقدَّس – إلى حَدٍّ ما – أُحجية الصورة المُقَطَّعَة التي لا يُمكننا التعرُّف عليها إلاَّ بعد وضع جميع أجزائها في أماكنها الصحيحة. بعض الأجزاء تَتطابق مع بعضها بسهولة، في حين أنَّ بعض

الأجزاء الأخرى صعبة التركيب. لهذا يلزمنا الصبر والعزم. كذلك، لا يُمكن للحيرة أن تَنجلي ولا لخطَّة الله أن تتكشف لنا إلاَّ إذا خَصَّصنا وقتاً كافياً للتأمُّل في كلمة الله.

في وقت سابق حَظيتُ بامتياز مُراسلة أحد الصحفيِّين الموهوبين من لبنان. ومع أننا لم نلتق شخصياً إلاَّ أننا أصبحنا صديقين. وقد كتب لي في رسالته الإلكترونية الأولى:

"لا أعتقد أنه يُمكن الوصول إلى نتيجة إيجابية حاسمة بشأن الحَق المُطلق."

لكني شَجَّعته أن يضع جانباً كل أفكار سابقة لديه وأن يقرأ بنفسه الكتاب المقدَّس ويسمح له بأن يَشْهَدَ لنفسه. وهذا هو ما فعله هذا الصحفي كما تُبيِّن رسالته التالية:

"لقد قرأتُ العهد الجديد باللغة العربية وأنوي أن أبدأ بقراءة العهد القديم. **قبل اليوم، كنت أقرأ أجزاء مُتفرِّقة منه.** والآن وجدت أمامي إجابات عن أسئلة كثيرة كانت تدور في ذِهني ... ماذا جَنَيْتُ مِنْ قراءتي هذه؟ احتراماً أعمق لرسالة الكتاب المقدَّس. كذلك، فقد بدأت أنظر إلى الكتاب المُقدَّس لا كمجموعة من الواجبات الدينيَّة التي لا تُحْدِث أيَّ تغيير، بل كقُوَّة مُغيِّرة بالفعل لحياة الإنسان ... لقد اكتشفت أنه ربما توجد طريقة للتحقُّق مِمَّا هو موجود بين أيدينا."

وقد وَضَّح مؤخَّراً:

"لقد اتَّخذتُ خطوة كان ينبغي عَلَيَّ اتخاذها منذ زمن طويل. وأنا أدرك الآن أنه لا يكفي أن أقول إنني قرأت الكتاب المقدَّس، **إذ أنه كتاب ينبغي أن يُقرأ مراراً وتكراراً.** والعجيب أن الكثير من أسئلتي تلاشَت في ظِلِّ هذا الكتاب."

لقد ابتدأت رسالة الله تَتَّضِح لهذا الرَّجُل.

في هذه الرحلة سوف نُركِّب أهم أجزاء أُحجية التاريخ العظمى لتَتَّضِح أمامنا قصة الله العجيبة ورسالته.

سوف نَكتشف مكان جميع *"القِطَع والأجزاء"* أثناء *"مواظبتنا على قراءة"* أسفار الكتاب المُقدَّس بأنفسنا.

رسائل حُب

يُحكى أنَّ جُنديًّا كان يحب فتاة. ورغم أن مشاعره تجاهها كانت قوية إلاَّ أنَّ مشاعرها هي لم تكن واضحة تجاهه. بعد فترة تَمَّ إرسال الجندي إلى أرض بعيدة. ورُغم أنه واظب على مُراسلة تلك الفتاة، إلاَّ أنها لم تُرسل له أيَّة رسالة.

أخيراً، عاد الجُندي إلى وطنه. وكانت أولى محطاته هي زيارة الفتاة التي يُحِبُّها. ورُغم أنه وَجَدها في البيت وأنها بَدَت مسرورة لرؤيته، إلاَّ أن صندوقاً يَعلوه الغبار موضوعاً في زاوية الحجرة كشف عن مشاعرها الحقيقية مِنْ نَحوه. فقد كان الصندوق مليئاً برسائل لم تُفْتَح – رسائله هو.

مِنَ السَّماء إلى الأرض

إن أسفار الكتاب المقدَّس هي بمثابة مجموعة من الرسائل المبعوثة من الله لك. وفي كتاباته، يُعَرِّفُكَ خالق السَّماوات والأرض على ذاتِهِ، ويُعَبِّر لك عن محبته، ويُخبرك كيف يُمكنك أن تحيا معه بفرح ومجد في بيته الأبدي.

وإليك هذا الجزء من "رسالة" أرسلها الله إلى الأرض قبل 2700 سنة:

"أَيُّهَا الْعِطَاشُ جَمِيعًا هَلُمُّوا إِلَى الْمِيَاهِ، وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ فِضَّةٌ تَعَالَوْا اشْتَرُوا وَكُلُوا. ... لِمَاذَا تَزِنُونَ فِضَّةً لِغَيْرِ خُبْزٍ، وَتَعَبَكُمْ لِغَيْرِ شَبَعٍ؟ اسْتَمِعُوا لِي اسْتِمَاعًا وَكُلُوا الطَّيِّبَ، وَلْتَتَلَذَّذْ بِالدَّسَمِ أَنْفُسُكُمْ. أَمِيلُوا آذَانَكُمْ وَهَلُمُّوا إِلَيَّ. اسمعُوا فَتَحْيَا أَنْفُسُكُمْ. وَأَقْطَعَ لَكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا ... لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ" (سِفْر إِشَعياء 55: 1–3، 9).

مع محبتي،
خالقك

تُرى، هل فتحت رسائله التي أرسلها إليك؟ وهل قرأتها؟ وهل أجبت عليها؟

تَعالَ لنبدأ الرِّحلة.

الجُزء الثَّاني
الرِّحلة

اكتشاف اللُّغْز

8 – مَنْ هو الله؟
9– لا مَثيل له
10– خليقة خاصَّة
11– دخول الشر
12– ناموس الخطية والموت
13– الرحمة والعدالة
14– اللعنة
15– مأزق مُزدوج
16– نسل المرأة
17– مَنْ يكون هذا؟
18– خطة الله الأزلية
19 – شريعة الذبائح
20– ذبيحة عظيمة
21– دماء تُسْفَك
22– الحمل
23– حتى تُكَمَّل الكُتُب
24– قد أُكْمِل
25– موت يَهزم الموت
26– مُتدين وبعيد عن الله

8
مَنْ هُوَ الله

تبدأ **الرِّحلة** مِنْ حيث يبدأ كتاب الله – بأحد أعظم الإعلانات على مَرِّ العُصور:

"فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ" (سِفْر التكوين 1: 1).

لم تَقُم أية محاولة للبرهنة على وجود الله. فهو بُرهان ذاته.

إذا كنت تتمشَّى على شاطئ مُنعزل ثُمَّ رأيت آثار أقدام جديدة في الرِّمال، فسوف تستنتج في الحال أنك لست الوحيد هناك. فأنت تَعلم أنَّ تلك الآثار لم تَوْجَد مِنَ العَدَم. كما أنك تَعلم أنَّ الرياح والمياه ليست هي السبب في تشكيلها. فهذه الآثار هي آثار أقدام شخص ما. وأنت واثق مِنْ ذلك.

لَكِنَّ كثيرين يُجادلون بأنهم لا يَدْرون ما إذا كان هناك خالق للرِّمال التي تَكَوَّنت عليها آثار الأقدام وللشخص الذي تَرَكَ تلك الآثار وراءه. لهذا، راح أمثال هؤلاء يَبحثون عن تَبريرات لكيفيَّة وجود خَليقة بدون خالق. وقد خَرَجَ البعض بنظريات مُطَوَّلة تقول إحداها إنَّ هناك سلسلة من الأسباب التي تمتد إلى بلايين السنين الماضية. لكن عندما يَصِلون إلى ما يدعونه "البداية" فإنهم يكتشفون أنهم لم يَقتربوا ولو قليلاً من إجابة السؤال الجوهري: مَنْ أوجَدَ كل هذا؟

يقول الكتاب المقدَّس: *"إِذْ مَعْرِفَةُ الله ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ **مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ**، قُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ"* (رسالة رومية 1: 19-20).

إنَّ المَنطق هنا بسيط: فالخليقة تَقتضي وجود خالق. وكما أنَّ هذا المَنطق يَنطبق على كل ما يَصنعه الإنسان (سواء كان آثار أقدام، أو مَرْكَبات، أو أجهزة حاسوب)، فإنه يَنطبق أيضاً على الكائنات الحيَّة والخلايا والنُّجوم. فسواء لاحظنا ذلك بعيوننا المُجَرَّدة أو بالمِجْهَر أو بالتلسكوب (المنظار الفَلَكي)،

فإن النظام الدقيق والمُعَقَّد لهذا الكون يَستوجب وجود خالق وحافظ له. فكما أنَّ آثار الأقدام تَستلزم صانعاً لها، فإنَّ الكون يستلزم خالقاً له.

"اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (المَزمور 19: 1).

إذاً مَنْ هو خالق هذا الكون؟ وكيف يُمكننا أن نعرف كيف يَبدو؟ يُمكننا أن نَعرفه لأنه عَرَّفَنا بذاته.[91]

سَرْمَدِيٌّ

قرأنا في فصل سابق رسالة إلكترونية من شخص سأل بسخرية: "مَنْ خَلَقَ الله؟" والإجابة عن هذا السؤال هي: لا أحد. فالله سَرْمَدِيٌّ (أزلي أبدي). والآية *"في البدء **خَلَقَ الله** ..."* تُعَلِّمُنا أنه ليس هناك مَثيل لخالقنا.

*"مِنْ قَبْلِ أَنْ تُولَدَ الْجِبَالُ، أَوْ أَبْدَأْتَ الأَرْضَ وَالْمَسْكُونَةَ، **مُنْذُ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ أَنْتَ اللهُ**"*
(المزمور 90: 2).

ويجب أن نَعْلَمَ أنَّ الماضي والحاضر والمستقبل سِيَّانٌ عند الله. فهو *"الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، **الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي**"* (سِفْر الرؤيا 4: 8).

فهو ليس له بداية ولا نهاية. كما أنه ليس لفهمه استقصاء. لهذا، لا يُمكن لأيِّ مَخلوق أن يَعرف كل شيء عن الله. فهو *"الْعَلِيُّ الْمُرْتَفِعُ، **سَاكِنُ الأَبَدِ**"* (سِفْر إشَعياء 57: 15).

وهو لا يَتَغَيَّر: *"لَكِنَّكَ أَنْتَ **الدَّائِمُ الْخَالِدُ**، وَسِنُوكَ **لَنْ تَنْتَهِيَ**"* (المزمور102: 27) .

أعظم

الله أعظم مما نَتخيَّل أو نَفْتَكِر.

وكما أنَّ الله السَّرمديَّ لا يحاول أن *يُثْبِتَ* وجوده لأنَّ وجوده يُبرهن نفسه بنفسه، فإنه لا يُحاول أيضاً أن *يُفَسِّر* وجوده لأنَّ عقولنا المحدودة لا تَقدر أن تستوعب أي شيء خارج نِطاق الزمان والمكان والمادة.

عندما كُنت صبيَّاً يافعاً، أذْكُر أنني كنت أتطلع إلى السماء وأُفكِّر قائلاً: لو كان باستطاعتي أن أُسافر إلى فوق بعيداً جداً فسوف أصل إلى سَقْفٍ هو نهاية الكون. وهكذا، فقد حالَ السَّقف الوهمي الذي تخيَّلته دُون إدراكي لوجود فضاء غير محدود!

الفكرة هُنا هي أنَّ بعض الأمور يَستحيل فَهمها إلاَّ من خلال إيماننا بما أعلنه الخالق. فالإيمان بكلمة الله الثابتة المؤكدة هو المفتاح لأعلى مستوى من الحكمة والمعرفة.

*"وَلكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ ... **بِالإِيمَانِ نَفْهَمُ** أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ اللهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ"* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 11: 6 و 3).

يؤكِّد العلم الحديث أن *"الأشياء التي نراها بعيوننا لم تُصنَع من أشياء مرئية."* فعُلماء الفيزياء يُخبروننا أن المادة تتكوَّن من ذَرَّات مؤلَّفة من إلكترونات سالبة الشُّحنة تدور حول نواة مؤلَّفة من بروتونات ونيوترونات تتكوَّن من جُزيئات تحتوي على شُحنات كهربائية تتألَّف بدورها من ... وهلُمَّ جَرَّا. وهكذا، رغم أنَّ الإنسان اكتشف الكثير، إلاَّ أننا لا نعلم إلاَّ القليل! وكل مَنْ هو حكيم يُدرك محدودية العقل البشري.

وبالتالي، لا يُمكن للعلم أن يُثبت أو أن يَنفي أنَّ *"الكون تَشَكَّل بأمرٍ من الله."* لكن يُمكننا أن نعرف ذلك من خلال الحاسَّة السَّادسة التي أعطانا الله إيَّاها ألا وهي: ***الإيمان.***

فبالإيمان نَفْهَم أعقد الأمور وأهم أسئلة الحياة. والسَّبب في هذا واضح:

*"لأَنَّ اللهَ **أَعْظَمُ** مِنَ الإِنْسَانِ"* (سِفْر أيُّوب 33: 12).

إذاً، ما الذي أعلنه لنا هذا الخالق العظيم عن نفسه أيضاً؟

غير محدود

إنه كُلِيُّ القُدرة: *"آهِ، أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، هَا إِنَّكَ قَدْ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقُوَّتِكَ الْعَظِيمَةِ، وَبِذِرَاعِكَ الْمَمْدُودَةِ. لاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ شَيْءٌ"* (سِفْر إرميا 32: 17). هذا الخالق يَسمو على خليقته كلها. فهو أسمى مِنْ أي شيء يُمكننا أن نتخيله.

وهو كُلِيُّ المعرفة: *"أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ"* (المزمور 139: 2). هذا الخالق يَعْلَم كل شيء: الماضي والحاضر والمستقبل. وحكمته لا تزيد بمرور الوقت لأنها كاملة أصلاً. *"عَظِيمٌ هُوَ رَبُّنَا، وَعَظِيمُ الْقُوَّةِ. لِفَهْمِهِ **لاَ إِحْصَاءَ**"* (المزمور 147: 5).

وهو حاضر في كل مكان: *"أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟"* (المزمور 139: 7). لذلك، يستطيع هذا الإله غير المحدود أن يكون معك ومعي في نفس الوقت. كما أنه يستطيع أن يُكَلِّم ملائكته في السماء والبشر على الأرض في ذات اللَّحظة. فهو غير محدود!

رُوْح

إليك هذه المعلومة الأخرى المهمة عن هذا الإله غير المحدود:

*"اللهُ **رُوحٌ**"* (إنجيل يوحنَّا 4: 24).

فالله هو الروح غير المنظور واللامُتناهي والشخصي الموجود دائماً في كل مكان في الوقت نفسه. ورغم أنه لا يحتاج إلى أحد، إلاَّ أنه يمتلك الحُريَّة المُطْلَقَة والقُدرة الكاملة على أن يُظْهِر ذاته كما يشاء ولِمَنْ يَشاء. والكتاب المقدَّس يَذْكُر عِدَّة مُناسبات ظهر فيها الله لرجال ونساء بصورة خاصة ومرئية: *"وَجْهًا لِوَجْهٍ، كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ"* (سِفْر الخروج 33: 11).

والله الروح السامي يُريد أن يُعْرَف ويوثق به ويُعْبَد مِنَ الكائنات الروحيَّة التي خلقها لهذا القصد.

"... لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا" (إنجيل يوحنَّا 4: 23–24).

أبو الأرواح

مِنْ ألقاب الله *"أبو الأرواح"* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 12: 9).

قبل أن يَخلق الله الأرض،[92] خَلَقَ ملايين *الكائنات الرُّوحية* البديعة والقوية التي تُدعى *ملائكة*. وقد خلقها الله لكي تحيا معه في بيته السماوي. وكلمة *ملاك* تعني *"مُرْسَل"* أو *"خادم"*. فالله الذي قصد أن تكون له مملكة من الكائنات المُحِبَّة تُشاركه الأبدية، خلق هذه الأرواح لتعرفه، وتسجد له، وتطيعه، وتخدمه، وتستمتع بحضوره إلى الأبد.

*"وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ **مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ** ... وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ"* (سِفْر الرؤيا 5: 11).

مُنذ البدء، خلق الله الملائكة بالعَدَد الذي أراده إذ أنها لم تُخلق لتتناسَل. ومع أن هذه الملائكة السماوية تُشبه الله مِن نَوَاحٍ عَديدة، إلا أنها ليست مُساوية له بأيِّ شكل من الأشكال. فقد أعطاها الله قدراً وافراً من الحكمة. كما أنه أعطاها مشاعر، وإرادة، وقدرة على التواصل معه. وكما أنَّ الله غير مَرئيٍّ، فإنَّ الملائكة غير مرئيِّين أيضاً للبشر – إلاَّ إذا بُعثوا بمهمة تقتضي منهم أن يُصبحوا مَرئيِّين.[93]

وفي هذه المملكة المؤلفة من كائنات روحية مَخلوقة، فإنَّ الله هو وحده غير المخلوق، واللامتناهي، والكُلي القُدرة، والكُلي المعرفة، والروح الذي لا تَحُدُّه حدود.

فوق الكل

*"جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، ... رَبٌّ وَاحِدٌ، ... إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي **عَلَى الْكُلِّ** ..."* (رسالة أفَسُس 4: 4– 6).

مع أن هذا الإله الذي هو *"على الكل"* لا يَحُدُّه زمان أو مكان، إلاَّ أنه يوجد مكان حقيقي في هذا الكون حيث يسكن ويَحْكُم: *"اَلرَّبُّ فِي السَّمَاوَاتِ ثَبَّتَ كُرْسِيَّهُ، وَمَمْلَكَتُهُ عَلَى الْكُلِّ تَسُودُ" (المزمور 103: 19)*. وقد رفع الملك سُليمان الصَّلاة التالية لخالقه أثناء تأمُّله في عَظَمة الله وقُربه منه:

*"لَأَنَّهُ هَلْ يَسْكُنُ اللهُ حَقًّا عَلَى الأَرْضِ؟ هُوَذَا السَّمَاوَاتُ **وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ** لاَ تَسَعُكَ..."* (مُلوك الأوَّل 8: 27).

يتحدَّث الكتاب المقدَّس عن ثلاث *سَماوات* مُختلفة: اثنتان يُمكن للإنسان أن يراهما، والثالثة لا يُمكنه أن يراها.

فهناك *سَماء الغلاف الجوي* – السَّماء الزرقاء التي نراها فوق رؤوسنا.

وهناك *سَماء الأفلاك* – وهي الفضاء الأسود الذي وضع الله فيه النجوم والكواكب.

وهناك أيضاً *سَماء السَّماوات* – السَّماء البهيَّة حيث يَسْكُن الله. هذا البيت السماوي لخالقنا وملائكته يدعى أيضا *السَّماء العُليا، والسَّماء الثالثة، وبيت الآب، ومسكنه، والفردوس*، وأيضاً السَّماء.[94]

*"مِنَ **السَّمَاوَاتِ** نَظَرَ الرَّبُّ. رَأَى جَمِيعَ بَنِي الْبَشَرِ. مِنْ مَكَانِ **سُكْنَاهُ** تَطَلَّعَ إِلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الأَرْضِ. الْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعًا، الْمُنْتَبِهُ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ"* (المزمور 33: 13-15).

الله واحد

الآية الأولى في الكتاب المقدَّس تؤكِّد أنه يوجد إله واحد فقط: *"في البدء **خلق الله** ..."*.

كما أنَّ العهدين القديم والجديد يُعلنان: *"الرَّبُّ إِلهُنَا **رَبٌّ وَاحِدٌ**"* (سِفْر التَّثنية 6: 4)؛ *"**لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ**"* (رسالة رومية 3: 30).

أجَل، الله واحد، وليس له مُنافس، وليس له مثيل.

وهذا هو ما يُدعى بـــ *"التوحيد"* في عِلْم اللاهوت للإشارة إلى الإيمان بإله واحد. والتوحيد هو عكس *الشِّرْك* (الإيمان بآلهة مُتعددة). كما أنه يُخالِف الحُلوليَّة (الإيمان بأن الله هو كل شيء، وأنَّ كل شيء هو الله). فالمُشركون والحُلوليُّون لا يُفَرِّقون بين الخالق والمخلوق. وبسبب ذلك فإنهم يُنكرون أن الله مُختلف عن كل الخليقة.

وَحْدانيَّة جامِعَة

"في البَدْءِ ***خَلَقَ اللهُ*** *..."* هي حقيقة *أوَّليَّة* لكنها ليست حقيقة *بسيطة*. فوحدانيَّة الله اللامُتناهي هي وحدانيَّة جَامِعَة.

تأتي الكلمة العِبْريَّة المستخدمة للإشارة إلى *"الله"* بصيغة الجَمْع المُذَكَّر لاسم العَلَم *"إلوهيم"*. وتحتوي قواعد اللغة العِبْريَّة على المُفْرَد (واحد) والمُثَنَّى (اثنان) والجَمْع (ثلاثة أو أكثر). وكلمة *"إلوهيم"* هي اسم عَلَم بصيغة الجَمْع، لكنَّ معناه مُفْرَد.

وهكذا، فالله الواحد الحقيقي يتمتَّع بوحدانيَّة جامعة، وهو غير محدود في قُدرته. لهذا، تُعلن الآيات الثلاث الأولى في الكتاب المقدَّس:

> *"فِي الْبَدْءِ* ***خَلَقَ*** [فعل بصيغة المُفْرَد] ***اللهُ*** [اسم بصيغة الجَمْع] *السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ،* ***وَرُوحُ اللهِ*** *يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ.* ***وَقَالَ اللهُ:*** *لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ"* (سِفْر التَّكوين 1: 1–3).

وهكذا، فإنَّ الجُمْلَة الافتتاحية في الكتاب المُقدَّس تُخبرنا كيف أَتَمَّ الله عمل خليقته. فقد أنجزه من خلال *روحه وكلمته*.

أولاً، رُوح الله أُرْسِل من السماء لتنفيذ أوامره. وكحمامة تُرَفْرِف فوق عُشِّها، كان *"رُوحُ اللهِ يَرِفُّ"* على العالم المخلوق حديثاً. والكلمة المُستخدمة في العِبريَّة للإشارة إلى الرُّوح هي "رُواخ" وتعني *رُوْح* أو *نَسَمَة* أو *قُوَّة*. فرُوح الله هذا هو حُضور الله الواهِب للقُوَّة.

*"تُرْسِلُ **رُوحَكَ** [رُواخ] **فَتُخْلَقُ**، وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الأَرْضِ"* (المزمور 104: 30).

ثانياً، الله تَكَلَّم. في الأصحاح الأول من سِفْر التكوين، تَرِد عبارة *"وَقَالَ اللهُ ..."* عَشْر مَرَّات. وفي كُلِّ مَرَّة تكلَّم فيها الله، تَمَّ ما أَمَرَ به.

*"**بِكَلِمَةِ الرَّبِّ** صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، **وَبِنَسَمَةِ** [رُواخ] **فِيهِ** كُلُّ جُنُودِهَا"* (المزمور 33: 6).

إذاً، لقد خَلَقَ الله العالم بروحه وبكلمته.

المُتَواصِل

حيث أنَّ الله خلق كل شيء بكلمة منه فهذا يُعَلِّمُنا شيئاً آخر عنه: إنه يَتَواصَل.

فقبل الخليقة، كان هناك تَواصُل.

*"فِي الْبَدْءِ كَانَ **الْكَلِمَةُ**، **وَالْكَلِمَةُ** كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ **الْكَلِمَةُ** اللهَ. **هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ**"* (إنجيل يوحنَّا 1: 1-2).

مُصطلح *"الكلمة"* هو ترجمة للكلمة اليونانيَّة *"لوغوس"* والتي تعني: "التعبير عن الفِكْر".[95] وكلمة *لوغوس* في الكتاب المقدَّس هي إحدى ألقاب الله الخاصة. فالله وكلمته واحد. وكل الأشياء خُلِقَت بواسطة "الكلمة".

وهذا يعني أنه بمُجَرَّد أن يُفَكِّر الله في أي شيء، فإن هذا الشيء يُوْجَد في الحال، ويأخُذ مكانه، ويبدأ بالقيام بالعمل الذي خُلق للقيام به. لكنَّ الله لم يَفعل هذا، بل إنه عَبَّر عن أفكاره من خلال الكلام.

إذاً، *الكَلِمَة* أوجَدَ العالم في سِتَّة أيام. لكِنْ هل كان الله يحتاج إلى سِتَّة أيام للقيام بهذه المهمة؟

طبعاً لا، فالله السَّرمدي لا يحتاج ولا حتى إلى لحظة من الزمن لخلق أي شيء. لَكِنْ مِنْ خلال خَلْقِهِ للعالم بهذه الطريقة، فقد أنشأ أيام الأسبوع السبعة،[96] وزَوَّدنا ببعض المعرفة عن شخصه وطبيعته. وهذا مُهم لأنه لا يُمكن للإنسان أن يَثِقَ بإله مجهول ولا أن يُطيعه أو يَعبده.

والآن تعال بنا نَنْظُر ونَسْتَمِع ونَتَعَلَّم من أحداث قِصَّة الخلق التي سَرَدها لنا الخالق بنفسه.

اليوم الأوَّل: النور والوقت – الله قُدُّوس

"وَقَالَ اللهُ: لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ. وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا" (سِفْر التَّكوين 1: 3–5).

في اليوم الأول، جَلَبَ الله النور إلى مسرح الخليقة. كما أنه أسَّس الوقت، فابتدأت الأرض تدور حول نفسها دورة كاملة كل 24 ساعة: وهي الساعة الكونية التي تُنَظِّم النهار والليل. لكنَّ الله لم يخلق الشمس والقمر والنجوم إلاَّ في اليوم الرابع.

كان العلماء في الماضي يقولون إن وجود النور قبل خَلْق الشَّمس غير دقيق علمياً. لَكِنَّ الأمر لم يَعُد كذلك. فالعلماء – بِمَنْ فيهم أولئك الذين لا يؤمنون بقصَّة الخلق – يَجزمون بأنَّ النور كائن قبل وجود الشَّمس التي نَعرفها، وأنه مُستقل بذاته.[97]

من خلال خَلْق الله للنور (اليوم الأول) قبل أن يضع الأنوار في الجلد (اليوم الرابع)، كان الخالق يُظهر أنه هو نفسه مَصْدَر النور غير المخلوق – النور المادي والروحي. فبدونه، لا يوجد سِوى الظلام.

وسوف نتقابل مع مَصْدَر النور هذا بصورة مستمرة أثناء رحلتنا هذه. كما أننا سَنُتَوِّج الرحلة بنظرة خاطفة إلى الفِرْدَوس: *"وَلاَ يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ، وَلاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سِرَاجٍ أَوْ نُورِ شَمْسٍ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ سَيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ"* (سِفْر الرؤيا 22: 5).

يبقى النور لُغزاً مُحَيِّراً – حتى لأذكى العقول. فرغم أنَّ عُلماء الفيزياء يعرفون الكثير عَمَّا يفعله النور، إلاَّ أنهم لا يَعرفون سوى القليل عن ماهيَّته. فالنور – بلُغَة العِلْم – شيء مُطْلَق. إنه يَسير بسُرعة ثلاثمئة ألف كيلومتر في الثانية الواحدة. عندما اكتشف ألبرت آينشتاين أن (الطاقة = حاصِل ضَرْب الكُتلة في مُرَبَّع سُرعة الضوء)، ابتدأ عصر الذرة العظيم والمخيف. والنور لا يتأثر بالبيئة الموجود فيها بمعنى أنه حتى وإن شَعَّ على مِكَبٍّ للنفايات فإنه يبقى نقيَّاً. ولا يمكن للنور أن يتواجد مع الظلمة، بل إنه يُزيلها.

الله، الذي هو نَبْع النور، هو الحَقيقة المُطْلَقَة العُظمى. كما أنَّ جَلاله مَهيبٌ لأيِّ كائنٍ حَيٍّ غير مُستحقٍّ للتواجد في مَحضره. الله طاهِر وقُدُّوس! وكلمة *قُدُّوس* تعني "مُنفصل" أو "ليس له مَثيل". فالله ليس له مَثيل. والملائكة التي تُحيط بعرشه العَظيم في السماء تَهتف دائماً: *"قُدُّوس قُدُّوس قُدُّوس هُوَ الرَّب!"* (سِفْر إشَعياء 6: 3). والقداسة هي الصِّفة الوحيدة لله التي تَتَكَرَّر كلمتها ثلاث مَرَّات في الكتاب المقدَّس كصيغة توكيد. إنه قُدُّوس *"يَسْكُنُ فِي نُورٍ لا يُدْنَى مِنْهُ"* (رسالة تيموثاوس الأولى 6: 16).

والله لا يُمكِنه أن يَسْكُن مع الشر. فهو يَفْصِل النور عن الظلمة، ولا يُمكن إلاَّ للكائنات الطاهرة والبارَّة أنْ تَسكُن معه.

*"... إِنَّ **اللهَ نُورٌ** وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ. إِنْ قُلْنَا: إِنَّ لَنَا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ"* (رسالة يوحنَّا الأولى 1: 5–6).

وهكذا، فإنَّ اليوم الأوَّل للخَلْق يُعلن أنَّ الله **قُدُّوس**.

اليوم الثاني: الهَواء والمَاء – الله قَدير

"وَقَالَ اللهُ: لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ. فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ. وَكَانَ كَذلِكَ. وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا" (سِفْر التَّكوين 1 :6-8).

يُركِّز اليوم الثاني للخَلق على مادَّتين يَعتمد عليهما كل كائن حَيٍّ: الهواء والماء.

تُشير كلمة *"جَلَد"* في اللغة العِبريَّة إلى الفضاء الواسع المُمتد فوق رؤوسنا، والذي يوجد فيه الغلاف الجوي والغيوم، والذي نَرى من خلاله النجوم. فَكِّر في التوازن الكامل للغِلاف الجوي الذي يَتكوَّن من غازات مثل الأوكسجين، والنيتروجين، والماء، والبخار، وثاني أكسيد الكربون، والأوزون، وغيرها. فإنْ تَغيَّر هذا التركيب الفريد لأي سَبَب فسوف يموت كل مخلوق. وهذا يُرينا أن الله يَعرف تماماً ما الذي يَفعله.

فَكِّر في بلايين الأطنان من بُخار الماء المُعلَّق في الغِلاف الجوي المُحيط بالأرض. ما نوع الحِكْمَة والقُدرة اللازمتين لخلق ذلك الخليط الدقيق مِنَ الهواء والماء والحفاظ عليه – بمُجَرَّد كلمة ليس إلاَّ؟

*"**لأَنَّه قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ**"* (المزمور 33: 9).

إذاً، اليوم الثاني للخَلْق يُذكِّرنا – كما هو حال بقية أيام الخَلْق – بأن خالقنا **قَدير**.

اليوم الثالث: الأرض والنباتات – الله صَالح

"وَقَالَ اللهُ: لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ. وَكَانَ كَذلِكَ. ... وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَقَالَ اللهُ: لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ. وَكَانَ كَذلِكَ. فَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا كَجِنْسِهِ، وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزْرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ" (سِفْر التكوين 1: 9-12).

في اليوم الثالث فَصَل الله الأرض عن البحر وأوجد النباتات بكلمة منه. *"وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ."* لقد وضع الله على الأرض مِقدار المياه الصحيح. ولم تَكُن هناك حاجة لزيادة أي قطرة بعد ذلك.[98]

كما أنَّ الله خلق كل نبتة وشجرة لتعطي ثمراً أو خضروات – كُلٌّ بحسب جنسه. تُرى لماذا أوجَد الله كل هذا الطعام؟ لأنه *"كَوَّنَ الأَرْضَ ... لِكَيْ تُسْكَنَ"* (سِفْر إشَعياء 45: 18). فالأرض كوكب مُمَيَّز في منظومتنا الشمسية. فهي الكوكب الوحيد الصالح للحياة.

فَكِّر مثلاً في بعض الفوائد المنافع التي نأخذها من النباتات: الأوكسجين الحيوي لحياتنا، والخضروات المغذية، والفاكهة الشهية، والظل المنعش، والأخشاب المفيدة، والأدوية الضرورية، والزهور الجميلة الفوَّاحة، والمناظر الخلابة، وغير ذلك.

وفيما يتعلَّق بالطعام، كان بمقدور الله أن يَخلق لنا بضعة أشياء نأكلها ونعيش عليها (مثل الموز والفاصولياء والأرز). لكنَّ الله لم يفعل ذلك. فبحسب تقدير العلماء، هناك حوالي مليوني نوع من النباتات التي تُستخدم كطعام وأعلاف.

لقد أعلن الله سَبع مَرَّات في الأصحاح الأول من سِفْر التكوين أنَّ خليقته "حَسَنَة". ويُشير رقم "سبعة" في الكتاب المُقدَّس إلى الكمال. وهكذا فإن كل ما عمله الله كامل وحسن لأنه هو كامل وصالح.

*"اللهُ ... **يُعْطِينَا** كُلَّ شَيْءٍ بِغِنَى لِلتَّمَتُّعِ"* (رسالة تيموثاوس الأولى 6: 17).

إذاً، يُعَلِّمُنا اليوم الثالث أنَّ الله **صَالِح**.

اليوم الرابع: الأنوار السماوية – الله أمين

"وَقَالَ اللهُ: لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ. وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ. وَكَانَ كَذلِكَ. فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ" (سِفْر التكوين 1: 14–16).

يَكشف لنا اليوم الرابع أنَّ الله هو إله كل نِظام وترتيب. فهو *"الْجَاعِلُ الشَّمْسَ لِلإِضَاءَةِ نَهَارًا، وَفَرَائِضَ الْقَمَرِ وَالنُّجُومِ لِلإِضَاءَةِ لَيْلاً"* (سِفْر إرميا 31: 35). ففي الليل، نجد أن النجوم الموضوعة بنظام عجيب تُزَوِّد المسافرين برَّاً وبحراً بخريطة يُمكنهم الوثوق بها. وفي النهار، تقوم الشمس بتعداد الأيام والسنين. أمَّا القمر فإنه يُنَظِّم الشهور والمَدَّ والجَزْرَ في البحار.

وكما هو حال الشمس والنجوم، فإنَّ القمر يَشْهَد بصورة دائمة على اعتماده التام على خالقه. فالله يدعو القمر *"الشَّاهِدُ الأمين في السَّماءِ"* (المزمور 89: 37). ففي كل زاوية من الأرض نرى هذا الكوكب المضيء يُقابِل الأرض دائماً ولا يُدير ظهره لها.[99] وهو يتضاءل بدقة متناهية ثم يزيد بدقَّة مُتناهية أيضاً. وهكذا، فالقمر أمين لأنَّ الذي صنعه أمين.

ولأنَّ الله أمين، فهناك شيء *لا يقدر* أن يعمله. فهو لا يقدر أن يُناقض طبيعته ولا أن يتجاهل قوانينه. *"فَهُوَ يَبْقَى أَمِينًا، لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ"* (رسالة تيموثاوس الثانية 2: 13)؛ *"لاَ يُمْكِنُ أَنَّ اللهَ يَكْذِبُ"* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 6: 18). فرغم أنَّ الكثيرين يظنون أن الله عظيم جداً لدرجة أنه يقدر أن يفعل أشياءً تُناقض طبيعته أو أن يَتراجع عن كلمته، إلاَّ أنَّ هذا ليس هو التعريف الصحيح لكلمة "عظيم" فيما يتعلَّق بالله.

فالتقلُّب ليس جزءاً من طبيعة الله، بل إن الأمانة هي طبيعته. فكما أنَّ نظام الكواكب والنجوم ثابت ولا يتغيَّر، فإنَّ خالقنا وحافظنا لا يتغيَّر ولا يتبدَّل. لهذا، يُمكنك أن تثق به:

"كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ" (رسالة يعقوب 1: 17).

إذاً، اليوم الرابع للخَلْق يَشْهَد أنَّ الله **أمين**.

اليوم الخامس: الأسماك والطيور – الله حَياة

في اليوم الخامس خلق الله – بحكمته وقُدرته المُتناهيتين – كائنات من كل نوع لتعيش في البحار والسَّماء، مُزَوِّداً إياها بما تحتاج إليه لتعيش في المناخ الموجودة فيه: الأسماك في المياه بزعانفها وخياشيمها، والطيور في الهواء بريشها وعظامها الخفيفة:

"وَقَالَ اللهُ: لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ. فَخَلَقَ اللهُ التَّنَانِينَ الْعِظَامَ، وَكُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَّابَةِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ"
(سِفْر التكوين 1: 20–21).

لاحِظ هذه الكلمات: *"لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ."* كلمة *"لِتَفِضِ"* تعني *"لتزدحم وتمتلئ"*. يخبرنا عُلماء الأحياء المجهرية أن نقطة واحدة من الماء يمكن أن تحتوي على ملايين الكائنات المجهرية. كما أنهم يقولون إنَّ تركيب العديد من هذه الكائنات المجهرية مُعَقَّد مثل الحيوانات الضخمة! كذلك، فالحوت الأزرق (أكبر مخلوق مائي) يتغذى بالكامل على العوالق التي تُعتبر من أصغر النباتات والحيوانات البحرية التي تطفو على وجه البحار.

أجل، فالمحيطات هي عبارة عن مجموعة هائلة من المُعجزات الحَيَّة التي خلقها الله. ويمكننا أن نقول الشيء نفسه عن أنواع الطيور العجيبة التي تملأ السماء.

لاحظ أيضاً عبارة *"كجنسه"* أو *"كأجناسها"*. لقد تَكَرَّرت هذه العبارة عشر مَرَّات في الأصحاح الأول من سِفْر التكوين، مُعلنةً عن ثبات كل نوع أو صنف من تلك الكائنات الحية. فمُنشئ الحياة أَمَرَ أن يتكاثر كل نبات وحيوان *"كجنسه"*. لهذا فإن نظرية التطور التي وضعها الإنسان تتعارض كلياً مع قانون الطبيعة الثابت. ورغم وجود أصناف عديدة ضمن كل نوع من الكائنات الحية – بالإضافة إلى إمكانية تَغَيُّرها لتتأقلم وتتكيَّف مع بيئاتها المُختلفة – إلاَّ أنه لا يمكن لأيٍّ منها أن يتطور خارج نطاق نوعه الذي حَدَّدَه له خالقه. وهذا هو ما تؤكده الأحافير أو المُستحاثات (البقايا المُتحجِّرة للحيوانات والنباتات).

وهكذا، فإن الله هو المَصْدَر الوحيد والحافظ الوحيد لتلك الطاقة الفريدة التي تُسمى *"حياة"*. وبدونه لا يوجد أي شيء سِوى الموت.

*"كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. **فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ** ..."* (إنجيل يوحنَّا 1: 3–4).

إذاً، الكائنات الحَيَّة الوفيرة المخلوقة في اليوم الخامس تُعلِّمُنا أنَّ الله **حَياة**.

اليوم السادس: الحيوان والإنسان – الله مَحَبَّة

في بداية اليوم السادس، خلق الله عشرات الآلاف من الحيوانات اللَّبونة (الثَدْيِيَّات) والزحَّافات والحشرات.

"فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا، وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ" (سِفْر التكوين 1: 25).

لقد خلق الله الكل (البعض صغير الحجم والبعض الآخر كبيراً) مُعطياً إيَّاها المعرفة الفِطريَّة التي تحتاجها لكي تعيش وتُساهم في العالم الطبيعي فتتكاثر، وتُنجب صغاراً من نوعها، وتهتم بها.

عندما خلق الله مملكة الحيوان كان كل شيء *"حَسَن"*. فالشر وسفك الدماء لم يَكونا قد دخلا المشهد بعد. وكانت الحيوانات مخلوقات نباتيَّة. قال الله: *"وَلِكُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَّابَةٍ عَلَى الأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ، أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا"* (سِفْر التكوين 1: 30) وهذا يعني أنه لم يكن هناك بعد حيوانات تأكل بعضها بعضاً، ولم يكن هناك وجود للخوف والعدائية. فقد كان لُطْف الله منعكساً على كل شيء وفي كل شيء. لهذا، كان الأسد يَرعى قُرْب الحَمَل، والقِطَّة تستمتع برِفقة العصفور. وكان العالم يسوده السلام.

بعدما أكمل الله خلق الحيوانات، حان الوقت ليصنع تُحْفَتَه البديعة: الرَّجُل والمرأة. كانت خطة الله تَقضي بأن يُصبح البشر خليقته المُخلصة له في مملكة مَحَبَّة أبديَّة مُفْعَمَة بالمجد والفرح.

ويَجْدُر بنا أنْ نَعْلَمَ أنَّ المَحَبَّة عند خالقنا ليست مُجَرَّد شيء يفعله؛ بل إنه هو مَحَبَّة.

"اللهُ مَحَبَّة" (1 يوحنَّا 4: 8).

إذاً، أعمال الخَلْق التي قام بها الله في اليوم السادس تُعلن أنه **مَحَبَّة**.

نحن

لأنَّ الله مَحَبَّة، فقد خلق عالماً جميلاً للبشر الذين سيُصبحون موضوع مَحَبَّته. لذلك، في اليوم السادس نفسه، قال الله:

"نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا ..." (سِفْر التكوين1: 26).

مَهْلاً! مَهْلاً! ما هذا؟ هل حقاً قال الله، "نَعْمَلُ الإِنْسانَ عَلى صُوْرَتِنا"؟

إذا كان الله واحداً، فلماذا يَتحدَّث هُنا بصيغة الجَمْع: "نَعْمَلُ" و "صُورَتِنا"؟

ومَنْ هو الشخص الذي يُخاطبه الله هُنا؟

9
لا مَثيل لَهُ

"الرَّبّ إِلهَكُمْ هُوَ ... الإِلهُ الْعَظِيمُ الْجَبَّارُ الْمَهِيبُ"
– النبي مُوسى (سِفْر التَّثنية 10: 17)

تحذير: المَرحلة القادمة مِنَ الرِّحلة ستأخذ المُسافرين خارج نِطاق راحتهم. فالعقول سَتُشَدُّ والقُلوب سَتُفْحَص. على الرُّغم من ذلك، فإنَّ كل مَنْ يُكْمِل هذا الجزء يُصبح جاهزاً للتصدِّي للتحديات التي سيواجهها لاحقاً.

الله هو الله

يَشترك الغالبيَّة مِنَّا في الإيمان بأن الله أعظم مِمَّا نَظُنُّ أو نَفْتَكِر. لكننا سنختبر هنا صِدْق إيماننا هذا.

بعد أن انتهى الله من خلق مملكة الحيوان في اليوم السادس من الخليقة، قال: *"نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا"* (سِفْر التكوين 1: 26). سوف نتأمل في الفصل القادم في بعض الصِّفات التي خُلِقَ عليها الرَّجُل والمرأة ليعكسا طبيعة الله وشبهه، لكن هناك سؤال آخر يجب الإجابة عنه أوَّلاً.

بما أن الله *"واحد"*، لماذا قال: ***"نَعْمَلُ ..."***؟ لماذا لم يَقُل: ***"أَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِي كَشَبَهِي"***؟ لماذا يُشير الله إلى نفسه في بعض الأحيان بصيغة الجَمْع لا المُفْرَد؟[100]

يقول البعض إن استخدام الله لصيغة الجَمْع هو للتعظيم – مثلما يَفعل الملك الذي يتكلم عن نفسه بصيغة الجمع. ومع أن عظمة الله ومجده وقُدرته لا تُضاهى مُطلقاً، إلاَّ أن اللغة العِبْريَّة لا تُقَدِّم دليلاً قوياً على نظرية "الجَمْع التعظيمي" هذه.

ويعتقد البعض الآخر أن الله كان يتحدث مع الملائكة عندما قال: *"نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا"*. لكِنَّ الملائكة لم تَرِد في النص. كما أن الرَّجُل والمرأة لم يُخْلَقا على صورة الملائكة.

الواضح من خلال القراءة العادية للكتاب المقدس ومن خلال قواعد اللغة هو أن خالقنا اختار أن يتكلَّم عن نفسه بصيغة الجَمْع حيناً، وبصيغة المُفرد حيناً آخر.

صيغة الجَمْع: *"وَقَالَ اللهُ: **نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا**."*
صيغة المُفْرَد: *"فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ **عَلَى صُورَتِهِ**."* (سِفْر التكوين 1: 26–27).

إن إشارة الله إلى نفسه بصيغة الجَمْع والمُفرد تتلاءم مع شَخْصِهِ وطبيعته السرمديَّة.

إنَّ وَحدانيَّة الله الجامعة هي أعظم وأصعب مِنْ مفهوم البشر السطحي لكلمة "واحد". فلا يُمكن للعقل البشري المحدود أن يستوعب الله الواحد غير المَحدود. لذلك، فالله هو الله:

*"مُنْذُ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ **أَنْتَ اللهُ**"* (المزمور 90: 2).

وَحدانيَّة الله الجامعة

يبدأ كتاب الله بهذه الكلمات:

"فِي الْبَدْءِ خَلَقَ [فعل بصيغة المُفرد] ***اللهُ*** [إلوهيم – اسم مُذَكَّر بصيغة الجَمْع] *السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. ... **وَرُوحُ اللهِ** يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. **وَقَالَ اللهُ:** لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ."* [101]

الله خَلَقَ كل شيء بكلمته وروحه:

*"**بِكَلِمَةِ الرَّبِّ** صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، **وَبِنَسَمَةِ فِيهِ** كُلُّ جُنُودِهَا"* (المزمور 33: 6).

كلمته

يُقَدِّم الكتاب المقدَّس معلومات وفيرة لكل من يرغب في معرفة المزيد عن وحدانيَّة الله الجامعة. فمثلاً، يبتدئ الإنجيل بحسب البشير يوحنَّا بهذه الكلمات:

*"فِي الْبَدْءِ كَانَ **الْكَلِمَةُ**،*
*وَالْكَلِمَةُ كَانَ **عِنْدَ اللهِ**،*
*وَكَانَ الْكَلِمَةُ **اللهَ**.*
***هذَا** كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ.*
*كُلُّ شَيْءٍ **بِهِ** كَانَ ..."* (إنجيل يوحنَّا 1: 1-3).

كما ذكرنا في الفصل السابق، فإن *"الكلمة"* هو *التعبير الخارجي عن فكر الله الداخلي*. فكما أنك أنت وأفكارك وكلماتك واحد، فإن الله وكلمته واحد أيضاً. والكتاب المقدس يقول إنَّ *"الكلمة"* كان *"عِنْدَ الله"* (كانت له شخصيَّة خاصَّة ومُمَيَّزة) ويقول أيضاً إنه كان *"الله"* (واحد معه).

ويَجْدُر التنويه هُنا إلى أن *"هذا"* و *"به"* في الآية أعلاه تُشيران إلى *"الكلمة"*.

روحه

كما أنَّ الرب الإله يَصِف *"كلمته"* بطريقة مُميَّزة وشخصيَّة، فإنه يَصِف *"رُوحه"* أيضاً بطريقة مُمَيَّزة وشخصيَّة.

*"تُرْسِلُ **رُوحَكَ** فَتُخْلَقُ، وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الأَرْضِ"* (المزمور 104: 30).

*"**بِنَسْمَتِهِ جَمَّلَ** السَّمَاوَاتِ"* (سِفْر أيُّوب 26: 13).

*"أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ **رُوحِكَ**؟ وَمِنْ **وَجْهِكَ*** [وَمِنْ مَحْضَرِكَ] *أَيْنَ أَهْرُبُ؟"* (المزمور 139: 7).

*"**الرُّوحُ الْقُدُسُ** ... **يُعَلِّمُكُمْ** كُلَّ شَيْءٍ"* (إنجيل يوحنَّا 14: 26).

وهكذا، كما أنَّ ***الكلمة*** (الذي أوجد الخليقة) هو واحد مع الله، فإنَّ ***الرُّوح القُدُس*** (الذي نَفَّذ أوامِر الكلمة) هو واحد مع الله أيضاً.

الله عظيم

إن معظم الذين يؤمنون بالله الواحد لا يَعترضون على هذا المقطع من صلوات النبي داود العديدة المُدَوَّنة في الكتاب المُقدَّس: *"**قَدْ عَظُمْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُكَ وَلَيْسَ إِلهٌ غَيْرَكَ** حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ بِآذَانِنَا"* (سِفْر صموئيل الثاني 7: 22).

على الرُّغم من ذلك، فإن كثيرين من الذين يُسارعون إلى القول بأن "الله عظيم! الله أكبر! الله لا مَثيل له!" يُسارعون أيضاً إلى رفض إعلان الله عن طبيعته الوحدانية الجامعة.

لكن إن كان الله "لا مَثيل له"، فلماذا نتعجب إذا كشف القَدير عن ذاته بأنه أكبر مِمَّا نظُن أو نَفتكر؟ لهذا، فالله يَحُثُّنا على أن نُفَكِّر به بطريقة صحيحة.

"ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ!" (المزمور 50: 21).

الله واحد

يُرَدِّد اليهود التقليديون صلاة بالعِبريَّة تُعرف بـــ "اسْمَع يا إسرائيل" تقول: "شماع يسرائيل يهفي أدونينو يهفي أَحد." وهذه الصلاة مأخوذة من التوراة: *"اسمعْ* [Shema] *يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ* [YHWH] *إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ* [echad]" (سِفْر التَّثنية 6: 4).

الكلمة العِبريَّة المُستخدمة لوصف وحدانية الله هي [*echad*]، وهي تُستخدم غالباً لوصف الوِحْدَة المُتعدِّدة، مثل عنقود العنب الواحد. وفي مواضِع أخرى من الكتاب المقدَّس، تُرجمت كلمة [*echad*] بمعنى "وِحْدَة واحدة" للدلالة على القائد وجنوده.[102] في الفصل القادم سوف تظهر هذه الكلمة ثانية عندما يَتَّحِد الرَّجُل بامرأته ويصبح الاثنان [*echad*] أي "جسداً واحداً" (سِفْر التكوين 2: 24) . وإذا تأملنا كيف وَرَدَت هذه الكلمة العِبريَّة في آياتٍ أخرى، يتضح لنا أن المُصطلح الذي يستخدمه الله لوصف وحدانيته يُمكن أن يَعني وحدانية مُختلفة عن تلك المألوفة لدينا.

ويحتوي العهد القديم على عشرات الآيات التي تشير إلى وحدانية الله الجامعة هذه وتؤكدها.[103] إليك هذا المثال:

*"مُنْذُ وُجُودِهِ **أَنَا** هُنَاكَ، وَالآنَ **السَّيِّدُ الرَّبُّ** أَرْسَلَنِي **وَرُوحُهُ**"* (سِفْر إشَعياء 48: 16).

مَنْ هو "**السيِّدُ الربُّ**"؟
مَنْ هو "**روحه**"؟
مَنْ هو "**أنا**" الذي "**أرسلني**" مع روحه؟

سوف نُجيب عن هذه الأسئلة بكل وضوح أثناء رِحلتنا عَبْر الكتاب المقدَّس.

الوِحْدات المُثَلَّثَة التي نَتَّفق عليها

كلمة "وِحْدَة" مَصدرها رقم واحد. وفي حين أنَّ غالبية الناس يَرفضون عقيدة الثالوث (الله المُثَلَّث الأقانيم)، فإنَّ قليلين يتجرأون على إنكار الوِحْدات المُثَلَّثة التي تملأ حياتنا اليومية.

فعلى سبيل المثال، **الزمن** يُشَكِّل نوعاً من الوحدانية المُثَلَّثة في ماضيه وحاضره ومستقبله.

والحَيِّز يتألف من الطول والعرض والارتفاع.

والإنسان يتألف من الروح والنفس والجسد.

والرَّجُل يمكن أن يكون في الوقت نفسه أباً وابناً وزوجاً.

والشمس هي أيضاً وحدة مُثَلَّثة. فرُغم أن للأرض شمس واحدة إلاَّ أننا ندعو:
النظام الشَّمسي: الشَّمس؛
وضوءُ الشَّمس: الشَّمس؛

وحرارة الشَّمس: الشَّمس.

فهل هذا يعني أن هناك ثلاث شُموس؟ طبعاً لا. فالشمس واحدة وليست ثلاث شُموس. ولا يوجد تناقض بين كَوْن الشمس واحدة وبين وحدتها الثُّلاثيَّة. وهكذا الأمر فيما يتعلَّق بالله. فكما أن الضوء والحرارة ينبثقان من الشمس، فإنَّ "كلمة الله" و "روح الله" مصدرهما الله. لكنَّ الثلاثة واحد كما أنَّ الشمس واحدة.

ومما لا شَكَّ فيه أن كل الأمثلة البشريَّة تَعْجَزُ عن تفسير هذه الوحدانيَّة الجامعة لله الحقيقي الواحد. لَكِنْ خِلافاً للشمس، فإنَّ الله عاقلٌ ومُحِبٌّ ويُمكننا أن نَعرفه. وحيث أننا نتفق جميعنا على وجود وحدانية مُثَلَّثة في الخليقة وعلى أن الخالق أسمى وأعظم من خليقته، فيجب أن تقودنا هذه الأمثلة إلى أرض مشتركة.

"بِمِقْدَارِ مَا لِبَانِي الْبَيْتِ مِنْ كَرَامَةٍ أَكْثَرَ مِنَ الْبَيْتِ. لأَنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا، وَلكِنَّ بَانِيَ الْكُلِّ هُوَ اللهُ" (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 3: 3-4).

وإنْ كانت خليقة الله مليئة بالوحدات الجامعة، فهل نتعجب إذا كان الله نفسه وحدة جامعة؟ وإذا كنا – رُغم كل معرفتنا العلمية – عاجزون عن تقديم تفسير كامل للعالم الذي نعيش فيه، فمن البديهي أننا لن نتمكن من تفسير الإله الذي خلق هذا العالم؟ وهكذا، فالله هو الله:

*"أَإِلى عُمْقِ اللهِ تَتَّصِلُ، أَمْ إِلى نِهَايَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي؟ هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ، **فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟** أَعْمَقُ مِنَ الْهَاوِيَةِ، **فَمَاذَا تَدْرِي؟** أَطْوَلُ مِنَ الأَرْضِ طُولُهُ، وَأَعْرَضُ مِنَ الْبَحْرِ"* (سِفْر أيُّوب 11: 7-9).

وفيما نحن نَسْبُر غَوْر "أعماق الله"، سوف نَحظى بشَرَف اكتشاف واختبار إحدى أعظم صفات طبيعته الخالدة:

*"اللهُ **مَحَبَّةٌ**"* (1 يوحنَّا 4: 8).

الله، مَنْ أَحَبَّ؟

إن مَحَبَّة الله هي مشاعر عميقة تفيض من قلبه الأبوي وتُعَبِّر عن ذاتها بطرق عملية.[104] وبما أن الله مَحَبَّة، فإن محبته لا تعتمد على استحقاق الطَّرَف الآخَر لهذه المحبة.

"انْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ!" (1 يوحنَّا 3: 1).

والآن، أرجو منك أن تُفَكِّر في النقطة التالية: المحبة تتطلب مُسْتَقْبِلاً لها. فأنا لا أكتفي بالقول "أنا أُحِبُّ!"، بل أقول "أنا أُحِبُّ زوجتي!" أو "أنا أُحِبُّ أولادي!" أو "أنا أُحِبُّ جاري!". فالمحبة تتطلب شخصاً أو شيئاً يُحَبُّ.

إذاً، مَنْ كان الله يُحِبُّ قبل أن يَخلق الكائنات الحيَّة التي أصبحت موضوع مَحَبَّته؟ هل كان *بحاجة* لأن يَخلق الملائكة والبشر؟ كلا، فخالقنا *مُكْتَفٍ بذاته*، وهو لم يخلق الكائنات الروحية والبشرية لحاجته إليها، بل لأنه أراد ذلك. والفرق بين الحالتين شاسع.

كما سبق وأنْ تَعَلَّمنا فإنَّ: ***الله يتكلم***.

ولا يُمكن أن يكون للكلام معنى إلاَّ في إطار علاقة ما. لَكِنْ ***مع من كان الله يتكلم*** قبل أن يخلق الملائكة والبشر؟ هل كان بحاجة لخلق كائنات أخرى لكي يفهم أحدهم كلماته؟ كلا، فكل ما يحتاجه الله موجود في ذاته. لذلك، فهو لا يحتاج إلى شيء لأنه كامل ومُكْتَفٍ بذاته. ومع هذا فإن جزءاً من طبيعته هو أن يُخاطِب ويُخاطَب، وأن يُحِبَّ ويُحَبَّ.

وهذا يقودنا إلى حقيقة أخرى: ***الله يتواصل***.

فالكلام والمحبة لا يمكن أن يوجدا بطريقة فعالة إلاَّ من خلال التواصُل. إذاً ***مع من كان الله يتمتع بالتواصل*** قبل أن يخلق الكائنات؟ الإجابة تَكْمُن في وِحْدَة الله الجامِعَة.

مُنذ الأزل، وقبل أن يخلق الله الملائكة والبشر، كان إلهنا يتواصل تواصُلاً حَميماً قائماً على المَحَبَّة والمُحادثة مع ذاته – مع كلمته وروحه.

تقشير الطبقات

رَدَّاً على هذه الأفكار العميقة عن طبيعة الله الجامعة، كتب أحد الأشخاص رسالة إلكترونية قال فيها:

> لقد أرسل الله أنبياءً لكي يخبرنا أنه واحد أحد. فلماذا لا تُصغي إليه وتَقبل كلامه؟ لماذا تُريد أن تُقَشِّر كل طبقة وتتعرَّف إليها وحدها في حين يمكنك ببساطة أن تَعتبر كل الطبقات طبقة واحدة؟

نحن نَعْلَم أننا لن نتمكَّن يوماً مِنْ فهم كل شيء عن خالقنا الأزلي الأبدي. لكن بما أن الله قد كشف العديد من الحقائق العظيمة عن نفسه من خلال ما كتبه الأنبياء، ألا يَجْدُر بنا أن نسعى لفهم تلك الحقائق؟ فإن كان يتوجَّب علينا أن نُفَكِّر في الله، فينبغي أن نفكر فيه بطريقة صحيحة.

يُوافق الأغلبية منا أن الله واحد، لكن ما الذي أعلنه هذا الإله الواحد عن ذاته؟ وما الذي يُمكننا أن نعرفه عنه من خلال الأسفار المقدَّسة حين "نُقَشِّر كل طبقة ونفصلها عن الأخرى"؟

نحن نقف أمام إله عاقل يُمكننا معرفته والثقة فيه. وهو واحد مع كلمته وروحه. ورُغم أنَّ الله عظيم وغير مَحدود، إلاَّ أنه عَرَّف عن نفسه بأنه ***الآب***، وبأنَّ كلمته هو ***الابن***، وبأنَّ روحه هو ***الرُّوح القُدُس***. هذه هي الصِّفات الشخصية لله الواحد الحقيقي.

والآن، تعال بنا ننظر إلى بعض الآيات الكِتابيَّة التي تكشف لنا هذا الحق.

ابن الله

يُوَضِّح لنا الكتاب المقدَّس أنَّ *"الكلمة"* الذي كان عند الله في البدء يُدعى أيضا "ابن الله الوحيد".

"فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ ***عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ*** *... اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ* ***الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ*** *هُوَ خَبَّرَ ... اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسم* ***ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ***" (إنجيل يوحنَّا 1: 1، 18؛ 3: 18).

في السنغال، عندما يسمع الناس عبارة "ابن الله"، يكون رد فعلهم السريع "استغفر الله!" وهذا يعني "اذهب واستغفر ربَّك لعلَّه يُسامحك على تَفَوُّهك بكلام الكُفْر هذا!" (أحد معاني الكُفْر هو "الاستهزاء بالله"). وقد كنت – في بعض الأحيان – أرُدُّ على توبيخهم لي بواحد من أمثالهم الشعبيَّة: "قبل أن تضرب الراعي على فمه، عليك أن تعرف لماذا يُطْلِقُ هذا الصَّفير." وعندما يضحكون، كُنت أقول لهم: "قبل أن ترفضوا عبارة 'ابن الله' يجب أن تعرفوا ما الذي قاله الله عنها."

يحتوي الكتاب المقدَّس على أكثر من مئة آية تُشير إشارة مُباشرة إلى "ابن" الله. ومع هذا لا تُلَمِّح أي من تلك الآيات إلى أنه يوجد "أكثر من إله واحد" أو إلى أن "الله اتَّخَذَ زوجةً وأنجب ولداً" (كما يَحلو للبعض أن يُفَسِّر هذه العبارة). فمثل هذا الفكر ليس تجديفاً فحسب، بل إنه يكشف أيضاً عن فهمهم السَّطحي للكتاب المقدَّس.[105]

لكنَّ الله يَدعونا لأن نَفْتَكِرَ بأفكاره هو.

"لأَنَّهُ كَمَا ***عَلَتِ*** *السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا* ***عَلَتْ*** *طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ"* (سِفْر إشَعياء 55: 9).

منذ عدة سنوات، قُتِل رَجُل أعمال سنغالي معروف في حادث سيارة. نشرت صحيفة السنغال الوطنية أن الألفي موظف الذين كانوا يَعملون لدى هذا الرَّجُل كانوا "مثل أولاده"، وقد مَدَحته الصحيفة بنعته "ابن السنغال العظيم".[106] تُرى، هل كان المَعنى المقصود مِنْ تلك الكلمات هو أنَّ بلد السنغال عاشر امرأةً وأنجب منها ولداً؟ بالطبع لا! فلا مشكلة عند شعب السنغال في تكريم مواطن صالح ومَحبوب بهذا اللقب. فهم يُدركون معنى عبارة "ابن السنغال" ويعرفون ما لا تعنيه.

تُستخدم كلمة "ابن" بطرق متعددة. فعندما يشير القرآن والعرب إلى مُسافر مُتَنَقِّل بقولهم "ابن السبيل" (سورة 2: 177، 215)، فإننا نَعلم ما الذي يقصدونه بذلك. وعندما يُشير الإله القدير إلى كلمته على أنه ابنه، يجب علينا أيضا أن نَعلم ما الذي يقصده. لذلك، ليتنا لا نَسْخَر من الألقاب والكلمات التي يُعَظِّمُها إلهنا.

*"اللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، **كَلَّمَنَا** فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ **فِي ابْنِهِ**، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ **بِكَلِمَةِ** قُدْرَتِهِ ..."* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 1: 1-3).

الله يُريدنا أن نعرف بأنه *"**كَلَّمَنَا فِي ابْنِهِ**"*. كما أنه يريدنا أن نفهم بأن ابنه هو "الكَلِمَة" الذي بِهِ خَلَقَ وَحَفِظَ كل الأشياء في السماء وعلى الأرض. ويَجْدُر التنويه إلى أنَّ لقب *"كلمة الله"* مُستَخدَم في الكتاب المقدَّس وفي القرآن أيضاً للإشارة إلى المسيح. وسوف نتعمَّق في هذه النقطة في وقت لاحق من رحلتنا.

روح الله

كما أن الله واحد مع ابنه (الكَلِمَة)، فإنه واحد مع روحه (الرُّوح القُدُس). فروح الله القُدُّوس شارك في خلق العالم وفي الوحي بكلمة الله المكتوبة. كما أن الجُملة الثانية في الكتاب المقدَّس تُعلن أنه عندما خلق الله العالم، كان *"**رُوحُ اللهِ** يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ."* وبعدها نقرأ في الكتاب المقدَّس: *"لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ **الرُّوحِ الْقُدُسِ**"* (رسالة بُطرس الثانية 1: 21).

يظن البعض أن الرُّوح القُدُس هو الملاك جبرائيل. كما أن آخرين أقنعوا أنفسهم بأن روح الله هو نبي. لَكِنَّ هذه الاستنتاجات ليست قائمة على ما يقوله الكتاب المقدَّس. فالملائكة والبشر هم كائنات مخلوقة، بينما الرُّوح القُدُس غير مخلوق؛ فهو *"رُوحٌ أَزَلِيٌّ"* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 9: 14).[107]

والرُّوح القُدُس هو *"رُوحُ الحَقِّ"* (إنجيل يوحنَّا 14: 17) الذي يُجري الله من خلاله مَقَاصِدَه في العالم. وهو *"المُعَزِّي"* (إنجيل يوحنَّا 14: 16) الذي يُعلن عن الله بطريقة عميقة وشخصية لكل من يؤمن برسالة الله. ورغم أن الكثيرين يَعرفون **عن الله**، إلاَّ أنهم لا يعرفون **الله**. ومثل هذه المعرفة لا تُشبع قلب

الله ولا قلب الإنسان. فالرُّوح القُدُس هو الذي يُساعدنا كبشر على التمتُّع بعلاقة شخصية مع الله. وسوف نَتعلَّم في وقت لاحق المزيد عن روح الله القُدُّوس العجيب.[108]

كيف تبدو الرِّحلة حتى الآن؟ مُرْبِكَة؟ أنا أعْلَم أن استيعاب هذه الأفكار ليس بالأمر الهَيِّن. كما أنني أُدرك أن البعض يَزْعُمون أن دينهم هو دِيْن الحَقِّ لأنه "سَهْلٌ". صحيحٌ أنَّ تعريفهم لله قد يكون سهلاً، لكنَّ الله ليس بِسَهْل.

"لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ" (سِفْر إشَعياء 55: 8).

واحد إلى الأبد

إنَّ الكتاب المقدَّس واضح. فلم يكن هناك وقت لم يوجد فيه الآب والابن والرُّوح القُدُس. فالثلاثة واحد دائماً.[109] وفي تاريخ البشرية كُلِّه، يكشف الكتاب المقدَّس أن الآب هو الذي يتكلم من السماء، والابن هو الذي يتكلم على الأرض، والرُّوح القُدُس هو الذي يتكلم للقلب.[110] وعلى الرغم من هذا التميُّز في الوظائف، إلاَّ أنَّ الثلاثة واحد.

حين يتعرَّف الناس أكثر فأكثر على ما أعلنه الله عن نفسه، سوف تكون هذه هي بداية تَمَتُّعهم بغنى هذا الإله الواحد الذي هو مَحَبَّة، والذي يُظْهِر مَحَبَّته اللامُتناهية بطرق عملية.

لا يمكن للمحبة أن توجد بطريقة فعالة إلاَّ في إطار علاقة ما. وقد كان الآب والابن والرُّوح القُدُس يتمتَّعون دوماً بعلاقة مُتبادلة مِنَ الوِحْدَة والمَحَبَّة الكاملتين. ففي مَواضِع مُتفرِّقة من الكتاب المقدَّس، نسمع الابن يقول: *"أنا **أُحِبُّ** الآب"* وأيضا *"الآبُ **يُحِبُّ** الابْنَ"*. كما يُعلن لنا الكتاب المُقدَّس أن *"ثَمَرَ الرُّوحِ* هو ***مَحَبَّة**"* (إنجيل يوحنَّا 5: 20؛ 14: 31؛ رسالة غلاطيَّة 5: 22).

إن أفضل العلاقات البشرية – مثل الوِحْدَة بين الرَّجُل وزوجته، أو الرِّباط بين الأب والأم والطفل – تَنْبُع من نفس طبيعة الله. وهذه العلاقات البشريَّة – في أفضل حالاتها – ما هي إلاَّ انعكاس ضئيل لوحدة الله ومحبته المَهيبتين. فخالقنا هو النَّبْع الحقيقي والنموذج الكامل والقَصْد السَّامي لكل ما هو صالح.

*"اللهُ **مَحَبَّة**"* (1 يوحنَّا 4: 8).

وأروع جزء في أن *"الله مَحَبَّة"* هو أنه يدعونا أنا وأنت للتَمَتُّع بشركة حَميمة معه إلى الأبد! وهو يريدنا أن نثق به بكل بساطة رغم عدم فهمنا الكامل له.

الله جدير بالثقة

ارجع بفكرك إلى تأمُّلاتنا عن الله من خلال أيام الخلق الستة. إذا وضعنا ذلك بصيغة مُعادلة حسابية فسوف تبدو المُعادلة هكذا:

اليوم الأول : الله قُدُّوس
+ اليوم الثاني : الله قدير
+ اليوم الثالث : الله صالح
+ اليوم الرابع : الله أمين
+ اليوم الخامس : الله حياة
+ اليوم السادس : الله مَحَبَّة
= الله جدير بالثقة

أليس من الغريب حقاً أننا نُسارع إلى وضع ثقتنا في أشخاص يَفتقرون إلى هذه الصفات، في حين أننا نتردَّد كثيراً في وضع ثقتنا في الله الواحد الذي يَجْمَع كل هذه الصفات في شَخْصِه؟

عندما أضع رسالة في صندوق البريد، فإنني أثق أن خدمة البريد ستقوم بتوصيل هذه الرسالة. إذاً، كم بالحري يجب عَلَيَّ أن أثق بأن خالق ومالك وحافظ هذا الكون يَفي بوعوده!

*"إِنْ كُنَّا نَقْبَلُ شَهَادَةَ النَّاس، **فَشَهَادَةُ اللهِ أَعْظَمُ** ... مَنْ لاَ يُصَدِّقُ اللهَ، فَقَدْ جَعَلَهُ كَاذِبًا، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا اللهُ عَنِ ابْنِهِ"* (رسالة يوحنَّا الأولى 5: 9-10).

اسم الله الشخصي

الله يُريدنا أن نعرفه، وأن نثق به، وأن ندعوه باسمه.

*"**وَيَتَّكِلُ عَلَيْكَ الْعَارِفُونَ اسمكَ**، لأَنَّكَ لَمْ تَتْرُكْ طَالِبِيكَ يَا رَبُّ"* (المزمور 9: 10).

يعتقد الكثيرون أن اسم الله هو ببساطة *"الله"* بالعربيَّة،[111] أو *"إلوهيم"* بالعِبريَّة، أو *"God"* بالإنجليزية، أو *"ألاها"* بالأرامية، أو *"ديو"* بالفرنسية، أو *"ديوس"* بالإسبانية، أو *"جوت"* بالألمانية، أو أي كلمة أخرى مُستخدمة في لغتهم.

وبالفعل الله هو الله "الكائن الأسمى"؛ لكن هل اسمه "الله" حقاً؟ ألا يُشْبِه هذا قولي بأن اسمي هو "بشر"؟ أنا بشر، لكن هناك اسم شخصي لي. الله هو الله، لكن هناك أسماء لله يُظْهِر من خلالها شَخْصَه ويدعونا من خلالها إلى مُخاطبته بصورة شخصية.

كثيرون يتخيلون أن الله هو مَصْدَر مَجهول من الطاقة مثل الجاذبية، أو الريح، أو تلك القوة الخارقة التي تُحاول أفلام الخيال العِلميِّ تجسيدها. لَكِنَّ المفهوم الكتابي عن الله مُختلف تمام الاختلاف. فالله هو الكيان الأسمى الذي يريدك أن تعرفه مَعرفة شخصية.

إنَّ فكرة أنَّ الله شخص هي فكرة كِتابيَّة ومنطقية في الوقت نفسه. فكما أن البشر ليسوا كُتَلاً من الطاقة الكَوْنيَّة، فإنَّ الله الذي خَلَقَ كل شيء ليس كذلك أيضاً. فهو كائن شخصي له اسم. وقد أعلن الله عن اسمه الرئيسي في الأصحاح الثاني من سِفْر التكوين:

*"هذِهِ مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ، يَوْمَ عَمِلَ **الرَّبُّ الإِلهُ** الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ"* (سِفْر التكوين 2: 4).

هل لاحظت الاسم الذي يُشير به الله إلى ذاته؟ إنَّ اسمه هو "الرب"، أو هكذا تُرجِمت الكلمة إلى اللغة العَربيَّة. ومِنَ الرائع أن نَعرف أنَّ الله يَعرف كل اللغات وأنه لا يُطالبنا بأن نُخاطبه بلغة مُعَيَّنة. فهو يدعونا إلى مُخاطبته بلغتنا الأم، وفي أي زمان، وفي أي مكان، وفي أي اتِّجاه، وبلغة قلوبنا.

أنا هو

يتألف الاسم الشخصي لله في اللغة العِبريَّة من أربعة حروف ساكنة **"YHWH"**. وعندما نضع الحَرَكَات على الحروف، يُلفظ: *"YaHWeH"* (يَهْوَه). وهذا الاسم مُشْتَقٌّ من الفعل العِبْرِيِّ "يكون" ويعني ***"أنا كائن"*** أو ***"هو كائن"***. وهذا يُعَلِّمنا أن الله هو الكائن بذاته منذ الأزل. وقد وَرَد هذا الاسم الشخصي لله أكثر من 6500 مَرَّة في العهد القديم، أي أكثر من أي اسم آخر لله.

اسمع ما أعلنه الله عندما سأله مُوسى عن اسمه (كان موسى قد نشأ في مصر التي كانت تؤمن بتعدُّد الآلهة):

*"فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ. وَقَالَ: هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: **أَهْيَهْ** أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ"* (سِفْر الخُروج 3: 14).

الله هو الوحيد الذي يقدر أن يقول "أنا كائن". فهو يريدنا أن نفهم بأنه الأسمى. فهو الكائن دائماً لأنَّ الماضي والحاضر والمستقبل لا شيء أمامه. فوجوده يسمو على الوقت والزمن. كما أنه مُكْتَفٍ بذاته. فرغم أننا نحتاج إلى الهواء والماء والطعام والنوم والمأوى وعناصر أخرى عديدة لكي نحيا، فإن الله لا يحتاج لأي شيء. فهو الكائن الذي يوجد بذاته ويُفَكِّر من تلقاء ذاته. إنه "الكائن" العظيم – الرَّب.

وهكذا، لم يترك الله للإنسان حُرِيَّة تعريفه وتَسميته؛ فهو الله المُعَرِّف عن نفسه بنفسه.

مئات الأسماء

من خلال وجوده الأزلي كالآب والابن والرُّوح القُدُس، هناك مئات الألقاب والأسماء للرب. ويجب أن نَعْلَم أنَّ أسماء الله تعكس طبيعته، وأن كل لقب من ألقابه يُساعدنا أكثر فأكثر على فهمه. فعلى سبيل المثال، الله يُدعى:

خالق السَّماوات والأرض، واهِب الحياة، العَليّ القَدير، النور الحقيقي، القُدُّوس، الدَّيَّان العادِل، الله الذي يُدَبِّر، الرب الشافي، الرب برِّنا، الرب سَلامنا، الرب راعِيَّ، إله المحبة والسلام، إله كل نعمة، مانح الخلاص الأبدي، الله القريب منا....

ومهما كان مفهومنا الحالي عن خالقنا، يجب على كل واحد مِنَّا أن يَعترف بتواضع أن الله هو الله ***وليس مثله آخر***. ورُغم أننا لن نتمكن من فهمه أو إدراكه بالتمام، إلاَّ أنه يُريدنا أن نعرف اسمه، وأن نثق به، وأن نُحِبَّه، وأن نَحيا معه إلى الأبد. لهذا قال الله في اليوم السادس للخَلْق:

"نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" (سِفْر التكوين 1: 26).

لَكِنْ ما الذي قصده الله بقوله هذا؟ وكيف يُمكن للإنسان المَنْظور (المَرئي) أن يَعْكِسَ صورة الله غير المَنْظور (غير المرئي)؟

10
خَليقَة خَاصَّة

تأملنا في فصل سابق في واحدٍ من أعظم الإعلانات على مَرِّ التاريخ: *"فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ"* (سِفْر التكوين 1: 1). والآن، إليك هذا الإعلان الآخر:

"فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ" (سِفْر التكوين 1: 27).

لقد خَلَقَ الله البشر ليكونوا تاج خليقته.

على صُورة الله

*"وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى **صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا**، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ. **فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ**"* (سِفْر التكوين 1: 26-27).

إنْ كان الله قد خلق الإنسان ***"على صورته"*** فهذا لا يعني مُطلقاً أن البشر الأوَّلين كانوا كالله تماماً. فالله ليس له نَظير.

إنَّ الآية التي تقول إنَّ الله خلق الإنسان ***"على صُوْرَتِهِ"*** تعني أن البشر سيُشابهون الله في طبيعته. فالإنسان مخلوق ليعكس طبيعة الله. وقد أعطى الله الرَّجُل والمرأة الأوَّلين صفات تمكنهما من التمتع بعلاقة وثيقة معه.

علاوة على ذلك، فقد أرغد الله على البشر بالعقل وأعطاهم القدرة على طرح الأسئلة، والتفكير باتزان، واستيعاب الحقائق العميقة عن خالقهم. كما أنه وهبهم عاطفة لكي يختبروا مشاعر الفرح والرأفة

وغيرها. وقد أعطاهم الله أيضاً الإرادة التي تتضمن حُريَّة اتخاذ القرارات، وتَحَمُّل المسؤولية عن العواقب الأبدية المُترتِّبة عن هذه القرارات.

إضافة إلى هذا، فقد منحهم الله القدرة على التواصُل: التكلم، واستخدام الإشارات، والغناء. كما أنه أعطاهم القدرة على وضع الخطط طويلة الأمد وتطبيقها بطُرُق مُبدِعَة. والأهم من هذا كله هو أنه ائتمنهم على نفوسهم وأرواحهم الأبدية لكي يَعبدوه ويتمتعوا بحضوره إلى الأبد. وهذه القُدرات والصِّفات هي التي مَيَّزَت البشر عن سائر مملكة الحيوان.

لقد خلق الله البشر لنفسه. فالله الذي هو *"مَحَبَّة"* (رسالة يوحنَّا الأولى 4: 8) لم يخلق الرَّجُل والمرأة لأنه كان بحاجة لهما، بل لأنه أراد أن يخلقهما لكي يَستقبل البشر محبته ويعكسوها.

الجسم البشري

يُقدِّم الأصحاح الأول من سِفْر التكوين تاريخاً موجزاً عن خلق الله للعالم. لكنَّ الأصحاح الثاني يُقَدِّم المزيد من التفاصيل، ولا سيَّما فيما يتعلَّق بخلق الإنسان.

"وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" (سِفْر التكوين 2: 7).

رُغم أنَّ الربَّ خلق السماوات والأرض من لا شيء، إلاَّ أنه اختار أن يخلق أوَّل إنسان من *التراب*. ويؤكِّد علماء البيولوجيا المعاصرون هذه الحقيقة بقولهم: "من جهة، يكاد جسم الإنسان يبدو غير مُتميِّز؛ فالعناصر العشرون العادية التي يتألَّف منها موجودة كلها في تُراب الأرض."[112]

ومع أن جسم الإنسان مُكوَّن من هذه العناصر الوضيعة، إلاَّ أنه تُحفة مُعجزيَّة مؤلَّفة من حوالي خمسة وسبعين ترليون (75000,000,000,000) خلية حيَّة تقوم كل منها بدور خاص.

الخلية هي الوحدة الأساسية للحياة. والخلية صغيرة جداً لدرجة أننا لا نقدر أن نراها إلاَّ بواسطة مجهر قوي. على الرغم من ذلك، فإن هذه الخلية مليئة بملايين الأجزاء العاملة. وتحتوي كل خلية على

سلسلة مجهرية مُتَكَتِّلَة من الجينات الوراثية – التي يبلغ طولها متران – والتي تُحَدِّد الصِّفات الرئيسية لكل شخص.

قال عملاق الحاسوب الشهير "بيل غيتس": "الجينات الوراثية البشرية تشبه برنامج الحاسوب، لكنها مُتقدِّمة جداً جداً عن أي برنامج حاسوب صنعه الإنسان."[113] وهناك على الأقل مئتي نوع مختلف من الخلايا في الجسم البشري؛ بعضها يُنتج سوائل مثل الدم، وبعضها يُنتج أنسجة لَيِّنة وأعضاء، وبعضها يَتَّحِد معاً لتكوين العظم القاسي. كما أن بعض الخلايا تَرْبط أجزاء الجسم بعضها ببعض، والبعض الآخر يُنَظِّم وظائف الجسم مثل الجهاز الهضمي والتناسلي.[114]

فكِر في تركيب جسمك وأجزائه العاملة. تأمَّل في الهيكل العظمي الذي يحتوي على 206 عِظام مُغَلَّفَة بالأربطة والأوتار والعضلات والجلد والشعر؛ أو في الدورة الدموية وما تحتوي عليه من شرايين وأوردة ودم، والتي تنقل عناصر الحياة نفسها. وهناك الأمعاء، والمعدة، والكليتان، والكبد. وهناك أيضاً الجهاز العصبي المليء بالأعصاب الدقيقة المُتَّصلة بدماغك. ولا تَنْسَ المضخة الأمينة التي تُدعى "القلب"، أو العينين، والأذنين، والأنف، والفم، واللسان، وكل الأعضاء التي وهبك الله إياها. وهناك الأوتار الصوتية، والأسنان، وحاسَّة الذوق! وماذا عن القدمين واليدين؟ إنها نافعة أيضاً! وهل شكرت الله على الإبهامين؟ حاول أن تستخدم مكنسة أو مطرقة بدونهما! وهُناك الأظافر وغيرها الكثير. لهذا، لا عَجَب في ما كتبه النبي داود:

"أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَبًا. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذلِكَ يَقِينًا"
(المزمور 139: 14).

النَّفْس والرُّوح

رغم روعة الجسم البشري، إلاَّ أنه ليس الشيء الذي يجعل البشر مُمَيَّزين. فالحيوانات والطيور والأسماك لها أجسام مُمَيَّزة أيضاً. لَكِنَّ تَفَرُّد الإنسان يَكْمُن في *نَفْسِهِ البشرية ورُوحه الأبدية*. فالنَّفس والروح هُما اللذان مَيَّزا آدم وحوَّاء كمخلوقات خاصة مخلوقة *"عَلَى صُوْرَةِ الله"*.

لهذا، بعد أن انتهى الله من تكوين جسد الرَّجُل من التراب، *"نَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً"* (سِفْر التكوين 2: 7). فالجسد الذي عمله الله لآدم كان مجرد الهيكل أو الخيمة التي وضع فيها الله روح آدم الخالدة ونفسه.

لقد أعطى الله جسداً للإنسان لكي يشعر بالعالم المُحيط به، ونفساً لكي يَعي ذاته الداخلية، وروحاً لكي يُدرك وجود الله.

الجسد، وَجَبَ أن تحكمه النفس؛
والنفس، وَجَبَ أن تحكمها الروح؛
والروح، وَجَبَ أن يحكمها الله نفسه.[115]

*"**اللهُ رُوحٌ.** وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ **فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ** يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا"* (إنجيل يوحنَّا 4: 24).

مخلوق لقصد

لقد قام الخالِق المُبْدِع بخلق الإنسان ككيان واحد مُثَلَّث، رابطاً *"الرُّوح والنَّفس والجَسَد"* معاً (رسالة تسالونيكي الأولى 5: 23)، ومُعطياً إيَّاه القدرة على التمتع بصداقة حَميمة مع خالقه. لقد أعطى الله الحياة للإنسان فأصبح الإنسان هو صاحب الامتياز العظيم في أن يَحيا لِمَسَرَّة خالقه وتسبيحه.

*"**بِكُلِّ مَنْ دُعِيَ بِاسْمِي وَلِمَجْدِي خَلَقْتُهُ وَجَبَلْتُهُ وَصَنَعْتُهُ** ... هَذَا الشَّعْبُ جَبَلْتُهُ لِنَفْسِي. يُحَدِّثُ **بِتَسْبِيحِي**"* (سِفْر إشَعياء 43: 7، 21).

إذاً، الله خَلَقَ البشر لكي يُمَجِّدوه.

وهكذا، فقد خُلِقَت الأرض من أجل البشر، لَكِنَّ البشر خُلِقوا لله. فقد كان قصد الله هو أن يَعرف البشر الأوائل خالقهم، وأن يتمتعوا بحضوره، وأن يُحبوه إلى الأبد. وهذا هو أيضاً قصده لي ولك.

*"**وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ** مِنْ كُلِّ **قَلْبِكَ**، وَمِنْ كُلِّ **نَفْسِكَ**، وَمِنْ كُلِّ **فِكْرِكَ**"* (إنجيل مَرْقُس 12: 30).

بيئة مِثاليَّة

بعد أن قام الله بخلق آدم، غَرَسَ حديقة رائعة جداً ألا وهي "جَنَّة عَدْن".

"وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ" (سِفْر التكوين 2: 8-10).

كانت عَدْن (الموجودة على الأرجح في ما يُعْرَف اليوم بالعراق)[116] جَنَّة فَسيحة مليئة بالمناظر الخلاَّبة والروائح الطَيِّبة والأصوات الجميلة. وكانت تلك الجَنَّة تُرْوَى بنهر بديعٍ تصطف على ضِفافه أشجار الفاكهة الشهية. كانت هناك أنواع كثيرة من الفاكهة للأكل، وزهور طَيِّبَة الرائحة للشَّمِّ، وأشجار باسقة ومروج خضراء للرَّعي، وحيوانات وطيور وحشرات لدراستها والتعرف إليها، وغابات غامضة للاستكشاف، وذهب وأحجار كريمة للاكتشاف. بعبارة أخرى، فقد أعطى الله آدم *"كُلّ شَيْءٍ بِغِنَى لِلتَّمَتُّعِ"* (رسالة تيموثاوس الأولى 6: 17).

وغرس الله أيضاً شجرتين مُمَيَّزتين في وسط الجَنَّة: شجرة الحياة، وشجرة معرفة الخير والشر.

كلمة عَدْن تعني *"مَسَرَّة"*. وقد خلق الله هذا المكان البديع لمَسَرَّة الإنسان. لَكِنَّ أعظم مَسَرَّة للإنسان هي أن يَتمتع بالشَّرِكَة مع خالقه. فلا شيء يُضاهي مُتعة معرفة الله شخصياً والشركة معه: *"**أَمَامَكَ** شِبَعُ سُرُورٍ. **فِي يَمِينِكَ** نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ"* (المزمور16: 11).

مهمَّة مُرضِية

عندما أصبحت الجَنَّة جاهزة، وضع الربُّ الإنسانَ فيها. لم يسأل الله آدم إنْ كان يريد أن يعيش هناك. فالله هو خالق الإنسان؛ وبالتالي فهو مالكه. والرب يَعْلَم ما هو لخير الإنسان، وهو غير مُلْزَم بتفسير أفعاله لأي شخص.

"وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا" (سِفْر التكوين 2: 15).

أعطى الله آدم مسئوليتين في بيته الجديد:

الأولى هي أن *"يَعْمَلَ"* الجَنَّة (يَفْلَحَها) لكن دون عَرَق أو تَعَب أو مَشَقَّة. وبما أن كل شيء كان حسناً، فقد كانت مهمته مُمتعة جداً. فلم يكن هناك شَوْك ينبغي حَرقه، ولا أعشاب ضارَّة ينبغي قلعها.

الثانية هي أن *"يَحْفَظَها"* (يَحْرُسَها). تُرى هل كانت هذه الكلمة تُلَمِّح إلى وجود عُنصر خطر في الكون؟ سوف نُجيب عن هذا السؤال بعد قليل.

وَصيَّة واحدة بَسيطة

بما أنَّ الإنسان شخص وليس دُمْيَة، فقد أوصاه الله أن يفعل شيئاً واحداً فقط:

*"وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ **تَأْكُلُ أَكْلاً**، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ **فَلاَ تَأْكُلْ** مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ"* (سِفْر التكوين 2: 16-17).

أعطى الله هذه الوصيَّة لآدم قبل أن يَخلق المرأة. فقد عَيَّن الله آدم ليكون رئيساً للجنس البشري وجعله مسؤولاً عن إطاعة هذه الوصيَّة المُنفردة.

المرأة الأولى

بعد ذلك، خلق الله المرأة. ويا لها مِنْ مَخلوقة مُمَيَّزة!

"وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ. ... فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ. لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ" (سِفْر التكوين 2: 18؛ 21–25).

وهكذا، كان الله هو أوَّل مَنْ أجرى أوَّل عملية جراحية حين استأصل ضلعاً مِنْ آدم وعمل من هذه الضِّلْع زوجة جميلة قَدَّمها بنفسه لآدم.

كم فرح آدم بهذا الشريك *"المُعين"* المُحب الجميل الذي وهبه الله إيَّاه! كتب أستاذ اللاهوت السابق "هنري مَتَّى" يقول: "خُلِقَت المرأة لا من رأس الرَّجُل لترأسه، ولا من قدميه ليدوس عليها؛ بل من جنبه لتكون مُساوية له، ومن تحت ذراعه ليحميها، وبالقُرب من قلبه ليُحبها."[117]

وكما هو حال الرَّجُل، فقد خُلِقَت المرأة على صورة الله وشبهه – خُلِقَت لتعكس صفات الله ولتتمتع بوحدة روحيَّة معه إلى الأبد. ورغم أن الله وضع قواعد مُحَدَّدة وأدواراً مُتميِّزة لكل من الرجل والمرأة، إلاَّ أنه أعلن بأنهما متساويان في القيمة والأهمية.

لكن في وقتنا الحاضر، وخلافاً لقصد الله، فإن العديد من المجتمعات تُعامل نساءها كقطعة أثاث. وقد شاهَدْتُ أناساً يَهتفون ويرقصون عندما يُرزقون بولد، لكنهم يَحزنون ويكتئبون حين يُرزقون بفتاة. كما أنَّ بعض الرجال يَهتمون بماشيتهم أكثر من اهتمامهم بزوجاتهم. لَكِنَّ بعض المجتمعات تَطَرَّفت في الاتجاه المُعاكس فلم تَعُد تُمَيِّز بين واجبات ومسئوليات الرَّجُل والمرأة التي عَيَّنَها الله لكل منهما. لهذا فإنَّ هذين التطرُّفين كِلَيْهِما يَحُطَّان من قيمة المرأة.

أوَّل زواج

لاحِظ مَنْ الذي قام بمراسيم أوَّل زواج.

إنَّهُ الربُّ. فالكتاب المقدَّس يقول: *"وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ"*. فمنذ البدء، كان الخالق متدخلاً بصورة مُباشرة في حياة البشر الذين خلقهم لنفسه. وهو نفسه أعلن: *"لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا **وَاحِدًا**."* والكلمة العِبْريَّة المُتَرْجَمَة "واحداً" تعنى الوِحْدَة والاتحاد. فقد جَمَعَ الله أوَّل زوجين في تاريخ البشريَّة لكي يتمتَّع أحدهما بالآخر، ولكي يخدم أحدهما الآخر، ولكي يتمتَّعا أيضاً بحضور الله ويخدمانه إلى الأبد في انسجام تام. وهكذا، فقد أراد الله من الرجل والمرأة أن يَجعلا خالقهما وحافظهما مِحْوَر حياتهما – مُنفردين ومُجتمعين.

لكن للأسف الشديد أنَّ الناس في وقتنا الحاضر يُهملون أُسُس الزواج التي وضعها الله، ولا يدركون جمال وروعة العلاقة بين الرجل الواحد والمرأة الواحدة مع مرور السنين. ونتيجة لذلك، فإنهم يُخفقون في أن يعكسوا علاقة المحبة والأمانة والتضحية التي قصد الله أن تكون قائمة بين الرجل وزوجته.

إن قيام الخالق نفسه بتأسيس الزواج بين الرجل والمرأة يَعْكِس قلب الله المُحب. فقصد الله هو أن يكون رباط الزواج نموذجاً حَيَّاً للعلاقة الروحية الأقرب والأروع التي يدعو مِنْ خلالها البشر لأن يَحيوها معه الآن وإلى أبد الآبدين.

هل لاحظت كيف قام "مُنشئ الزواج" بتعريف الزواج؟ *"لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ **وَيَلْتَصِقُ** بِامْرَأَتِهِ **وَيَكُونَانِ** جَسَدًا **وَاحِدًا**"* ويضيف الكتاب المُقدَّس: *"وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا **لاَ يَخْجَلاَنِ**"*.

إنَّ قَصْد الله مِنَ الزواج هو أن يتحد الرَّجُل والمرأة في الهدف وفي الجسد دون خجل. والقصد الأسمى لله هو أن يتمتع البشر بوحدة روحية معه إلى الأبد دون خَجَل أيضاً.

إعطاء السُّلطة للجنس البشري

بعد أن أحضر الله المرأة للرجل، كَلَّمَهُمَا بطريقة مباشرة وشخصية. ويبدو أن الله كان يظهر لهما بهيئة مَرْئيَّة، إذ يقول الكتاب المقدَّس إنَّ الربّ الإلهَ كانَ *"**مَاشِيًا** فِي **الْجَنَّةِ**"* (سِفْر التكوين 3: 8).

والآن، حاوِل أن تتخيل الرب وهو يقود الرَّجُل وزوجته إلى جبلٍ عالٍ يُمكنهما من فوقه أن يَنْظُرا الخليقة الرائعة التي خلقها خالقهما.

*"وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: **أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا** عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ. وَقَالَ اللهُ: إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْلٍ يُبْزِرُ بِزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا"* (سِفْر التكوين 1: 28–29).

أعطى الله آدم وحوَّاء[118] وسلالتهما سُلطاناً على باقي خليقته. كما أنه أعطاهما الامتياز والمسؤولية في أن يكونا أوَّل زوجين يُنجبان نسلاً بشرياً. والسُّلطان يعني "السِّيادة" و "السيطرة". كان على آدم وحواء ونسلهما أن يعتنوا بالأرض، ويتمتعوا بها، ويتسلَّطوا عليها بحكمة. بعبارة أخرى، كان ينبغي عليهم أن يستخدموها دون إفسادها.

لقد خَلَق الخالق الخليقة لتكون منسجمة مع الجنس البشري. ففي البدء، كانت الأرض تتناسب مع حاجات الإنسان ورغباته. فآدم وحواء لم يُكَلِّفا نفسيهما يوماً عناء التفكير في مَصْدَر وجبة الطعام التالية. فكل ما كان ينبغي عليهما فعله هو أن يقطفا الفاكهة اللذيذة من أيٍّ من الأشجار المُثمرة العديدة. فلم تكن هناك أرض صلبة، ولا أشواك، ولا أعشاب ضارَّة، ولا مَرَض، ولا موت. بل كان كل جُزءٍ في الخليقة تحت تَصَرُّف آدم وحوَّاء. أجل، لقد كان الإنسان مُتَسَلِّطاً على الخليقة. وكانت الخليقة خاضعة للإنسان طالما أنَّ الإنسان خاضع لخالقه.

الله والإنسان معاً

كان قصد الله منذ البدء هو أن يحيا الإنسان في شَرِكة حَميمة وحلوة معه. لهذا، فقد أعطى آدم وحوَّاء عقلاً (فهماً) وقلباً (عاطفة) لكي يفهماه ويُحباه. كما أنه أعطاهما حُرية *الاختيار* (الإرادة) التي يُمكنهما من خلالها أن يُقَرِّرا ما إذا كانا سيثقان به ويُطيعانه أَمْ لا. وكان عنصر الاختيار ضرورياً جداً لأن المحبة والولاء لا يُمكن أن يُفْرَضا بالقوة. وقد جعل الرب السيد آدم وحوَّاء مسؤولان عن خياراتهما.

ويجب توضيح نقطة مهمة هنا: رغم أنَّ خالق هذا الكون ومالكه لا يحتاج شيئاً ولا أحداً، إلاَّ أنه يُحِبُّ أن يكون في علاقة حميمة معنا.

وكما أننا نرغب في أن نكون معروفين ومحبوبين، فإن الله يريد للبشر الذين خلقهم لنفسه أن يَعرفوه ويُحبوه. وإن كان الله يرغب في التمتُّع بصداقة حميمة مع الذين خلقهم *"على صورته"*، فهذا جزء من طبيعته الخالدة.

أسمع البعض يقول: "ما أنا إلاَّ عَبْدٌ لله!" ولا شك أنه شرف عظيم أن نخدم الله كما يخدم العبد المُطيع سيِّده، لَكِنَّ الكتاب المُقدَّس واضح: فخطة الله لا تقضي بأن يكون الإنسان *"عَبْدًا بَلْ **ابْنًا**"* (رسالة غلاطيَّة 4: 7). *"**وَالْعَبْدُ** لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ، أَمَّا **الابْنُ** فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ"* (إنجيل يوحنَّا 8: 35). وقد عَبَّر الله عن شوق قلبه حين تحدَّث – بطريقة نفهمها – عن خطته لكل من يضع ثقته فيه:

*"**وَأَكُونَ لَكُمْ أَبًا**، وَأَنْتُمْ **تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ**، يَقُولُ الرَّبُّ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ"*
(2 كورنثوس 6: 18).

علاوة على ذلك، لا يتوقف الله عند تشبيه محبته لنا بمحبة الوالدين لأطفالهم. بل إنه يأخذ التشبيه إلى مستوى آخر مُقارناً عُمق رباط مَحبَّته للبشر بمحبَّة رَجُل لحبيبته العروس:

*"وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَنَّكِ تَدْعِينَنِي: **رَجُلِي**، وَلاَ تَدْعِينَنِي بَعْدُ بَعْلِي ...*
***وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي إِلَى الأَبَدِ**. وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالإِحْسَانِ وَالْمَرَاحِمِ.*
*أَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالأَمَانَةِ **فَتَعْرِفِينَ الرَّبَّ**"* (سِفْر هُوشَع 2: 16، 19–20).

تَخَيَّل أقوى علاقة مُمكنة بين أي شخصين على الأرض، ثم تأمل في هذه الفكرة: العلاقة التي يدعونا الله لاختبارها معه هي أروع (بما لا يُقاس) مِنْ أفضل علاقة بشرية مُمكنة على الأرض.

وإن لم تَدْخُل في علاقة شخصية مع خالقك، فسوف تكون حياتك أبعد ما يكون عن الكمال وعن الإشباع. فلا يُمكن لأي مُمتلكات أرضية، أو مُتَع وقتيَّة، أو مكانة اجتماعية، أو بَشَر، أو صلوات أن تملأ الفراغ الذي في نفسك. فالرب وحده هو القادر على ملء الفراغ الموجود في قلبك والمُخَصَّص له وحده.

"لأَنَّهُ أَشْبَعَ نَفْسًا مُشْتَهِيَةً وَمَلأَ نَفْسًا جَائِعَةً خُبْزًا" (المزمور 107: 9).

وهناك نقطة يجب أن لا نتغاضى عنها: الله الواحد الحقيقي لا يَتلذَّذ "بطقوس العبادة"، بل يَتَلَذَّذ "بالعلاقة الصادقة والحقيقية" مع الذين يثقون به.

وعلى مستويات مختلفة، فإن الله يَتَلَذَّذ بالشركة مع:

- نَفْسِه. فمنذ الأزل، فاضت المحبة والشركة بين الآب الأزلي والابن الأزلي والروح القُدُس الأزلي. فمثلاً، يُدَوِّن لنا الكتاب المقدَّس قَول الابن للآب: *"أَيُّهَا الآبُ ... أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ"* (إنجيل يوحنَّا 17: 24).
- الملائكة. فقد خلق الله الملائكة لتعرفه وتحبه وتُقَدِّر مجده البهي إلى الأبد. *"وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ"* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 1: 6).
- البَشَر. فقد خلق الله البشر ليتمتعوا في يومٍ ما بعلاقة مع خالقهم أقوى حتى من تلك التي يتمتع بها الملائكة معه. لهذا كتب النبي داود: *"إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ، الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا، فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَتَنْقُصَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ"* (المزمور 8: 3–5). فقد أراد الله أن يكون مع شعبه. لكن يجب – أولاً – إخضاع الإنسان للاختبار.

اليوم السابع: انتهاء عمليَّة الخَلْق

تُخْتَم قصة الخليقة بمعلومة هامَّة جداً:

"وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ ***حَسَنٌ جِدًّا****. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا.*
فَأُكْمِلَتِ *السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا. وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي*

*عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي **عَمِلَ**"* (سِفْر التكوين 1: 31؛ 2: 1-2).

لقد أَتَمَّ الله عملية الخلق، وحان الوقت لكي يبتهج بكل ما عمل. والرب لم يسترح في اليوم السابع لأنه كان مُتعباً. فالإله الكائن في ذاته والذي اسمه يعني "أنا كائن" لا يتعب أبداً. لكنَّ كلمة "استراح" تعني هنا أنه توقف عن العمل لأنَّ عملية الخلق قد ***اكتملت***.

كان الرب الإله راضياً إذ كان كل شيء حسناً جداً.

تَخَيَّل عالَماً كاملاً يسكنه شخصان كاملان حَظِيا بامتياز التمتُّع بصداقة قابلة للنُمُوِّ مع خالقهما الكامل. كانت هذه هي حالة كوكبنا في البدء. لكن للأسف الشديد فإنَّ الأرض في وقتنا الحاضر بعيدة كل البعد عن هذا الكمال. فما أكثر الشر، والفساد، والحزن، والغم، والفقر، والجوع، والحقد، والعنف، والمرض، والموت.

ما الذي حدث لعالم الله الكامل؟ هذا هو الجزء التالي من القصة.

11
دُخول الشَّر

"بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلاَ تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ.
بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلاَئِكَتَهُ ... الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ.
بَارِكُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ جُنُودِهِ، خُدَّامَهُ الْعَامِلِينَ مَرْضَاتَهُ.
بَارِكُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ أَعْمَالِهِ، فِي كُلِّ مَوَاضِعِ سُلْطَانِهِ....!"
– الملك داود (المَزمور 103: 2، 20–22)

قبل أن يَخلق الله البشر، خلق عدداً لا يُحصى من الكائنات الروحية التي تُدعي *ملائكة*. وقد خلق الله الملائكة لمَسَرَّته وتسبيحه. كانت "جنوده السماوية الخادمة" مخلوقة لكي تعرف خالقها، وتخدمه، وتتمتَّع بحضوره، وتُعَظِّمه إلى الأبد. فالله لم يَخلق الملائكة لتكون مثل الحيوانات التي تعيش بالغريزة. وكما هو حال البَشَر، أعطى الله ملائكته التزاماً أدبياً بأن يختاروا لأنفسهم أن يُطيعوا كلمته أو أن لا يُطيعوها، وأن يَعملوا مشيئته أو أن لا يعملوها، وأن يُسَبِّحوا اسمه أو أن لا يُسَبِّحوه.

اللاَّمِع

كان أكثر الكائنات الروحية قوة وامتيازاً مَلاك يُدعى *"لوسيفر"* (اللاَّمِع").[119] ويَصِف الكتاب المُقدَّس هذا الملاك المُتألِّق بالقول: "أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَالِ، مَلآنٌ حِكْمَةً وَكَامِلُ الْجَمَالِ" (سِفْر حزقيال 28: 12).

ورغم أن الله لم يكشف لنا كل التفاصيل، إلاَّ أننا نَعلم أنَّ الشرَّ دَخَلَ إلى هذا الكون من خلال هذا الملاك العظيم. يقول الله للوسيفر:

"كُنْتَ كَامِلاً فِي طُرُقِكَ مُنْذُ يَوْمَ خُلِقْتَ إِلَى أَنْ وُجِدَ فِيكَ إِثْمٌ. ... قَدْ تَكَبَّرَ قَلْبُكَ بِسَبَبِ
بَهَائِكَ ... قَدْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ:

*إِنِّي **أَرْتَقِي** إِلَى السَّمَاءِ،*
*وَ**أَرْفَعُ** عَرْشِي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ،*
*وَ**أَجْلِسُ** ... فِي أَقْصَى الشَّمَالِ.*
أَرْتَقِي فَوْقَ أَعَالِي السَّحَابِ،
*وَ**أُصْبِحُ** مِثْلَ الْعَلِيِّ."*
(سِفْر حزقيال 28: 15، 17؛ سِفْر إشعياء 14: 13–14)

وهكذا، بدلاً مِنْ أن يقوم لوسيفر بتمجيد الله وإطاعته، نراه يتحدَّث خمس مَرَّات بلُغَةِ الأنا: "أصعد، أرفع، أجلس، أصعد، أصير." فقد أراد أن يصير "مِثْل العَلِيِّ".

خَدَعَ هذا الملاك نفسه حين اعتقد أنه أكثر حكمة من الله بسبب جماله وحكمته ونسيانه خالقه الذي وَهَبَهُ كل شيء. كما أنه أراد من باقي الملائكة أن تُسَبِّحه هو بدل الخالق الذي يستحق وحده العبادة والتسبيح. وبالفعل، تَمَكَّن لوسيفر من إقناع ثُلث الملائكة باللحاق به وبالانضمام إليه في تَمَرُّده.[120] وهكذا، فقد تآمر هذا "اللاَّمِع" على الله رغبةً منه في الارتفاع فوق سيادة الله والجلوس على عرش السَّماء. وبهذه الطريقة، دخلت الخطيَّة إلى الكون الذي خلقه الله.

ما هي الخطيَّة؟

يُعَرِّف لنا الكتاب المقدَّس الخطيَّة:

- الخطيَّة هي التَعَدِّي (رسالة يوحنَّا الأولى 3: 4)
- "كل إثم هو خطيَّة" (رسالة يوحنَّا الأولى 5: 17)
- الخطيَّة هي "مَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَاً **وَلا يَعْمَل**" (رسالة يعقوب 4: 17)
- الخطيَّة تُنشئ "**كُلَّ شَهْوَةٍ**" (رسالة رومية 7: 8)
- الخطيَّة هي أن "**يُعْوِزَنا** مَجْدُ اللهِ" (رسالة رومية 3: 23)

تُشير عبارة *"مَجْدُ اللهِ"* إلى طهارة الله الكاملة وكماله الخالي من أي عيب أو نقص. كما أن عبارة *"يُعْوِزَنا مَجْدُ الله"* تَعني أن نُخطئ الهدف ونَحيد عن البِرِّ الكامل.

الخطيَّة هي أن نُخفق في أن نعيش حياة متوافقة بالكامل مع قداسة الله وإرادته الصالحة.

وببساطة مُتناهية، الخطيَّة تعني أن يَختار أي كائن (سواء كان ملاكاً أو إنسان) أن يُمَجِّد ذاته ويحيا لنفسه (سِفْر إشعياء 53: 6) بدل أن يَمَجِّد الله ويتبع طريقه.

فعندما نُفكِّر ونتصرَّف باستقلال عن الله فهذه خطيَّة. وقد كان هذا هو الطريق الذي اختاره لوسيفر والملائكة التي تبعته. فعوضاً عن الاتكال على خالقها، تَكَبَّرت قلوبهم وتبعوا طُرُقَهُم الخاصة.

"كُلُّ ***مُتَكَبِّرِ الْقَلْبِ رِجْسٌ*** *عِنْدَ الرَّبِّ، وَلَنْ يُفْلِتَ حَتْماً مِنَ الْعِقَابِ"* (سِفْر الأمثال 16: 5)

حين نَسمع كلمة "رِجْس" فإن أوَّل شيء يتبادر إلى أذهاننا هو الغَثَيان، والاشمئزاز، والنَّجاسة، والطقوس الوثنية؛ وهي أمور يُبغضها الله. كذلك فإن الله يُبغض الكبرياء لأنها خطيَّة. ووجود خطيَّة في مَحْضَر الله هو شيء مُثير للاشمئزاز أكثر من وجود جثة خنزير في منزلك. وكما أنك لا تَقبل بوضع نُقطة سَمٍّ واحدة في فنجان الشاي الذي تشرب منه، فإن الله لا يَرضى بوجود أي خطيَّة في محضره. لَكِنْ لماذا نَرفض نحن وجود جثة مُتعفنة في منزلنا، أو نقطة سَمٍّ في فنجان الشاي خاصَّتنا؟ لأن أشياء كهذه هي ضد طبيعتنا. وهذا هو حال الخطيَّة أيضاً؛ فهي ضد طبيعة الله.

"أَلَسْتَ أَنْتَ مُنْذُ الأَزَلِ يَا رَبُّ إِلهِي قُدُّوسِي؟ ... عَيْنَاكَ أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ، وَلاَ تَسْتَطِيعُ النَّظَرَ إِلَى الْجَوْرِ." (سِفْر حَبَقوق 1: 11، 13)

إبليس، والشياطين، والجحيم

طَرَدَ الله من حضرته لوسيفر والملائكة الذين اختاروا أن يَتبعوه لأنه أراد أن يَسرق مجد الله ويَغتصب سُلطته. وقد تَغَيَّر اسم لوسيفر فأصبح "الشيطان" أي "المُقاوِم". وهو يُدعى أيضاً "إبليس" أي "المُشتكي". وأصبحت الملائكة التي سقطت تُعرف *بالأرواح الشريرة* أو *الشياطين* (وهي كلمة تعني: "العَارِفَة"). فإبليس والشياطين تَعرف من هو الله وترتجف أمامه، ومع هذا فإنهم يعملون كل ما في وُسعهم لإلحاق الهزيمة به؛ لكنهم لن يظفروا.

ويتنبَّأ الكتاب المقدَّس أنه في يوم مُعَيَّن سيُطرح إبليس والشياطين "في النَّارِ الأَبَدِيَّةِ المُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ." (إنجيل متَّى 25: 41) وهذه "النَّار الأبديَّة" هي مكان حقيقي يحجز الله فيه إلى الأبد كل ما هو مُخالف لطبيعته المُقدَّسة.

إحدى الكلمات المُستخدمة في العهد الجديد اليوناني لوصف المكان الذي أعَدَّهُ الله لمعاقبة إبليس وأعوانه هي "جَهَنَّم".[121] وهذه الكلمة تعني حرفياً "مَكَبٌّ لحَرْق النفايات".

في مكان ليس ببعيد عن الحي الذي كُنا نسكن فيه أنا وزوجتي وأبناؤنا في السنغال، كانت هناك قطعة أرض جَرداء يُلقي فيها الناس نفاياتهم وكل ما لا يُريدونه. وكان الدخان الكثيف يتصاعد في أغلب الأوقات من ذلك المكان بسبب قيام الناس بحرق تلك النفايات ذات الرائحة الكريهة.

والجحيم هو "مَكَبٌّ النفايات" الذي أعَدَّه الله لاحتجاز الأشخاص الذين ماتوا وَهُم في خطاياهم. وفي يومٍ ما، سوف يُطْرَح إبليس وأعوانه وكل سُكَّان جهنَّم في موضع الدينونة الأخير "البُحَيْرَة المُتَّقِدَة بالنَّار والكبريت".[122]

فالخطيَّة لن تُلَوِّث كون الله إلى الأبد.

غايَة الشيطان

إنَّ إبليس وأعوانه ليسوا في بُحيرة النار الآن، بل هُم يعملون بهِمَّة ونشاط في عالمنا. ويُعَرِّف الكتاب المقدَّس إبليس بأنه *"رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ **الآنَ** فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ."* (رسالة أفسُس 2: 2)

لكن من المهم أن نُدرك أنه رغم قوة الشيطان، فهو ليس كلي القُدرة. فهو كائن مخلوق وساقط أيضاً. لذلك، ليس هناك أي وجه مُقارنة بين الشيطان والرب. الشيطان يُدعى "إلهُ هَذا الدَّهْر"، وهدفه هو أن يمنع الناس من معرفة الله الحقيقي الواحد ومن إدراك القصد الذي خُلقوا من أجله.

*"وَلكِنْ إِنْ كَانَ إِنْجِيلُنَا مَكْتُومًا، فَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُومٌ فِي الْهَالِكِينَ، الَّذِينَ فِيهِمْ **إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ**، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ ...."* (رسالة كورنثوس الثانية 4: 3-4)

ما هي غاية إبليس؟ إنه يَسعى ليُعمي أذهان البشر ويُبعدهم عن سماع رسالة الله والإيمان بها. لذلك، فهو في حرب مع الله. ورغم أنه لن يُحقِّق الانتصار في هذه الحرب، إلاَّ أنه يَسعى جاهداً لكي يأخذ معه أكبر عدد من البشر. وهو يأمل أن تكون أنت من بينهم.

عرف إبليس أن آدم وحوَّاء خُلقا لمَسَرَّة الله وتمجيده. لذلك، فقد خَطَّط لإفساد هذه الصداقة التي كانت موجودة بين الله والإنسان. وبالطبع كان الرب الإله الذي *"يَعْرِفُ خَفِيَّاتِ الْقَلْبِ"* (المزمور 44: 21) يَعْلَم كل خِطَط إبليس وكل ما سيحدث. وكانت لدى الله خِطَّته الخاصة.

وَصِيَّة واحدة

أعطى الله للإنسان حُريَّة الاختيار في أن يُحب خالقه ويُمجِّده ويُطيعه (أو أن لا يَفعل ذلك). فالمحبة الحقيقية لا تُفْرَض بالقوَّة، بل إنها تُتْرَك لعقل الإنسان وقلبه وإرادته. لهذا، رُغم أن الله هو الملك وصاحب السُّلطان المُطلق على كل الكون، إلاَّ أنه يُلقي المسؤولية على الإنسان في اتخاذ الكثير من القرارات التي تؤثر على مصيره الأبدي.

وحتى قبل أن يخلق الله المرأة، أعطى الله آدم وصيَّة. وبما أن آدم هو رأس الخليقة، فقد وضع الله أمامه اختباراً.

"وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ." (سِفْر التكوين 2: 16-17)

لاحِظ تعليمات الله البسيطة؛ فقد كان باستطاعة آدم أن يتناول من كل الثمر الشهي ومن جميع أشجار الجَنَّة، ما عدا شجرة واحدة. وقد قال الله لآدم ماذا سيحدث في حال عصيانه: *"يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا **مَوْتًا تَمُوتُ**."*

إنَّ عُبور هذا الخَطّ يُعتبر تَعَدِّياً وتَجاوزاً؛ وهذا معنى آخر للخطيَّة. وكما هو الحال مع لوسيفر، فإن التمرُّد على رَبِّ الكون يؤدي إلى عواقب وخيمة.

ومع أن آدم كان كاملاً، إلاَّ أنه لم يكن كامل النضج. ومن خلال هذه الوصيَّة الواحدة، أتاح الله لآدم الفرصة لكي ينمو في علاقته مع خالقه. فقد كانت مشيئة الله لآدم هي أن يختار إطاعته من قلب مُفْعَمٍ بالشكر والمحبَّة. وكان يُفتَرَض بذلك أن يكون سهلاً في ضوء كل ما عمله الله لأجله.

تأمَّل في الفكرة التالية: لقد أعطى الله آدم جسداً ونفساً وروحاً. كما أنه بارَكَهُ بأن أعطاه ذلك الامتياز العظيم بأن يَعكس طبيعته المُقَدَّسة والمُحِبَّة. وقد وضعه في جَنَّة بديعة وأعطاه كل شيء يجلب له الفرح والشعور بالاكتفاء. وأعطاه الله أيضاً الحرية والقدرة على تَحَمُّل مسؤولية الاختيار. كما أنه أعطاه زوجة جميلة وأوكلهما على عالمه المخلوق. فوق هذا كله، كان الرب نفسه يأتي إلى الجنة لكي يتمشى ويتحدث مع آدم وحوَّاء. وبهذا، فقد أفسَحَ الله لآدم وحوَّاء المجال لكي يعرفاه معرفة حقيقية واختباريَّة. وكان العالم آنذاك كاملاً.

وذات يوم ظهرت الحَيَّة.

"أحقا قال الله؟"

إنَّ أكبر حادثة مأساوية أثَّرت على تاريخ البشرية مُدَوَّنة في الأصحاح الثالث مِنْ سِفْر التكوين (في العهد القديم من الكتاب المُقدَّس).

ذات يوم وبينما كان آدم وحوَّاء قرب الشجرة الممنوعة، ظهر لهما الشيطان بشكل حَيَّة ماكرة. ونحن نعرف هذا لأن الكتاب المقدَّس يُعَرِّف الشيطان بأنه *"الْحَيَّةَ الْقَدِيمَةَ الْمَدْعُوَّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ"* (سِفْر الرؤيا 12: 9)

وهكذا، كما أنه كانت عند الله خِطَّة للبشر، كانت لدى الشيطان خِطَّة أيضاً.

*"وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: **أَحَقًّا قَالَ اللهُ** لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ."* (سِفْر التكوين 3: 1-2)

اختار الشيطان أن يُكَلِّم المرأة لا الرَّجُل. هل سمعت أول شيء قاله الشيطان لحوَّاء؟

*"أحقا **قال** الله ...؟"*

أراد الشيطان أن يدفع المرأة إلى عدم تصديق ***كلمة الله***، وإلى تشكيكها في حكمة الله وسُلطانه. كما أنه تَحَدَّاها لكي تتحدى هي بدورها خالقها – تماماً كما فعل هو (لوسيفر). وحتى يومنا هذا، ما زال الشيطان يحارب الحق لأنَّ الحق يَكشفه ويُعَرِّيه. فكما أنَّ النور يُزيل الظلمة، فإنَّ كلمة الله تُزيل خداع إبليس.

هاجم الشيطان أيضاً طبيعة الله من خلال تشجيع حواء على الشك في ***صَلاح الله***.

*"أَحَقًّا قَالَ اللهُ لا تَأْكُلا مِنْ **كُلِّ** شَجَرِ الجَنَّةِ؟"*

لقد شَوَّه الشيطان كلمة الله، وكأن خالقهما الكريم الذي وهبهما الحياة والحُريَّة في أن يأكلا من كل شجر الجنة (إلاَّ واحدة) أراد أن يمنع عنهما كل صلاح.

"لن تموتا!"

*"فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا. فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: **لَنْ تَمُوتَا!** بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ."*
(سِفْر التكوين 3: 2-5)

أراد الشيطان أن يُشَكِّك حوَّاء لا في كلمة الله وإحسانه فحسب، بل في صلاحه أيضاً؛ وكأن الله لن يُنَفِّذ حُكْم الموت إن أكلت هي (حوَّاء) من الشجرة المُحَرَّمَة.

*"لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا **تَمُوتُ**."* (تكوين 2: 17)

أنكر الشيطان هذا وقال "لن تموتا!"

إنَّ أسلوب الشيطان هذا لم يتغير! فهو مستمر في تشويه رسالة الله وإنكارها. وهو يريدنا أن *نشك في كلمة الله، وإحسانه، وصلاحه*. كما أنه يُريدنا أن نصدق بأن الله غير جدير بثقتنا، وأنه يَختلف تماماً عَمَّا يَدَّعيه.

الشيطان المُتديِّن جداً

الشيطان مُعجب جداً بالدِّيانات والتديُّن. لهذا السبب، هناك أكثر من عشرة آلاف ديانة في العالم. لاحِظ كيف تَظاهر الشيطان بأنه يتكلم بلسان الله حين قال لحوَّاء: *"اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا."*

الشيطان يُحب أن يَتقمَّص شخصية القدير. وهو ماهر في أخذ حق الله وخلطه مع أكاذيبه. إنه مُزَوِّر ومُقَلِّد وبارع في التوفيق بين المُعتَقَدات. فحتى أغرب ديانات العالم تحوي مقداراً ولو ضئيلاً من الحق. وهذا هو ما يجعلها قابلة للتصديق. وهناك مَثَل عَرَبي يُعَبِّر عن هذا الواقع تعبيراً جيداً: *"احْذَر، فبعض الكاذبين يقولون الحقيقة!"*

في أوَّل محاولة للشيطان لتأسيس ديانة زائفة، قال لحوَّاء: *"وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ."* عندما قال الشيطان لحوَّاء: *"تَكونَانِ كَاللهِ"* كان ينطق بالكذب لأن الذي يُخطئ لا يكون مثل الله، بل مثل الشيطان الذي يريد أن يَغتصب سُلطة الله. لكن عندما قال: *"عَارِفَيْنِ الخَيْرَ وَالشَرَّ"* فقد نَطَقَ بالحق، لكنه لم يخبرهما عن ما سيُرافق هذه المَعرفة مِنْ مَرارَة وعَذاب ومَوت.

لاحِظ أيضاً أن الشيطان – في حديثه عن الرب – استخدم فقط الاسم العام "الله". فالشيطان يَفرح عندما تؤمن بإله واحد طالما أنك تعتقد أن هذا الإله بعيد ولا يمكن معرفته.

"أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ. وَالشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ!" (رسالة يَعقوب 2: 19)

إذاً، إبليس وشياطينه يؤمنون بالله الواحد ويرتجفون أمام الله القدير. وسوف نوضِّح هذه الحقيقة بوضوح في فصل لاحق. أجل، الشيطان وملائكته الساقطة يعرفون أنه يوجد إله واحد حقيقي، لكنهم يكرهونه أشَدَّ الكراهية! وهم لا يريدونك أن تعرف خالقك ومالكك، ولا أن تُحبه، ولا أن تَعبده، ولا أن تُطيعه.

الاختيار

حانت اللحظة التي سيختار فيها آدم وحوَّاء بين كلمة ربِّهم المُحب وبين كلمة عَدُوِّهم.

كانت الصِّيغة الوحيدة التي تؤمِّن لآدم وحوَّاء النُّصْرة على إبليس واضحة كل الوضوح: *ثِقا في حِكْمَة الخالق*. يا لها من صيغة بسيطة حقاً! فكل ما كان ينبغي عليهما أن يفعلاه هو أن يُرَدِّدا كلمة الله: "الرب الإله أوصانا قائلاً: *'وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا.'* لذلك، لن نأكل منها! وهذا قرارنا النهائي."

لو أنَّ آدم وحوَّاء تَمَسَّكا بكلمة الله الثابتة لهَرَبَ المُجَرِّب. لكنهما لم يفعلا ذلك.

"فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ." (سِفْر التكوين 3: 6)

لقد أكلت منها حوَّاء، وأكل منها آدَم أيضاً. فعوضاً عن أن يَخضعا لكلمة خالقهما القُدُّوس المُحب وإرادته، خَضَعا لعدو الله. وبذلك، فقد دخلا إلى النِّطاق المَحظور دون سَماحٍ مِنَ الله. وحالما تذوَّقا الثمرة المُحَرَّمة، حَلَّ القصاص عليهما في الحال:

"فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ. وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ." (سِفْر التكوين 3: 7-8)

لاحِظ التغيير! فعوضاً عن أن يَبتهجا عندما جاء الرب لزيارتهما، ملأهما الخوف والخجل. لَكِنْ ما الذي جعل هذان المخلوقان – اللذان كانا يتمتَّعان بعلاقة حميمة مع الله – يرغبان في الهرب من رَبِّهما المُحب؟ وكيف تَخَيَّلا أنهما سيتمَكَّنان من الاختباء من خالقهما الذي يَرى كل شيء؟ لماذا شعر أبوانا الأوَّلان بحاجتهما لتغطية جسديهما بورق الشجر؟

لقد أخطآ.

12
نَاموس الخَطيَّة والمَوت

*"إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ **عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ**."*
– يسوع الناصري (إنجيل يوحنَّا 8: 34)

عَصى آدم وحوَّاء خالقهما ومالكهما. وكما هو حال الشيطان، فقد خسرا علاقتهما بالله وأصبحا عَبْدَيْن للخطية. ومثل الأولاد الذين يعصون وصايا آبائهم الواضحة، لم يعد آدم وحوَّاء يُريدان الوجود في مَحْضَر الله الذي أحبهما واعتنى بهما. كما أن مشاعر البهجة والثقة تحوَّلت إلى شعور بالخوف والنجاسة والعار.

"وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ." (سِفْر التكوين 3: 8)

أصبح آدم وحوَّاء مُلَوَّثين بالخطية مِمَّا جعلهما يريدان الاختباء من وجه خالقهما وسيدهما. فالضمير الذي اكتسباه مؤخراً جعلهما يُمَيِّزان بين الخير والشر، ويُدركان أنه لا يُمكن إلاَّ للأشخاص القِدِّيسين أن يتواجدوا في مَحْضَر الله القُدُّوس. وقد عرفا أنهما لم يَعودا طاهرين أمام الله. وبهذا، انقطع الرباط الوثيق بين الله والإنسان وأصبحت العلاقة بينهما مَيِّتة.

غصن مكسور

ذات يوم، بينما كنت أتحدث مع مجموعة من الرجال تحت شجرة قرب أحد المساجد، تَطَرَّقنا إلى موضوع الخطيَّة والموت. وعندها، كَسَرْتُ غُصْنَاً من الشجرة وسألتهم: "هل هذا الغصن حي أَم مَيِّت؟"

أجاب أحد الرجال: "إنه على وَشْك الموت." وقال آخر: "إنه مَيِّت."

قُلت: "كيف تقول إنه مَيِّت؟ انظر إلى خُضرته!"

فأجاب: "إنه يبدو حياً، لكنه مَيِّت لأنه منفصل عن مصدر حياته."

قلت: "تماماً! لقد قَدَّمت الآن تعريفاً دقيقاً للموت بحسب الكتاب المقدَّس. فالموت لا يعني الفَناء، بل الانفصال عن مَصْدَر الحياة. لهذا عندما يموت شخص عزيز على قلوبنا نقول إنه 'رَحَل' حتى قبل دَفْن جُثمانه. ونحن نقول هذا لأننا نَعلم أن روحه فارقت جسده. إذاً، الموت يَعني الانفصال."

بعد ذلك، أخبرت هؤلاء الرِّجال عن الوصية التي أعطاها الله لآدم. ثم سألتهم: "ماذا قال الله إنه سيَحدُث لآدم في حال أنه عَصى أمْرَهُ؟ هل قال له إنه إن أكل من الشجرة التي نَهاه عنها فعليه أن يبدأ بممارسة الفروض الدينية من صلاة، وصوم، وزكاة، وذهاب إلى المسجد أو الكنيسة؟"

أجابوا: "لا، بل قال إنه سيموت."

قُلت: "أحسنتم! فقد كان ما قاله الله واضحاً: أُجْرَة الخطيَّة هي موت. لكن هل مات آدم وحَوَّاء في نفس اليوم الذي أخطآ فيه؟"

أجابوا: "كلا!"

قُلت: "إذاً ما الذي قصده الله عندما قال لآدم: لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ"؟

ومن هنا ابتدأت أخبر أولئك الرجال عن تعريف الله للموت. فالموت هو انفصال ثُلاثي الأبعاد جَلَبَهُ الإنسان على نفسه حين اختار أن يَتَمَرَّد على خالقه.

الانفصال الثُّلاثي الذي أحْدَثَتْه الخطيَّة:

1- الموت الرُّوحي: ***انفصال روح الإنسان ونفسه عن الله.***

في اليوم الذي أَقْدَمَ فيه آدم وحوَّاء على عصيان الله، *ماتا روحيًّا*. فكما هو حال الغُصن الذي يُقْطَع من الشجرة، ماتت العلاقة الحميمة التي كانت قائمة بين الله وآدم وحوَّاء. وهناك خبر سَيِّئ آخر: فكل نَسْل آدم وحوَّاء هُمْ جُزْء لا يتجزَّأ من ذلك "الغُصن" الميِّت روحيًّا.

"فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ ..." (رسالة كورنثوس الأولى 15: 22)

ورغم ما يُعلِّمه الكتاب المُقدَّس، إلاَّ أن الكثيرين مِمَّن يُقِرُّون بأن الجنس البشري هو من نسل آدم، يُصِرُّون على أن الأطفال حَديثي الولادة يولدون بطبيعة طاهرة خالية من الخطيَّة.

تأمَّل مَرَّة أخرى في الغُصْن المقطوع.

ما هو الجزء الذي "مات" فيه نتيجة انفصاله عن الشجرة؟ لقد مات الغُصْن كله بما في ذلك الفروع الصغيرة المُتَّصلة بأطرافه. ولو أمكن لتلك الفروع والأوراق أن تتكلم لقالت شيئاً كهذا: "مَهْلاً! ما ذَنْبُنا نحن إذا قُطِعَ الغُصْن من الشجرة؟ نحن لا علاقة لنا بالأغصان الأخرى!" لكن في حقيقة الأمر أنها تأثَّرت. على نَحْوٍ مُشابهٍ، تُعلن كلمة الله أن الجنس البشري بجُملته هو *"في آدم"*. فكل واحدٍ فينا هو جزء من هذا "الغُصن" المُنفصل السَّاقِط. كما أننا لا بُدَّ أن نُعاني عواقب هذا الانفصال. وسواء رضينا بذلك أَمْ لا، فإنَّ الحقيقة تبقى قائمة: خطيئة آدم أثَّرَت عليه هو شخصياً وعلى كل الجنس البشري الذي انحدر منه.

ولتوضيح هذه الفكرة إليك هذا المثال: إن القرية التي أعيش فيها تَستقي الماء من نهر السنغال الواقع على بُعد بضعة كيلومترات. ورغم وجود بئر في قريتنا، إلاَّ أن أهالي القرية لا يَشربون منها. لماذا؟ لأنها مُلَوَّثة، أو بالأحرى لأنَّ ماءَها مالح. فكل ماء البئر مالح وليست هناك قطرة ماء عذبة – ولا حتى واحدة.

على نَحْو مُشابه، كل شخص مولود من آدم مُلَوَّث بالخطيَّة. لهذا، حتى الأطفال يُخطئون بالفِطْرَة. فالخطية جُزء من طبيعتهم. وفي حين أنَّ الصَّلاح واللُّطف يستوجبان قدراً كبيراً من الجهد والتدريب، فإن الأنانية والأذية لا يحتاجان أي مجهود من الإنسان. ويَشرح النبي داود السَّبب الذي يَجعلنا نُخطئ بسهولة فيقول:

*"هأَنَذَا **بِالإِثْمِ** صُوِّرْتُ، **وَبِالْخَطِيَّةِ** حَبِلَتْ بِي أُمِّي."* (المزمور 51: 5) *"زَاغَ الأَشْرَارُ **مِنَ الرَّحِمِ**. ضَلُّوا مِنَ الْبَطْنِ، مُتَكَلِّمِينَ كَذِبًا."* (المزمور 58: 3) *"الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا **مَعًا**، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، **لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ**."* (المزمور 14: 3)

هناك مجموعة من الأمثال الشعبية الرائعة عند شعب الوُلُف في السنغال والتي ساعدت البعض على فهم الحق. فمثلاً هناك مَثَل يقول: *"الفأر لا يُنْجِب فئراناً عاجزة عن الحفر."* وبالمثل، فإنَّ آدم المُلَوَّث بالخطيَّة لا يُمكن أن يُنجب ذُرِيَّة لا تخطئ.

وهناك مثل آخر يقول: "المَرَض المُعدي لا يَنْحَصِر في الشخص المُصاب به". ورغم أن هذه الحقيقة مؤلمة، إلاَّ أنها صحيحة. فكما هو حال العِلَّة الخِلْقِيَّة الموروثة أو المرض المُعدي، فإن طبيعة آدم الخاطئة وصلت إلينا وإلى أولادنا.

*"مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا **بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ** دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا **اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ**، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ."* (رسالة رُومية 5: 12)

لاحِظ العبارة الأولى: *"**بإنسان واحد** دخلت الخطية"*، والعبارة الأخيرة: *"**أخطأ الجميع**"*. فكل واحد مِنَّا خاطئ بالولادة وبالمُمارسة. لهذا، لا يُمكننا أن نَلوم آدم على الخطايا التي نقترفها نحن. يقول الكتاب المقدَّس:

*"بَلْ **آثَامُكُمْ** صَارَتْ فَاصِلَةً **بَيْنَكُمْ** وَبَيْنَ **إِلهِكُمْ**، **وَخَطَايَاكُمْ** سَتَرَتْ وَجْهَهُ **عَنْكُمْ**"* (سِفْر إشعياء 59: 2)

فما أن يبلغ الإنسان العُمر الذي يُمَيِّز فيه بين الخير والشر حتى يُحَمِّله الله مسؤولية نفسه.[123] فالغصن البشري مُنفصل تماماً عن خالقه. بعبارة أخرى، فإنَّ البشر *"**أَمْوَاتٌ** بِالذُّنُوبِ **وَالْخَطَايَا**"* على الصَّعيد الروحي. (رسالة أفسُس 2: 1)

2- الموت الجسدي: *انفصال روح الإنسان ونفسه عن جسده.*

عندما أخطأ آدم وحوَّاء، لم يموتا *روحياً* فحسب، بل ابتدءا بالموت جسدياً. فكما أن الأوراق على الغُصن المقطوع لا تيبس في الحال، فإن آدم وحوَّاء لم يموتا في الحال عندما أخطآ. ومع هذا فقد أصبح جسداهما مُعرَّضين للموت – العدو الذي لم يتمكَّنا من الهرب منه.

فبمرور الوقت، لحق الموت بآدم وحوَّاء ونسلهما. يقول أحد الأمثال العربية: "الموتُ يَرْكَبُ جَمَلاً سَريعاً". فلا أحد يستطيع أن يهرب من الموت. وهذا هو ما تُعلنه كلمة الله:

"وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ الدَّيْنُونَةُ." (الرِّسالة إلى العِبْرانيِّين 9: 27)

3- الموت الأبدي: *انفصال روح الإنسان ونفسه وجسده عن الله إلى الأبد.*

الغُصْن الحي يُعطي ورقاً وزهراً وثمراً. أمَّا الأغصان الميتة فإنها تُجْمَع وتُحْرَق. عندما أخطأ آدم ضد الله، خَسِرَ الامتياز الذي خُلق من أجله ألا وهو أن يُمَجِّد الله ويحيا معه إلى الأبد. فالإنسان الذي خُلِقَ ليحيا إلى الأبد عَصى خالقه ومالكه السَّرمدي؛ وكان عقابه هو الانفصال الأبدي عن الله.

ولولا أن الربَّ تَغَمَّد آدم وحوَّاء برحمته وأوجد لهما علاجاً للخطية، لكان مصيرهما بعد موت جسديهما هو الطَّرْح في "مَكَبِّ النفايات" المُعَدّ لإبليس وملائكته. والكتاب المقدَّس يدعو هذا المصير *"الموت الثاني"* لأنه يَحْدُث بعد الموت الجسدي. كما أنه يُدعى *"العذاب الأبدي"*.[124] أمَّا فكرة وجود مكان يَحتجز الله فيه الناس لفترة مؤقتة ثُمَّ يُطلقهم فإنها تتعارض مع تعاليم الكتاب المُقدَّس.

وإنْ بَدَت حقيقة *"العذاب الأبدي"* غير عادلة وغير معقولة في أعيُننا، فربما يرجع السَّبب في ذلك إلى عدم فهمنا لطبيعة الله، ولخطورة الخطيَّة، ولمفهوم الأبديَّة. لهذا، سوف نتأمل لاحقاً في طهارة الله ونجاسة الخطيَّة.

أمَّا عن مفهوم الأبدية، فلا بُدَّ من الاعتراف بأن كلمة *"الأبدية"* تفوق إدراك عقولنا لأن مدلولنا هو *الزمن*. لكنَّ الأبدية غير محدودة بالزمن.

إذا تَخَيَّلنا أن أحد الأشخاص سيقضي بلايين السنين في الجحيم، نكون على خطأ. فالأبدية لا تتألَّف من سنين لها بداية ولها نهاية، بل هي أبدية لا نهاية لها. وما أن يدخل البشر فيها حتى يُدركون رهبتها وعذابها. وهذا يُذَكِّرُنا بذلك الرَّجُل الغني الذي انتهى في الجحيم (الفصل الثالث). إنه ما زال هناك!

والله واضح بشأن مُتطلَّبات دُخول السَّماء:

"وَلَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا يَصْنَعُ رَجِسًا وَكَذِبًا، ...." (سِفر الرُّؤيا 21: 27)

إذاً، لن يكون هناك حل وسط. فكما أن قانون الله الطبيعي يُحَتِّمُ موت الغُصْن المقطوع من الشجرة، فإنَّ قانونه الروحي يُحَتِّم إدانة الخطية بالانفصال الأبدي روحياً وجسدياً.

الخطيَّة والعار

حان الوقت لنعود إلى المكان الأخير الذي رأينا فيه آدم وحوَّاء. فقد شاهدناهما آخر مَرَّة وهُما يُحاولان الاختباء من الله بين شجر الجنة.

قبل أن يقع آدم وحوَّاء في الخطيَّة، كانا مُحاطين بمجد الله وكماله، ومرتاحين في محضر خالقهما. لكن في اللحظة التي كَسَرا فيها وصية الله، تَغَيَّرت نظرتهما إلى نفسيهما وأصبحا غير مُرتاحين؛ ليس بسبب عريهما الجسدي فحسب، بل وأيضاً بسبب عريهما الروحي.

لم يشعر آدم وحوَّاء بأي خجل قبل أن يُخطئا (تكوين2: 25)، لكنهما يشعران الآن بعدم الطهارة أمام إلههما القُدُّوس. لقد أصبحت طبيعتهما متعارضة مع طبيعة خالقهما. فقد أصبحا غير قِدِّيسين، ولم يعودا راغبين في البقاء في حَضْرَة الله الطاهرة التي كلها نور. فكما أنَّ الصراصير تهرب وتختبئ من الضوء، فإنَّ آدم وحوَّاء *"أَحَبَّا الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ لأَنَّ أَعْمَالَهُما كَانَتْ شِرِّيرَةً. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ يُبْغِضُ النُّورَ وَلا يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَّ **تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ**."* (إنجيل يوحنَّا 3: 19– 20)

أدرك آدم وحوَّاء أنهما عريانين فارتبكا وشعرا أنهما لا يَنتميان للجنَّة الكاملة. كما أنَّ صوت الله أرعبهما. لهذا، لم يعودا راغبين في الوجود في محضر خالقهما المُحب القُدُّوس. على الرغم من ذلك، جاء

الله إلى الجَنَّة باحثاً عنهما. وهذا جزء من طبيعة الله: "أنْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَك." (إنجيل لوقا 19: 10)

الله يَطلب الإنسان

"فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: 'أَيْنَ أَنْتَ؟'
فَقَالَ: 'سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ.'
فَقَالَ: 'مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟' (تكوين 3: 9-11)

لاحظ السؤال الأوَّل الذي وَجَّهَهُ الله للإنسان:

"أَيْنَ أَنْتَ؟"

مِنْ خلال هذا السؤال المُحَدَّد والمُحب، أراد الله لآدم أن يُدرك ما فعلته الخطيَّة به وبزوجته. لقد أرادهما أن يَعترفا أنهما أخطآ، وأرادهما أن يفهما بأن خطيَّتهما صارت فاصلة بينهما وبين سَيِّدهما القُدُّوس.

لقد وضعتهما خطيَّتهما في ورطة وقادتهما للشعور بالعار فحاولا الاختباء وراء الأشجار وأوراق التين. لَكِنَّ آدم وحوَّاء لم يتمكَّنا من الاختباء من الله ولا الهروب من بِرِّه ودينونته.

أُجْرَة الخطيَّة موت

لم يكن الله يمزح عندما قال لآدم: *"يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْها مَوْتاً تَموت."* (سِفْر التكوين 2: 17). ونحن نعلم في أعماق قلوبنا أن كل من يتمرد على الخالق يستحق الانفصال عنه.

لقد شاهدنا جميعنا تقريباً أفلاماً يُقْتَلُ فيها "الأشرار" ويَنتصر فيها "الصَّالحون". فهل نشعر بالحُزن على الأشرار؟ كلا، فغالباً ما نقول إنهم نالوا جَزاءهم. والحقيقة المُرعبة هي أنَّ كل نسل آدم هُمْ في نظر الله "أشرار".

*"**الْكُلُّ** قَدْ زَاغُوا **مَعًا**، فَسَدُوا. **لَيْسَ** مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، **لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ**."* (المزمور 14: 3)

فوفقاً لمعايير العدل الإلهيَّة، كلنا نستحق جزاء الموت. وهذا هو ما يُسَمِّيه كتاب الله:

"نَامُوس الخَطِيَّة وَالمَوْت" (رسالة رومية 8: 2)

يَقضي ناموس [قانون] الخطيَّة بأنَّ كل تَعَدٍّ وعِصْيانٍ على الله يجب أن يُجازى بالانفصال عن الله. وليست هناك استثناءات لهذا الناموس؛ فالخطية تَجلب الموت.

لقد وضع الله هذا القانون بسبب قداسته وأمانته. وبسبب خَطِيَّة واحدة اقترفها أبوانا الأوَّلان (آدم وحوَّاء)، فقد انفصلا عن ملكوت الله الذي كله بِرٌّ وحياة، وارتبطا بمملكة إبليس التي كلها خطيَّة وموت. وفي الحال ماتا روحيَّاً – تماماً مثل غُصْنٍ نُزِعَ من شجرة. وبهذا، انتهت علاقتهما مع الله.

كذلك، فقد ابتدآ بالموت جسدياً أيضاً – مثل غُصْنٍ يذبل. وأصبح الأمر مسألة وقت فقط قبل أن يعود جسداهما إلى الأرض.

والأسوأ من هذا كله هو أنه ما لم يُوفِّر الرب علاجاً لخطيئتهما وعارهما، فسوف يواجهان الموت الأبدي المُريع – الانفصال الدائم عن الله في النار الأبدية المُعَدَّة لإبليس وملائكته. فالكتاب المقدَّس واضح بهذا الشأن:

*"اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ **تَمُوتُ**"* (سِفْر حزقيال 18: 20)
*"لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ **مَوْتٌ** ..."* (رسالة رومية 6: 23)
*"وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ **مَوْتًا**"* (رسالة يَعقوب 1: 15)

الله يدعو هذه الحقيقة المُحزنة *"ناموس الخطيَّة والموت"* لسبب وَجيه: إنه القانون. فعقوبة الخطيَّة لا بُدَّ أن تُنَفَّذ. أجل، يجب أن تَتِمَّ.

13
الرَّحْمَة والعَدالة

هل يَعجز الله عن القيام بأمر يَقْدِر الإنسان أن يَفْعَله؟ يُجيب كتاب الله عن هذه الأُحجية فيقول:

*"لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا **فَيَكْذِبَ**، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ **فَيَنْدَمَ**. هَلْ يَقُولُ **وَلاَ يَفْعَلُ؟** أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟"* (سِفْر العَدَد 23: 19).

الناس يكذبون في كل يوم، ويُبدلون أفكارهم، وينكثون بوعودهم. أمَّا الله فلا يقوم بهذه الأعمال لأنه كامل ولا يُقْدِر أن يفعل شيئاً مُخالفاً لطبيعته.

*"... **لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ**"* (رسالة تيموثاوس الثانية 2: 13).

منذ بعض الوقت، وصلتني رسالة إلكترونية يقول فيها كاتبها:

> أنت تقول إنَّ الله لا يغفر عشوائيًّاً. وتقول إنَّ يَدَيّ الله مُقيَّدتان بالقوانين التي سَنَّها بنفسه. وقد كتبت أيضاً: "الله قادر على القيام بكل شيء؛ لكنه لا يقدر أن يُنْكِر نفسه أو أنْ يَتجاهل قوانينه". لماذا يَمْنَع خالقنا الرَّحيم نفسه من امتلاك القدرة على مُسامحة عبيده الذين يطلبون رحمته؟ لماذا يُقَيِّد رحمته؟ ألا ترى أنَّ هذا ليس بمنطقي؟ وحتى لو سَنَّ الله قانونًا كهذا فبمقدوره أن يَخرقه فوراً؛ فهو كُلِيُّ القُدرة! فلا يُعْقَل أن نتجادل حول قدرة الله الفائقة وأن نقول – في الوقت نفسه – إنها محدودة. لو شاء الله لألقانا جميعاً في نار جهنَّم، لكنه الإله الرحيم الذي يُقَرِّر دائماً أن يَغفر لعبيده لكي يتمكنوا من النجاة عندما يُحاسَبون. ليمنحنا الله غفرانه ويرحمنا برحمته في اليوم الذي سنجتمع فيه معاً ونقف أمامه للحساب!"

في ضوء ما تطرَّقنا إليه في الفصل السابق، هل تفكير هذا الشخص مَنطقي؟ هل خالقنا حُرٌّ إلى حَدٍّ تَجاهُل القوانين التي سَنَّها بنفسه ومُخالفة قداسته؟

رَحْمَة بدون عَدالة

تَخَيَّل المشهد التالي الذي يجري في قاعة إحدى المحاكم:

يجلس القاضي في مقعده بينما يقف أمامه رَجُل وُجد مذنباً لسَطْوِه على مصرف وارتكابه جريمة قتل بدم بارد. تمتلئ القاعة بالشهود وتحضر عائلة الضحية وزوجته وموظفو المصرف الذي شهد عملية السطو. كما أنَّ الصحفيين والمُصَوِّرين يستعدون لتوثيق هذه اللحظات.

ما هو الحُكْم الذي سيصدر بحق هذا القاتل؟ أهو حكم بالإعدام؟ أو السجن المؤبَّد؟

يَطلب حاجب المحكمة من الجميع أن يقفوا.

يَنظر القاضي الى الرَّجُل المُذْنِب ويقول له: "لقد لاحظت من خلال دراستي للقضية أنك تُصلِّي بانتظام وأنك مواظب على إخراج الزكاة. كما أنَّ طريقتك في تحريك أصابعك على المِسْبَحَة التي في يدك مؤثِّرة بالفعل. وقد سمعت أيضاً أنك رَجُل مِضياف ومستعد دائماً لمشاركة طعامك مع الغرباء. لقد فاقت أعمالك الصالحة أعمالك الطالحة. أنا أمنحك رحمتي. لقد سامحتك المحكمة ويمكنك أن تذهب حُرَّاً طَليقاً."

يضرب القاضي المنضدة بمطرقته ويصيح الحاجب قائلاً: "رُفِعَت الجَلْسَة!"

وعندها، تَتَعالى الأصوات والوشوشات الغاضبة في الغرفة ...

من المؤكد أنك لم تسمع بحدوث شيء كهذا في أي محكمة. ومن المؤكد أيضاً أنك رأيت رسماً لذلك الميزان الذي يُستخدم كرمز للإشارة إلى عملية وزن الأدلة ضد المُتَّهَمين. لكن إذا وُجِدَ المُتهم مُذنباً، فلا بُدَّ للمحكمة أن تُصْدِرَ الحُكم المُناسب بحَقِّه. وسواء كان هذا الشخص قد عمل "أعمالاً صالحة" أَم لا فهذا لا يهم. ونحن جميعنا نعرف ذلك.

وهكذا، إن كان نظام "الأعمال الصالحة التي تفوق الأعمال الطالحة" غير مُطَبَّق في محاكم البشر، فهل يُعْقَل أن يعتمد الله نظاماً جائراً كهذا في محكمته السماويَّة؟

الدَيَّان العادل

الله يختلف تمام الاختلاف عن القاضي المذكور في قصتنا الخيالية. فإحدى صِفات الله هي أنه *"الدَّيَّانُ **الْعَادِلُ**"* (رسالة تيموثاوس الثانية 4 :8). ومنذ آلاف السنين، تَساءل النبي إبراهيم *"أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ **لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟**"* (سِفْر التكوين 18: 25)

لم يتجاهل الله يوماً العَدالة لإظهار الرَّحمة. فهذا يُزعزع عرشه العادل ويُشَوِّه اسمه القُدُّوس.

*"**الْعَدْلُ وَالْحَقُّ** قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. **الرَّحْمَةُ وَالأَمَانَةُ** تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ."* (المزمور 89: 14)

إنْ قُلنا – كما قال كاتب الرسالة الإلكترونية – إنَّ الله قادر على استخدام "قوَّته الفائقة" لخَرْق القوانين التي سَنَّها بنفسه، فكأننا بذلك نقول إن "دَيَّان الأرض كلها" هو أقل عَدْلاً من الخُطاة الذين سيُحاكمهم.

وكم هو غريب حقاً أن نَتَحَلَّى – نحن البَشَر – بِحِسٍّ عميق وفطري بالعدالة، غير أننا في الوقت نفسه نُعارض الحقيقة الواضحة بأن خالقنا يتمتع بنفس ذلك الحِسِّ بالعدالة! فنحن جميعنا نعرف في أعماقنا أن القاضي الذي لا يُدين الشر هو أبعد ما يكون عن "العَظَمَة".

كتب النبي إرميا:

"كَثِيرَةٌ أَمَانَتُكَ. نَصِيبِي هُوَ الرَّبُّ، قَالَتْ نَفْسِي، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَرْجُوهُ" (مراثي إرميا 3: 23-24).

لاحِظ أنَّ النبي إرميا لم يَقُل "كثيرة مُفاجآتك!" أو "كثيرة تغيُّراتك!" فأيُّ رجاءٍ يُمكننا أن نَضَعه في إلهٍ متقلب كهذا؟ كثيرة هي أمانة الله! لَكِنَّ كثيرين مِمَّن اعتادوا على القول بأنَّ الله *"رَحيمٌ عُطوفٌ"* يَنسون أنه في الوقت نفسه *"أَمِينٌ وَعَادِلٌ"* (رسالة يوحنَّا الأولى 1: 9). وهكذا، فإن التفكير من زاوية واحدة يؤدي إلى نظرة مُشَوَّهة عن الله.

طبيعة الله المتوازنة

أيُّ جَناحٍ من جَناحَيِّ العُصفور هو الأهم؟ ما من شَكٍّ أنَّ العُصفور يحتاج إلى كلا جناحيه ليطير! وكل من يظن أنه باستطاعة العُصفور أن يطير بجناح واحد يُنكر طبيعة الطيور وقوانين الجاذبية والقواعد الهوائية الديناميكية.

كذلك، فإن كل من يقول إنه بمقدور الله أن يُظْهِر الرَّحمة بمعزل عن العدالة إنَّما يُنكر طبيعة الله والقوانين المتعلقة بالخطيَّة والموت. فرحمة الله وعدله ينسجمان انسجاماً تاماً. لذلك، كتب الملك داود:

*"سَأُشِيدُ **بِرَحْمَتِكَ وَعَدْلِكَ** يَارَبُّ، وَلَكَ أُرَنِّمُ."* (المزمور 101: 1)

لقد ارتكب داود خطايا بشعة جداً، لكنه أدرك عدم استحقاقه لرحمة الله. فالتعريف الصحيح لكلمة "رَحْمَة" يحمل معنى عدم *الاستحقاق*.

العَدْل هو نوال العقاب الذي نستحقه.
الرَّحْمَة هي عدم نوال العقاب الذي نستحقه.

كان دافع داود للترنيم لله هو إدراكه بأن الرب أوجد طريقة لإظهار رحمته للخطاة الذين لا يستحقونها؛ لكن دون أن يتغاضى عن عدالته. لذلك، فقد تَغَنَّى داود بالرَّحْمَة والعَدالة معاً.

ليس غُفران الخطايا أمراً بسيطاً عند إلهنا القُدُّوس. فهو لا يَغفر للخاطئ إلاَّ إذا كان راضياً تماماً بأن خطايا الخاطئ قد لاقَت الدينونة والعقاب المُناسبين. إذا أساء إلينا أحد الأشخاص فقد ننسى الموضوع ونتغاضى عن الأمر، أو قد نختار – بكل بساطة – أن نُسامحه. أمَّا الله فلا.

إنَّ رحمة الله لا تلغي عدالته. فهو لا يقول: "أنا لن أُدين خطيتك لأني أُحبك." كما أنه لا يقول: "لأنك أخطأت فلن أحبك بعد الآن." إن الله يُحِبُّ الخطاة، لكنه يُدين خطاياهم ويُعاقبها.

وهذا يقودنا إلى سؤال منطقي ألا وهو: إن كان الله كذلك، فكيف يُسْبِغَ رحمته على الخطاة المُذنبين؟

الرَّحْمَة والعَدالة مَعاً

فَكِّر مَرَّة أخرى في موقف آدم وحوَّاء. فلأن الله مُحِبٌّ ورحيم، فهو لم يَشَأ أن يَفصلهما عنه؛ بل أرادهما أن يعيشا معه الى الأبد دون أن ينتهي بهما الأمر في الجحيم الأبدي.

"لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ". (رسالة بُطرس الثانية 3: 9)

لكن بما أنَّ الله ***قُدُّوس وعادل***، فلا يمكنه أن يتغاضى عن خطيَّة آدم وحوَّاء. لذلك، كان عليه أن يُعاقب الخطيَّة.

"عَيْنَاكَ أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ، وَلاَ تَسْتَطِيعُ النَّظَرَ إِلَى الْجَوْرِ، فَلِمَ تَنْظُرُ إِلَى النَّاهِبِينَ، وَتَصْمُتُ حِينَ يَبْلَعُ الشِّرِّيرُ مَنْ هُوَ أَبَرُّ مِنْهُ؟ (سِفْر حبقوق 1: 13)

إذاً، ماذا سيفعل الله؟ هل مِنْ سبيل لمعاقبة الخطيَّة دون معاقبة الخاطئ نفسه؟ وكيف يُمكن لله أن يَقضي على عدوى الخطيَّة لكي تعود الطهارة إلى سابق عهدها؟ هل من إجابة مُرضية لسؤال النبي أيُّوب: *"فَكَيْفَ **يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ** عِنْدَ اللهِ؟"* (سِفْر أيُّوب 9: 2). نشكر الله لأنه أجابنا عن هذا السؤال.

يَكشف لنا الكتاب المقدَّس عَمَّا فعله دَيَّان الأرض لِيَكُونَ "بَارًّا وَيُبَرِّرَ" الخُطاة المُدانين مثل آدم وحوَّاء وسائر الخطاة مثلي ومثلك (رسالة رومية 3: 26). هل تَعلم ما الذي فعله الله لكي يُقَدِّم لك رحمته ويُحافظ – في الوقت نفسه – على عدالته؟

سوف تجد الإجابة في الأجزاء اللاحقة. لذلك، أرجو أن تستمر في الرِّحلة.

هذا ليس ذَنْبي

تعال بنا نستمع إلى الحديث الذي دار بين أبوينا الأوَّلين (آدم وحوَّاء) وخالقهما الذي صار دَيَّاناً لَهُما:

"فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: 'أَيْنَ أَنْتَ؟'. فَقَالَ: 'سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ'. فَقَالَ: 'مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟' فَقَالَ آدَمُ: 'الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ'. فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: 'مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟' فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: 'الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ'." (سِفْر التكوين 3: 9-13)

لماذا استَجْوَب الله آدم وحوَّاء؟

لقد استجوبهما تماماً كما يستجوب الوالدين ابنهما العاصي رغم معرفتهما بما فعله. فقد أراد الله من آدم وحوَّاء أن يُدركا خطيَّتهما والذَّنْب الذي اقترفاه. لكن بدلاً من أن يَعترفا بخطيتهما، حاول كل منهما أن يُلقي اللَّوم على الآخر.

آدم ألقى اللَّوم على الله وعلى حوَّاء: *"الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ".*

أمَّا حوَّاء فألقت اللَّوم على الحيَّة قائلةً: *"الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ."*

وحيث أنَّ آدم وحوَّاء لم يكونا شخصين آليَّين بل كائنين حيَّين، فقد اعتبرهما الله مسؤولين عن خيارهما. وهكذا، كان ينبغي على كُلٍّ منهما أن يلوم نفسه وحسب.

*"لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ: 'إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللهِ'، لأَنَّ اللهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ، وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا. وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ **مِنْ شَهْوَتِهِ**. ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ **مَوْتًا**."* (رسالة يعقوب 1: 13-15)

عوضاً عن أنْ يَتْبَع آدم وحوَّاء خِطَّة خالقهما، تَبِعا *"شهوتهما"* التي قادتهما إلى طريق *الخطيَّة والموت*. فقد أغوى الشيطان حوَّاء وخدعها. أمَّا آدم – الذي أوصاه الله بأن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر – فقد اختار *طوعاً* أن يتمرَّد على خالقه.

"آدَمُ لَمْ يُغْوَ، لكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي." (رسالة تيموثاوس الأولى 2: 14)

وسواء كان عصيانهما مُتعمَّداً أَم أنهما تَعَرَّضا للإغواء والخِداع، فكلاهما مُذنب. لَكِنَّ الكتاب المُقدَّس يُخبرنا إنهما بعد أن أكلا مِنَ الشجرة المُحَرَّمة: *"انْفَتَحَتْ **أَعْيُنُهُمَا**."* (سِفْر التكوين 3 :7)

قام الله بتحميل آدم (وليس حوَّاء) مسؤولية اقتياد البشرية من ملكوت البِرِّ والحياة إلى هَيمنة الخطيَّة والموت. صحيحٌ أنَّ الله كان قد مَنَحَ آدم ذلك الامتياز العظيم بأن يكون رئيساً للجنس البشري كله، لكنَّ الامتيازات العظيمة تُقابلها مسؤوليات عظيمة أيضاً.

لقد تلوَّثنا جميعنا بخطيَّة آدم، لكننا لا نستطيع أن نلومه على خياراتنا وأفعالنا الشخصية.

*"فَإِذًا **كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا** سَيُعْطِي عَنْ نَفْسِهِ حِسَابًا لِلهِ."* (رسالة رومية 14: 12)

14
اللَّعْنَة

انتهى وقت الدفاع والأعذار.

لقد اختار آدم طريقه، لكنه لن يتمكَّن من اختيار عواقب هذه الطريق. فالخليقة كلها ستَصْمُت فيما يُعْلِنُ الديَّان العادل سلسلة من اللَّعنات والعواقب التي سَبَّبتها خطيَّة الإنسان.

الحيَّة

بدأ الرب بإعلان اللَّعنة على *"الحَيَّة"*.

*"فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، **مَلْعُونَةٌ أَنْتِ** مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ."* (سِفْر التكوين 3: 14-15)

مَنْ كانت تلك الحَيَّة التي تكلم الله معها؟ هل كان الله غاضباً حقاً من حيوان زاحف؟

أحياناً، تَشتمل كلمة الله (ولا سيَّما الأمثال والنُبُوَّات) على رسالة مُزدوجة. فقد يَحْمِلُ النَّصُّ مَعنىً سَطحياً ظاهرياً وآخر عميقاً باطناً. وهذا الأمر يَنطبق على هذا الإعلان. فاللَّعنة التي أطلقها الله على الحَيَّة تأتي في مُستويين اثنين:

المُستوى الأول: مِثال توضيحي دائم

مِنْ خلال لَعْن الحَيَّة (إعلان الدينونة عليها)، كان الربُّ يضع أمام الإنسان درساً تَطبيقياً دائماً. فهذه الحَيَّة التي استخدمها الشيطان للإيقاع بالإنسان وجَعْله يُخطئ أمْسَت حيواناً زاحفًا. وكان هذا هو

مَصير جميع أنواع الحَيَّات. ومن الواضح أن الحَيَّات كانت تمتلك قوائم – كغيرها من الزواحف – قبل وقوع آدم وحوَّاء في الخطيَّة. وحتى يومنا هذا، تمتلك بعض أجناس الحَيَّات بقايا من الأجزاء العلوية من عظام القوائم.[125]

وهذا يُرينا أنَّ للخطيَّة عواقب وخيمة على المذنب وغير المذنب على حَدٍّ سَواء. فبسبب الخطيَّة فإنَّ *"كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا."* (رسالة رومية 8: 22). وقد امتد تأثير الخطيَّة ليشمل عالم الحيوانات البريئة أيضاً.

وهكذا، كان هناك سَبَب وَجيه لتسمية اختيار الإنسان للخطيَّة بـــ ***"السُّقوط"***.

المستوى الثاني: هلاك الشيطان المَحْتوم

يقول الكتاب المقدَّس: *"عَالِمِينَ هذَا أَوَّلاً: أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ."* (رسالة بُطرس الثانية 1: 20). فالكتاب المقدَّس يُفَسِّر نفسه بنفسه. وما أعلنه الله في النصف الثاني من لعنته على *"الحَيَّة"* يَجعلنا نبحث بعُمق أكبر في الكتاب المقدَّس.

"وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ." (سِفْر التكوين 3: 15).

مَنْ هي الحيَّة التي يَتَكَلَّم الله معها هنا؟ يُعَرِّف الكتاب المقدَّس الحَيَّة بالملاك المُتَكَبِّر الذي *"سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ"* (سِفْر إشعياء 14: 12). فهو *"الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ **إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ**، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ."* (سِفْر الرؤيا 12: 9)[126] وهكذا، فالحيَّة المَذكورة هنا هي *الشيطان*.

تَلَفَّظ الله بلعنةٍ على الشيطان وجميع مَنْ يَتبعونه. فسوف تكون هناك *"عداوة"* بين ***"نسل"*** الشيطان و ***"نسل"*** المرأة. وفي النهاية، سوف يقوم *"نسل المرأة"* بسحق *"رأس"* الشيطان. وسوف يتم هذا كله بحسب مواعيد الله.

النَّسْلان

ما هي قصة هذين النَّسْلَيْن يا تُرى؟ وإلى مَنْ يُشير "نسل الحيَّة" و "نسل المرأة"؟

يُشير ***نَسْل الحَيَّة*** إلى الذين يتمرَّدون على الله كما فعل الشيطان. فكل مَنْ ينجرف وراء أكاذيب الشيطان هو *ابن للشيطان* بالمعنى الروحي للكلمة.

"أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَق. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ." (إنجيل يوحنَّا 8: 44)

مَنْ هو ***نَسْل المرأة إذًا***؟

يا له من مفهوم فريد! ففي تاريخ الكتاب المقدَّس كله، تُنْسَب ذُرِيَّة الشخص إلى الرَّجُل لا المرأة. غير أنه في اليوم الذي دخلت فيه الخطية إلى العالم، ذَكَرَ الله *نَسْل المرأة*. لماذا؟

كان إعلان الله ذاك بمثابة النُبُوَّة الأولى التي تشير إلى المسيح الذي سيُولد من امرأة وليس من رَجُل. وكلمة *المسيح* تعني حرفيَّاً *"الممسوح"* أو *"المختار"*. ففي الكتاب المقدَّس، عندما كان الله يختار رَجُلاً ليقود الشعب أو ليكون نبيَّاً، كان يُمْسَح بالزيت (يَسْكُب الزَّيت على رأسه) كعلامة على اختيار الله له للقيام بمهمة محدَّدة.[127]

لَكِنَّ المسيح كان مختلفاً عن الآخرين. فقد كان المَمْسوح الأخير المنتظر. وقد دخل مُختار الله العالم في الوقت المعين *"لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ – خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ – كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ."* (الرسالة إلى العِبرانيِّين 2: 14–15).

رُغم أنَّ الله لم يُفْصِح عن خطته الكاملة يوم دخلت الخطية إلى الجنس البشري، إلاَّ أنَّ تلك النُبُوَّة أعطت آدم وحوَّاء وذريتهما بَصيص أمَل. ويحتوي هذا الوعد الرئيسي على العديد من الحقائق الهامة التي وَضَّحَها أنبياء الله في ما بعد.[128]

اللَّعنة

بعد نبوءته الدقيقة عن *نسل المرأة* الذي سيَسحق رأس الحيَّة، قام الله بإطلاع آدم وحوَّاء على بعض العواقب الفعلية لخطيئتهما. وتُسمَّى هذه العواقب بـــ ***"اللعنة"***.

"وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: 'تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ.' وَقَالَ لآدَمَ: 'لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، **وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ**.'"
(سِفْر التكوين 3: 16–19)

كان الخَيار الذي اتَّخذه آدم وحوَّاء بالتمرد على خالقهما مُكْلِفاً جداً. فقد أمْسَت الأفراح العائلية مَقْرونة بالمتاعب والألم. وعوضاً عن أنْ تُنتج الأرض بذوراً وفاكهةً وخضروات مِنْ تلقاء ذاتها، سوف تُنبت شوكاً وأعشاب ضارَّة. وسوف يَحِلُّ الكَدُّ والتعب محل المُتعة والراحة. والأسوأ من هذا كله هو أنَّ شبح الموت المتغطرس سيُخَيِّم على حياة الإنسان القصيرة.

وهكذا، فقد فَقَدَ الإنسان سيطرته وفازَت الخطيَّة جالبةً معها اللَّعنة.

هل الموت أمْر طبيعي؟

قد يعتقد البعض – مِمَّن لا يَلتفتون إلى ما يقوله الكتاب المقدَّس – أنَّ الفقر، والعذاب، والخسائر، والعلاقات الفاشلة، والأمراض، والشيخوخة، والموت هي أمور طبيعية. لَكِنَّ فهم الحقيقة المُتعلِّقة بلعنة الخطية هو أحد مفاتيح فهم الأسباب الكامنة وراء مُعاناة كوكبنا. كما أنَّ البعض يُشيرون إلى حالة البشرية المثيرة للشفقة كدليل واضح على عدم وجود الله. وَهُمْ يفكرون بهذه الطريقة لأنهم لا يُدركون دخول الخطية إلى العالم والعواقب التي نجمت عنها.[129]

في السنغال، يقول الناس أحياناً (ولا سيَّما أثناء الجنازات): "الله خلق الموت قبل أن يخلق الحياة". ويجد الكثيرون بعض الرَّاحة في هذه العبارة. لكنَّ هذا الفكر يتعارض مع المَنْطِق ومع الكتاب المقدَّس الذي يقول: *"آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ."* (رسالة كورنثوس الأولى 15: 26)

قد يبدو الشر والحُزن والمُعاناة والموت أموراً طبيعية. لَكِنْ كما أنَّ الخلايا السَّرطانيَّة ليست هي الشيء الطبيعي للجسم السليم، فإنَّ هذه الأمور المؤلمة ليست هي الشيء الطبيعي في عالمنا. فالأشواك في وردة جُوريَّة طَيِّبة الرائحة، والجهد الذي يبذله المزارعون في الحصاد، والعِناد الذي يُظهره الأطفال الصِّغار، والمُعاملة السيئة التي تُلاقيها الزوجة الطيبة من زوجها، وآلام المَخاض التي تُرافق الولادة، والأمراض التي تقضي على جهاز المناعة في جسم الإنسان، والآلام المُرافقة لسِنِّ الشيخوخة، والواقع المَرير للموت (الذي يُذكِّرنا بأن أجسادنا ستعود إلى التراب)؛ هذه كُلُّها لم تَكُن في خطة الله الرئيسية. فالله لم يَخْلِق الخليقة لتكون في حَرْب دائمة مع نفسها.

قبل دخول الخطيَّة، كان الإنسان هو رأس الخليقة، وكانت كل الأشياء خاضعة بالكامل لآدم وامرأته. كما أنَّ الأرض كانت مملوءة بالبر والسلام. لكن في ما بعد، انحرف أبونا الأوَّل عن طريق الله وسار في طريق الخطية مُصْطَحِباً معه كل الجنس البشري الفاني.

تأثُّر الخليقة بأسْرِها

قد يقول أحدهم: "هذا ليس عدلاً! فلماذا يُعاني أي شخص بسبب خطية شخص آخر؟"

صحيحٌ أنَّ كل واحدٍ مِنَّا يتخذ قراراته بنفسه وأنَّ الله يُحاسبنا كأفراد على هذه القرارات. لكن هناك حقيقة أخرى موازية لها ألا وهي أننا نعيش في عالم ملعون. لهذا يقول المَثَل الوُلُفي الإفريقي: "المَرَض المُعدي لا يَنْحَصِر في الشخص المُصاب به".

هذه هي طبيعة الخطية. فالحياة لم تَعُد عادلة. ونتيجة لخطية آدم *"فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ."* (رسالة رومية 8: 22)

لقد تأثر الجميع بلعنة الخطية. لَكِنَّ الخبر السَّار هو أنه منذ البداية، أعَدَّ الله خطة رائعة وجريئة للنجاة. فكما أن الصانع الماهر يضع نظاماً في الساعة يتم من خلاله التحكم بالأسباب التي قد تجعل الساعة تتوقف، فقد وضع صانع هذا الكون نظاماً داخل عالمه يتم من خلاله إبطال قوى الشيطان المُدَمِّرة والخطية والموت. فمنذ البداية كان لله قَصْدٌ مِنْ سَماحِه للخطية بالدخول إلى العالم ألا وهو أن يُبْطِل لعنة الخطية ويُظهر نعمته لجميع الذين يؤمنون به.

أمَّا الحزن والألم والموت فلم يكن لها وجود في بداية قصة الله، ولن يكون لها وجود في النهاية. فذات يوم، سوف يتم القضاء على الخطية وعلى لعنتها: *"**وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ** مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ. **وَلاَ تَكُونُ لَعْنَةٌ مَا فِي مَا بَعْدُ.**"* (سِفْر الرُّؤيا 21: 4؛ 22: 3). وسوف نعرف المزيد عن هذا المستقبل المجيد في الجزء الأخير من رحلتنا.

نعمة الله

هل تَذْكُر ما فعله آدم وحوَّاء بعد أن أكلا من شجرة معرفة الخير والشر؟

لقد صَنَعا مآزر من أوراق التِّين ليَسْتُرا بها عَورتيهما. كانت تلك هي محاولة الإنسان الأولى لتغطية خطيته وعاره. لكنَّ الله لم يقبل جهود آدم وحوَّاء الشخصية، بل قام بشيءٍ ما لأجلهما:

*"**وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا.**"* (سِفْر التكوين 3: 21)

دَبَّر الله لآدم وحوَّاء لباساً مصنوعاً من جلود الحيوانات. ولكي يَفعل ذلك، كان لا بُدَّ من سَفْك الدِّماء. تَخَيَّل الرب وهو يختار خروفين (أو حيوانين آخرين) ويذبحهما ثم يَصنع *"أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ"* لآدم وحوَّاء. لقد كان الرب يُعَلِّمهما درساً رئيسيَّاً عن الثمن الباهظ للخطية، وعن طبيعته القُدُّوسة، وعن كيفية قبوله للخطاة غير المُستحقين المُتَّسِمين بالعار.

ومن خلال تأمين اللِّباس لآدم وحوَّاء، أظهر الخالق نعمته لهذين الشخصين اللذين تَمَرَّدا عليه. فرغم أنهما لم يكونا مُستحقين لإحسانه، إلاَّ أنَّ هذا هو مفهوم النِّعْمَة: *الإحسان رُغم **عدم الاستحقاق**.*

العَدْل هو نوال *ما نستحقه* (= القصاص الأبدي).
الرَّحْمَة هي عدم نوال *ما نستحقه* (= لا قصاص).
النِّعمة هي نوال *ما لا نستحقه* (= الحياة الأبدية).

بِرُّ الله

من خلال التضحية بالحيوانين لأجل آدم وحوَّاء، أرادهما الله أن يفهما أنه ليس *"الإله الرَّحيم"* فحسب، بل وأيضاً *"الإله البار"* (المزمور 86: 15؛ المزمور 7: 9). فالخطية يجب أن تُعاقَب بالموت. تَخَيَّل أفكار آدم وحوَّاء عندما شاهدا الدماء تَسيل من تلك المخلوقات البريئة الجميلة؟ لقد وضع الله أمامهما صورة واقعية حيَّة: أُجْرَة الخطيَّة هي مَوْت. وبهذا، كان الله هو أوَّل مَنْ بادَر بتقديم أوَّل ذبيحة دمويَّة. وكانت هناك ملايين الذبائح الأخرى التي ستليها.

لاحِظ أيضاً أن الرب هو الذي *"ألبسهما"* تلك الجلود الحيوانيَّة التي وَفَّرها لهما. فقد حاول آدم وحوَّاء أن يَستُرا خطيتهما وعارهما، لَكِنَّ جهودهما لم تُرْضِ الله. فهو الوحيد الذي لديه العلاج لمشكلة الخطيَّة التي وقعا فيها. وقد أرادهما الله أن يَفهما هذه الحقيقة. كما أنه يُريدنا نحن أيضاً أن نفهم هذه الحقيقة.

طَرْد الخُطاة

ينتهي الأصحاح الثالث من سِفْر التكوين بهذه الآيات:

> *"وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: 'هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ.' فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ."* (سِفْر التكوين 3: 22-24)

وهكذا، كما أنَّ الله طَرَدَ إبليس وملائكته من الفردوس السماوي بعد تمردهم على الله، فقد طرد الإنسان وامرأته من الجَنَّة الأرضية عندما عَصَيا إرادته.

لذلك، فقد حُرِمَ الإنسان من التواجد في مَحْضَر الله القُدُّس وحُرِمَ أيضاً من *شجرة الحياة* (وهي مختلفة عن شجرة معرفة الخير والشر). وسوف نتطرَّق للحديث عن شجرة الفردوس السماوي المميزة هذه في نهاية رحلتنا عبر الكتاب المقدَّس. ويكفينا الآن أن نَعرف أنَّ شجرة الحياة تَرمز إلى هِبَة الحياة الأبدية التي يمنحها الله لجميع الذين يؤمنون به وبخطته.

حين أكل آدم وحوَّاء من *شجرة معرفة الخير والشر*، كان ذلك يَعني أنهما رَفَضا طريق الحياة الأبدية واختارا طريق الموت الأبدي. وبهذا، انقطعت العلاقة الوثيقة بين السماء والأرض بسبب الخطية.

وهكذا، واجه آدم وحوَّاء مشكلة خطيرة. ونحن أيضاً نُعاني من المشكلة ذاتها.

15
مَأزق مُزدوج

الشُّرْطة تُلقي القبض على مُجرم مُدان بعد 38 سنة من فَراره. كان هذا هو أحد العناوين الإخبارية الرئيسية في شهر أيار/مايو لعام 2006.

يَسْرُد الخبر قصة رَجُل اسمه "سميث" هرب من سجن في ولاية كاليفورنيا في سنة 1968 حيث كان يَقضي مُدَّة سجنه بسبب ارتكابه جريمة سطو مُسَلَّح.

استمر هذا الرَّجُل في الهرب من مكان لآخر لمدة 38 سنة ليعيش في النهاية في شاحنة في إحدى الغابات الكثيفة في وسط أمريكا حيث عثرت عليه السُّلطات الأمريكية.

قال المُحقِّق المسؤول عن القضية: "نظر السيد سميث إلى الأرض قليلاً ثم إلى فوق قبل أن يقول: 'نعم، هذا أنا.' فهو لم يظن أن الشرطة ستستمر في البحث عنه لمدة طويلة كهذه."[130]

عجز السيد سميث عن الفَرار من القانون. كذلك، لا يُمكن لأي مُتمرِّد على قوانين الله أن يفرَّ من الديَّان العادل الذي سَنَّ الشرائع والقوانين. لَكِنْ مَنْ هُم هؤلاء المُتمرِّدون؟

"كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ يَفْعَلُ التَّعَدِّيَ أَيْضًا. وَالْخَطِيَّةُ هِيَ التَّعَدِّي." (رسالة يوحنَّا الأولى 3: 4)

كل من يَتمرَّد على قوانين الله الصالحة والكاملة هو مُتَعَدٍّ. وهذا هو ما فعله إبليس. وهذا هو ما فعله آدم وحوَّاء. وهذا هو ما فعلناه نحن أيضاً.

كل خطية هي ضد الله في المقام الأوَّل. فرغم أن الكثيرين ينظرون إلى خطيتهم وكأنها أمر بسيط، إلاَّ أن الحال ليس كذلك في نظر الله. فجميع الخطاة الذين لم يتوبوا ولم تُغْفَر خطاياهم هُم مجرمون خارجون عن القانون مهما بدوا "صالحين" أو "مُتديِّنين".

سَعْي مُتفائل نحو سَراب

قال لي أحد جيراني ذات مَرَّة: "أنا مُتفائل، أظن أنني سأنجح في الوصول إلى الجَنَّة". لكن هل ستُساعده جهوده الذاتية وتفاؤله في تجنيبه القَصاص الأبدي عندما يحين وقت الدينونة؟

فيما كنت مسافراً عبر وادي الموت في كاليفورنيا (إحدى الصحارى الأشد حرارة في العالم)، رأيت من بعيد ما يُشبه بُحيرة ماء تتلألأ مياهها تحت أشعة الشمس. لكن عندما اقتربت منها اختفت ولم أَعُد أراها. وحين تابعت السَّير رأيت بُحيرة أخرى ثم اختفت بدورها. كان ذلك سَراباً.

يَنْجُمُ السَّراب عن انعكاس أشعة الشمس عبر طبقات الهواء التي تختلف في حرارتها وكثافتها بعضها عن بعض. لقد بدت البُحيرة حقيقية، لكنها في الواقع لم تكن كذلك. وهكذا، قد يشعر الخاطئ بالتفاؤل حيال فرصته في الذهاب إلى الجَنَّة؛ لَكِنَّ الكتاب المقدَّس يُعلن الحقيقة. فجميع نسل آدم *"ضُعَفَاء"* وعاجزون عن تخليص أنفسهم من الدينونة (رسالة رومية 5: 6). فكما هو حال الشخص الذي يَتيه في صحراء قاحلة ويَستهلك كل ما في حوزته من ماء، فإن الإنسان عاجز عن استرداد حياته الأبدية التي أضاعها بسبب الخطية.

"أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ نَمُوتَ وَنَكُونَ كَالْمَاءِ الْمُهْرَاقِ عَلَى الأَرْضِ الَّذِي لاَ يُجْمَعُ أَيْضًا. ..."
(سِفْر صموئيل الثاني 14: 14)

قد يرى الشخص التائه ما يظنه واحةً قادرةً على تخليص حياته، لكنه سُرعان ما يكتشف أن هذه الواحة ما هي إلاَّ هواء ساخن إلى حَدِّ الغَلَيان. ويستمر الشخص الظمآن البائس في الزحف من سراب إلى آخر الى أن يلقى حَتْفَهُ في النهاية. وهكذا هو الحال فيما يتعلَّق بتفاؤل الخاطئ، وجهوده الذاتيه، وتديُّنه:

"تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً، وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ الْمَوْتِ." (سِفْر الأمثال 14: 12)

في وقتنا الحاضر، يَتبع مليارات الناس حول العالم طُرُقاً تبدو لهم *مُستقيمة* وذلك سعياً منهم للتخلص من حالتهم المُزرية. فَهُمْ يمارسون الطقوس الدينية، ويغسلون أجسادهم بطريقة مُعيَّنة، ويُرَدِّدون الصلوات بطريقة آليَّة دون تأمُّل أو تفكير، ويَمتنعون عن تناول بعض الأطعمة، ويهبون جزءاً من أموالهم للآخرين، ويُضيؤون الشموع، ويُصلُّون باستخدام المسبحة، ويُرَدِّدون بعض العبارات، ويقومون بما يُسمُّونه بالأعمال الصالحة. وهناك من يَعتقدون أنهم أصبحوا صالحين لمُجَرَّد أنهم يَخضعون للقادة الروحيِّين. وهناك مَنْ يأملون في الوصول إلى الجَنَّة عن طريق الموت في سبيل قضية يرونها مُقدَّسة وعادلة.

فهل يُعْقَل أنَّ هؤلاء الناس جميعاً يَسعون نحو سَراب؟

النَّظْرَة الصَّحيحة للذات

هناك مَثَل شَعبي يُرَدِّده الناس في السنغال يقول: *"الحقيقة هي فلفلٌ حارٌّ"*.

والله يواجهنا بحقيقة أنفسنا حتى وإن كانت هذه الحقيقة جارحة ومُزعجة. وهو يحثنا على أن نكون صادقين معه بشأن خطايانا. فبمعزل عن الصدق نكون أشبه بتلك السيدة المريضة التي كنا أنا وزوجتي نعرفها. فقد كانت ترفض الاعتراف بحاجتها إلى طبيب وتُصِرُّ على أنها ستكون على ما يرام؛ لكنها ماتت بعد بضعة أسابيع.

عندما كان المسيح على الأرض قال لمجموعة من القادة الدينيِّين المُتمسِّكين بِبِرِّهم الذاتي:

"لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا [أولئك الذين يعتقدون أنهم على ما يُرام] *بَلْ خُطَاةً إِلى التَّوْبَةِ."* (إنجيل مَرْقُس 2: 17)

على الرغم من وضوح الكتاب المقدَّس، فإن كل ما تفعله الكثير من الكنائس والمساجد والهياكل هو إخبار الناس بمدى صلاحهم وبأنه ينبغي عليهم أن يحاولوا بِجِدٍّ أكبر. لكنهم لا يُعَلِّمون الناس عن بِرِّ الله الذي لا تشوبه شائبة، ولا عن العواقب الوخيمة للخطية.

عَلَّق أحد المَساجد في كندا يافطة كُتبت عليها العِبارة التالية:

"نحن نقبل الجميع
ولا نقول لأحد إنه خاطئ."

لَكِنَّ الله عَلَّق يافطة مُختلفة على باب الفردوس:

لَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا
يَصْنَعُ رَجِسًا وَكَذِبًا."
(سِفْر الرؤيا 21: 27)

يقول الكتاب المقدَّس: *"الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ."* (رسالة رومية 3 :23). فالله لا يقبل أحداً على أساس استحقاقه، بل يقول للجميع إنهم خطاة. لذلك، لن يدخل الفردوس إلاَّ الذين تَطَهَّرَت خطاياهم بطريقة تُحَقِّق مِقياس الله الكامل للعدالة والطهارة.

نَظرة صَحيحة عن الله

ذات يوم رأى النبي إشعياء رؤيا عن طهارة الله المُطلقة ومجده العظيم فكتب:

*"فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ، وَبِاثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: 'قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ.' فَاهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ مِنْ صَوْتِ الصَّارِخِ، وَامْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا. فَقُلْتُ: **'وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ، وَأَنَا***

سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ." (سِفْر إشعياء 6: 1–5)

إن مجد الله الذي يحيط بعرشه في السماء عظيم جداً لدرجة أن الملائكة الطاهرين الكاملين يُغَطُّون وجوههم وأرجلهم. فهذه الملائكة لا تقدر أن تجلس في حضرة الله لكثرة دهشتها من قداسته ومجده. لذلك فهي تطير حول عرشه وهي تُنادي: *"قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ!"*

لماذا يعجز معظم الناس عن رؤية الخطية على حقيقتها؟ ربما لأنهم لم يروا الله على حقيقته ولم يتأملوا في بهائه. كان إشعياء نبياً تقياً، لكنَّ رؤيته لمجد الله القُدُّوس جعلته يدرك نجاسته فقال: *"وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ."* فبالمقارنة مع الله، أدرك إشعياء حالته البائسة وحالة الشعب البائسة أيضاً.

ثم كتب إشعياء في ما بعد: *"**كُلُّنَا** كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا **كُلٌّ وَاحِدٍ** إِلَى طَرِيقِهِ ... وَقَدْ صِرْنَا **كُلُّنَا كَنَجِسٍ، وَكَثَوْبِ عِدَّةٍ** [كَثَوْبٍ قَذِرٍ] **كُلُّ** أَعْمَالِ بِرِّنَا."* (سِفْر إشعياء 53: 6؛ 64: 6). لقد أدرك إشعياء أن الطقوس والجهود الشخصية – مهما كانت كبيرة – لن تجعله طاهراً أمام الله.[131] ففي نظر إلهنا القدّوس *"قَدْ صِرْنَا **كُلُّنَا كَنَجِسٍ**"*.

كما أنَّ النبي أيُّوب أبدى فهمه لحالة الإنسان المُزرية حين قال مُتسائلاً: *"**فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ عِنْدَ اللهِ؟** ... وَلَوِ اغْتَسَلْتُ فِي الثَّلْجِ، وَنَظَّفْتُ يَدَيَّ بِالإِشْنَانِ، فَإِنَّكَ فِي النَّقْعِ تَغْمِسُنِي حَتَّى تَكْرَهَنِي ثِيَابِي."* (سِفْر أيُّوب 9: 2، 30–31). وكتب النبي إرميا كلمات الله هذه: *"فَإِنَّكِ وَإِنِ اغْتَسَلْتِ بِنِطْرُونٍ، وَأَكْثَرْتِ لِنَفْسِكِ الأُشْنَانَ، فَقَدْ نُقِشَ إِثْمُكِ أَمَامِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ."* (سِفْر إرميا 2: 22)

إنَّ النظرة الصحيحة إلى الله تقود إلى نظرة صحيحة إلى الذات. أمَّا الأفكار الخاطئة عن خالقنا فإنها تُنشئ لدينا أفكاراً خاطئة عن أنفسنا.

قد يعتقد المرء الذي يرتدي ملابس بالية وقذرة أنه نظيف ومقبول المظهر، غير أن اعتقاده الشخصي هذا لا يجعله كذلك في واقع الأمر. كذلك، قد يظن الخاطئ نفسه باراً، غير أن ظَنَّه هذا لا يجعله باراً.

وهكذا، إذا نظرنا الى جهودنا الشخصية في ضوء مجد الله وبِرِّه، سوف تظهر جهودنا الشخصية وكأنها *"ثَوْب قَذِر"* (إشعياء 64: 6).

دَرْس للجميع

كان أحد مقاصد الله من إقامة الشعب العِبراني القديم هو تعليم جميع الأمم بعض الدروس الهامة. فعلى الرغم من أن الله كان أميناً على الدوام مع هذا الشعب، إلاَّ أنَّ الشعب استمر في عصيانه وتمرُّده على الرب. والله يريدنا أن نتعلّم منهم: *"وَهذِهِ الأُمُورُ حَدَثَتْ **مِثَالاً لَنَا**، حَتَّى لاَ نَكُونَ نَحْنُ مُشْتَهِينَ شُرُورًا كَمَا اشْتَهَى أُولئِكَ."* (رسالة كورنثوس الأولى 10: 6).

في سِفْر الخروج (الكتاب الثاني من التوراة)، يُدَوِّن النبيُّ موسى كيف أن الشعب العِبراني القديم أخفق في رؤية الخطية كما يراها الله. ورغم أنَّ الله خَلَّصَهم بيد قوية من العبودية في مصر، إلاَّ أنَّ الكثيرين منهم لم يفهموا الرب وطبيعته؛ بل ظنوا أنه بإمكانهم أن يطيعوا الله إلى الحد الذي يُنَجِّيهم من الدينونة فقط.

وهكذا، فقد كان الشعب العِبراني القديم مُتمسكاً جداً بِبِرِّه الذاتي لدرجة أنهم قالوا لموسى:

*"**كُلُّ** مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ **نَفْعَلُ**."* (سِفْر الخروج 19: 8)

وهذا يُرينا أنهم لم ينظروا إلى أنفسهم كخطاة عاجزين، ولم يدركوا البِرَّ الكامل الذي يُطالبهم الله به. بل إنهم نسوا أن خطية واحدة فصلت آدم وحوَّاء عن الله. ولمساعدتهم على رؤية خطيتهم وعارهم، أخضعهم الله لامتحان من عشر نقاط.

يَصِف لنا الكتاب المقدَّس كيف نزل الرب على جبل سيناء بقوة ومجد. *"وَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ لَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ أَنَّهُ صَارَتْ **رُعُودٌ وَبُرُوقٌ وَسَحَابٌ ثَقِيلٌ** عَلَى الْجَبَلِ، **وَصَوْتُ بُوق شَدِيدٌ جِدًّا**. فَارْتَعَدَ كُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي فِي الْمَحَلَّةِ."* (سِفْر الخروج 19: 16) ثم دَوَّى صوت الله مُعلناً الوصايا العشر:

الوصايا العشر

1- ***"لَا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي."*** إذاً، عبادة أي إله غير الله الحي الحقيقي الواحد هي خطية. كما أن عَدَم محبتنا لله من كل القلب والفكر والقوة في كل لحظة هي خطية أيضاً. (سفْر الخروج 20)[132]

2- ***"لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا ... لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدْهُنَّ."*** هذه الوصية لا تقتصر على الركوع أمام صورة أو عبادة شيء ما، بل تشتمل أيضاً على كل شيء يمكن أن يأخذ مكانة الله في حياة الإنسان.

3- ***"لَا تَنْطِقْ بِاسم الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً."*** إذا كنت تزعم أنك خاضع لله الواحد الحقيقي لكنك لا تسعى إلى معرفته وإرضائه فإنك تنطق باسمه القُدُّوس باطلاً.

4- ***"اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لَا تَصْنَعْ عَمَلاً ..."*** أوصى الرب الشعب العِبراني القديم أن يتوقفوا عن العمل في اليوم السابع من الأسبوع إكراماً وتقديساً له.

5- ***"أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ."*** كل ما هو أقل من الطاعة المُطلقة هو خطية. لذلك فإن عدم احترام الابن لوالديه أو التصرف الخاطئ حيالهما هو خطية.

6- ***"لَا تَقْتُلْ."*** يقول الله أيضاً: *"كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ"* (رسالة يوحنَّا الأولى 3: 15). لذلك فإن كراهيَّة الإنسان لأخيه الإنسان توازي القتل. فالله ينظر إلى القلب ويطلب المحبة الطاهرة في كل الأوقات.

7- ***"لَا تَزْنِ."*** لا تُشير هذه الوصية إلى الاستعمال غير الأخلاقي للجسد فحسب، بل وأيضاً إلى الشهوات النَّجِسَة التي تصدر عن العقل والقلب. *"إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ."* (إنجيل متَّى 5: 28)

8- *"**لَا تَسْرِقْ.**"* إن أخذت أكثر مِمَّا هو لك، أو غششت في الضرائب أو في الامتحان، أو لم تعمل بإخلاص في عملك، فهذه كلها أوجه مُختلفة للسرقة.

9- *"**لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ.**"* إن نَطَقْتَ بأي شيء غير صحيح أو بعيد ولو قليلاً عن الحقيقة عن أي شخص أو شيء فهذا خطية.

10- *"**لَا تَشْتَهِ ... شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ.**"* إذا تَمَنَّيت الحصول على ما يملكه الآخرون فهذه خطية. فيجب علينا أن نكتفي بما لدينا.

مُذْنِب!

بعد أنْ أعلن الله هذه الوصايا العشر، يقول الكتاب المقدَّس: *"وَكَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ يَرَوْنَ الرُّعُودَ وَالْبُرُوقَ وَصَوْتَ الْبُوقِ، وَالْجَبَلَ يُدَخِّنُ. وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ **ارْتَعَدُوا وَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ.**"* (سِفْر الخروج 20: 18)

عندئذٍ، توقفوا عن التفاخر والتباهي بالقول: *"كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ!"* فقد أخفقوا في الامتحان.

وماذا عنك أنت؟ كيف كان الامتحان؟

إذا حصلت على أقل من علامة كاملة في هذه الوصايا العشر (طاعة تامَّة على مدار الساعة من لحظة ولادتك حتى هذه اللحظة) فهذا يعني أنك أخفقت في الامتحان (مثل الشعب العِبراني القديم ومثلي أنا أيضاً).

*"لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي **وَاحِدَةٍ**، فَقَدْ صَارَ **مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ.**"*
(رسالة يعقوب 2: 10)

رأينا في الفصل الأول من هذا الكتاب أن الكتاب المقدَّس هو الأكثر مبيعاً في العالم والأكثر رفضاً بين الناس. وأحد أسباب رفضه هو أنه يَكشف خطايانا ويُعَرِّينا من كبريائنا الزائف. فهو يقول: *"لأَنَّكَ*

تَقُولُ: 'إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ ... لأَنَّهُ لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ صَلاَحًا وَلاَ يُخْطِئُ." (سِفْر الرُّؤيا 3: 17؛ سِفْر الجامعة 7: 20)

وهكذا فإنَّ شريعة الله لا تجعلنا نشعر بالارتياح حيال أنفسنا؛ وهي لم توضع لهذا الغَرَض في الأصل.

الغاية من الوصايا العشر

ما هي الغاية من الوصايا العشر؟ فإن كان جميع البشر سيُخفِقون في بلوغ المقياس الذي وضعه الله، فلماذا قام الله بإعطاء هذه الوصايا أصلاً؟!

أحد الأسباب الواضحة لإعطاء الله لهذه الوصايا هو أن يُقَدِّم للبشر مقياساً أخلاقياً واضحاً يُساعد على حفظ النظام في المجتمع. فأي حضارة تعجز عن الاتفاق فيما بينها على ما هو صواب وما هو خطأ هي حضارة تَعُمُّها الفوضى والطغيان. والله يعرف حاجة الإنسان للنظام وسيادة القانون في المجتمع. لكن في حقيقة الأمر أنه توجد أسباب أخرى أهم لدى الله لإعطاء الوصايا العشر.

لقد أعطى الله شريعته *"لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ **بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ**"* (رسالة رومية 3: 19–20).

ثلاث وظائف للوصايا العشر

1– ناموس الله يُسْكِت الأشخاص المُتمسِّكين ببِرِّهم الذاتي: *"لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ."* فالوصايا العشر تقول لكل واحدٍ منا: *"مهما ظننت نفسك صالحاً فلن تَصِلَ يوماً إلى مقياس البِرِّ الكامل الذي وضعه الله. أنت مذنب وكاسر للوصايا. توقف عن التمسُّك ببِرِّك الذاتي!"* [133]

2– ناموس الله يكشِف خطايانا: *"لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ"*. الناموس هو أشبه بصورة الأشعة التي تُظْهِر العِظام المكسورة لكنها لا تُعالجها. كذلك: *"لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ"*.

فالناموس هو أشبه بمرآة يقف أمامها شخص قذر الوجه. فالمرآة تُظْهِر القذارة، لكنها لا تُزيلها. كذلك فإنَّ ناموس الله يُظْهِر نجاستنا وخطيتنا، لكنه لا يُزيلهما.

قبل بضع سنوات، كنت أتحدث مع مُعلِّمٍ لمادة الرياضيات في السنغال وأفسِّر له قصد الله من الناموس. وحين سمع ذلك صُدِمَ وقال بصوت يُعبِّر عن انزعاجه: "إذا كان الناموس يُعلِّمُنا أننا خُطاة عاجزون أمام الله القُدُّوس الذي يجب أن يُدين الخطية، وأننا لا نستطيع أن نُخَلِّص أنفسنا من خلال أعمالنا الصالحة أو الصلاة أو الصوم، فكيف يُمكننا أن نُصبح مَقبولين لدى الله؟ ما هو الحل؟"

3- الناموس يُوَجِّهُنا إلى الحَلِّ الذي أوجده الله: فكما أنَّ صورة الأشعة تُبْرِز العِظام المكسورة لكي يقوم الطبيب المختص بمعالجتها، فإنَّ الناموس يُوجِّهُنا إلى "الطبيب" الوحيد الذي يمكنه أن *"يُفْتَدَيَنا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ"* (رسالة غلاطيَّة 3: 13). وسوف نعرف المزيد عن هذا الطبيب بعد قليل.[134]

النجدة!

إذا كنت على وشك الغرق وكان أحدهم قريباً منك ويستطيع أن يُنقذك من الغرق، فهل تتصرف بتكبُّر وتمتنع عن طلب النجدة؟

إنَّ اعترافك بالعجز عن تخليص نفسك من أُجرة الخطية المميتة ليس ضعفاً، بل هو الخطوة الأولى نحو الانتصار. فالإنسان يحتاج للمساعدة التي لا يُمكن لأحدٍ سوى الله أن يُقَدِّمها له.

رُبما سمعت المَثَل القائل: "إنَّما يُساعِدُ اللهُ أولئكَ الذينَ يُساعِدونَ أنْفُسَهُم". ورغم أنَّ هذا المَثَل يَنطبق على بعض نواحي الحياة، إلاَّ أنه عندما يتعلَّق الأمر بالخطية وبموتنا الروحي فالعكس هو الصحيح: فالله يُساعد أولئك الذي يُدركون عَجزهم عن مُساعدة أنفسهم. بعبارة أخرى، فإنَّ الله يُساعد الأشخاص الذين يَعترفون بحاجتهم إلى مُخَلِّص.

هناك مَثَل إفريقي شَعبي يقول: *"لن يتحوّل جِذْع الشجرة إلى تمساح حتى لو بقي في المياه لمدة طويلة"*. كذلك، لا يُمكن للإنسان أن يُغَيِّر طبيعته النجسة ولا أن يجعل من نفسه شخصاً صالحاً.

انتشار التلوُّث

فَكِّر مَرَّة أخرى في آدم وحوَّاء. لقد أعطاهما الله قاعدة واحدة:

"أَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا."

لو أطاع آدم وحوَّاء الله، لكانا عاشا إلى الأبد واستمرَّا في النمو في علاقتهما الرائعة معه. لَكِنَّ هذا لم يحصل. فقد عصى أبوانا الله وانقطعت علاقتهما به. وحين أدركا أنهما خاطئين، حاولا الهرب من الله بسبب شعورهما بالخجل، وحاولا أن يَستُرا عريهما بأوراق التين. لَكِنَّ الله أوجد لهما الحل مُلَمِّحاً إلى رحمته وعدله قبل أن يطردهما من حضرته. ولولا أنه أوجد الحل لكانا طُرِدا إلى الأبد. فقد وقفا أمام خالقهما القدوس وهُما مُلوَّثان بالخطية ومحكوم عليهما.

وهذا يقودنا إلى سؤال مهم: كم خطية ارتكب آدم وحوَّاء قبل أن يطردهما الله من جَنَّة عَدْن الرائعة؟ لم يتطلَّب الأمر سوى خطية واحدة. ولم تستطع أعمالهما "الصالحة" السابقة كلها ولا جهودهما الذاتية اللاحقة أن تُزيل عواقب تلك الخطية المُنفردة.

"الصَّلاح" هو المقياس *الاعتيادي* عند الله. لذلك، عندما أخطأ آدم لم يعد صالحاً أمام الله، بل صار ككأس مياه نقية وَضع فيها أحدهم قطرة من مادة "السيانيد" السامَّة. فإن كانت لديك كأس ماء مُسَمَّمة، فهل يُمكنك التخلص من السم عن طريق إضافة المزيد من المياه النقية إليها؟ كلا. كذلك، لا يُمكن لأي قدر من الأعمال الصالحة أن يحل مشكلة الخطية. وحتى لو استطاعت الأعمال الصالحة أن تحل هذه المشكلة، ففي حقيقة الأمر أننا لا نملك "مياهً نقيَّةً" (أعمالاً بارَّةً) نُضيفها إلى طبيعتنا الخاطئة. فأفضل جهودنا هي – في نظر الله – مُلَوَّثة.

تَلَطَّخَتْ حياة آدم وحوَّاء بالخطية. وهذا هو ما حدث لنا نحن أيضاً. فجميعنا آتٍ من المصدر المُلَوَّث عينه. لهذا، يُعلن النبي داود حُكْم الله الصادِر بحَقِّنا:

"الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ، لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللهِ؟ الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعًا، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ." (المزمور 14: 2–3)

مأزقنا المزدوج

هناك قصة قديمة جداً عن رَجُل بريطاني حُكِمَ عليه بالإعدام. وذات يوم، وبينما كان هذا الرَّجُل جالساً في سجنه، فُتِحَ باب الزنزانة ودخل السَّجَّان وهو يقول له: "افرح! لقد عَفَت الملكة عنك." لكِنْ لدهشة السَّجَّان، لَمْ يُبْدِ السَّجين أي رَدَّة فِعْل.

ثم أضاف السَجَّان قائلاً وهو يُلَوِّح بالورقة التي يحملها في يده: "ما بالُكَ يا رَجُل؟ افرح! هذه هي وثيقة العفو. لقد عَفَت عنك الملكة!"

حينئذٍ، رفع السَّجين قميصه وأشار إلى ورم مخيف وقال للسَجَّان: "أنا مُصاب بالسرطان وسوف أموت بعد بضعة أيام أو أسابيع. لهذا، لا يُمكن لهذا العفو أن يُفيدني إلاَّ إذا كانت الملكة قادرة أيضاً على إزالة الورم."

عرف ذلك الرَّجُل أنه بحاجة إلى ما هو أكثر من العفو عن الجرائم التي ارتكبها؛ فقد كان بحاجة إلى *حياة جديدة*.

وكل فرد في جنس آدم يُشبه هذا الرَّجُل المُدان. فسواء كنا خطاة باختيارنا أو منذ ولادتنا فنحن عالقون في مشكلة مزدوجة: فمِنْ جِهَة فإننا بحاجة إلى الغفران عن الجرائم التي ارتكبناها بحق الله. ومن جِهَة أخرى فإننا بحاجة إلى الحياة البارَّة الأبدية من الله والتي تؤهلنا للعيش في مَحْضَرِه الذي كله قداسة.

ولتلخيص ذلك، إليك هذا التوضيح لهذا المأزق المزدوج:

- **الخطيَّة:** نحن خُطاة مُذنبون ولا يستطيع أحد سوى الله أن يُطَهِّرنا من الخطية وأن يُنَجِّينا من القصاص الأبدي. لذلك، فنحن بحاجة إلى **غُفران** الله.

- **العار:** نحن عُراة روحيَّاً ولا يستطيع أحد سوى الله أن يُلبسنا رداء بِرِّه وأن يمنحنا الحياة الأبدية. لذلك، فنحن بحاجة إلى **كمال** الله.

وهكذا فإنَّ خطيَّتنا وعارنا يتطلَّبان علاجاً مُزدوجاً لا يُمكننا أن نصنعه بأنفسنا.

لكنَّ الخبر السَّار هو أن الله وَفَّر لنا العلاج.

16
نَسْل المَرأة

في ليلة باردة يُخَيِّم عليها الضباب، وقع طفلان صغيران في حُفرة عميقة فأُصيبا بجروح عديدة، وشَعَرا بالخوف الشديد وبعجزهما التام عن مساعدة نفسيهما.

لم يتمكَّن أيٌّ منهما من تخليص الآخر لأنهما كانا عالقين في المأزق ذاته. وكان الموت ليخطفهما سريعاً إن لم تأتِ النجدة من خارج الحفرة. في وقت لاحق، عثر عليهما ثلاثة رجال فنزل أحدهما بواسطة حَبْل إلى الحفرة العميقة وسحب الطفلين إلى الخارج. وهكذا، فقد جاء خلاصهما من فوق.

في اليوم الذي أخطأ فيه آدم وحوَّاء للمرة الأولى صارا كهذين الطفلين. فقد عجزا عن تخليص نفسيهما من حُفرة الخطيَّة التي وقعا فيها. وبالتالي، إنْ أرادا النجاة من الموت الأبدي، يجب أن يأتي الخلاص من خارج الجنس البشري الساقط؛ أي من فوق.

أرجو أن لا تَمُرَّ على هذه الحقيقة دون فهمها تماماً. فحالة الإنسان خطيرة وحرجة ولا سيَّما مع عدم وجود علاج ذاتي. فعلى مَرِّ العُصور، ورث جميع نسل آدم – المولودون من رَجُل وامرأة – طبيعة خاطئة. أجل، لقد ولدوا جميعاً – دون استثناء – تحت لعنة الخطية.

ولتحرير الخطاة من لعنة الخطية وعواقبها، خَطَّط الله لإرسال رَجُل خالٍ من الخطية لكي يكون قادراً على توفير الخلاص لجميع الذين يريدون أن يتحرَّروا من حُفرة الخطية.

لكن كيف سيتمكن الله من القيام بذلك؟ وكيف يُمكن لأي شخص أن يولد في العائلة البشرية دون أن يَرِث طبيعة آدم الخاطئة؟ لقد أعطى الله العلامة الأولى في اليوم الذي تلوَّث فيه الجنس البشري بالخطيَّة. فقد وَجَّه الله التحذير التالي المُسْبَق إلى "الحَيَّة" (الشيطان):

*"وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ **وَنَسْلِهَا**. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ."* (سِفْر التكوين 3: 15)

من خلال الحديث عن "نَسْلِها"، أنبأ الله بأن الخلاص سيأتي بواسطة طفل يُولد من امرأة، وبأنه سيُخلِّص الخطاة ويَسحق الشيطان ويُدَمِّر الشر في النهاية. كان هذا الإعلان هو الأول في سلسلة طويلة من النبوءات اللاحقة التي أشارت بوضوح متزايد إلى اللحظة التاريخية التي سيأتي فيها المسيح المُخَلِّص إلى هذا العالم.

لِماذا "نسلها"؟

لماذا دخل المسيح الجنس البشري "مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ" وليس من رَجُل؟ (رسالة غلاطيَّة 4: 4)

هنا يَكْمُن الجواب: ففي حين أنَّ مُخَلِّص الخطاة سيزور جنس آدم الخاطئ كبشر، إلاَّ أنه ينبغي عليه أن يكون من خارج حُفرة الخطية. بعبارة أخرى، يجب أن يأتي من فوق.

بعد سنوات طويلة من إعلان الله لهذه النُبُوَّة الرئيسية حول *نَسْل المرأة*، كتب النبي إشعياء:

*"وَلكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: **هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا** وَتَدْعُو اسمهُ: عِمَّانُوئِيلَ* [الذي تَفسيرُه 'اللهُ مَعَنا']." (سِفْر إشعياء 7: 14)

إذاً، سوف يدخل المُخَلِّص العائلة البشرية من خلال رَحِمِ امرأة لم تعرف أي علاقة جسدية مع أي رَجُل. وهذه هي الطريقة التي زار بها المسيح جنس آدم الساقط دون أن يرث طبيعة آدم الخاطئة.

قد يقول أحدهم: "مهلاً! النساء أيضاً خاطئات في نَظَر الله. لذلك، حتى وإن وُلد المسيح من امرأة فقط، ألن يَرِث طبيعة أُمِّه الخاطئة؟"

سوف نرى بعد قليل كيف قام روح الله القُدُّوس بهذا الحَبَل العجيب لهذا الطفل القُدُّوس. لكن لنتأمَّل أولاً في بعض العناصر الأقل وضوحاً في خطة الله الرامية إلى جَلْب ابنه الخالي من الخطية إلى

العالم عن طريق رَحِم عذراء. فكيف يُمكن للمسيح أن يولد دون أن تُلوِّثه الخطية المُنتشرة في ذُريَّة آدم كلها؟

غير مُلَوَّث بالخطية

رأينا في الفصل 13 كيف أنَّ الله حَمَّل آدم مسؤولية جَرِّ الجنس البشري إلى ملكوت الشيطان؛ أي ملكوت الخطية والموت. فحوَّاء خُدِعَت، أمَّا آدم فأخطأ بإرادته. ورغم أنَّ الإناث يولدن بطبيعة خاطئة مثل الذُّكور تماماً، إلاَّ أنَّ الكتاب المقدَّس يُوضِّح لنا أن اتصالنا بآدم هو الذي يجعلنا نولد بالخطية.[135]

في الرِّسالة إلى العبرانيِّين نرى أن اسم *آدم* يعني حرفياً "التُّراب الأحمر". فقد خلقه الله من تراب الأرض وقال له: *"بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، **وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ**."* (سِفْر التكوين 3: 19)

على النقيض من ذلك فإنَّ اسم *حوَّاء* يعني "حياة": وقد أُطلق هذا الاسم على أوَّل امرأة (حَوَّاء) *"**لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ**"* (سِفْر التكوين 3: 20). وفي اليوم الذي دخلت فيه الخطية إلى العالم أعلن الله عن خطته للتعامل مع مشكلة الخطية وإعطاء الحياة الأبدية للعالم مِنْ خلال *"**نسلها**"* (سِفْر التكوين 3: 15).

لهذا، رغم أنَّ المسيح أخذ شكل جسد من لحم ودم، إلاَّ أنه لم يأتِ من دم آدم الملوث بالخطية. فقد كان غير مُلوَّث بالخطية.

ومن وجهة نظر عِلميَّة، تجدر الإشارة إلى أن الأب هو من يُحدِّد جنس الطفل وليس الأم. كما أننا نعرف أيضاً أن الطفل يمتلك – منذ بداية الحمل – دورة دموية مُستقلة عن الدورة الدموية الخاصة بأمه. كذلك، يقول الطب: "تَخلق المَشيمة حاجزاً يفصل دم الأم عن دم الطفل فيما يستمر الطعام والأكسجين بالمرور إلى الجنين".[136] وهكذا، فقد وضع الله كافة التفاصيل المُتعلِّقة بمجيء المسيح إلى الأرض حتى قبل خلقه لآدم.

هل تَذْكُر المثال التوضيحي الخاص بغُصن الشجرة المقطوع؟ فكما أنَّ ذلك الغصن مُنفصل عن الشجرة وميِّت، فإن العائلة البشرية مَيِّتة روحياً ومنفصلة عن مَصدر الحياة. ورغم أن مُخلِّص الخطاة كان

سيأتي ويعيش لبعض الوقت في عائلة آدم الميتة روحياً والمُلطَّخة بالخطية، إلاَّ أنه لم يكن آتياً من المصدر ذاته؛ بل هو *"الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ"* (إنجيل يوحنَّا 15: 1) ومَصدر الحياة.

كان يجب على المسيح أن يكون *كاملاً*. وكلمة "كاملاً" لا تعني أنه لن تظهر البثور على وجهه، أو لن تظهر الكدمات والخدوش على جسده. بل تعني كمال الشخصية، والطبيعة الخالية من أي خطية والتي لن تخرق ناموس الله. فهو *"قُدُّوسٌ بِلاَ شَرّ وَلاَ دَنَس، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ"* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 7: 26).

وهكذا، هل نتعجَّب إذا عرفنا أنَّ المسيح يُدعى *"الإنسان **الثاني**"* و *"آدم **الأخير**"*؟

الإنسان الثاني

*"هكَذَا مَكْتُوبٌ أَيْضًا: 'صَارَ آدَمُ، **الإِنْسَانُ الأَوَّلُ**، نَفْسًا حَيَّةً، **وَآدَمُ الأَخِيرُ** رُوحًا مُحْيِيًا.' لكِنْ لَيْسَ الرُّوحَانِيُّ أَوَّلاً بَلِ الْحَيَوَانِيُّ، وَبَعْدَ ذلِكَ الرُّوحَانِيُّ. **الإِنْسَانُ الأَوَّلُ** مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ. **الإِنْسَانُ الثَّانِي** الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ."* (رسالة كورنثوس الأولى 15: 45-47)

كما أنَّ *"الإنسان الأول"* اقتاد البشرية بأكملها إلى ملكوت النجاسة والظلمة والموت، فسوف يقوم *"الإنسان الثاني"* بتخليص الكثيرين من هذا الملكوت وإدخالهم إلى ملكوت الله المجيد، ملكوت البر والحياة. لهذا، في اليوم الذي تَلَوَّث فيه الجنس البشري بالخطية، حَذَّر الله الشيطان بأن نسل المرأة سيأتي ذات يوم إلى الأرض ليسحقه ويُدمره.

وقد كتب النبي ميخا ما يلي عن المُخَلِّص المُنتَظر:

*"أَمَّا أَنْتِ يَا **بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ**، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، **وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ** ... لأَنَّهُ الآنَ يَتَعَظَّمُ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. وَيَكُونُ هذَا سَلاَمًا."* (سِفْر ميخا 5: 2، 4-5).

تنبَّأ ميخا بأن المسيح سيولد في بيت لحم،[137] وأعلن أيضاً أن المُخَلِّص كان موجوداً *"مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ."*

إذاً، سوف يأتي هذا المُخَلِّص الأزلي إلى زماننا ووقتنا الحاضر.

تنبَّأ عنه الأنبياء

الأنبياء الذين تنبَّأوا عن مجيء المسيح من عذراء ومن بيت لحم تنبَّأوا أيضاً بأن نبياً آخر سيأتي قبله مُعلناً عن مجيئه. وقد كتبوا أيضاً أن مُختار الله سيُلَقَّب بـــ *"ابن الله"* و *"ابن الإنسان"*. كما أنهم تنبَّأوا بأنه سيجعل العُمي يُبصرون، والصُمَّ يَسمعون، والعُرج يَمشون، وأنه سيدخل أورشليم على جَحْش، وأنه سيُرفض من شعبه، وأن الناس سيَسخرون منه ويبصقون عليه ويجلدونه ويصلبونه، وأنه لن يعرف خطية لكنه سيموت من أجل خطايا الآخرين، وأنه سيُدفن في قبر رَجُل غني لكنَّ جسده الميت لن يَتَعَفَّن، وأنه سيَغلب الموت ويقوم من بين الأموات مُظهراً نفسه بأنه حي، وأنه سيعود إلى السماء من حيث أتى.[138]

وهل هناك شخص آخر في التاريخ استوفى كل هذه الشروط التي ذَكَرها الأنبياء في نبوءاتهم؟

لا، فهو الشخص عينه الذي قسم التقويم العالمي إلى اثنين (**"قبل الميلاد"** و **"بعد الميلاد"**).

إنه ***يسوع***.

الله يَفي بوعده

وعد الله عَبْر العُصور بإرسال المُخَلِّص إلى العالم من خلال نسل إبراهيم وإسحق ويعقوب ويهوذا وداود وسليمان. فإنجيل مَتَّى (السِّفْر الأول في العهد الجديد) يبدأ بهذه الكلمات:

"كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ: إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا ..."

ثم نقرأ قائمة طويلة من الأنساب تتضمن *"وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ"* وتنتهي بـــ *"وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ"* (إنجيل متَّى 1: 1–2، 16). وكلمة *"المسيح"* هي الترجمة العربيَّة للاسم العِبراني *"المسيَّا"* والذي يعني *"المَمسوح"* (أو المُختار).[139] نرى من خلال هذا النَّسَب حق المسيح الشرعي في اعتلاء عرش الملك داود. كما أننا نرى أن المسيح يَنحدر مباشرة من إبراهيم وإسحق ويعقوب الذين وعد الله بمباركة جميع سكان الأرض من خلالهم.

لقد حان الوقت لكي يُنَفِّذ الله خطته: *"الَّذِي سَبَقَ فَوَعَدَ بِهِ بِأَنْبِيَائِهِ فِي الْكُتُبِ المقدَّسةِ عَنِ ابْنِهِ."* (رسالة رومية 1: 2)

ابن العلي

يُدَوِّن لنا الأصحاح الأول من إنجيل لوقا تلك القصة الرائعة عن زيارة الملاك جبرائيل لزكريَّا الذي كان يعمل بصورة رئيسية في تقديم الذبائح ورفع الصلوات في الهيكل في أورشليم. ورغم أنَّ زكريَّا وزوجته أليصابات كانا مُتقدِّمين في السِنِّ، إلاَّ أنَّ الملاك جبرائيل قال لزكريَّا إنَّ زوجته ستُنجب ابناً يُسَمُّونه يوحنَّا، وأنَّ ابنهما هذا سيأتي قبل مجيء المسيح مُباشرة.

وتستمر القصة لتحكي لنا عن زيارة الملاك جبرائيل لفتاة تقيَّة اسمها مريم:

"وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسمهَا نَاصِرَةُ، إِلى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُل مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسمهُ يُوسُفُ. وَاسم الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ.

فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: 'سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ.' فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ: 'مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ!'

*فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: 'لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. **وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ.** هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، **وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى،** وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ'.*

*فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: '**كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟**'*

*فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهَا: '**اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ ... لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ.**'"*
(إنجيل لوقا 1: 26-37)

مُخَلِّص الخُطاة

بعد بضعة شهور، عَلِمَ يوسف أن خطيبته مريم حُبلى وظن – كما يُمكن لأي رَجُل أن يظن في مثل هذه الحالة – أنها خانته. لهذا، قَرَّر يوسف أن يُلغي زواجهما الذي بات وشيكاً.

*"فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا. وَلكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هذِهِ الأُمُورِ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: 'يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسمهُ **يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ.**'"* (إنجيل متَّى 1: 19-21)

كما نرى في الأصحاح الأول من سِفْر التكوين، فإن الرُّوح القُدُس هو الله نفسه.[140] وقد وضع الله كلمته الأزلية في أحشاء مريم بطريقة خارقة للطبيعة.

إن اسم "***يسوع***" يعود في الأصل إلى الكلمة اليونانية "*إيسوس*" المُترجمة في الأصل عن الكلمة العِبريَّة "يشوع" والتي تعني "***الرَبُّ يُخَلِّص***".

*"وَهذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: 'هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسمهُ عِمَّانُوئِيلَ' الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ، وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ. وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ.[141] وَدَعَا اسمهُ **يَسُوعَ.**"* (إنجيل متَّى 1: 21-25)

كلام الله يَتحقَّق

كان الله يُنَفِّذ الخطة التي بدأ بإعلانها يوم دخلت الخطية إلى العالم. فقد حان وقت ولادة *"نسلها"* !

قرأنا قبل بضع صفحات نُبُوءة النبي ميخا عن مكان ولادة المسيح. فقد أنبأ الرب بأنه سيولد في *بيت لحم* التي كانت مسقط رأس الملك داود. لكن كانت هناك مُشكلة. فمريم ويوسف كانا يعيشان في الناصرة التي تبعد مَسيرة أيام عن بيت لحم. إذاً، كيف ستتمُّ نُبُوَّة ميخا؟

هذه ليست مُشكلة عند الله لأنه سيُحَرِّك الإمبراطور الروماني للمساعدة في تتميم هذه النبوَّة:

*"وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. وَهذَا الاكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينِيُوسُ وَالِيَ سُورِيَّةَ. فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. **فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ** وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ."* (إنجيل لوقا 2: 1-7)

لم يُولد المسيح المنتظر في قصر فخم ومريح، بل ولد في مِذْوَدٍ وَضيعٍ حيث توضع الأعلاف للمواشي. أجل، لقد جاء إلى العالم بهذه الطريقة لكي يتمكن أفقر الناس وأدناهُم مكانةً من المجيء إليه دون خوف.

بشارة الملاك

*"وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، **وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ**، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: **'لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ**. وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً*

*مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ. وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: "**الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ**".* (إنجيل لوقا 2: 8-14)

كانت تلك الليلة هامَّة جداً في تاريخ البشرية. فقد انتهى الانتظار الطويل.

"فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ ..." (إنجيل لوقا 2: 7)

لقد جاء نَسْل المرأة أخيراً. وكان كل شيء يجري تماماً كما تنبأ به الأنبياء – بحسب طريقة الله وتوقيته.[142]

لم يُرسل الله ملائكته لإعلان ولادة المسيح والاحتفال بها فحسب، بل إنه وضع أيضاً نجماً مُمَيَّزاً في السماء. وقد رأى المَجوس (وهم مجموعة من عُلماء الفَلَك من المشرق) ذلك النجم الساطع وتبعوه. فقد كانوا يَعلمون أنها علامة تُشير إلى ولادة المسيح المُنْتَظر. وبعد رحلة شاقة من بلاد فارس البعيدة، ذهب هؤلاء الرجال البارزون إلى الملك هيرودس في أورشليم ليطرحوا عليه سؤالاً واحداً فقط:

"**أَيْنَ هُوَ** الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا **نَجْمَهُ** فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا **لِنَسْجُدَ لَهُ**" (إنجيل متَّى 2: 2).[143]

مَنْ هو هذا الطفل؟

مَنْ كان ذلك الطفل الذي وُلِدَ في مِذْوَد؛ الطفل الذي تنبأ عنه الأنبياء، وبَشَّر به الملائكة، وزاره الرُّعاة، وكَرَّمَه نجم ساطع، وسَجَدَ له المَجُوس؟

لنقرأ مَرَّة أخرى ما قاله الملاك للرُّعاة:

*"لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ **الْمَسِيحُ الرَّبُّ**."* (إنجيل لوقا 2: 10-11)

لم يَكُنْ ذلك الشخص المُتمثِّل في ذلك الجسد الصغير سوى المسيح الرب.

17
مَنْ يَكونُ هذا؟

"الغِزلان القَفَّازَة لا تَلِدُ صغاراً يَحفرون الجُحور."
– مَثَل شَعبي سنغالي

كما أنَّ الغِزلان تَلِدُ أبناءً يَحْمِلون صِفات الغِزلان، فإنَّ الخُطاة يُنجبون أبناءً يَحملون صِفات الطبيعة الخاطئة. وإذا تُرك الإنسان بمفرده فلن يتمكن يوماً من الخروج من دائرة الخطية. وهذا واضح جداً.

الخُطاة

فَكِّر في صناعة الأفلام السينمائيَّة في أمريكا. ففي كل سنة، تُنتج هوليوود أفلاماً تُحَقِّق نجاحاً باهراً لألمع الأبطال والبطلات مِمَّن يُظهرون كل أنانية، وفساد أخلاقي، وانحراف، وكلام بذيء، وعنف، وانتقام، وخداع. لكِنْ لماذا يُصِرُّ كُتَّاب السيناريو على تضمين مثل هذه الصِّفات السيئة في شخصيات الأبطال الصالحين في أفلامهم؟ بعبارة أخرى، لِمَ لا يَجعلون "البطل" رَجُلاً صالحاً، وطيباً، وكريماً، وغفوراً، وصادقاً؟ لأنَّ الجنس البشري مُلَوَّث بالخطية. وحتى أفضل الشخصيات التي يُمكننا أن نتخيَّلها مُلَطَّخة بالخطية أيضاً. وهذا التلوُّث ليس محصوراً في هوليوود، بل إنه يَشمل الجنس البشري بأكمله.

ويَجْدُر التنويه إلى أن طبيعة الإنسان الخاطئة تُظهر ذاتَها بطرق مُلتوية كثيرة. فعلى سبيل المثال، إذا كنت من العالم العربي، فأنت تعرف الشخصية الأدبية القديمة المُسَمَّاة "جُحا". إنَّ قصص جُحا وحماره تجعلنا نضحك. وقد كُتبت مئات النوادر عن هذه الشخصية التي تَتَّصِفُ بالذكاء وروح الفكاهة؛ لكنها في أغلب الأحيان تُظهر الأنانية، وروح الانتقاد، والأفكار النَّجِسَة، وروح الانتقام، والخداع، والنكث بالوعود. ويكفي أن تتأمَّل في شخصية جُحا لتُدرك ذلك! وهكذا، فحتى الشخصيات الخيالية المُفضَّلة لدينا مُلَطَّخة بالخطيَّة. وإليك إحدى نوادر جُحا:

جاء أحد أصدقاء جُحا إليه وقال له: "كنت قد وعدتني أن تُقرضني بعض المال فهَيَّا أقرضني."

فرد عليه جُحا: "أنا لا أُقرض دراهمي لأحد، ولكن أعطيك يا صديقي ما تشاء من الوعود!"[144]

ونحن أيضاً كجُحا – ساقطون بطبيعتنا، وغير صادقين في وعودنا.

لكن هناك إنسان واحد في التاريخ[145] صَدَقَ في كل وعوده. فقد كان يقول الحقيقة دائماً، ولم يَخدع أحداً، ولم يُسِئ إلى أحدٍ، ولم يُهَدِّد أحداً، ولم يَنتقم من أحدٍ قَطّ.

إن اسمه هو **يسوع**.

"الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ، الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْل." (رسالة بُطرس الأولى 2: 22-23)

الذي لم يَعرف خطيَّة

تختلف حياة يسوع اختلافاً تاماً عن ثقافات العالم التي تسيطر عليها الخطية. فقد كان الشخص الوحيد الخالي من الخطية على هذه الأرض. كان *"مُجَرَّبًا فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ"* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 4: 15). فلم تَخْطُر بباله أي فكرة غير طاهرة، ولا خرجت من شفتيه أي كلمة في غير مكانها. وفيما كان يسوع ينمو مع إخوته وأخواته غير الأشِقَّاء في منزل متواضع في الناصرة،[146] كان يُطيع بصورة طبيعية الوصايا العشر وكافة شرائع الله الأخرى – في السِرِّ وفي العَلَن. وعلى الرغم من أنه كان يملك جسداً كأجسادنا، إلاَّ أنه لم يملك طبيعة مَيَّالة للخطيَّة مثلنا.

"وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا، وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ." (رسالة يوحنَّا الأولى 3: 5)

عندما بلغ يسوع الثلاثين من العُمر، بدأ خدمته الرسميَّة على الأرض.[147] وكانت حَرْبُه مع الشيطان قد بدأت بالتصاعد. فقد عَلِمَ الشيطان أن يسوع هو ابن الله الذي جاء ليسحقه، غير أنه لم يكن على دراية بالطريقة التي سيَسحقه بها.

وكما أنَّ الشيطان جرَّب الإنسان الكامل الأول ليجعله يَعصي الله، فقد حاول هذه المرة أن يُجرِّب الإنسان الكامل الثاني ليجعله يَعصي قوانين الله.

"أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعَ أَخِيرًا. وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: 'إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَقُلْ لِهذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزًا.' فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: 'مَكْتُوبٌ: أَنْ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ'."
(إنجيل لوقا 4: 1–4)

لاحِظ أنَّ الشيطان لم يحاول أن يَجعل يسوع يقوم بأي عمل "شرير"، لكنه أراد لهذا الرَّجُل الخالي من الخطيَّة (والذي قام بغزو منطقته) أن يتصرف بمعزل عن إرادة أبيه السماوي لأن التصرُّف بمعزل عن إرادة الله هو **خطيَّة** (كما رأينا في الفصل 11).

النقطة الجوهرية هنا هي: لو اقترف المسيح خطية واحدة فقط لأخفق في القيام بمهمته الرَّامية الى تخليص جنس آدم الملعون من ناموس الخطية والموت.

وكما أن الرجل الغارق في الديون لا يستطيع أن يُسدِّد دين شخص آخر، فإن الخاطئ يَعجز أيضاً عن دفع ثمن خطايا خاطئ آخر. أمَّا ابن الله الذي صار ابن الإنسان،[148] فلم يكن غارقاً في ديون خطاياه. لهذا، فقد كان بإمكانه أن يتخطى الموت إذ أنه لم يعرف خطية. لكننا سنرى بعد قليل أن خطة الله كانت تختلف عن ذلك.

في هذه الأثناء، استمر الشيطان في محاولة التأثير على يسوع لكي يدفعه الى التصرُّف بمعزل عن خطة الله الكاملة. وفي كل مَرَّة، كان يسوع يُجيبه بآية من الكتاب المقدَّس.[149]

"ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ. وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: 'لَكَ أُعْطِي هذَا السُّلْطَانَ كُلَّهُ وَمَجْدَهُنَّ، لأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ، وَأَنَا أُعْطِيهِ

*لِمَنْ أُرِيدُ. فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ.' فَأَجَابَهُ يَسُوعُ وَقَالَ: 'اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! **إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ**'* ." (إنجيل لوقا 4: 5-8)

ومثلما أعطى الله آدم سُلطاناً على الخليقة، حاول الشيطان أن يُقَدِّم ليسوع ذلك السُّلطان الذي أساء هو نفسه (أي الشيطان) استخدامه عندما اختار آدم أن يتبعه.[150] لكن خلافاً لآدم، لم يُطِعْ يسوع الشيطان.

وهكذا، فقد صار كلمة الله جسداً.

أَتباع يسوع

بعد أن بدأ يسوع خدمته العَلنيَّة بوقت قصير، اختار اثني عشر رَجُلاً ليرافقوه أينما يذهب. كما أنَّ العديد من النِّسوة تبعن يسوع أيضاً. وقد أصبح هؤلاء شهود عيان على أقوال يسوع وأفعاله.

"وَعَلَى أَثَرِ ذلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ الله، وَمَعَهُ الاثْنَا عَشَرَ. وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ ... وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ." (إنجيل لوقا 8: 1-3)

أظهر يسوع الاحترام ذاته للرجال والنساء والأطفال. والإنجيل مليء بالقصص التي تتحدث عن معاملة يسوع للنساء باحترام وطيبة فاقا ما كان سائداً في الثقافتين اليهودية والرومانية في تلك الأيام. فقد كان يسوع ينظر إلى كل شخص على هذه الأرض على أنه جدير بالتقدير والاحترام؛ لكنه لم يُرغِم أحداً على الإصغاء إليه أو الإيمان به أو اتِّباعه. بل إنه كان يُحب أن يقضي وقته مع الأشخاص الذين فتحوا عقولهم وقلوبهم لمعرفة الحقيقة مهما كَلَّف الأمر.

سؤال حاسم

رغم أنَّ الكثير من الناس العاديين تَبِعوا يسوع، إلاَّ أنَّ القادة الدينيين اليهود لم يَتبعوه. وذات يوم، وَجَّه إليهم يسوع هذا السؤال الحاسم:

*"**مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟**"* (إنجيل متَّى 22: 42)

فأجابوا قائلين إن المسيح سيأتي من نَسَب داود. وعندها ذَكَّرهم يسوع بأن داود تنبأ بأنَّ المُخَلِّص المُنْتَظَر سيكون في الوقت نفسه الابن الأرضي لداود والابن السماوي لله.[151]

وفي وقت سابق، سأل يسوع تلاميذه:

*"'**مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الإِنْسَانِ؟**' فَقَالُوا: 'قَوْمٌ: يوحنَّا الْمَعْمَدَانُ، وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا، وَآخَرُونَ: إِرْمِيَا أَوْ وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ.' قَالَ لَهُمْ: '**وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟**' فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: 'أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!.' فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: 'طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.'"* (إنجيل متَّى 16: 13–17)

عاجلاً أم آجلاً، سوف يَتعيَّن على كل شخص فينا أن يُجيب عن هذا السؤال: ماذا تَظُنُّ في يسوع؟ ابن مَنْ هو؟

ما يقوله البعض

بالنسبة للكثيرين في الغرب، فإن كلمة "يسوع" هي مُجَرَّد كلمة يستخدمونها في الشتائم. وآخرون يقولون إنه مُعَلِّم أخلاقي عظيم. واليهود التقليديون يَتجنَّبون حتى التلفُّظ باسمه حيث يُشيرون إليه بقولهم: "ذلك الرجل". ويَنظُر الهندوسيُّون إلى يسوع كواحد من التجلِّيات الإلهيَّة مثل باقي آلهتهم. أمَّا جيراني المُسلمون فيقولون لي: "نحن نُكْرِم يسوع كنبي عظيم؛ لكنه ليس ابن الله." وقد عَبَّر أحد المُسلمين عن ذلك في رسالة بعثها لي عن طريق البريد الإلكتروني يقول فيها:

> "أنا أسكن في السعودية ... نحن نؤمن أن يسوع هو مُجَرَّد نبي وليس ابن الله. وهو لم يُقتل. لكنه سيأتي ثانيةً وسيَرى الجميع الموقف الذي سيتخذه. آمل أن يحدثَ هذا في أيامك حتى تنضم إلى ديانتنا الجميلة وترى النور الحقيقي."

وكتب شخص آخر من ماليزيا:

"أنا أؤمن أن الله هو واحد ولم يأخذ شكل إنسان قط. وكل مَنْ يؤمن أن الله أخذ شكل إنسان هو كافر."

إنَّ هذه الأفكار وغيرها نابعة من القرآن.

ما يقوله القرآن

يقول القرآن في مواضع عديدة إن *"الْمَسِيح عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ"* (سورة 4: 171–173؛ 5: 75، 2: 136). غير أن القُرآن الذي يؤمن به المُسلمون يُعلن أيضاً أن يسوع فريد بين الأنبياء. فهو لم يكن له أب جسدي: *"ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ"* (سورة 19: 34). ورُغم أن القرآن يُشير إلى خطايا الأنبياء، إلاَّ أنه لا يَنسبها ليسوع. فهو: *"الابن القُدُّوس"*.[152] ويُقَدِّم القرآن يسوع أيضاً بصفته النبي الوحيد القادر على الخَلْق، وفتح عيون العُمي، وتطهير البُرْص، وإقامة الموتى.[153] وينسب القرآن ليسوع وحده صفات المسيح، وروح الله، وكلمة الله.[154]

بعد أن رأينا هذه الآيات التي تؤكِّد تَمَيُّز يسوع في القرآن، علينا أن نلاحظ أيضاً الفرق الجوهري بين صورة *"عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ"* في القرآن والكتاب المقدَّس. فمثلاً، الآية القرآنية نفسها التي تنسب ليسوع الصفات المذكورة أعلاه تقول أيضاً: *"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ* ***رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا*** *إِلَى مَرْيَمَ* ***وَرُوحٌ مِنْهُ*** *فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ* ***وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ. انْتَهُوا*** *خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا."* (سورة 4: 171)

في السنغال، يقول الكبار والصغار: "إن يسوع ليس ابن الله! فالله ليس له ابن!" ويقولون أيضاً: "يسوع لم يُصلب!"

من أين تأتي هذه الفكرة بعدم صلب المسيح؟

تأتي من القرآن الذي يقول: *"وَبِكُفْرِهِمْ* [أي اليهود] *وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ* ***وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ*** *وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ* ***وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا*** *بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا."* (سورة 4: 156–158)

ما يقوله الكتاب المقدَّس

قبل القرآن بقرون عديدة، رَسَمَ الأنبياء والرُّسُل الأربعون الذين كتبوا العهدين القديم والجديد صورة مُختلفة للمسيح وإرساليَّته. ففيما يتعلَّق بلقب "ابن الله"، شهد الرسول يوحنَّا الذي مشى مع المسيح وتكلَّم معه لمُدَّة تزيد عن ثلاث سنوات قائلاً:

> *"وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ* ***يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ،*** *وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ* ***حَيَاةً بِاسْمِهِ.***" (إنجيل يوحنَّا 20: 30–31)

وكتب الرسول يوحنَّا أيضاً:

> *"فِي الْبَدْءِ كَانَ* ***الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ.*** *هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ ...* ***وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا،*** *وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا* ***لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ،*** *مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا."* (إنجيل يوحنَّا 1: 1–3، 14)

منذ بضع سنوات، أفْصَح لي صديق مُسلم قائلاً: "يقول القرآن إن يسوع هو **كلمة الله وروح الله.** إذا كان يسوع هو كلمة الله وروح الله، فهو إذاً الله!" في وقتٍ لاحق، اتَّهم البعض صديقي بالكُفْر والشِّرك (أي الإيمان بإله آخر إلى جانب الله[155]). لكنه لم يَكُن الوحيد الذي واجه مثل هذه الاتهامات. ففي أيام يسوع، اتَّهم القادة الدينيون يسوع بالتهمة ذاتها:

*"فأجاب يسوع: 'أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ.' **فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ.** أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: 'أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي. بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟' أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: 'لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ، بَلْ **لأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا**'."* (إنجيل يوحنَّا 10: 30-33)

اتَّهَم اليهود يسوع بأنه حاول أن يفعل الشيء ذاته الذي فعله لوسيفر (الشيطان): أن يَسلب الله مكانته الفريدة والعظيمة. بعبارة أخرى، فقد اتهموه بأنه يَدَّعي بأنه الله. لكنهم فهموا الأمر بصورة معكوسة.

التجسُّد لا التأليه

لم يُعَلِّم يسوع ولا الأنبياء أن الإنسان يُمكن أن يُصبح الله؛ لكِنَّ الكتاب المقدَّس بَيَّن بوضوح أن الله سيَصير إنساناً. فمثلاً، قبل 700 سنة من ولادة المسيح ، كتب النبي إشعياء:

*"اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ ... لأَنَّهُ **يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا**، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسمهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، **إِلهًا قَدِيرًا**، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ."* (سِفْر إشعياء 9: 2، 6)[156]

كما كتب النبي إشعياء الكلمات التالية عن المسيح:

*"عَلَى جَبَلٍ عَالٍ اصْعَدِي، يَا مُبَشِّرَةَ صِهْيَوْنَ. ارْفَعِي صَوْتَكِ بِقُوَّةٍ، يَا مُبَشِّرَةَ أُورُشَلِيمَ. ارْفَعِي لاَ تَخَافِي. قُولِي لِمُدُنِ يَهُوذَا: '**هُوَذَا إِلهُكُمْ**'."* (سِفْر إشعياء 40: 9)

منذ البدء، اشتملت خطَّة الله على التجسُّد (أن يأخذ الله هيئة بَشَر) وليس التأليه (أن يَجعل الإنسان نفسه إلهاً). فالقول بأنَّ الإنسان يُمكن أن يَصير الله هو تجديف (كُفْر) بالفعل. أمَّا الاعتراف بأن الكلمة الأزلي صار إنساناً فيعني أن نُدرك خطة الله الأزليَّة.

مِنَ الرسائل إلى اللقاء الشخصي

ما هي الطريقة الأفضل للتعرُّف إلى شخص ما معرفة وثيقة:

- الاقتصار على التواصل معه من خلال الرسائل؟
- أَم الالتقاء به وجهاً لوجه وقضاء بعض الوقت معه بعد تبادُل الرسائل لفترة من الزمن؟

الكتاب المقدَّس هو كتاب مُدهش حقاً. فالله الذي مَشى في القديم مع آدم وحوَّاء، وتكلم معهما، وخَطَّط أن يعرفه نسلهما معرفة شخصية، لم يُرِد قَطّ أن يَجعل اتصاله بالبشر مُقتصراً على الورق. فمنذ البدء، أراد الله أن يتواصل معنا **شخصياً**. فالرب الذي أمَرَ أنبياءه بتدوين كلامه على ورق البَردي وجلود الحيوانات على مَدى عِدَّة قُرون، وَعَدَ بأنه سيُظْهِر ذاته للبشر من خلال **جسد بشري**. وهكذا، فقد خَطَّط الله لإعطائنا كلمته لا في كتاب فحسب، بل وأيضاً في **جسد**.

"عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ ***يَقُولُ:*** *ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلَكِنْ هَيَّأْتَ لِي* ***جَسَدًا****".*
(الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 10: 5)[157]

"وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي ***الْجَسَدِ*** *..."* (رسالة تيموثاوس الأولى 3: 16)

بَعيد عن جلال الله؟

على الرغم من إعلانات الله المُتكرِّرة عن خطته للسُّكنى بين البشر، فإنني أسمع الناس يقولون: "مِنْ رابع المُستحيلات أن يُصبح الله – جَلَّ جَلالُه – إنساناً!"

ما مِنْ شَكٍّ أنَّ فكرة التجسُّد تُحَيِّر العقل! لكن هل هي أبعد ما يكون عن جلال الله؟ أَم هل التجسُّد جزء من طبيعة الله وخطته لكي يُنشئ علاقة وثيقة مع الإنسان الذي خلقه لنفسه؟

غالباً ما نشعر بقُربنا من الأشخاص الذين مَرُّوا بنفس المِحَن والتجارب التي مَرَرنا فيها نحن. فالأشخاص المؤهلون لمساعدة الآخرين ومواساتهم هُم الذين مَرُّوا بنفس الآلام والأحزان. أمَّا خالقنا، فهو المُعَزِّي الأعظم.

*"فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، ... لأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّبًا يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجَرَّبِينَ ... لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ **مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ**."* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 2: 14، 18؛ 4: 15)

مُنذ البداية، كانت خطة الله تَقضي بأن يكون جسد المسيح مُعَرَّضاً لمَحدوديات وأتعاب الجسد البشري العادي، وأن تَتَّسِخ أظافر يديه، وأن يشعر بالجوع والألم، وأن يختبر ما نختبره نحن. لهذا فإنَّ مَنْ يُعَلِّمون تعليماً مُغايراً يرفضون لا أنبياء الله وخطته فحسب، بل وأيضاً طبيعة الله وصفاته. فبدلاً من قبول إعلان الله عن ذاته بصفته الخالق الأمين والمحب الذي يريد للناس أن يعرفوه معرفة شخصية، فإنهم يَصفونه بالإله البعيد الذي لا يُمكن للإنسان أن يعرفه.

ليس هناك أي "جَلال" في عدم النزول إلى مستوى شخص آخر بهدف خدمته ومباركته. لذلك، لم يُعلن الله يوماً عن رفضه لفكرة النزول إلى مستوانا. فقد كانت هذه هي خِطَّته، وقد سُرَّ بأن يفعل ذلك.[158]

*"مِنْ أَجْلِكُمُ **افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ**، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ."* (رسالة كورنثوس الثانية 8: 9)

زار الكلمة الأزلي بنفسه كوكبنا لأجلنا أنا وأنت. فخالق الكون "الغني" بالمجد والكرامة افتقر وصار خادماً لكي نَستغني نحن – لا بالمال، ولا بالممتلكات المادية؛ بل بالبركات الروحية كالغفران، والبر، والحياة الأبدية، والقلب المُفعم بمحبته وفرحه وسلامه ومقاصده المُقَدَّسة.

تعريف العَظَمَة

يَظُنُّ الكثيرون أن الله أعظم جداً من أن يأتي إلى الأرض بجسد من لحم ودم. فهل يُفَكِّر هؤلاء بهذه الطريقة لأن تعريفهم للعَظَمَة يختلف عن تعريف الله لها؟

عَرَّف يسوع العَظَمَة الحقيقية لتلاميذه قائلاً:

"'أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يُحْسَبُونَ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَأَنَّ عُظَمَاءَهُمْ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ ***عَظِيمًا****، يَكُونُ لَكُمْ* ***خَادِمًا****، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ* ***أَوَّلاً****، يَكُونُ* ***لِلْجَمِيعِ عَبْدًا. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ****'."* (إنجيل مرقُس 10: 42-45).

إذاً، الإنسان الأعظم هو الذي يتواضع تواضُعاً شديداً ويَخدم الآخرين أفضل خدمة.[159]

وهذا هو ما فعله الخالق لأجلنا.

سيِّد الرِّياح والأمواج

ذات يوم، كان يسوع وتلاميذه في قارب صيد في بحر الجليل.

"وَإِذَا ***اضْطِرَابٌ عَظِيمٌ*** *قَدْ حَدَثَ فِي الْبَحْرِ حَتَّى غَطَّتِ الأَمْوَاجُ السَّفِينَةَ، وَكَانَ هُوَ نَائِمًا. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ: 'يَا سَيِّدُ، نَجِّنَا فَإِنَّنَا نَهْلِكُ!' فَقَالَ لَهُمْ: 'مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟' ثُمَّ قَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيَاحَ وَالْبَحْرَ، فَصَارَ* ***هُدُوء عَظِيمٌ****. فَتَعَجَّبَ النَّاسُ قَائِلِينَ: 'أَيُّ* ***إِنْسَانٍ هذَا؟ فَإِنَّ الرِّيَاحَ وَالْبَحْرَ جَمِيعًا تُطِيعُهُ!'"* (إنجيل متَّى 8: 24-27)

كيف كنت لتُجيب عن سؤال التلاميذ ذاك؟

"أيُّ إنسانٍ هَذا"؟

من الواضح أن يسوع كان إنساناً. فقد كان نائماً في القارب، واختبر التعب والجوع والعطش. لكنه وقف في تلك اللحظة وانتهر الرياح والبحر. وفي الحال، هدأت الرياح العاصفة وسكن البحر الهائج.

لهذا، لا عجب في أن يسأل التلاميذ هذا السؤال: *"أَيُّ إِنْسَانٍ هذَا؟"*

قبل ذلك بألف سنة، كتب ناظم المزمور:

*"يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ، مَنْ مِثْلُكَ؟ **أَنْتَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كِبْرِيَاءِ الْبَحْرِ. عِنْدَ ارْتِفَاعِ لُجَجِهِ أَنْتَ تُسَكِّنُهَا.**"* (المزمور 89: 8-9).

"أَيُّ إِنْسَانٍ هذَا؟" يقول الإنجيل أيضاً إن يسوع مَشى على البحر.[160] ومَرَّة أخرى *"بُهِتُوا* [التلاميذ] *وَتَعَجَّبُوا فِي أَنْفُسِهِمْ جِدًّا إِلَى الْغَايَةِ"* (إنجيل مَرْقُس 6: 51). لَكِنَّ يسوع لم يَمْشِ على الماء ليدهش التلاميذ، بل ليجعلهم يدركون حقيقته.

وقبل ذلك بألفي سنة، قال النبي أيُّوب عن الله:

"صَانِعُ النَّعْشِ وَالْجَبَّارِ وَالثُّرَيَّا وَمَخَادِعِ الْجَنُوبِ." (سِفْر أيُّوب 9: 8)

"أَيُّ إِنْسَانٍ هذَا؟" إنَّ الله يدعونا للتأمُّل والتفكير لكي نُدرك من هو يسوع. لكن للأسف الشديد أنَّ الكثيرين مِنَّا لا يرغبون في معرفة الحقيقة ولا في قبولها.

*"كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، **وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ.**"* (إنجيل يوحنَّا 1: 10)

"**أيُّ إنسانٍ هذا؟**" لقد أجاب يسوع نفسه عن هذا السؤال أثناء حديثه مع بعض الناس العدائيِّين المُتديِّنين.

"**أنا هو .. أنا كائن**"

"ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا قَائِلاً: 'أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ' ... فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: 'الآنَ عَلِمْنَا أَنَّ بِكَ شَيْطَانًا. قَدْ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَالأَنْبِيَاءُ، وَأَنْتَ تَقُولُ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلاَمِي فَلَنْ يَذُوقَ الْمَوْتَ إِلى الأَبَدِ. أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ؟ وَالأَنْبِيَاءُ مَاتُوا. مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟' أَجَابَ يَسُوْعُ: ... 'أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ'. فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: 'لَيْسَ

لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟' قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: 'الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ'. فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازًا فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هكَذَا" (إنجيل يوحنَّا 8: 12، 51-53، 56-59).

لماذا حاول اليهود أن يرجموا يسوع؟ لأنه قال: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ **كَلاَمِي** فَلَنْ **يَذُوقَ الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ**" و"**قَبْلَ** أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ **أَنَا كَائِنٌ**". لم يؤكد يسوع سُلطانه على الموت وسيادته على إبراهيم فحسب (الذي كان قد مات قبل 1900 سنة)، بل إنه استخدم أيضاً الاسم الخاص بالله: "**أنا هو**".[161]

وقد فهم السامعون قصد يسوع فاتهموه بالتجديف والتقطوا حجارة ليرجموه.

عبادة الله وحده

عَلَّم يسوع باستمرار أن الله هو الوحيد الذي يستحق العبادة. لذلك قال يسوع *"**لِلرَّبِّ إِلهِكَ** تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ **وَحْدَهُ** تَعْبُدُ"* (إنجيل متَّى 4: 10). غير أن الإنجيل يَذكر لنا (عشر مرَّات على الأقل) أنَّ الناس سجدوا ليسوع.

"وَإِذَا أَبْرَصُ قَدْ جَاءَ **وَسَجَدَ لَهُ**[162] قَائِلاً: 'يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي'. فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلاً: 'أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!'. وَلِلْوَقْتِ طَهُرَ بَرَصُهُ" (إنجيل متَّى 8: 2-3). هل قام يسوع بتوبيخ الأبرص لأنه سجد له؟ كلا، بل لمسه وشفاه.

وبعد قيامة يسوع من الموت، انحنى تلميذ اسمه توما أمام يسوع وقال له: "رَبِّي **وَإِلهِي!**" فهل انتهره يسوع لتجديفه؟ كلا، بل قال له *"**لأَنَّكَ** رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا"* (إنجيل يوحنَّا 20: 28-29)

ما الذي نتعلَّمه من هذه القصص عن هويَّة يسوع؟

القرار بين يديك

إنَّ القرار الذي يتخذه كل منا حول هويَّة يسوع هو قرار شخصي. لكن يجب ألاَّ يكون رأينا مُناقضاً لطبيعته. فإن كان يسوع "نبياً عظيماً" كما قال لي جيراني، فهو أيضاً "الكلمة الأزلي وابن الله". أمَّا القول بأن يسوع هو مُجَرَّد نبي فهو إنكار لشهادة يسوع والأنبياء في آنٍ واحد.[163]

كان "سي. إس. لويس" أحد أتباع المذهب الشكوكي (قبل إيمانه) وواحد من أعظم مُفَكِّري القرن العشرين. وقد كتب ما يلي عن يسوع:

> "أحاول هنا أن أمنع أيَّاً كان من التفوُّه بكلام الحماقة الذي غالباً ما يتلفَّظ به الناس حين يقولون عن يسوع: 'أنا مُستعد لقبول يسوع كمعلِّم أخلاقي عظيم، لكني لا أقبل ادِّعاءه بأنه الله.' يجب ألاَّ نتفوَّه بمثل هذا الكلام. فإن كان يسوع مُجَرَّد إنسان وقال ما قاله عن نفسه، فلا يمكن أن يكون مُعلِّماً أخلاقياً، بل هو إمَّا مَجنون أو الشيطان بذاته. أنت صاحب القرار. خُذ قرارك بنفسك. فإمَّا أن يكون هذا الرَّجُل ابن الله (وهو كذلك)، وإمَّا أن يكون مجنوناً وأكثر من مجنون. بعبارة أخرى، يمكنك أن تُسْكِتَه لأنه مجنون، أو أن تبصق عليه وتقتله لأنه شيطان؛ أو يمكنك أن تجثو له وتدعوه ربَّاً وإلهاً. لكن لا تختلق أفكاراً غريبة عن كونه مُجَرَّد مُعَلِّم بشري عظيم. فهو لم يترك لنا المجال لنقول هذا، ولا حَتَّى أراد ذلك."[164]

"قُلْ لنا جَهْرَاً"

من وقتٍ لآخر، يقول لي أحدهم: "أخبرني أين يقول يسوع في الكتاب المقدَّس 'أنا الله'. وقد حاول القادة الدينيُّون في أيام يسوع أن يُجبروه على قول ذلك. فقال لهم يسوع:

> *"أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى ... فَاحْتَاطَ بِهِ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: 'إِلَى مَتَى تُعَلِّقُ أَنْفُسَنَا؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ **فَقُلْ لَنَا جَهْرًا**'. أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: 'إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. اَلأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسم أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي ... **أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ**'. **فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ.** أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: 'أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي. بِسَبَبِ أَيِّ عَمَل مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟'*

*أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: **'لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ، بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا'** ."* (إنجيل يوحنَّا 10: 9، 24-25، 30-33)

لماذا أراد رجال الدِّين هؤلاء أن يرجموا يسوع؟ لأنه قال: *"**أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ**"*. فوفقاً لتفكيرهم، كان ما قاله يسوع عن وحدته مع الله يُعَدُّ تَجديفاً (كُفْرَاً). غير أن اليهود أنفسهم أعْرَبوا دوماً عن إيمانهم قائلين: "الرب هو إلهنا، الربُّ واحد [الوحدانيَّة الجامِعَة]". أما يسوع، فكان يُعلن ذاته بصفته ابن الله الذي كان هو والله واحداً على الدوام.[165] وكان هذا هو سَبَب اتهام اليهود له بالتجديف.

لم يتفاخر يسوع يوماً بوجوده الأزلي بصفته ابن الله وكلمته. فهو لم يُعلن بأعلى صوته قائلاً: "أنا هو الله، أنا هو الله!" لكنه عاش على هذه الأرض كما أراد للبشر جميعاً أن يعيشوا: بتواضع تام وخضوع كامل لله.

لكنَّ يسوع هو الشخص الوحيد الذي استطاع أن يقول: *"**لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي**"* (إنجيل يوحنَّا 6: 38). وهكذا، فقد تَجَلَّى مجد يسوع في تواضعه ليصير ابن **الإنسان** رغم كونه ابن **الله**.

وهكذا، فقد اختار الرب يسوع أن يُعلن عن ذاته بطرق متواضعة وفعَّالة في الوقت نفسه. فذات مَرَّة، جاء رَجُل غني إلى يسوع وخاطبه قائلاً: *"**أَيُّها المُعَلِّم الصَّالِحُ!**"* وعندها، سأله يسوع: *"**لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ.**"* (إنجيل لوقا 18: 19)[166] لم يَكُن ذلك الرَّجُل الغني يؤمن أن يسوع هو الله. لكِنَّ يسوع – الذي هو التجسيد الكامل للصلاح الإلهي – ساعده على تجميع قِطَع الأُحجية معاً لكي يَعرف من هو بالحقيقة. وهو يريدنا أن نُدرك حقيقته بدورنا.[167]

أقوال تُثْبِتُها أفعال

أظهرت المُعجزات الكثيرة والعظيمة التي صنعها يسوع سُلطانه على كافة عناصر الخليقة الساقطة الخاطئة. فقد عرف أفكار الناس، وغفر الخطايا، وضاعف الخبز والسمك لكي يُطعم الآلاف، وهَدَّأ الرياح، وأمر الأرواح الشريرة بالرحيل. وكان بكلمة أو لمسة منه يشفي المرضى، ويجعل العُرج يمشون، والعُمي

يُبصرون، والصُمَّ يَسمعون، والموتى يَقومون. فكما تنبَّأ الأنبياء، كان المسيح هو "ذراع الرب على الأرض".[168]

لقد ظهر جلال يسوع الفائق في كل أجزاء كيانه للذين فتحوا عيونهم ليروه. كما أن أعماله أثبتت كلماته. فمثلاً، قال يسوع عن نفسه (كما قرأنا قبل قليل) إنه "الحياة". لكن كيف أثبت كلامه؟ لقد أثبته من خلال إعادة الحياة إلى الموتى.

فقد وقف يسوع ذات يوم أمام قبر لعازر (وهو رَجُل كان قد مات قبل أربعة أيام ودُفن في قبر داخل كهف) وقال لشقيقة الميِّت أن تتوقف عن البكاء لأن أخاها سيحيا من جديد. وعندها، قالت ليسوع: *"أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ، فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ."* فقَالَ لَهَا يَسُوعُ: ***"أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ.*** *مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا"* (إنجيل يوحنَّا 11: 24-25).

ولكي يُثبت حقيقة كلامه صرخ بصوت عظيم: "لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا! فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيل. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: 'حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ'. فَكَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ ... نَظَرُوا مَا فَعَلَ يَسُوعُ، آمَنُوا بِهِ. وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَمَضَوْا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُمْ عَمَّا فَعَلَ يَسُوعُ ... **فَمِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوهُ ... فَتَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ لِيَقْتُلُوا لِعَازَرَ أَيْضًا،** لأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ يَذْهَبُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ." (إنجيل يوحنَّا 11: 43-46، 53؛ 12: 10-11)[169]

ما أقسى قلوب البشر!

قلوب قاسية

في ضوء إعلانات يسوع وشَعبيَّته المتزايدة، اتحد القادة الدينيُّون والسياسيُّون لتحقيق هدف واحد ألا وهو إسكاته! وكانوا يبحثون بيأس عن أي سبب لاتهامه وإعدامه. لكن كيف يَتَّهِمون الرَّجُل الكامل الوحيد الذي ولد على هذه الأرض؟

في يوم سبت، وبينما كان يسوع يُعلِّم في المَجْمَع ...

*"كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ. فَصَارُوا يُرَاقِبُونَهُ: هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ؟ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ: 'قُمْ فِي الْوَسْطِ!' ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: 'هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟' فَسَكَتُوا. فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ، **حَزِينًا عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ**، وَقَالَ لِلرَّجُلِ: 'مُدَّ يَدَكَ'. فَمَدَّهَا، فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى. **فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ** [حزب ديني] **لِلْوَقْتِ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ** [حزب سياسي] **وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ.** فَانْصَرَفَ يَسُوعُ مَعَ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْبَحْرِ، وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْجَلِيلِ وَمِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَمِنْ أُورُشَلِيمَ وَمِنْ أَدُومِيَّةَ وَمِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ. وَالَّذِينَ حَوْلَ صُورَ وَصَيْدَاءَ، جَمْعٌ كَثِيرٌ، إِذْ سَمِعُوا كَمْ صَنَعَ أَتَوْا إِلَيْهِ. فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ أَنْ تُلاَزِمَهُ سَفِينَةٌ صَغِيرَةٌ لِسَبَبِ الْجَمْعِ، كَيْ لاَ يَزْحَمُوهُ، لأَنَّهُ كَانَ قَدْ شَفَى كَثِيرِينَ، حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهِ لِيَلْمِسَهُ كُلُّ مَنْ فِيهِ دَاءٌ. وَالأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ حِينَمَا نَظَرَتْهُ خَرَّتْ لَهُ وَصَرَخَتْ قَائِلَةً: 'إِنَّكَ أَنْتَ ابْنُ اللهِ!'"* (إنجيل مَرْقُس 3: 1-11)

الشياطين تَعرف يسوع

كانت الشياطين تعرف هويَّة هذا الرَّجُل الذي يَشفي المرضى؛ لهذا فقد خاطبته بلقبه اللائق وصرخت قائلة: *"أنت ابنُ الله!"* أجل، كانت تلك الملائكة الساقطة تعرف تاريخه الأسبق. فقبل آلاف السنين، رأت تلك الشياطين قُدرته وحكمته الفائقتين حين خلق السماوات والأرض. كما أنها ارتعبت حين تذكَّرت اليوم الذي طردها فيه من مَحضره بعد أن اختارت أن تتبع إبليس في عصيانه وتمرُّده.[170] والآن ها هو على الأرض يعيش بين البشر!

كان سُلطان رئيسها (إبليس) يتزعزع. وكانت لعنة الخطيَّة قد بدأت بالزَّوال؛ فقد قام الابن الأزلي بنفسه (بصفته نسل المرأة) باقتحام نِطاقها وسُلطانها. لهذا فقد خَرَّت له تلك الأرواح النجسة وصرخت قائلة: "إِنَّكَ أَنْتَ ابْنُ اللهِ!" في تلك الأثناء، كان القادة الدينيُّون يتشاورون عليه ***"لكي يَقتلوه."***

ذات مَرَّة، سَرَدْت هذه القصة على مجموعة من الأشخاص الذين جاؤوا لزيارتي. وعندما انتهيت علَّق أحدهم قائلاً: "هذا غير معقول! الشياطين احترمت يسوع أكثر مما فعل القادة الدينيُّون!"

إنه شيء يَصعُب تصديقه، لكنه حدث بالفعل!

18
خِطَّة الله الأزليَّة

*"مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ **مُنْذُ الأَزَلِ جَمِيعُ** أَعْمَالِهِ."*
(أعمال الرُّسُل 15: 18)

قبل أن يبدأ الزمن، كان لدى الله خطة واضحة لشعبه. وفي اليوم الذي لَوَّثَت فيه الخطية العائلة البشرية، بدأ الرب بإعلان تلك الخطة شيئاً فشيئاً. ويُشير الكتاب المقدَّس إلى هذه الخطة على أنها "**سِرُّ** الله" (سِفْر الرُّؤيا 10: 7).

وحتى يومنا هذا، يبقى قَصْد الله وخطته للبشرية سِرَّاً لمعظم الناس. رغم ذلك فإنَّ *"**السِّرّ الْمَكْتُوم** مُنْذُ الدُّهُورِ وَمُنْذُ الأَجْيَالِ، ... الآنَ قَدْ أُظْهِرَ"* (رسالة كولوسي 1: 26).

أكثر امتيازاً من الأنبياء

حين يتعلَّق الأمر بفهم قصة الله ورسالته، نجد أننا أكثر امتيازاً من الأنبياء الذين كتبوا الكتاب المقدَّس. فنحن لدينا إعلان الله الكامل، أمَّا هُم فلم يكن إعلان الله قد اكتمل في زمانهم. كما أننا نستطيع أن نقرأ نهاية كتاب الله، أمَّا هُم فلم يكن بإمكانهم ذلك لأنَّ سِفر الرؤيا لم يَكُن قد كُتب بعد.

*"الْخَلاَصَ الَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي لأَجْلِكُمْ، بَاحِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا. **الَّذِينَ أُعْلِنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لَنَا كَانُوا يَخْدِمُونَ بِهذِهِ الأُمُورِ الَّتِي أُخْبِرْتُمْ بِهَا أَنْتُمُ الآنَ**، بِوَاسِطَةِ الَّذِينَ بَشَّرُوكُمْ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُرْسَلِ مِنَ السَّمَاءِ. **الَّتِي تَشْتَهِي الْمَلاَئِكَةُ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْهَا**."*
(رسالة بُطرس الأولى 1: 10-12)

لماذا أخفى الله خطته

يسأل البعض: "لماذا لم يُخبر الله الإنسان الساقط فوراً بما يُخَطِّط للقيام به؟" أو "لماذا أحاط الله رسالته بطابع من السريَّة؟"

على الرغم من أن إله الكون لا يدين لنا بأي تفسير، إلاَّ أنه زَوَّدنا – بمُقتضى لُطفه – ببعض المعلومات عن سبب إخفائه لخطَّته عن الإنسان. فقد اختار الله أن يكشف عن برنامجه بصورة تدريجية مُغَلَّفة بالحكمة **للأسباب الرئيسية الثلاثة** التالية:

أولاً، كما أوضحنا في الفصلين الخامس والسادس، فقد كشف الله عن خطته بصورة تدريجية وأيَّدها بأعداد لا تُحصى من النبوءات والرموز والشهود لكي تتأكد الأجيال القادمة من صِحَّة رسالة الله الواحد الحقيقي.

ثانياً، كشف الله عن حَقِّه بطريقة لا يُدركها إلاَّ الذين يبحثون عن الحق بكل قلوبهم. *"مَجْدُ اللهِ إِخْفَاءُ الأَمْرِ، وَمَجْدُ الْمُلُوكِ فَحْصُ الأَمْرِ"* (سِفْر الأمثال 25: 2). فالكثيرون لا يعثرون على الحقيقة لنفس السبب الذي لا يعثر فيه اللص على رجال الشرطة: لأنهم لا يُريدون ذلك.[171]

ثالثًا، لقد أخفى الله خطته لكي يُخفيها عن الشيطان وأتباعه.

*"بَلْ نَتَكَلَّمُ **بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرّ: الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ**، الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، **الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ**"* (رسالة كورنثوس الأولى 2: 7–8).

فلو فهم الشيطان وأتباعه خطة الله الكاملة التي قضت بتدميرهم لما فعلوا ما فعلوه. لهذا، وضع الله خطته بطريقة جعلت الذين أرادوا أن يُفسدوها يُتَمِّمونها بأنفسهم! لكن ما هي هذه الخطة؟

الفِداء!

وعد الله بإرسال مُخَلِّص بلا خطيَّة (بصفته نسل المرأة) إلى العالم لكي يُحَرِّر نسل آدم العاصي من اللعنة الأبدية. وفي اللحظة المناسبة من تاريخ البشرية، تَمَّم الله وعده.

*"وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، **لِيَفْتَدِيَ** الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ"* (رسالة غلاطيَّة 4: 4-5).

فداء الإنسان يعني استرداده أو شِراءه عن طريق دفع الثمن المطلوب.

نشأت في فترة صِباي في كاليفورنيا، وكانت لدي كلبة صغيرة أُطعمها وأعتني بها وألعب معها. وكانت تتبعني وتبتهج عندما أعود من المدرسة. وأحياناً، كانت الكلبة تتنزَّه في الحي لبعض الوقت ثم تعود. وذات يوم، عُدت من المدرسة ولم تكن الكلبة هناك. حان وقت نومي دون أن أعثر عليها. وفي اليوم التالي، اقترح أبي أن أتصل بمأوى الحيوانات الأليفة القريب الذي يأوي القطط والكلاب الضالَّة لفترة محدودة. فإن لم يُطالب بها أحد لفترة ما، كانوا يقتلونها.

اتصلت بالمأوى فقالوا لي إن لديهم كلبة بمواصفات كلبتي. كانت كلبتي قد ضلَّت الطريق ولم تتمكن من العودة إلى البيت الى أن عثرت عليها دورية الكلاب الضالَّة ووضعتها في ذلك المأوى. وهكذا، أصبحت كلبتي محجوزة في القفص وغير قادرة على تخليص نفسها. ولو لم أتصل بهم وأطالب بها لكانت ماتت وانتهت حياتها.

ذهبت إلى المأوى لاستعادة كلبتي، لكنَّ المسؤول قال لي إنه ينبغي علي أن أدفع غرامة ماليَّة لاستعادتها. فبموجب القانون، لا يجوز ترك الكلاب في الطرقات وحدها دون مُرافق لها. وهكذا، فقد دفعت "الفِدية" المطلوبة لإطلاق سراح كلبتي. وكم كانت فرحتها حين خرجت من ذلك القفص الرهيب ورجعت إلى الشخص الذي يهتم بها! لقد تم فداؤها.

هذه القصة التي اختبرتها في طفولتي تُعطينا لمحة عن حالتنا نحن البشر. فبصفتنا خُطاة مُتمردين ومحكوم علينا بالموت، لم تكن هناك طريقة يمكننا من خلالها أن نُنقذ أنفسنا بأنفسنا. لذلك، أرسل الله ابنه إلى العالم لكي يَفتدينا عن طريق دَفْع الفدية المناسبة. لكنَّ الثمن كان أغلى من أن يدفعه أيٌّ مِنَّا.

*"الأَخُ لَنْ **يَفْدِيَ** الإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ **كَفَّارَةً** عَنْهُ. **وَكَرِيمَةٌ هِيَ فِدْيَةُ نُفُوسِهِمْ** ... إِنَّمَا اللهُ **يَفْدِي** نَفْسِي مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ ..."* (المزمور 49: 7، 15)

لكن ما هو ثمن فدائنا؟

ثَمَن يَكشِفُه الأنبياء

رأينا في الفصل الثالث من سِفْر التكوين لمحة عن نُبوَّة الله المُتعلِّقة بخطته لفداء الخطاة من قبضة الشيطان. فلنستمع مَرَّة أخرى إلى ما قاله الله للشيطان:

"وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ" (سِفْر التكوين 3: 15).

نَرى من خلال هذه الكلمات أن الله وضع مُخططاً سرياً مُحْكَماً لخطته التي تستهدف التعامل مع الشيطان والخطية بطريقة تُلائم طبيعته المُقَدَّسة. فقد أعلن الربُّ أنَّ مَسيحاً فادياً سيأتي ليهزم الشيطان ويسحق "رأسه". كما أنَّ النُبُوَّة أعلنت أيضاً أن الشيطان سَيَسْحَق "عَقِب" المسيح.

"هُوَ [المسيح] *يَسْحَقُ **رَأْسَكِ**، وَأَنْتِ* [الشيطان] *تَسْحَقِينَ **عَقِبَهُ**"*.

كيف كان نسل المرأة سيَسحق رأس الشيطان؟ إنَّ الكلمة العِبريَّة المُترجمة "يَسْحَق" تعني "يُحَطِّم" أو "يَكْسِر". وبحسب هذه النُّبُوَّة، سوف يتعرَّض المسيح والشيطان للسَّحق؛ لَكِنَّ أحد الأضرار سيكون مُميتاً لا شفاء منها. فانسحاق الرأس يؤدي إلى موت صاحبه؛ أمَّا انسحاق العَقِب (مُؤَخَّر القَدَم) فلا يؤدي إلى موت صاحبه.

كان الله يتنبَّأ بأن الفادي سينتصر على الشيطان في النهاية على الرغم من "الرُّضوض" أو "الجروح" التي سَيُحْدِثُها الشيطان وأتباعه. وفي وقت لاحق، أوحى الله للنبي داود بكتابة هذه الكلمات عن المسيح:

*"**ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ**"* (المزمور 22: 16).

كما تنبَّأ داود أيضاً عن جسد المسيح الذي لن يفسد في القبر رغم موته. فالمُخلِّص الموعود سيَهزِم الموت:

*"**لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا**"* (المزمور 16: 10).

وقد تنبَّأ النبي إشعياء عن الغاية من آلام المسيح وموته وقيامته:

*"وَهُوَ مَجْرُوحٌ **لأَجْلِ مَعَاصِينَا**، مَسْحُوقٌ **لأَجْلِ آثَامِنَا**. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا ... أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ **ذَبِيحَةَ إِثْمٍ** يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ"* (سِفْر إشعياء 53: 5، 10).[172]

فرغم أنَّ الشيطان سيُقنع الناس بتعذيب وقتل المسيح الذي أرسله الله، إلاَّ أن كل شيء سيتم بموجب الخطة التي كشفها الأنبياء. وسوف تكون النتيجة النهائية هي الانتصار التام للمسيح.

كلمات الحكمة والإنذار

كتب الملك داود قبل ولادة المسيح بألف سنة:

*"**لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟** قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ، وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا **عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ** ... اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ، وَيَرْجُفُهُمْ بِغَيْظِهِ. "أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ **مَلِكِي** عَلَى جَبَلِ قُدْسِي ... فَالآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ الأَرْضِ. اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ، وَاهْتِفُوا بِرِعْدَةٍ. **قَبِّلُوا [أكْرِموا] الابْنَ** لِئَلاَّ يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ. لأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. **طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ.**"* (المزمور 2: 1–2، 4–6، 10–12)

في السنغال حيث تُعتبر المصارعة الرياضة الوطنية التقليدية، يُرَدِّد الناس المثل التالي:

"يجب على البيضة ألاَّ تتصارع مع حَجَر."

لكن لماذا تُخطئ البيضة إن تصارعت مع حجر؟ لأن البيضة لا تملك أي فرصة للفوز! وهكذا هو حال الذين *"تَآمَرَوا مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ"*؛ فَهُمْ لن يفوزوا أبداً. فالمقاومة ضد خطة الله هي *"اَلتَفكُر فِي الْبَاطِلِ"*.[173]

ويُردِّد الناس في السنغال أيضاً هذا المثل:

"لا يقطع الحَطَّاب الشجرة التي يستظلُّ بها."

في هذه المنطقة الجافة من العالم، توجد في مُعظم القُرى شجرة كبيرة يَستظل بها الناس؛ وهي تتمركز في وسط القرية. إنَّ "شجرة الرَّاحة" هذه تؤمِّن للقرويِّين مكاناً يَحتمون فيه من حرارة النهار المُلتهبة. كما أنها مكان للاسترخاء والتحدث وشُرب الشاي. لهذا، كيف سيكون رد فعل القرويين إذا جاء حَطَّاب وبدأ بقطع "شجرة الراحة"؟ من المؤكد أنهم سيستنكرون ذلك ويوقفونه فوراً!

إنَّ كل الذين يقفون ضد خطة الله للفداء هم مثل ذلك الحَطَّاب الذي يُحاول قطع شجرة القرويِّين المُفضَّلة. لكنهم لن يُفلِحوا.

"فَالآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ الأَرْضِ ... قَبِّلُوا الابْنَ لِئَلاَّ يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ. لأَنَّهُ عَنْ قَلِيل يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ."
(المزمور 2: 10، 12)

عُيون مُغلقة أمام خطَّة الله

في الأسابيع الأخيرة من خدمته على الأرض، بدأ يسوع يُعلِّم تلاميذه أنَّ القادة السياسيِّين والدينيِّين سيتآمرون عليه ويَسعون لقتله بدلاً من أن يَقبلوه ملكاً على قلوبهم. لكنَّ الأمر الذي لم يفهمه الأشخاص

الذين تآمروا لقتل يسوع هو أنهم سيشاركون بتنفيذ ما تنبأ عنه الأنبياء: فسوف تُثقب يدا المسيح وقدميه؛ وهذا جزء من خطة الله لفداء نسل آدم العاصي والعاجز وإنقاذه من قبضة الشيطان.

"مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ ***يَنْبَغِي*** *أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلاً: 'حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!' فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: '****اذْهَبْ عَنِّي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ****'."* (إنجيل متَّى 16: 21–23)

كان تفكير بُطرس مُشابهاً لتفكير شخص سمعته يُجادل قائلاً: "يُشبه المسيح المصلوب أعزباً متزوِّجاً!". وكما هو حال هذا المُتشكِّك، لم يَفهم بُطرس خطة الله. فقد ظن أن المسيح سيقوم على الفور بإقامة مملكته التي وعد بها عوضاً عن أن يخضع للصلب المُرعب والمُهين!

كان بطرس مُحقاً في تفكيره بأن الله خَطَّط لأن يكون يسوع الحاكم المُطلق على الأرض كلها؛ لكنه كان مُخطئاً في تفكيره بأن المسيح لن يَختبر ألم الصليب وعاره. لكنَّ بطرس أدرك الحقيقة لاحقاً وأعلن قائلاً بكل جرأة: *"أَنْبِيَاء ... تَنَبَّأُوا عَنِ الآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا."* (رسالة بُطرس الأولى 1: 10–11)[174]

لم يَكُن صلب المسيح حادثاً عرضيَّاً، بل إنه جُزء من خطة الله التي وضعها "مُنْذُ الأزَل". وقد تنبَّأ عنه الأنبياء وجاء "نَسْلُ المَرأة" ليُتمِّمه.

وصلتني هذه الرسالة الإلكترونية منذ وقت قصير:

"إذا كنت تؤمن أن الله كان **عاجزاً عن إنقاذ ابنه من الصلب**، فمن المؤكد أنك **أعمى**. فكأنك تقول إن الله محدود وضعيف حتى إنه سمح لابنه أن يُذَلَّ ويُقتل بأيدي البشر. كل ما هو محدود وضعيف يجب ألاَّ يُنسَب إلى الله. **فالله كُليُّ القدرة**. وهو الله الأحد، الله الصَّمَد، الذي لم يكُنْ لَهُ كُفُواً أحد. اللهُ أكبر."

كما هو حال بُطرس في البداية، لم يفهم كاتب هذه الرسالة الإلكترونية لماذا كان لا بُدَّ للمسيح أن **يموت** وفي اليوم الثالث يقوم.

لماذا كانت هذه الخطة المخيفة ضرورية؟ كما قال كاتب الرسالة أعلاه، إنْ كان الله كُليُّ القدرة، فلماذا لم يُلْقِ بالشيطان في الجحيم ويُعلن غفرانه لنسل آدم؟ وإن كان الله قد خلق العالم بكلمة منه، فلماذا لا يفدي العالم بكلمة منه أيضاً؟

لماذا كان من الضروري أن يصير الله الخالق إنساناً؟ ولماذا تضمَّنت خطة الله أن يتألَّم المسيح وينزف ويموت؟

سوف نعرف الإجابات عن هذه الأسئلة في المرحلة القادمة من رحلتنا.

19
شَريعة الذَّبائح

*"لأَنَّ الدَّمَ **يُكَفِّرُ** عَنِ النَّفْسِ."*
– الرَبُّ (سِفْر اللاَّويِّين 17: 11)

يُدَوِّن لنا الأصحاح الرابع من سِفْر التكوين تاريخ أوَّل عائلة. وهنا نفهم أنه عندما طرد الله آدم وحوَّاء من الجنة، طردَ الجنس البشري بأكمله من أمام وجهه. لذلك، سوف يُولد النسل كله وينشأ في عالم ملعون يُهيمن عليه العدو.

المولود الأول بالخطية

*"وَعَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ **قايينَ**. وَقَالَتِ: 'اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ'"* (سِفْر التكوين 4: 1).

الاسم "قايين" يعني "يَقتني". ففي وسط الألم والذهول المُرافقين للولادة الأولى، قالت حوَّاء: *"اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ"*. ربما اعتقدت أن قايين هو المُخَلِّص الذي أرسله الله لإنقاذهما من عواقب الخطية المُهلكة.

كانت حوَّاء مُحِقَّة في اعتقادها أن الله سيُرسل مُخَلِّصاً، وأن المسيح سيولد من امرأة؛ لكنها أخطأت في الاعتقاد بأن المُخَلِّص المُنتظر سيكون من نسل آدم. وقد اتَّضحَت هذه الأفكار المغلوطة سريعاً حين اكتشف آدم وحوَّاء أن ابنهما البكر العزيز يمتلك طبيعة خاطئة فطرية. فقد كان يفعل الخطية بعفوية. كما أنه أظهر الكبرياء كما فعل الشيطان وأبويه أيضاً. لم يكن قايين الفادي المُنتظَر، بل كان مُجَرَّد خاطئ آخر عاجز ومحتاج إلى الفداء. وعندما ولدت حوَّاء طفلها الثاني، زاد فهم آدم وحوَّاء لحالة الإنسان.

*"ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ **هَابِيلَ**."* (سِفْر التكوين 4: 2)

دَعا آدم وحوَّاء ابنهما الثاني "هابيل" (أي "باطل" أو "لا شيء"). فقد كان من المستحيل أن يُنجبا طفلاً بارًّا. كما أنَّ المُخَلِّص المُنتظر لن يأتِ من نسل آدم الخاطئ. فآدم وحوَّاء لا يمكنهما أن يُنجبا إلاَّ أطفالاً خاطئين مثلهما. لذلك، إن كان هناك رَجُل سيأتي إلى هذا العالم لتخليص البشر من أُجرة الخطية، فيجب أن يأتي من عند الرب.

وكما رأينا في الأصحاح الأول من سِفْر التكوين، فقد خُلِق الرَّجُل والمرأة الأوَّلين على صورة الله ومثاله. وهذا الامتياز العظيم تَضَمَّن مسؤولية مهمة جداً ألا وهي اتِّخاذ القرارات الصائبة. فقد أراد الله من آدم وحوَّاء ونسلهما أن يعكسوا طبيعة خالقهم المُحِبَّة المقدَّسة. لكن عندما اختار آدم وحوَّاء أن يعصيا خالقهما ومالكهما، لم يعودا يعكسان صورته. وفي الحال تحوَّلت أنظارهما عن الله وتوجَّهت إلى نفسيهما. وقد أنجبا أبناءً يشبهونهما.

*"وَعَاشَ آدَمُ مِئَةً وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ وَلَدًا عَلَى **شَبَهِهِ كَصُورَتِهِ** ..."* (سِفْر التكوين 5: 3-4)

يقول المَثَل الشعبي السنغالي: *"الغزلان القَفَّازَة لا تُنجب صغاراً يَحفرون الجُحور."* على نَحْوٍ مُشابه، فإن الخُطاة لا يُنجبون ذُرِيَّة بارَّة. والكتاب المقدَّس يقول:

*"مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا **بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ** دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا **اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ**، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ."* (رسالة رومية 5: 12)

الخُطاة يَتَعَبَّدون

*"وَكَانَ **هَابِيلُ** رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، وَكَانَ **قَايِينُ** عَامِلاً فِي الأَرْضِ. وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا."* (سِفْر التكوين 4: 2-4)

أصبح قايين مُزارعاً وهابيل راعياً للغنم. ورغم أن نتائج الخطية كانت تُحيط بهما وتسكن فيهما، إلاَّ أنهما كانا مُحاطين بمجد الله في الخليقة ويشعران بمحبته واهتمامه. وعلى الرغم من كون قايين وهابيل خاطئين، إلاَّ أن الله أحبَّهما وأرادهما أن يعرفاه وأن يَتَقَرَّبا منه من خلال العبادة. غير أنهما كانا بحاجة إلى علاج لمشكلة الخطية التي تمنعهما من التواجد في حضرة الله. فالله قُدُّوس و *"الَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا."* (إنجيل يوحنَّا 4: 24)

من الواضح أن آدم وحوَّاء علَّما ابنيهما عن الله الذي تَمَتَّعا بصداقته الوثيقة من قبل. وهكذا، كان قايين وهابيل يُدركان أن الخطية جريمة في نظر الله. وكما هو حال أبيهما وأمِّهما، كانا هُما أيضاً مطرودين من حَضْرَة الله. وإن أرادا أن يتمتَّعا بالعلاقة معه، فيجب أن يتم الأمر وفقاً لشروط الله نفسه.

الخبر السَّار هو أن الله كان قد وضع طريقة يُمكن لقايين وهابيل أن يستخدماها لستْر خطاياهما إذا وثقا به واقتربا إليه من خلال الطريقة التي وضعها. والآن، تعال بنا نُتابع أحداث القصَّة:

*"وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ **قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ."* (سِفْر التكوين 4: 3-5)

كما هو الحال في جميع القصص الجيدة، لا يتم إعطاء كل التفاصيل دُفعة واحدة. فالقصَّة لا تُخبرنا سوى ما فعله قايين وهابيل. أمَّا السبب الذي دفعهما للتصرُّف بتلك الطريقة فنجده في موضع آخر في الكتاب المقدَّس. وهكذا، فقد أراد كل منهما أن يَعبد الله الواحد الحقيقي فقَدَّم كُلٌّ منهما *"قُرْبَانًا لِلرَّبِّ"*.

اختار قايين تَشكيلة جميلة من الخضار والفاكهة التي زرعها بعناية. أمَّا هابيل فجاء بِحَمَل خالٍ من أي عيب وذبحه وأحرقه على مذبح بسيط صنعه من حجارة.[175]

في الظاهر، يبدو أن تقدمة هابيل الدمويَّة كانت بشعة ومُقَزِّزَة، وأن تقدمة قايين كانت جميلة وجذابة. لكنَّ الكتاب المقدَّس يقول:

*"**فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ.** فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ [تَجَهَّم] وَجْهُهُ."* (سِفْر التكوين 4: 4–5)

لكِنْ لماذا قَبِلَ الله تقدمة هابيل ورفض تقدمة قايين؟ لأنَّ هابيل وثق في خطة الله؛ أمَّا قايين فلم يثق بها.

إيمان هابيل وحَمَلُه

يقول لنا الكتاب المقدَّس إن هابيل جاء إلى الله بـــ "إيمان" مُشيراً إلى أن الله كان قد كشف لقايين وهابيل ما يُريده منهما:

*"**بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ** [الذي آمن بخطَّة الله] **لله ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ** [الذي لم يؤمن بخطَّة الله]. **فَبِهِ شُهِدَ لَهُ** [لهابيل] **أَنَّهُ بَارٌّ، ... وَلكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ ...."* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 11: 4، 6)

وهكذا فإن الإيمان الذي يُرضي الله هو الإيمان الذي يَخضع له ويثق بخطته.

عندما أخطأ آدم وحوَّاء للمرَّة الأولى، رفض الله جهودهما الذاتية لمعالجة مشكلة الخطية. وعوضاً عن ذلك، قَدَّم الله الذبيحة الأولى ووفَّر لآدم وحوَّاء سِتراً أو غطاءً لخطيئتهما وعارهما. فمن خلال ذبح بعض الحيوانات البريئة، أراد الله أن يوصل إليهما حقيقة هامة جداً ألا وهي أنَّ *"**أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ**، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ."* (رسالة رومية 6: 23)

وفي وقت لاحق، تَعلَّم قايين وهابيل الدرس نفسه؛ لكنَّ واحداً منهما فقط هو الذي آمن. فقد اقترب هابيل إلى الله بإيمان وتواضع وطاعة، وقَدَّم له حَمَلاً بِكْراً صَحيحاً.

حاول أن تتخيَّل هابيل وهو يضع يده على رأس الحَمَل شاكراً الله لأنه رُغم استحقاقه لعقوبة الموت إلاَّ أنَّ الله قَبِل دم الحَمَل كثمن مؤقت عن الخطية. بعد ذلك، أخذ هابيل السكين وذبح الحَمَل الوديع وراح يُراقبه والدماء تسيل منه.

حين ذبح هابيل الحَمَل، أظهر بذلك احترامه لطبيعة الله القُدُّوس ولقوانينه المُتعلِّقة بالخطية والموت. ولأنَّ هابيل آمن بخطة الله، فقد سامحه الله على خطاياه وأعلن تبريره. وبهذا، تَحَرَّر هابيل من أُجرة الخطية لأن الحَمَل دفعها بدمه. وكانت ذبيحة هابيل ترمز إلى الذبيحة الكاملة التي وعد الله بتقديمها لرفع خطية العالم.

لهذا السبب *"نَظَرَ الرَّبُّ إلى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ"*.

أعمال قايين وديانته

أمَّا قايين، فيا له من شخص مُتديِّن! فقد وضع أمام الله مجموعة جميلة من الفاكهة والخضار التي بَذَلَ في زرعها وقَطفها جهداً لا يُستهان به. لكنَّ الله رفض تقدمة قايين.

لم يَكُن خطأ قايين أنه عَبَدَ الإله الخطأ، بل أنه عَبَدَ الله الحقيقي عبادة خاطئة. فعوضاً عن أن يتقدَّم إلى خالقه بالإيمان، تقدَّم إليه بأفكاره الشخصية وأعماله الخاصة. لكن كما أنَّ الله رفض غطاء والديه المصنوع من أوراق التين، فقد رفض أيضاً أعمال يديه المؤلفة من الخضار والفاكهة.

قد يَعترض البعض قائلين: "لَكِنَّ قايين قَدَّم ما توفَّر لديه!" وجوابنا على هذا الاعتراض هو أنَّ الله لم يُرِد ما توفَّر لدى قايين، بل أراد من قايين أن يؤمن به وأن يعبده على أساس دم الحَمَل. كان باستطاعة قايين أن يُقايض بعض الخضار والفاكهة بحَمَل مِن عند أخيه هابيل، أو أن يتقدَّم إلى الله بتواضع من خلال مذبح هابيل حيث أُريقت دماء الحَمَل. لَكِنَّ قايين كان مُتكبِّراً جداً فاختار أن "يعبد" الله من خلال أعمال يديه.

لهذا السبب لم يَنْظُر الله *"إلى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ"*.

دَيْن الخطية

لماذا أصَرَّ الله على هذا النظام؟ بعبارة أخرى، لماذا قَبِلَ بحَمَل هابيل ورفض الخُضار والفاكهة الطازجة التي قَدَّمها له قايين؟ لقد رفض الله تقدمة قايين لسبب بسيط ألا وهو أن أُجرة الخطية ليست جُهده

الذاتي، بل الموت. فشريعة الخطية والموت التي أعلنها الله لآدم في البداية لم تتغيَّر. فكل من يتعدَّى على الله يُصبح مَديناً، ولا أحد يستطيع أن يُسَدِّد دينه إلاَّ من خلال الموت. فالدَيَّان البار لهذا الكون لا يَسمح بأن يكون قصاص التعدِّي على شرائعه أقل من ذلك. ومهما كان مقدار الصدق والجهود والأعمال الصالحة، فهي عاجزة عن تسديد دَيْن الخطية.

تخيَّل أن مصرفاً كبيراً أقرضك بضعة ملايين من الدولارات. وبدل أن تستثمر هذه الأموال الهائلة بحكمة، فقد أهدرتها وأصبحت عاجزاً عن تسديد الدين. وحين تعتقلك الشرطة وتقف أمام القاضي في المحكمة فإنك تقول له: "صحيحٌ أنني لن أتمكن أبداً من تسديد المال الذي اقترضته من البنك، لكن لديَّ خِطَّة رائعة لمحو هذا الدين. فبدلاً من أن أدفع المال للمصرف، سوف أقوم ببعض الأعمال الصالحة! سوف أُحْضِر طَبَقاً من الأرز كل يوم لمُدير المصرف، وأحرم نفسي من وجبة طعام مَرَّة كل أسبوع لأعطيها للفقراء، وأستحم عِدَّة مَرَّات في اليوم لأنظف العار الذي لحق بي جَرَّاء هذا الدين. سوف أقوم بكل هذا إلى أن أُسَدِّد الدين كله".

هل سيقبل القاضي بتسوية غير منطقية كهذه؟ بالتأكيد لا! كذلك، لن يقبل دَيَّان الأرض بالصلاة والصوم والأعمال الصالحة كثمن لتسديد دَيْن الخطية. فهناك طريقة واحدة فقط لسداد أُجرة الخطية ألا وهي **الموت**؛ أي الانفصال الأبدي عن الله.

إذاً، هل مِنْ طريقة لتحرير الخُطاة العاجزين من شريعة الخطية والموت هذه؟ أجل، وكم نَشْكُر الله على ذلك!

شريعة الذبائح

رغم عدم إجادتي لألعاب الورق، فإنني أعرف أن قيمة كل ورقة تختلف عن الأخرى. فالأوراق الأكثر قيمةً تتفوَّق على الأوراق الأقل قيمة.

نقرأ في سِفْرَيِّ دانيال وأستير (في العهد القديم) أن الملوك كانوا يسنُّون قوانين *"لاَ تَتَغَيَّرَ كَشَرِيعَةِ مَادِي وَفَارِسَ الَّتِي لاَ تُنْسَخُ"* (سِفْر دانيال 6: 8). وإنْ لم يُرِد الملك أن يَمتثل لشريعة ما، كان يسنُّ شريعة أقوى تتفوَّق على الشريعة الأولى.[176]

على نحو مُشابه، أوجد الله منذ البداية طريقةً للتغلُّب على شريعة الخطية والموت من خلال سَنِّ شريعة أقوى منها ألا وهي ***"شَرِيعَةُ ذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ"*** (سِفْر اللاَّويِّين 6 :25).

سَنَّ الله *"شريعة ذبيحة الخطية"* لتتفوَّق على *"شريعة الخطية والموت"* التي لا تزال قائمة. وقد وَفَّرت شريعة ذبيحة الخطية الرحمة للخطاة المذنبين؛ لكنها – في الوقت نفسه – طَبَّقت العدالة على الخطية. (انظر الفصل 13 للإطِّلاع على التوازن القائم بين رحمة الله وعدله). وهكذا، فقد وَفَّرت شريعة ذبيحة الخطية طريقة لمُعاقبة الخطية دون مُعاقبة الخاطئ. وإليك تفسير الله لهذه الطريقة:

*"لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي **الدَّمِ**، فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ، لأَنَّ الدَّمَ **يُكَفِّرُ** عَنِ النَّفْسِ"* (سِفْر اللاويِّين 17: 11).

تشتمل هذه الشريعة على مبدأين رئيسيَّين:

1- الدم يَهَب الحياة. قال الله: ***"لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ"***. والعلم الحديث يؤكِّد ما أعلنه الكتاب المقدَّس منذ آلاف السنين: تَكْمُن حياة المخلوقات في دمها. فالدم النقي يَنقل كافة العناصر اللازمة للحفاظ على الحياة والتخلص من السموم والأوساخ. لهذا فإن قيمة الدم عالية جداً لأن البشر والحيوانات يموتون إن فقدوه.

2- الخطية تستوجب الموت. قال الله: ***"لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ"***. كلمة "يُكَفِّر" مأخوذة عن الكلمة العِبريَّة "كَفَر" والتي تعني "يُغَطِّي" أو "يُلغي" أو "يُطَهِّر" أو "يَغْفِر" أو "يُصالِح"[177] فلا يُمكن للخُطاة أن يتطهَّروا ويتصالحوا مع خالقهم البار إلاَّ من خلال الدم المسفوك. وحيث أن أُجرة الخطية هي موت، فقد رضي الله بدم ذبيحة مقبولة كتغطية وتكفير عن خطية الإنسان.

البَدَل

يُمكن تلخيص شريعة ذبيحة الخطية بكلمة واحدة ألا وهي: "البَدَل". والمقصود بذلك هو أن يموت حيوان بَدَلاً عن الخاطئ المُدان. وقد أوضح الله للأجيال التي جاءت قبل مجيء المسيح إلى الأرض أنه

سيقبل مؤقتاً بإراقة دماء الحيوانات التي يراها مناسبة كالحَمَل، والخروف، والعنزة، والثور، أو حتى الحمامة واليمامة.[178] فسواء كان الإنسان فقيراً أو غنياً، صالحاً أو شريراً، يمكنه أن يتقدَّم إلى الله مُعترفاً بخطيته ومؤمناً بأن الله سيمنحه الغفران على أساس إراقة الدماء.

كان يجب أن يكون الحيوان المُقَدَّم ذبيحة صحيحاً (*"لا عيب فيه"*).[179] فلا يجوز أن يكون مريضاً أو به كسور أو جروح أو خدوش، بل يجب أن يكون سَليماً. وكان ينبغي على الخاطئ الذي يُقَدِّم الذبيحة أن *"يَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ* [الحيوان] *وَيَذْبَحُهُ ...* ***ذَبِيحَةُ خَطِيَّةٍ***." كذلك، كان يجب حَرْق دُهْن الحيوان على المذبح.

لكن ما الذي قاله الله عن النتيجة التي ستُحَقِّقها هذه الذبيحة؟

"يُكَفِّرُ عَنْهُ مِنْ خَطِيَّتِهِ ***فَيُصْفَحُ عَنْهُ***" (سِفْر اللاويِّين 4: 23-26).

حين يضع الخاطئ يده على رأس الذبيحة فإنَّ ذلك يرمز إلى تَحَوُّل الخطية منه إلى الحيوان الخالي من أي عيب. وهكذا فإن حامل الخطية يموت بدل فاعل الخطية.

وبناءً على مبدأ البَدَل هذا، تتم مُعاقبة الخطية والصَّفْح عن الخاطئ. فعقوبة الموت عن الخطية تقع على الحيوان الكامل البريء عوضاً عن الخاطئ.

لقد تَعَلَّم الخُطاة من خلال شريعة ذبيحة الخطية أن الله قُدُّوس وأنه "بِدُونِ سَفْكِ **دَمٍ** لاَ تَحْصُلُ **مَغْفِرَةٌ**" (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 9: 22).

وهكذا، من خلال الذبائح الحيوانيَّة كان الله يُنَفِّذ عدالته ضد الخطية ويُظهر رحمته للخطاة الذين يؤمنون به. وقد وعد الله بمباركة جميع الذين يأتون إليه بهذه الطريقة. وفي اليوم الذي أعطى الله فيه الوصايا العشر لشعبه، قال لهم إن الطريقة الوحيدة التي يُمكنه أن يَقبلهم من خلالها هي أن يأتوا إليه على أساس ذبيحة تُقدَّم على المذبح.

*"مَذْبَحًا مِنْ تُرَابٍ تَصْنَعُ لِي وَتَذْبَحُ عَلَيْهِ مُحْرَقَاتِكَ وَذَبَائِحَ سَلاَمَتِكَ، غَنَمَكَ وَبَقَرَكَ. **فِي كُلِّ الأَمَاكِنِ الَّتِي فِيهَا أَصْنَعُ لاسمي ذِكْرًا آتِي إِلَيْكَ وَأُبَارِكُكَ.**"* (سِفْر الخروج 20: 24)

كان القَصْد الرئيسي من ذبيحة الخطيَّة تلك هو إثبات غضب الله المقدَّس على الخطية إلى أن يأتي المُخَلِّص المُنتظر. وكانت الغاية من مجيء المسيح هي تتميم المعنى الحقيقي لشريعة ذبيحة الخطية.

إنَّ حياة إنسان واحد تساوي – في نظر الله – أكثر من جميع الحيوانات على الأرض. فالحيوانات لم تُخلق على صورة الله، ولا تملك أرواحاً خالدة. لذلك، فإنَّ دماء الحيوانات هي مُجَرَّد رمز يُشير إلى ما كان ضرورياً لإلغاء دَيْن الخطية.

كان حَمَل هابيل المذبوح هو القصة الأولى المُدَوَّنة في العهد القديم من بين عشرات القصص الأخرى التي قام فيها المؤمنون بعبادة الله والتقرُّب إليه من خلال دماء الحيوانات البريئة الكاملة.

ومن بين القصص الكثيرة الواردة في العهد القديم عن الذبائح الحيوانية، هناك قصة فريدة يعرفها المُسلمون جميعاً ويحتفلون بها كل سنة.

20
ذَبيحَة عَظيمَة

يَجتمع أفراد العائلة معاً فيما يتم تثبيت الخروف إلى الأرض. يَضع الكبار والصغار أيديهم على رأس الخروف أو على الأب الذي يحمل السكين. يقوم الأب بذبح الخروف بسرعة فتسيل دماء الخروف على الرمال. انتهت عمليَّة الذبح ولن تكون هناك أخرى حتى السنة القادمة.

يُذَكِّرُنا عيد الأضحى – الذي يحتفل به المسلمون كل سنة – بحادثة وقعت قبل أربعة آلاف سنة حيث يُخبرنا الكتاب المقدَّس أنَّ الله وَفَّر كبشاً ليموت بدلاً من ابن إبراهيم.[180] ويَختم القرآن قصته الموجزة عن هذه الحادثة بالكلمات التالية: ***"وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ"*** (سورة 37: 107).

ولفهم المَغزى الكامل من هذه القصة المؤثِّرة، يجب أن نرجع إلى سِفْر التكوين.

إبراهيم

وُلد إبراهيم[181] في نحو سنة 2000 قبل الميلاد في الأرض التي تُعرف اليوم بـــ "العراق". ولا حاجة للقول إن إبراهيم وُلد بطبيعة خاطئة كما هو حال جميع نَسْل آدم. وعلى الرغم من أنه نشأ بين عابدي الأوثان، إلاَّ أنه آمن بالله الواحد الحقيقي. فهو لم يَكُن يؤمن – كما يَفعل الكثيرون – أنه ينبغي على المرء أن يبقى مُخْلِصاً لدين آبائه مهما كَلَّف الأمر.

وهكذا، كان إبراهيم يَتَقرَّب إلى الله من خلال الذبائح الحيوانيَّة كما فعل هابيل. وعندما بلغ إبراهيم الخامسة والسبعين من العُمر وامرأته الخامسة والستين، ظهر له الرب وقال له:

*"اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. **فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ** وَأُعَظِّمَ اسمكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. **وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ**"* (سِفْر التكوين 12: 1–3).

وعد الله أن يجعل من إبراهيم "أُمَّةً عَظِيمَةً" يوفِّر من خلالها الخلاص لجميع شعوب الأرض. وسوف تكون هذه الأمة عَظِيمَة لا بالحجم بل بالقيمة. ولإقامة هذه الأمَّة، أَمَرَ الله إبراهيم وامرأته العاقر (سارة) بالرحيل إلى الأرض التي وعد بأن يُعطيها لنسله الذي لم يكن موجوداً بعد.

كيف كان رَدُّ فِعْل إبراهيم تجاه وعود الله التي بَدَت مُستحيلة؟ لقد آمن بالله وأطاعه تاركاً بيت أبيه ومتوجِّهاً إلى أرض كنعان التي تُعرف اليوم بأرض فلسطين.

إيمان إبراهيم

فور وصول إبراهيم إلى كنعان، قال له الرب: *"لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ"* (سِفْر التكوين 12: 7).

كان وعد الرب مُدهشاً للغاية. فقد كانت أرض كنعان مأهولة بشعوب مختلفة. لذلك، كيف سيملكها إبراهيم ونسله؟ فهو وزوجته لم يُنجبا أي أبناء!

تَخَيَّل زوجين مُسِنَّين جاءا من بلد بعيد لزيارة بلدك. وعند وصولهما تقول لهما: "ذات يوم ستمتلك أنت ونسلك هذه الأرض بأكملها!" فيضحك الرجل العجوز ويقول لك: "هل تمزح معي؟ أنا ليس لدي أحفاد ولا حتى أولاد. إنني رَجُل عجوز وزوجتي عاقر لا تُنجب. وها أنت تقول لي إنني ونسلي سنمتلك هذه الأرض في يومٍ ما! هل أنت مجنون؟"

كان هذا هو وعد الله العجيب لإبراهيم. تُرى كيف كان رَدُّ فعله؟ يقول الكتاب المقدَّس إنَّ إبراهيم *"آمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا"* (سِفْر التكوين 15: 6). فبسبب إيمان إبراهيم المُطلَق بوعد الله، حَسِبَهُ الله بارًّا. وقد كان هذا يعني أنَّ إبراهيم سيذهب إلى الفردوس ويحيا مع الله إلى الأبد بعد موته.

يَرْجِعُ أصل كلمة "آمَنَ" في اللغة العِبريَّة إلى كلمة "أمان" التي تُشتق منها كلمة "آمين" التي تَعني "لِيَكُنْ كذلك" أو "هذا صحيح وجدير بالتصديق".

أرجو أن تُركِّز على فهم هذه النقطة. فالإيمان بالرب يَعني أن تسمع ما أعلنه وأن تقول "آمين" من أعماق قلبك! إنه إيمان بسيط وعميق في ذات الوقت. وسواء آمَنَّا بكلمة الله أَم لا، فسوف يَظهر ذلك من

خلال تَصَرُّفاتنا. وقد بَرْهَنَ إبراهيم على إيمانه حين اختار الطريق الصعب وأدار ظهره لديانة أبيه لكي يتبع الرب.

*"**فَآمَنَ إبراهيم بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا وَدُعِيَ خَلِيلَ اللهِ.**"* (رسالة يعقوب 2: 23)

كان إبراهيم خَليل (صديق) الله لأنه آمن بكلمته. وهذا لا يعني أن إبراهيم وثق بالله في كل جانب من جوانب حياته. صحيحٌ أنَّ الله اعتبره بارًّا، لكِنَّ إبراهيم لم يكن كاملاً في حياته اليومية. والكتاب المقدَّس لا يُحاول أن يُخفي خطايا الأنبياء وهفواتهم.

إسماعيل

عاش ابراهيم وسارة في أرض كنعان كبدو يسكنون الخيام ويتنقلون من مكان إلى آخر. وبمرور الوقت أصبح إبراهيم غنيًّاً جداً.

انقضت أكثر من عشر سنوات على وعد الله بأن يجعل إبراهيم أُمَّة عظيمة. فهو يبلغ الآن السادسة والثمانين من العُمر وزوجته السادسة والسبعين دون أن يُنجبا أي ابن. وهكذا، كيف يُمكن لإبراهيم أن يُصبح أُمَّة عظيمة إن لم يكن لديه أي ذُرِيَّة؟ قَرَّر إبراهيم وزوجته أن يُساعدا الله على الوفاء بوعده. وهكذا، بدلاً من انتظار الرب لكي يُنَفِّذ خطته في الوقت الذي يراه مُناسباً، تَصَرَّفا بحسب منطقهما والعادات السائدة في مُجتمعهما. فقد أعطت سارة خادمتها المصرية "هَاجَر" لإبراهيم لكي يُنجب منها ابناً. وبالفعل، ولدت هاجر ابناً فأسموه "إسماعيل".

بعد مرور ثلاثة عشر عاماً (أي عندما بلغ إبراهيم التاسعة والتسعين من العمر)، ظهر له الله العظيم وقال له إن سارة ستُنجب ابناً:

"فَسَقَطَ إبراهيم عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: 'هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟' وَقَالَ إبراهيم لِلهِ: 'لَيْتَ اسماعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!' فَقَالَ اللهُ: 'بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسمهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا اسماعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ

*كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. وَلكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ **إِسْحَاقَ** الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ"* (سِفْر التكوين 17: 17-21).

إسحاق

وَفى الله بوعده فولدت سارة – رُغم سِنِّها المُتقدِّمة – ابناً أسموه "إسحاق":

"وَكَبُرَ إِسْحقُ وَفُطِمَ. فَأَقَامَ إِبْرَاهِيمُ فِي يَوْمِ فِطَامِهِ مَأْدُبَةً عَظِيمَةً. وَرَأَتْ سَارَةُ أَنَّ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَسْخَرُ مِن ابْنِهَا إِسْحقَ." (سِفْر التكوين 21: 8-9).

لم يَحترم إسماعيل خطة الله باستخدام إسحاق لإقامة أُمَّة يُوَفِّر الله من خلالها الحق والخلاص للعالم كله؛ بل سخر من أخيه غير الشقيق. وعندها، تصاعدت حِدَّة التوتُّر إلى أن اضطر إبراهيم إلى طرد إسماعيل وأُمِّه هاجر. وقد تألَّم إبراهيم جداً بسبب ذلك لأنه كان يُحب ابنه إسماعيل.

*"فَقَالَ اللهُ لإبراهيم: 'لاَ يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ [إسماعيل] وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ [هَاجَر] ... لأَنَّهُ **بِإِسْحَاقَ** يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ.' وَكَانَ اللهُ مَعَ الْغُلاَمِ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ. وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ."* (تكوين 21: 12، 20-21)

وكما وعد الرب، أصبح إسماعيل أباً لشعب عظيم باركه الله بطرق عديدة. لكِنَّ الله أوضح لإبراهيم أنه سيُقيم عهده مع إسحاق لتقديم الخلاص للعالم.

إسرائيل

تزوَّج إسحاق في ما بعد وأنجب توأمين ألا وهما عيسو ويعقوب. وقد أطلق الله على يعقوب اسماً آخر ألا وهو "**إسرائيل**" (سِفْر التكوين 35: 10). أنجب يعقوب اثني عشر ابناً فأصبحوا آباء القبائل الاثنتي عشرة (أو الأسباط الاثني عشر) لإسرائيل. وكانت خطة الله تقضي بأن تُصبح هذه القبائل أُمَّة فعليَّة في زمن موسى النبي. ودعا الله نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب شعبه المختار.[182]

لكن لماذا اختارهم الله؟ هل كانوا أفضل من الشعوب الأخرى؟ كلا، بل في حقيقة الأمر أنَّ الله قال للإسرائيليِّين: *"لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ **أَقَلُّ** مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ"* (سِفْر التَّثنية 7: 7). لقد اختار الله هذا الشعب الضعيف والمنبوذ لكي لا يَزْعُم أي إنسان أنه يستحق المدح والثناء على أي شيء كان في مُخَطَّط الله مُنذ الأزل. فهكذا يُسَرُّ الله أن يعمل:

*"اخْتَارَ اللهُ **جُهَّالَ الْعَالَمِ** لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ **ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ** لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ **أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ** وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ، **لِكَيْ لاَ يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ"*** (رسالة كورنثوس الأولى 1: 27–29).

قَناة اتصال

أقام الله هذه الأُمَّة كقناة يقوم من خلالها بتوصيل رسالته إلى أقاصي الأرض. وكان الله قد أنشأ "قناة الاتصال" هذه قبل اختراع الراديو والتلفاز وجعلها وسيلة فعالة. فقد وصلت أصداء أعمال الله الحقيقي العجيبة في وسط هذه الأمة إلى العالم أجمع. فمثلاً، يُدَوِّن الكتاب المقدَّس هذه الشهادة عن المرأة الكنعانية: *"لأَنَّنَا **قَدْ سَمِعْنَا** كَيْفَ يَبَّسَ الرَّبُّ مِيَاهَ بَحْرِ سُوفَ قُدَّامَكُمْ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، وَمَا عَمِلْتُمُوهُ بِمَلِكَيِ الأَمُورِيِّينَ اللَّذَيْنِ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ: سِيحُونَ وَعُوجَ، اللَّذَيْنِ حَرَّمْتُمُوهُمَا. سَمِعْنَا فَذَابَتْ قُلُوبُنَا وَلَمْ تَبْقَ بَعْدُ رُوحٌ فِي إِنْسَانٍ بِسَبَبِكُمْ، لأَنَّ **الرَّبَّ إِلهَكُمْ هُوَ اللهُ** فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ"* (سِفْر يَشوع 2: 10–11).

علاوة على ذلك، اختار الله من هذه الأمة الأنبياء الذين كتبوا الكتاب المقدَّس. والأهم من هذا كله هو أنَّ الله أخرج من هذه الأمة ذاك الذي أصبح قناة بَرَكَة للعالم. وكما رأينا في الفصل 16، لم يكن ذاك سوى نسل المرأة المُنتظر الذي جاء من السماء ليولد من عذراء يَهوديَّة فقيرة.

وسواء رَضينا بذلك أَم لا، كانت هذه الأُمَّة القديمة هي قناة الاتصال التي أنشأها الله لتوصيل رسالته وبَرَكاته اللامُتناهية إلى أمم الأرض كافَّة. وقد بدأ كل شيء حين قال الرب لإبراهيم أن يترك بيت أبيه ويذهب إلى أرض كنعان. وقد اشتمل عهد الله مع إبراهيم على جُزأين رئيسيين:

1) *"فَأَجْعَلَكَ **أُمَّةً عَظِيمَةً** ..."*

2) *"وَتَتَبَارَكُ فِيكَ **جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ**."*

إنَّ محبَّة الله لا تقتصر على أُمَّة مُعَيَّنة أو جماعة بذاتها. فهو لم يُرِد أن يُبارك إبراهيم أو إسرائيل فحسب، بل كانت محبَّته مُوَجَّهة إلى *"جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ"*. ويَزْخُر العهد القديم بالقصص التي تتحدث عن كيفية استخدام الله لذلك الشعب الصغير المُعاند لتقديم نعمته لجميع أمم الأرض.[183] لهذا، عندما نقرأ في الكتاب المقدَّس عن حماية الله المُتكررة لشعبه من الأعداء الذين كانوا يحاولون القضاء عليه، يجب أن لا يغيب عن أذهاننا قَصْد الله بمباركة جميع أمم الأرض من خلال شعبه المنبوذ. فقد دافع الله عنهم لا لأنهم أفضل من الشعوب الأخرى، بل لأنهم كانوا صِلَة الوَصْل التي ساعدت على إظهار قدرته ومجده وخلاصه المُقَدَّم إلى العالم أجمع. فمن خلال حماية نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كان الله يحفظ بركته *"لِجَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ"*.

علاوة على ذلك، كانت سُمْعَة الله على المِحَك. فقد أقسم الله باسمه العظيم أن يُبارك جميع الشعوب من خلال شعبه الضعيف المَنبوذ.[184] لهذا، سوف يُنَفِّذ الله ما وعد به إكراماً لاسمه. أفلا نفعل نحن الأمر ذاته إذا كان شَرَفُنا وشَرَف عائلتنا على المِحَك؟

الله يَمتحن إبراهيم

لنرجع الآن إلى قصة ذبيحة إبراهيم التاريخية. إليك خلفية القصة: كان إبراهيم رَجُلاً عجوزاً، وكان قد مضى على طرده لإسماعيل عِدَّة سنوات ولم يبقَ في المنزل إلا إسحاق. وكان الله على وشك امتحان إيمان إبراهيم امتحاناً قاسياً إلى أبعد الحدود. وكان الله أيضاً على وشك إظهار بعض النُبُوَّات والملامح عن خطته لفداء بني آدم من عقوبة الخطية.

"وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إبراهيم، فَقَالَ لَهُ: 'يَا إبراهيم!' فَقَالَ: 'هأَنَذَا.' فَقَالَ: 'خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ'." (سِفْر التكوين 22: 1-2)

أَمَرَ الله إبراهيم أن يذهب إلى قِمَّة جبل مُحَدَّد ليذبح ابنه المحبوب ويحرقه على المذبح! ويا له من طَلَب صعب ومُرعب! ويجب أن نَعْلَمَ أنَّ الله لم (ولن) يُخضع شخصاً آخر لهذا الامتحان الصعب. لكن بما أن إسحاق كان مَديناً بدَيْن الخطيَّة – كما هو حال جميع بني آدم – فقد كان حُكم الإعدام عادلاً بحقه.

"فَبَكَّرَ ابِرَاهِيم صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ، وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ، وَإِسْحَاقَ ابْنَهُ، وَشَقَّقَ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ، وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ." (سِفْر التكوين 22: 3)

وثق إبراهيم بالله رغم أنَّ ذلك لم يكن أمراً هَيِّناً. فقد سار إبراهيم مع ابنه وخادميه مدة ثلاثة أيام والألم يَعتصر قلبه. وكانت كل خطوة تُقَرِّبهم من موقع تنفيذ حُكم الإعدام.

"وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ ابِرَاهِيم عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ، فَقَالَ ابِرَاهِيم لِغُلاَمَيْهِ: 'اجْلِسَا أَنْتُمَا ههُنَا مَعَ الْحِمَارِ، وَأَمَّا أَنَا وَالْغُلاَمُ فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْكُمَا'." (سِفْر التكوين 22: 4–5)

قال إبراهيم للخادمين: *"نَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ ... ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْكُمَا."* لكن كيف سيرجع إبراهيم مع ابنه إن كان إسحاق سيُذبَح ويُحْرَق على المذبح؟ يكشف الكتاب المقدَّس عن الجواب في موضع آخر. فبما أن الله وعد بأن يجعل من إسحاق أُمَّة عظيمة، فقد آمن إبراهيم أنه عندما يُقَدِّم ابنه ذبيحة، فسوف يقوم الله بإحيائه من جديد.[185] فقد تَعَلَّم إبراهيم أن الرب يفي بوعوده دائماً!

الله يُدَبِّر البديل

"فَأَخَذَ ابِرَاهِيم حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ. فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا" (سِفْر التكوين 22: 6)

وبينما كان الأب وابنه يصعدان الجبل، قال إسحاق لأبيه إبراهيم:

"'يَا أَبِي!' فَقَالَ [إبراهيم]: *'هأَنَذَا يَا ابْنِي.' فَقَالَ* [إسحاق]: *'هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟' فَقَالَ إبراهيم: 'اللهُ يَرَى لَهُ **الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي.**' فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا. فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إبراهيم الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. ثُمَّ مَدَّ إبراهيم يَدَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: 'إبراهيم! إبراهيم!' فَقَالَ: 'هأَنَذَا.' فَقَالَ: 'لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي.' فَرَفَعَ إبراهيم عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إبراهيم وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ."* (سِفْر التكوين 22: 7-13أ)

تَدَخَّل الله وأنقذ ابن إبراهيم من أُجرة الخطية! فقد رفع إبراهيم عينيه ونظر *"وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ."* أيُعقَلُ هذا؟ أجل! شُكراً لله الذي دَبَّر كبشاً بلا عيب ليأخذ مكان إسحاق ويُحافظ في الوقت نفسه على *"شريعة ذبيحة الخطية"*.

*"فَذَهَبَ إبراهيم وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً **عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ.**"* (سِفْر التكوين 22: 13ب)

لماذا نَجَا ابن إبراهيم من عقوبة الموت التي وقعت عليه؟ لأنَّ ذاك الكبش مات *"عِوَضًا عنه"*. فقد دَبَّر الله البديل.

الربُّ يُدَبِّر

*"فَدَعَا إبراهيم اسم ذلِكَ الْمَوْضِعِ **'يَهْوَهْ يِرْأَهْ' [الرَّبُّ يُدَبِّر]** حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: **'فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى'**."* (سِفْر التكوين 22: 14)

لماذا دعا إبراهيم ذلك المكان "يَهْوَهْ يِرْأَهْ" (الرَّبُّ يُدَبِّر) ولمَ يَدْعُه "الرَّبُّ رَأَى" (الربُّ دَبَّر)؟ حين قام إبراهيم بتسمية ذلك المكان "الرَّبُّ يُدَبِّر" كان بذلك يُعلن عن حدث مُستقبلي سيتم بعد ألفي سنة. فعلى

ذلك الجبل نفسه (حيث بُنِيَت أورشليم لاحقاً) سوف يُدَبِّر الرب ذبيحة أخرى لا ليُخلِّص إنساناً واحداً من الموت، بل ليُقدِّم فدية كاملة ونهائية للعالم أجمع.

هل تتذكَّر ما قاله إبراهيم لابنه إسحاق على ذلك الجبل عند المذبح؟ لقد قال له:

"اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي."

ماذا كان إبراهيم يقصد بذلك؟ هل دَبَّر الله حَمَلاً ليموت بدل ابنه إسحاق؟ كلا، لم يُدَبِّر الله حَمَلاً بل كَبْشَاً. إذاً لماذا قال إبراهيم: *"اللهُ يَرَى لَهُ **الْخَرُوفَ** لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي"*؟

سوف نعرف الجواب المُدهش بعد قليل. لكن قبل ذلك، هناك بعض القصص الأخرى التي يجب علينا أن نَسْردها.

21
دِماءٌ تُسْفَك

إنْ أردنا أن نكون صادقين مع أنفسنا فينبغي علينا أن نعترف بأننا نتعلَّم الحقائق الروحية ببُطء شديد. والله يعرف ذلك:

*"لأَنَّكُمْ – إِذْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ لِسَبَبِ طُولِ الزَّمَانِ – تَحْتَاجُونَ أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ مَا هِيَ **أَرْكَانُ بَدَاءَةِ أَقْوَالِ اللهِ**، وَصِرْتُمْ مُحْتَاجِينَ إِلَى اللَّبَنِ، لاَ إِلَى طَعَامٍ قَوِيٍّ."*
(الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 5: 12)

كم نشكر الله لأنه المُعَلِّم الأكثر صَبْراً علينا، ولأنه يُكَرِّر الحقائق الأساسية التي ينبغي علينا فهمها. ولكي يُساعدنا على الفهم، فقد وضع في كتابه مئات القصص التي تُصَوِّر لنا الحقيقة التالية البالغة الأهميَّة:

"بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ." (الرِّسالة الى العِبرانيِّين 9: 22)

لم تكن مغفرة الخطايا أمراً سهلاً لخالقنا القُدُّوس. فمنذ دخول الخطية إلى العالم، بدأ الله يُعَلِّم الخُطاة أنه لا يُمكن التكفير عن الخطايا إلاَّ عن طريق دماء ذبيحة بلا عيب. فبهذه الطريقة يقوم الله (الديَّان العادل) بمعاقبة الخطية دون مُعاقبة الخاطئ.

لقد رفض الرب جهود آدم وحوَّاء لتغطية خطيتهما. فلا يُمكن لله أن يَغفر الخطية دون دفع أُجرة الموت. وقد عَلَّمتنا قصة قايين وهابيل الدرس نفسه. وكذلك الأمر في ما يتعلَّق بقصة إبراهيم وإسحاق. وتَزْخُر أسفار العهد القديم التي تلي سِفْر التكوين (مثل سِفْرَيِّ الخروج واللاويِّين) بقصص رجال ونساء خضعوا لشريعة الذبيحة هذه.[186]

"سأَعْبُر عنكم"

يَسْرد لنا سِفْر الخروج تلك القصة المُذهلة عن كيف أن الله تَمَّم وعده وجعل من نسل إبراهيم أُمَّة فعلية. فمن خلال سلسلة أحداث مُرَتَّبة كان الله قد أعلنها لإبراهيم،[187] تَحَوَّل شعب إسرائيل إلى عبيد لدى الفراعنة المصريين. وقد وعد الله أنه سيفديهم من العُبودية في الوقت الذي يُعَيِّنه هو لكي يُعطي العالم لمحات عن خطته لفداء بني آدم من الخطية. وهذه هي قصة العُبور أو الفِصْح.

في نحو سنة 1490 قبل الميلاد، أنزل الرب على أرض مصر عشر ضربات من خلال نَبِيِّه مُوسى. لكنَّ الضربات التسع الأولى – التي تحدَّى فيها الرب آلهة المصريين الزائفة وألحق بها الهزيمة – لم تجعل فرعون يَخضع لكلمة الله ويُطلق سراح شعب إسرائيل.[188] لذلك، أَمَرَ الله موسى أن يُبلغ الشعب أنه حَكَمَ بموت كل بِكْر في كل عائلة سواء كانوا من المصريِّين أو الإسرائيليِّين. ففي منتصف ليلة اليوم المُحَدَّد، سوف يَمُرُّ ملاك الموت على تلك الأرض ويَقتل الابن البِكْر في كل عائلة. كان هذا هو الخبر السيِّئ.

أمَّا الخَبَر السار فهو أن الله دَبَّر طريقة لإنقاذ شعبه من ضربة الموت هذه. فقد قال الله لموسى أن يقول لكل عائلة أن تختار *"شَاةً صَحِيحَةً ذَكَرًا ابْنَ سَنَةٍ، تَأْخُذُونَهُ مِنَ الْخِرْفَانِ أَوْ مِنَ الْمَوَاعِزِ"* (سِفْر الخروج 12: 5). وفي الوقت المُعَيَّن، يجب ذبح الحَمَل ووضع دمائه على القائمتين والعَتَبَة العُليا لأبواب المنازل. وكل من يُنَفِّذ هذه الأوامر ويبقى داخل منزله سينجو من الموت حيث أنَّ ملاك الموت سيرى الدم ويَعْبُر عن البيت.

لقد وعد الرب:

"وَيَكُونُ لَكُمُ الدَّمُ عَلاَمَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ، فَلاَ يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلاَكِ حِينَ أَضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ." (سِفْر الخروج 12: 13)

حدث كل شيء بحسب قول الله تماماً. ففي تلك الليلة، حافظ الله على بِكْر كل عائلة احتمت بالدم؛ في حين أنَّ الأبكار الآخرين هلكوا. على الرغم من ذلك، شهد كل بيت حادثة موت – سواء موت الحملان أو موت الأبناء الأبكار. أمَّا كل من وضع الدم على القائمتين والعَتَبَة العُليا لمنزله في تلك الليلة

فقد تَحَرَّر من حياة القمع والعبودية. وهكذا، تَمَّ إطلاق سراح الشعب الذي نال الفِداء. وماذا كان ثمن تحريرهم؟ دماء الحِمْلان.

نرى – مَرَّةً أخرى – أنَّ شريعة الذبيحة تفوَّقت على شريعة الخطية والموت. وفي السنوات اللاحقة، أصبح اليهود يُحيون ذكرى العُبور (الفِصْح) التي أصبحت عيداً سنوياً يتذكرون فيه التحرير العظيم الذي دَبَّره الله لهم بواسطة دم الحَمَل.

الله يَقود شَعبه

في ليلة العُبور أو الفِصْح، قام الله بتحرير بني إسرائيل من 400 سنة من العبودية في مصر، وتوجَّه بهم إلى الصحراء. وكان الله يُخَطِّط لإعادتهم إلى الأرض التي وعد بها إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونسلهم. وأثناء انطلاقهم في تلك الرحلة، كان الله يقودهم بنفسه بطريقة مَرئيَّة ومُعَزِّية.

"وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً." (سِفْر الخروج 13: 21)

عمل الرب على قيادة شعبه في الصحراء وإنارة الطريق لهم. كما أنه شَقَّ لهم طريقاً في وسط البحر الأحمر بيده القوية وخلَّصهم من جيش فرعون الذي كان يُلاحقهم للقبض عليهم وإعادتهم إلى مصر. ثمَّ قاد الله الشعب إلى جبل سيناء كما وعد موسى.[189]

في أسفل ذلك الجبل نَصَبَت الأُمَّة الجديدة (المؤلَّفة من أكثر من مليوني شخص) الخيام لسنة كاملة. لكن كيف تمكنوا من البقاء على قيد الحياة في تلك الصحراء القاحلة؟ لقد قام الله – بمُقتضى رحمته ونعمته – بتوفير الخبز من السماء والماء من صخرة.[190] وعلى الرغم من إخفاقهم المستمر في تقديم الشُّكر للرب الذي فداهُم من العبودية، وعدم ثقتهم به، وعدم طاعتهم له، فقد أظهر الله أمانته الدائمة لهم. وكان الله يُدينهم عند ارتكابهم للخطايا، ويُباركهم حين يُطيعونه. وقد تعامل الرب مع بني إسرائيل بهذه الطريقة حتى ترى الشعوب المُحيطة طريقته في الفداء. فقد كانت مشيئته للناس جميعاً هي أن يُدركوا أنه باستطاعتهم أن يعرفوه معرفة شخصيَّة.

وبعد إنزال الوصايا العشر (انظر الفصل 15) والشرائع الأخرى لبني إسرائيل، أَمَرَ الله شعبه ببناء مَقْدِس فَريد من نوعه سُمِّي "خيمة الاجتماع".

خيمة الاجتماع

"فَيَصْنَعُونَ **لِي** مَقْدِسًا **لأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ**. بِحَسَبِ جَمِيعِ مَا أَنَا أُرِيكَ مِنْ مِثَالِ الْمَسْكَنِ، وَمِثَالِ جَمِيعِ آنِيَتِهِ هكَذَا تَصْنَعُونَ" (سِفْر الخروج 25: 8–9).

لماذا أَمَرَ الله شعبه ببناء هذه الخيمة المُميزة؟ ولماذا كان من الضروري جداً أن يتم بناؤها بحسب المِثَال الذي أعطاه الله لهم؟ أراد الله أن يستخدم تلك الخيمة لكي يُظهر للشعب حقيقته بطريقة مَلموسة ومرئيَّة ولكي يُعلِّمهم الطريقة الصحيحة للاقتراب منه. ويحتوي الكتاب المقدَّس على خمسين فصلاً عن خيمة الاجتماع ومُلحقاتها. ورغم أننا لا نستطيع في هذا الكتاب أن نُفسِّر كل شيء يتعلَّق بخيمة الاجتماع، إلاَّ أنه من المفيد أن نُلقي الضوء على بعض عناصرها الرئيسية.

طَريق واحد

أَمَرَ الله ببناء خيمة الاجتماع ليُري العالم أنه يريد أن يَسْكُن مع شعبه على الرغم من أنه إله قُدُّوس. لكِنَّ حاجزاً كبيراً كان (وما زال) يقف بين الله والإنسان ألا وهو الخطية.

كانت الخيمة المميزة التي ترمز إلى حضور الله وسط شعبه قائمة داخل ساحة واسعة مُستطيلة الشكل. وكان السور المُحيط بهذه الساحة مصنوعاً من أعمدة من النحاس والفضَّة، وكتَّان ناعم. وكان طول هذه الأعمدة مترين ونصف حتى لا يتمكن أحد من رؤية ما ورائها. فقد أراد الله للناس أن يفهموا أنهم مطرودين من مَحْضَره. هذا هو الخبر السيِّئ.

أمَّا الخبر السَّار فهو أن الله دَبَّر طريقة يُمكن للخُطاة من خلالها أن يتقدموا إليه. فقد كان باب الخيمة مصنوعاً من الخيوط الزرقاء والبنفسجية والقرمزية. وكانت الطريقة الوحيدة المُتاحة لدخول الخطاة والاقتراب إلى الله هي الدخول من ذلك الباب الواحد[191] وهو يَجُرُّ حَمَلاً أو حيواناً آخر يَصلُح كذبيحة.

كذلك، أَمَرَ الله الشعب ببناء مذبح كبير (مصنوع من خشب السَّنط المُغَشَّى بالنحاس) ووضعه بين الباب والخيمة. وكان يجب على الشخص الذي يُقدِّم ذبيحة خطية أن يضع يده على رأس الحيوان البريء ويعترف بأنه خاطي عاجز. ثم يُذبح الحيوان ويُحرق جسده فوق المذبح. ومَرَّة أخرى، أثبت الله لشعبه أن الشريعة الوحيدة التي يُمكنها أن تتفوَّق على شريعة الخطية والموت هي شريعة ذبيحة الخطية.[192]

كان قانون الله واضحاً: بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لن تكون هناك كَفَّارة عن الخطيَّة. وبدون كَفَّارة لن تكون هناك مُصالحة (علاقة سليمة) مع الله.

وقال الله لموسى أيضاً أن يصنع صندوقاً خشبياً وأن يُغَشِّيه بالذهب النقي. وكان هذا الصندوق يُدعى "تابوت العهد"، وهو يرمز إلى عرش الله في السماء. وقد تَمَّ وَضْع اللَّوحين الحجريَّين اللذين نقش عليهما الله الوصايا العشر داخل التابوت الذهبي. أمَّا غطاء التابوت الصلب (المُسَمَّى "كُرْسِيُّ الرَّحْمَة") فيُظَلِّله كَرُوبان مصنوعان من ذهب (الكروبيم هي الملائكة البهيَّة التي تُحيط بعرش الله في السماء). وقال الله لموسى أن يضع تابوت العهد في الغرفة الداخلية الأبعد لخيمة الاجتماع.

قُدْس الأقداس

كانت خيمة الاجتماع تتألف من غرفتين: الغرفة الأمامية (وتُدعى "القُدْس")، والغرفة الخلفية (وتُدعي "قُدْس الأقداس"). ونقرأ في الكتاب المقدَّس أنَّ قُدْس الأقداس *"مَا هُوَ إِلاَّ ظِلٌّ لِلْحَقِيقَةِ ... **السَّمَاء عَيْنِهَا**."* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 9: 24)

كان قُدْس الأقداس يَرمز إلى السَّماء؛ أي مكان سُكنى الله. وكانت هذه الغرفة المميَّزة مَبنية على شكل مُكَعَّب حيث يتساوى طولها مع عرضها وارتفاعها. وحين نقترب من نهاية رحلتنا عبر الكتاب المقدَّس، سوف نرى أن المدينة السماوية التي ستصبح في يومٍ ما مسكناً للمؤمنين هي أيضاً على شكل مُكَعَّب.

ورغم أنَّ الكنائس والمساجد والهياكل تمتلئ بأشخاص رفضوا سبيل الله للفداء، فإن الكثيرين يقولون إنَّ هذه الأماكن مُقدَّسة! لَكِنَّ القداسة الحقيقية لا تتحقَّق عن طريق دخول مَبنى مُعَيَّن، بل عن طريق قبول شروط الله للغفران والبِر.

الحِجاب

كان الجزء الخارجي للخيمة بسيطاً جداً: خيمة كبيرة مصنوعة من جلود الحيوانات. وهكذا، فهي لم تكن جميلة من الخارج؛ لكنها كانت بديعة من الداخل.[193] وكان هناك سِتار سميك يُسَمَّى "الحِجاب" يفصل بين غُرفتي خيمة الاجتماع.

*"وَتَصْنَعُ **حِجَابًا** مِنْ اسمانْجُونِيٍّ وَأُرْجُوَانٍ وَقِرْمِزٍ وَبُوصٍ مَبْرُومٍ. صَنْعَةَ حَائِكٍ حَاذِقٍ يَصْنَعُهُ بِكَرُوبِيمَ."* (سِفْر الخروج 26: 31)

كان الحِجاب يَفصل الناس عن قُدس الأقداس الذي هو مكان سُكنى الله حيث يتجلَّى مجده وبهاؤه. وهكذا، فقد كان الحجاب يَعني للجميع: "**ممنوع الدخول**" أو "**مُت!**"

كان هذا السِّتار المُمَيَّز يَرمز إلى مقياس الله للبِر. وكان الله قد أعلم البشر بهذا المقياس من خلال الوصايا العشر التي أعطاها لموسى. غير أن تلك القواعد العشر لم تكن إلاَّ لمحة عن مَطْلَب الله. فقد كانت خطَّة الله النهائية تقضي بأن يُرسل الله ابنه إلى الأرض. وكان يسوع هو التجسيد المُطلق لمَطْلَب الله هذا: **الكمال.**

فالمسيح هو مقياس الله. وقد صَمَّم الله الحِجاب لكي يقودنا إلى التفكير فيه (في المسيح).

كان هذا الستار الجميل مصنوعاً من الكِتَّان الأبيض الذي يُشير إلى طهارة المسيح القُدُّوس الخالي من الخطية. وكان السِّتار يحتوي على ثلاثة ألوان بديعة ألا وهي: الأسمنجوني (الأزرق)، والأرجواني (البنفسجي) والقرمزي (الأحمر).

الأزرق هو لون السماء. فالمسيح هو الرب النازل من السماء.

والأحمر هو لون الأرض الذي يشير إلى الإنسان والدماء.[194] فسوف يأخذ المسيح جسداً من لحم ودم ليتألم ويموت بدل الخطاة.

والبنفسجي يتكوَّن من مَزْج اللونين الأزرق والأحمر. فالمسيح هو ابن الله وابن الإنسان في آنٍ واحد. وحيث أنَّ البنفسجي هو لون البلاطات الملكيَّة، فقد كان يُشير إلى ذلك الملكوت الروحي الذي سيُنشئه المسيح في قلوب المؤمنين به. وفي ما بعد، سوف يُنشئ ملكوته المحسوس على الأرض.

وكما أن البنفسجي هو اللون المتوسِّط بين الأحمر والأزرق، فقد جاء المسيح كوسيط بين الله والإنسان.

"لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ ***وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ:*** *الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ، الشَّهَادَةُ فِي أَوْقَاتِهَا الْخَاصَّةِ."* (رسالة تيموثاوس الأولى 2: 5-6)

سَحابة المجد

بعد أن انتهى الشعب من بناء خيمة الاجتماع وأصبح كل شيءٍ في مكانه وفقاً لخطة الله، أرسل الله من عرش السماء مجد حضوره مُتجَسِّداً في سحابة عظيمة:

"ثُمَّ غَطَّتِ السَّحَابَةُ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ ***وَمَلأَ بَهَاءُ الرَّبِّ الْمَسْكَنَ.*** *فَلَمْ يَقْدِرْ مُوسَى أَنْ يَدْخُلَ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ، لأَنَّ السَّحَابَةَ حَلَّتْ عَلَيْهَا وَبَهَاءُ الرَّبِّ مَلأَ الْمَسْكَنَ."* (سِفْر الخروج 40: 34-35)

وضع الرب نور حضوره الساطع في قُدس الأقداس بين الكروبَيْن القائمين على كرسي الرحمة فوق تابوت العهد. وهكذا، فقد ظهر الله بطريقة مَرْئيَّة ليكون مع شعبه.

"اَلرَّبُّ قَدْ مَلَكَ. تَرْتَعِدُ الشُّعُوبُ. هُوَ ***جَالِسٌ*** *عَلَى الْكَرُوبِيمِ. تَتَزَلْزَلُ الأَرْضُ."* (المزمور 99: 1)

مِنْ خلال مجده الظاهر في قُدس الأقداس والسحابة فوق خيمة الاجتماع، كان الخالق يُعَلِّم أُمَم العالم والأجيال القادمة درساً بالغ الأهميَّة: الله الواحد الحقيقي يدعو الخطاة لإنشاء علاقة معه؛ لكن وفقاً لشروط مُعَيَّنة.

وسائل توضيحيَّة بَصريَّة

وَفَّرت خيمة الاجتماع العديد من الوسائل التوضيحيَّة البصريَّة للذين أرادوا التعرُّف إلى الله ومعرفة خطته للعالم. تَخَيَّل المشهد: بحسب تعليمات الله الدقيقة، قامت أُمَّة المَفْدِيِّين هذه (أي أسباط إسرائيل الاثني عشر) بنصب خيامها عند جبل سيناء على شكل صليب. فقد كانت خيمة الاجتماع في الوسط، وثلاثة أسباط نَصَبَت خيامها باتجاه الجنوب، وثلاثة باتجاه الشمال، وثلاثة باتجاه الغرب، وثلاثة باتجاه الشرق.[195] وبوجود سحابة المجد المُشِعَّة من فوقهم، لم يَقدر أحد أن يُنكر وجود الله الواحد الحقيقي في وسطهم.

ويمكننا أن نتعَلَّم دروساً أخرى من خلال ما يقوله الكتاب المقدَّس عن أن خيمة الاجتماع كانت مُحاطة بسياج مُرتفع أبيض اللون مصنوع من كِتَّان وله باب واحد. وكان يوجد في الفناء مَذْبَح. وهكذا، فقد كان الخطاة مطرودين من مَحْضَر الله إلاَّ إذا اقتربوا إليه على أساس ذبيحة بلا عيب.

*"لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ، فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ **عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ، لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ.**"* (سِفْر اللاويِّين 17: 11)

ومَرَّة أخرى نرى أنه بدون سَفْك دم لا توجد مغفرة للخطية. وحيث أنه يستحيل على الناس أن يُقَدِّموا ذبيحة كلما أخطأوا، فقد أمر الله بذبح خروف وحرقه على المذبح في كل يوم من أيام السنة: كل صباح وكل مساء. وهكذا، أصبح بإمكان كل من يؤمن بالله وبخطَّته أن يَتمتَّع بميزة تقديم هذه الذبائح اليومية ألا وهي: استعادة العلاقة مع خالقهم.

*"وَهذَا مَا تُقَدِّمُهُ عَلَى الْمَذْبَحِ: خَرُوفَانِ حَوْلِيَّانِ **كُلَّ يَوْمٍ دَائِمًا. الْخَرُوفُ** الْوَاحِدُ تُقَدِّمُهُ صَبَاحًا، **وَالْخَرُوفُ** الثَّانِي تُقَدِّمُهُ فِي الْعَشِيَّةِ ... **مُحْرَقَةٌ دَائِمَةٌ** فِي أَجْيَالِكُمْ عِنْدَ بَابِ*

*خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ أَمَامَ الرَّبِّ، **حَيْثُ أَجْتَمِعُ بِكُمْ لأُكَلِّمَكَ هُنَاكَ**."* (سِفْر الخروج 29: 38–39، 42)

يوم الكَفَّارة

ولكي يُلقي الله المزيد من الضوء على حَقِّه الثمين، أعلن لشعبه أنَّ هناك طريقة واحدة فقط للدخول إلى قُدس الأقداس الذي يرمز إلى السماء. ففي يوم واحد من السنة، سوف يَسمح الله لرجل مُعَيَّن (ألا وهو رئيس الكهنة) بالدخول إلى الغُرفة الداخلية. وفي يوم الكَفَّارة هذا،[196] يجتاز رئيس الكهنة الحِجاب ويأخذ معه دم الذبيحة ويَرُشُّه سبع مَرَّات على كرسي الرحمة الموضوع على غطاء تابوت العهد. وإذا دخل رئيس الكهنة إلى محضر الله بأي طريقة أخرى فسوف يموت على الفور. وعلى أساس ذلك الدم المرشوش، وَعَدَ الله بمغفرة خطايا بني إسرائيل لمدة سنة إن آمنوا به وبخطته.

لقد صُمِّمَت كل تفاصيل خيمة الاجتماع (وأثاثها والأعمال التي تُمارَس فيها) لكي تَنقل للبشر صُوَراً حَيَّة عن كيفية سَتْر الله لخطايا الخُطاة المُدانين، ولكي تُعلِّمهم كيفية استعادة علاقتهم المقطوعة مع خالقهم القُدُّوس. وكانت كل هذه الصور والتفاصيل تُشير إلى المسيح وإرساليته.

وهكذا، فقد استخدم الربُّ شَعبه – على مَدى قرون عديدة – لنقل مئات الصُّور الحيَّة للشعوب الأخرى، ولإعلان وُعوده الثمينة لهذا العالم الغارق في الخطية.

الهيكل وذبائحُه

بعد مُرور 500 سنة على بناء موسى وبني إسرائيل لخيمة الاجتماع للتمتُّع بحضور الرب، أَمَرَ الله الملك سُليمان باستبدال خيمة الاجتماع المُتنقِّلة بهيكل ثابت. وكان تصميم هذا المبنى الجديد في أورشليم مُشابهاً لتصميم الخيمة ولكنه أكبر وأجمل. أصبح هيكل سُليمان واحداً من العجائب المِعماريَّة في العالم القديم. وكما أنَّ مجد الله نزل من السماء ليملأ قُدْس الأقداس في الخيمة في يوم افتتاحها، فقد مَلأ مَجْد الربِّ الهيكل.

"وَلَمَّا انْتَهَى سُلَيْمَانُ مِنَ الصَّلاَةِ، نَزَلَتِ النَّارُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتِ الْمُحْرَقَةَ وَالذَّبَائِحَ، ***وَمَلأَ مَجْدُ الرَّبِّ الْبَيْتَ.*** *وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْكَهَنَةُ أَنْ يَدْخُلُوا بَيْتَ الرَّبِّ لأَنَّ مَجْدَ الرَّبِّ مَلأَ بَيْتَ الرَّبِّ."* (أخبار الأيَّام الثاني 7: 1–2)

تَمَّ بناء الهيكل في نفس المكان الذي ذَبَحَ فيه إبراهيم كبشاً بدل ابنه قبل ألف سنة.[197] ولتكريس هذا الهيكل لله، أَمَرَ الملك سُليمان بذبح مئة وعشرين ألفاً من الغَنَم واثنين وعشرين ألفاً من البَقَر.[198] وترمز هذه الأعداد الهائلة من الذبائح إلى الدم الثمين الذي كان سَيُسفك بعد ألف سنة على هَضَبة مُجاورة.

وهكذا، فقد تَمَّ تقديم ملايين الذبائح على المذابح منذ أيام آدم وهابيل وإبراهيم فصاعداً للتكفير عن الخطية سنة تلو الأخرى.

ثُمَّ جاء المسيح.

22
الحَمَل

*"اللهُ **مَحَبَّةٌ**."* (رسالة يوحنَّا الأولى 4: 8)
*"اللهُ **عَظِيمٌ**."* (سِفْر أيُّوب 36: 26)

الله **مَحَبَّة**، وهو يريد لشعبه أن يتمتَّعوا بعلاقة وثيقة معه. وتَظهر فكرة طبيعة الله الاجتماعية في الأصحاح الأول من كتابه.

خلق الله آدم وحوَّاء *"عَلَى صُوْرَتِهِ"* لكي يتمتَّع بالعلاقة الطيبة معهما (سِفْر التكوين 1: 27). وتستمر فكرة *"اللهُ مَعَنا"*[199] هذه حتى الأصحاح الأخير من الكتاب المُقدَّس حيث سَيَرى شَعبه المَفدي وجهه ويبقى معه إلى الأبد (سِفْر الرؤيا 22: 4). وكل من يُخفق في إدراك هذه الحقيقة يُضيع على نفسه فُرصة فهم الفكرة الرئيسية التي يتمحور حولها كتاب الله.

إنَّ الله **عظيم** وقادر على فعل ما يَشاء:

"هأَنَذَا الرَّبُّ إِلهُ كُلِّ ذِي جَسَدٍ. هَلْ يَعْسُرُ عَلَيَّ أَمْرٌ مَا؟" (سِفْر إرميا 32: 27)

لا يُمكن لأي شخص يؤمن بالله الواحد أن يقول إن الله لا يستطيع أن يصير إنساناً إن أراد ذلك. فإذا عَجزَ الله القدير عن القيام بأمرٍ ما (دون أن يُناقض نفسه) فهو ليس الله.

لذلك، فإنَّ السؤال المطروح هو ليس: "هل يستطيع الله أن يَصير إنساناً؟" بل: "هل اختار الله أن يَصيرَ إنساناً؟"

المَسْكَن الحقيقي لله

بعد مُرور ألف وخمسمئة سنة على أمر الله لشعبه القديم ببناء خيمة الاجتماع الفريدة والمُميَّزة *"**لِيَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ**"* (سِفْر الخروج 25: 8) يقول الكتاب المقدَّس:

*"فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا **وَحَلَّ بَيْنَنَا**، وَرَأَيْنَا **مَجْدَهُ**، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا."*
(إنجيل يوحنَّا 1: 1، 14)

إن عبارة *"لأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ"* تأتي في الأصل من كلمة يونانية تعني "يَنْصِبُ خَيْمَةً". وبالتالي فإنَّ الترجمة الحَرفيَّة هي: "لأَنْصِبَ خَيْمَةً في وَسَطِهِمْ". والكتاب المقدَّس يَصِف جسد الإنسان بالخيمة أو بالهيكل الذي تَسكن فيه الروح.[200] وقد رأينا في الفصل 16 أن ابن الله الأزلي وُلد كطفل رضيع. وكان جسده البشري هو الهيكل الذي اختار أن يَسْكُن فيه.

في زمن النبي مُوسى، كانت الخيمة التي أظهر فيه الله مَجده وأعلن فيه حضوره مُغَطَّاة بجلود الحيوانات. أمَّا في شخص يسوع، فقد جاء الله بحضوره البهي ونوره الساطع ليسكن في جسم بشري. لهذا قال تلاميذه عنه: *"وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ!"*

يقول الكتاب المقدَّس إن يسوع كان *"خَادِمًا لِلأَقْدَاسِ **وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ** الَّذِي نَصَبَهُ الرَّبُّ لاَ إِنْسَانٌ."* (الرِّسالة إلى العبرانيِّين 8: 2)

في زمن العهد القديم كانت خيمة الاجتماع (أو الهيكل في ما بعد) مكاناً يُقَدِّم الخطاة فيه الذبائح للتكفير عن خطاياهم. وعندما كان يسوع صبياً ينمو ليصير رَجُلاً، زار الهيكل في أورشليم في مناسبات عديدة؛ لكنه لم يُقَدِّم يوماً ذبيحة عن خطاياه. لماذا؟ لأنه كان بلا خطية: *"أُظْهِرَ مَرَّةً عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّهُورِ لِيُبْطِلَ الْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ **نَفْسِهِ**"* (الرِّسالة إلى العبرانيِّين 9: 26). فقد بات هو الذبيحة في حين بات الصليب الروماني هو المَذبح. وهكذا، فقد كان يسوع هو الحقيقة الكامنة وراء تلك الرموز.

*"**اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ**."* (رسالة تيموثاوس الأولى 3: 16)

في إحدى المُناسبات، وقف يسوع بجانب الهيكل العظيم في أورشليم وقال لمجموعة من الرجال:

*"'انْقُضُوا **هذَا الْهَيْكَلَ**، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ' . فَقَالَ الْيَهُودُ: 'فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هذَا الْهَيْكَلُ، أَفَأَنْتَ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟' **وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ.** فَلَمَّا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، تَذَكَّرَ تَلاَمِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هذَا، فَآمَنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكَلاَمِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ."* (إنجيل يوحنَّا 2: 19-22)

لم يَفهم اليهود أن "الهيكل" الذي قَصَدَهُ يسوع كان جسده، بل ظَنُّوا أنه يتحدث عن هيكل أورشليم. لكنَّ بهاء حُضور الله ومجده لم يبقيا في قُدْس الأقداس في تلك الخيمة المصنوعة بأيدي البشر، بل أصبحا الآن في "هيكل" يسوع؛ أي جسده.

وحين اقتربت خدمة يسوع الأرضيَّة من نهايتها، سَمَح يسوع لثلاثة من تلاميذه أن يروا مجد الله البهي:

*"وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيوحنَّا أَخَاهُ وَصَعِدَ بِهِمْ إِلى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، **وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ.** ... وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا **سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ**، وَصَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: **'هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسمعُوا'.**"* (إنجيل متَّى 17: 1-5)

إنَّ نور الله البهي والسَّاطع الذي يُرغم ملائكة السماء على تغطية وجوههم أصبح الآن في يسوع نفسه. فالحُضور ذاته الذي سَكَنَ في قُدْس الأقداس (في خيمة الاجتماع والهيكل) أصبح يسكن الآن في يسوع. كما أن تلك السحابة المُنيرة التي ظَلَّلت يوماً خيمة الاجتماع أصبحت الآن تُظَلِّل المكان الذي وقف فيه يسوع. وهكذا، كان يسوع هو حُضور الله المرئي على الأرض. وكان مجد ابن الله المشع والمتلألئ يُرافقه صوت الآب الذي تكلَّم من السماء قائلاً:

*"هذَا هُوَ **ابْنِي الْحَبِيبُ** الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. **لَهُ اسمعُوا!**"*

كان الله جادّاً في ما قاله. فقبل أن يَصير ابن الله ابن الإنسان بألف سنة، كتب النبي داود: *"**قَبِّلُوا الابْنَ** لِئَلاَّ يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ. لأَنَّهُ عَنْ قَلِيل يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ"* (المزمور 2: 12). وعبارة *"قَبِّلُوا الابْنَ"* تَعني: **أكْرِمُوا الابْنَ**.

من وقت لآخر أرى الناس يُقَبِّلون رؤوس وأيدي القادة الدينيِّين رغم أنهم ليسوا إلاَّ أناساً خُطاة عاجزين كالجميع. كما أنني أرى هؤلاء الأشخاص أنفسهم يزورون القُبور لإكرام أُناس تَحَوَّلَت أجسادهم إلى تراب. وفي هذه الأثناء، يُعلن الله للعالم: *"لِكَيْ **يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ**. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ ... لأَنَّ **الآبَ يُحِبُّ الابْنَ** ..."* (إنجيل يوحنَّا 5: 23، 20).

السَّلَف

كان إشعياء أحد نَبِيَّين كتبا عن نَبِيٍّ آخر سيأتي مُنادياً: *"أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ"* (سِفْر إشعياء 40: 3). كان هذا السَّلَف هو النبي "يوحنَّا" ابن زكريا".[201] فقد أعلن الأنبياء السابقون أن الله سيُرسل المسيح إلى العالم؛ أمَّا النبي يوحنَّا فحظي بذلك الشَّرف العظيم في أن يقول إن المسيح المُنتظر – الرب نفسه – جاء وأصبح بيننا!

> *"فِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يوحنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ قَائِلاً: 'تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ **اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ**.' فَإِنَّ هذَا هُوَ الَّذِي قِيلَ عَنْهُ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: **أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ**. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً"* (إنجيل متَّى 3: 1–3).

التَّوْبَة

كانت رسالة يوحنَّا المعمدان بسيطة لكي يُهَيِّئ الناس لمجيء الرب:

"توبوا!"

وقد تُرجمت كلمة "توبوا" عن الكلمة اليونانيَّة "ميتانويو" المؤلَّفة من جُزأين: "ميتا" (وتعني: "تغيير") و "نويو" (وتعني: "الفِكْر"). وبالتالي فإنَّ المعنى الرئيسي للتوبة هو "تغيير الفِكْر"؛ أي استبدال الفِكْر الخاطئ بالفِكْر الصائب.

ولتقريب مُصطلح "التوبة" إلى ذهن القارئ، سوف أضرب مثالاً على ذلك من حياتنا اليومية. فإذا أردت أن تسافر من مكان لآخر (مثلاً من بيروت إلى عَمَّان) فسوف تستقل الحافلة التي تعتقد أنها مُتَّجهة نحو الجنوب إلى عَمَّان، وتجلس في مقعدك، وتأخذ قيلولة. وبعد مضي بعض الوقت تستيقظ فتكتشف أن الحافلة مُتَّجهة بسرعة نحو الشمال إلى اسطنبول (وليس نحو الجنوب إلى عَمَّان)! فما الذي يُمكنك أن تفعله؟

لديك خياران لا ثالث لهما: إمَّا أن ترفض الاعتراف بخطئك (بسبب كبريائك) فتبقى في تلك الحافلة وينتهي بك الأمر في المكان الخاطئ؛ أو أن تتواضع و "تتوب" بمعنى أن تُغَيِّر رأيك وتعترف بأنك صعدت إلى الحافلة الخطأ. وبالطبع، لن يَتَّضح صِدق توبتك إلاَّ عندما تُغادر تلك الحافلة وتصعد إلى الحافلة الصحيحة. فالتوبة الصادقة تقود الإنسان إلى الرجوع عن الخطأ والتمسُّك بالصواب.

ويمكن مُقارنة التوبة بوجهيِّ العملة النقدية. الوجه الأول مكتوب عليه: "تُبْ"، والوجه الآخر مكتوب عليه: "آمِنْ". لكنَّ الوَجهين يُشَكِّلان حقيقة واحدة:

*"**بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللهِ وَالإِيمَانِ** الَّذِي بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ."* (أعمال الرُّسُل 20: 21)

التوبة تعني تغيير أفكارك ومُعتقداتك الشخصية بشأن طريق الخلاص. أمَّا الإيمان فيعني الثقة بطريق الله للخلاص. وليس هناك إيمان بمعزل عن التوبة. لذلك، كانت رسالة النبي يُوحنَّا المَعمدان تتضمَّن الدعوة للتوبة عن الفكر الخاطئ، والاعتراف بالعجز عن إنقاذ الذات، وقبول المسيح الملك الآتي من السماء. فقد جاء ليُحرِّرك من ألَدِّ عَدُوٍّ لك إن توقفت عن الاتِّكال على نفسك وبدأت بالاتِّكال عليه هو.

عَمَّد يوحنَّا في النهر كل الذين أَقَرُّوا بحالتهم الخاطئة أمام الله. لهذا فقد عُرِفَ بيوحنَّا المَعْمَدان. ورغم أنَّ المعموديَّة في الماء لا تُطَهِّر الإنسان من الخطية، إلاَّ أنها كانت (وما زالت) الطريقة التي يُعَبِّر

الناس من خلالها (أمام الآخرين) عن قبولهم لرسالة الله عن المسيح الذي سيأتي ليُطَهِّر الخطاة التائبين ويُخَلِّصهم من نجاستهم.

المُختار

في بداية خدمته العلنيَّة على الأرض، جاء يسوع إلى نهر الأردن لكي يتعمَّد على يد يوحنَّا المَعمدان. لم يكن المسيح الخالي من الخطية بحاجة للتوبة عن أي خطيَّة. لكن من خلال معموديَّته، فقد ضَمَّ يسوع نفسه إلى الجنس البشري الذي جاء ليُخَلِّصه. أمَّا ما حدث عقب اعتماد يسوع فهو مَشهد لا يُنسى أبداً. وهو مَشهد يعطينا لمحة أخرى عن حقيقة الله الواحد الحقيقي في وحدانيته الجامعة وجلاله.

> *"فَلَمَّا اعْتَمَدَ **يَسُوعُ** صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى **رُوحَ اللهِ** نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، **وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ** قَائِلاً: **'هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ'**."* (إنجيل متَّى 3: 16-17)

وكما هو الحال في يوم الخلق، فإنَّ هذه القصة تُظْهِر حُضور الآب، والابن، والروح القُدُس. لكن في هذه اللحظة الحاسمة من تاريخ البشرية، كان الله يُظهر وحدانيَّته الجامعة بوضوح أكبر. وفي رحلتنا عبر الكتاب المقدَّس، تُشكِّل هذه القصة مَحَطَّة لا بُدَّ لكل مسافر أن يتوقف عندها ليأخذ بعض الصور ويتأمَّل فيها بعُمق.

هذا هو المشهد: تحت السماء الزرقاء الصافية يمشي ابن الله (الكلمة الذي به خُلقت السماوات والأرض) خارجاً من النهر. وفي تلك اللحظة عينها، ينزل روح الله (الروح الذي كان يَرِفُّ على وجه المياه في اليوم الأول للخلق) من السماء ويَرِفُّ فوق يسوع ليستقر عليه على هيئة حَمامة. وأخيراً، دَوَّي صوت **الله الآب** من السماء قائلاً: *"**هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ**"*.

في السنوات الثلاثين الماضية، كان يسوع يعيش وراء الكواليس في عائلة فقيرة في قرية الناصرة المتواضعة. وعلى الرغم من أنه كان مُتوارياً عن عيون الناس، إلاَّ أنَّ عين الله الآب كانت مُثَبَّتة على ابنه المحبوب طوال هذه السنين. ثُمَّ نسمع الحُكم الذي أصدره الله عن حياة يسوع: *"**بِهِ سُرِرْتُ**"*.

لم يُصْدِر الله هذا الحكم على أي إنسان عاش على هذه الأرض. فيسوع هو الوحيد الذي أرضاه في كافة تفاصيل حياته الخارجية والداخلية. فبصفته الابن الآتي من السماء، فقد كان قُدُّوساً طاهراً ومؤهَّلاً للقيام بالعمل الذي جاء للقيام به. كان يسوع هو المسيح المختار من الله. فقد مسحه الله لا بالزيت (كما كان يفعل مع الملوك والأنبياء[202])، بل بالروح القُدُس:

*"يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ **مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ**، الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، لأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ."* (أعمال الرُّسُل 10: 38)

كان يسوع هو الشخص الذي كتب عنه جميع الأنبياء.

حَمَل الله

*"وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يوحنَّا يَسُوعَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ، فَقَالَ: **هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!**"* (إنجيل يوحنَّا 1: 29)

يَزْخُر إعلان النبي يوحنَّا المَعْمَدان هذا بالمعاني القَيِّمة:

- *"هُوَذا **حَمَلُ اللهِ** ..."*

فَهِمَ جمهور يوحنَّا إلى حدٍّ ما معنى "الحَمَل". فمنذ دخول الخطية إلى العالم، كان الناس يُقَدِّمون الحِمْلان ذبائحَ ومُحرقات. وقد ظَلَّت الحِملان تُقَدَّم على المذبح صباحاً ومساءً لمدة خمسة عشر قرناً. وها هو حَمَل الله يظهر في المشهد! وقبل ذلك بألفي سنة، قال إبراهيم لإسحاق: *"اللهُ يَرَى لَهُ **الْخَرُوفَ** لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي."* (سِفْر التكوين 22: 8). وقد دَبَّر الله بديلاً عن ابن إبراهيم، لكنَّ هذا البديل لم يكن "الخروف" بل كان "كبشاً" (سِفْر التكوين 22: 13). كان "الخروف" الوارد في نُبُوَّة إبراهيم هو المسيح نفسه. فقد كان إبراهيم يُشير – بروح النُبوَّة – إلى يسوع المسيح. لهذا قال يسوع لاحقاً: *"أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ"* (إنجيل يوحنَّا 8: 56).

- *"الَّذِي **يَرْفَعُ** خَطِيَّةَ ..."*

منذ أيام آدم، كانت دماء الحيوانات تُكَفِّر رمزياً عن خطايا الذي آمنوا بالله وبخطته. لكِنَّ يسوع جاء ليُتَمِّم أمراً مختلفاً. فقد جاء ليرفَع (يُزيل) الخطية بصورة كاملة وشاملة.

- *"... **الْعَالَمِ!**"*

في الماضي، كانت الذبائح الحيوانية تُقَدَّم عن شخص أو عائلة أو أُمَّة. لكِنَّ دم يسوع سيدفع الثمن بصورة كاملة ونهائية عن خطايا الماضي والحاضر والمستقبل لجميع الناس.

هل يعني ذلك أن كل من يُولَد ستكون خطاياه مغفورة تلقائياً؟ كلا. فمنذ أن دخلت الخطية إلى الجنس البشري، يَطْلُب الله من البشر إيماناً شخصياً به وبخطته.[203]

*"إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا **كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ** فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ **الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ**."* (إنجيل يوحنَّا 1: 11–12)

ظِلال ورُموز

في القديم، كان كل حَمَل بريء وبلا عيب يُذبح عن الخطية يُمَثِّل *"ظِلُّ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ"* (الرِّسالة إلى العبرانيِّين 10: 1).

ويجب أن نُمَيِّز بين الظل والشخص أو الشيء الحقيقي الذي يُسَبِّب الظل. فإذا كنت تنظر إلى الأرض أثناء سَير صديقك باتجاهك فقد ترى ظِلَّه قبل أن تراه شخصياً. لكن عندما يقف أمامك فإنك تتكلم معه وليس مع ظِلِّه.

وهكذا، فقد كانت ذبائح العهد القديم ظلالاً وضعها الله للإعلان عن مجيء المسيح. وكان يسوع الحَمَل هو الذي يُلقي هذه الظلال.

*"لأَنَّهُ **لاَ يُمْكِنُ** أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا. لِذلِكَ عِنْدَ **دُخُولِهِ** [المسيح] **إِلَى الْعَالَمِ** يَقُولُ: 'ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، **وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا**. بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ. ثُمَّ قُلْتُ* [المَسيح]*: 'هَئَذَا أَجِيءُ – فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي –*

لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ' ... يَنْزِعُ الأَوَّلَ [الذبائح الحيوانيَّة] *لِكَيْ يُثَبِّتَ الثَّانِيَ* [ذبيحته هو شخصيًّا]. *فَبِهذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً."* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 10: 4-7، 9-10)

كانت الذبائح الحيوانية مُجَرَّد رموز لمطلب الله النهائي. فالله لَمْ يخلق الحيوانات على صورته. كما أنَّ قيمة الحَمَل لا تُساوي قيمة الإنسان. فكما أنك لا تستطيع أن تأخذ لُعبة على شكل سيارة إلى وكيل السيارات لمبادلتها بسيارة حقيقية، فإن دم الحَمَل لا يكفي لدفع دَيْن خطية الإنسان. لذلك، كان لا بُدَّ من توفُّر ذبيحة قيمتها مُساوية لقيمة الإنسان أو أعلى منها. وقد جاء يسوع لكي يُوفِّر تلك الذبيحة.

مُخَطِّط مسكين؟

قبل بضع سنوات، كنت أُراسل شخصاً يحمل شهادة الدكتوراه في الفلسفة. وقد كتب لي رداً على موضوع أن يسوع أتى *"لِيَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ"* قال فيه:

> ماذا حصل للناس الذين ولدوا وماتوا قبل أن يختلق الله هذه المهزلة منذ 2000 سنة؟ يبدو أن هذا الإله المسيحي هو مُخَطِّطٌ مِسْكِينٌ رَجْعِيُّ الفِكْر لأن الأمر استغرقه آلاف، بل ملايين، السنين ليجد طريقة لمغفرة خطايا الجنس البشري.

يبدو أن هذا الرجل (الذي تُوُفي منذ سنوات) عجز عن إدراك المعنى وراء ملايين التضحيات ومئات النبوات التي أشارت جميعها إلى اليوم الذي فيه سيحمل المسيح أُجرة خطايا البشر الماضية والحاضرة والمستقبلية. فمنذ البدء، تَضَمَّنت خطة الله للخلاص دفع ثمن *"مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا* ***السَّالِفَةِ*** *بِإِمْهَالِ اللهِ."* (رسالة رومية 3: 25-26)

وهذا يُرينا أنَّ الله غَفَر خطايا الخُطاة الذين عاشوا قبل مجيء المسيح على الأساس نفسه الذي يَغْفِر فيه اليوم خطايا الخطاة. وهذا الأساس هو الإيمان بوعود الله وخِطَّته الخلاصيَّة.

لكن هناك فَرْق بالطبع. فالمؤمنون الذين عاشوا قبل مجيء المسيح كُفِّر عن خطاياهم. لكن بعد أن سَفَكَ يسوع دمه وغَلَبَ الموت، تَمَّ إلغاء دَيْن الخاطئ إلى الأبد.

قبل مجيء يسوع (حَمَل الله) إلى العالم، كان الإنسان الذي يُقَدِّم ذبيحة على المذبح أشبه برَجُل أعمال يُعاني من أزمة مالية فيأخذ قرضاً من أحد المصارف. ويوافق صديقه الغني على التوقيع على القرض كضمانة منه بتسديد الدين في حال عدم تَمَكُّن رجل الأعمال من الدفع. وفي كل سنة يَعجز الرَّجُل عن الدفع ويغرق في الدين أكثر فأكثر. لكنَّ صديقه الغني كان يُوَقِّع في بداية كل سنة على سَنَد كفالة جديد. وهكذا، ما الذي حَالَ دون إفلاس رَجُل الأعمال هذا أو سَجنه؟ كانت كفالة ذلك الصديق الغني الجدير بالثقة هي التي تحميه وتَستُره.

على نَحْو مُشابه، كانت ذبائح العهد القديم بمثابة "سَنَد كفالة" مَقبول لدى الله بصورة مؤقتة عن الخُطاة. فقد وعد حافظ سِجِلاَّت الكون – الذي يفي دوماً بعهوده ووعوده – بأنه سيَقبل دم حيوان بلا عيب كَكَفَّارة عن الخطية. غير أن دماء الحيوانات عاجزة عن إلغاء دَيْن الخطية المتراكم على البشر. فقد كان هذا الدم يَصلُح فقط **لتذكير الناس بخطاياهم:** *"لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا"* (الرِّسالة الى العبرانيِّين 10: 3–4).

تُشَكِّل الخطية مشكلة خطيرة لا مخرج منها إلاَّ عن طريق سفك دم ابن الله الأزلي. وهذا هو ما جاء يسوع – حَمَل الله – ليفعله. فقد جاء لكي يُسَدِّد دَيْن خطية البشر.

ما رأيك عزيزي القارئ؟ هل الله "مُخَطِّطٌ مِسْكِينٌ رَجْعِيُّ الفِكْرِ"؟ وهل كان لدى النبي يوحنَّا المَعمدان وأتباعه أي سبب وجيه لكي يقولوا عن يسوع الناصري إنه *"**المسيح** الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء"*، وإنه *"**حَمَلُ اللهِ** الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ"*؟ (إنجيل يوحنَّا 1)

لمْ يكن لدى الله – الذي هو أفضَل مُخَطِّط على الإطلاق – خطة أخرى لمُعالجة مُشكلة الخطية التي يُعاني منها الإنسان. فمن وجهة نظره الأزليَّة، كان ابنه الحبيب، وما زال، وسيبقى:

*"**الْخَرُوفَ** الَّذِي ذُبِحَ مُنْذُ تَأسِيسِ العَالَمِ."* (سِفْر الرؤيا 13: 8)

الترتيب الزمني للأشخاص والأنبياء المُشار إليهم في هذا الكتاب. (كذلك فإن الكتاب المقدس يُدَوِّن أسماء مئات الأشخاص الآخرين وقصصهم).

آدم وحوَّاء	بداية التأريخ
قايين وهابيل	
شيث	
نوح (الطوفان)	2500 ق.م.
شعب بابل	
أيُّوب	2000 ق.م.
إبراهيم	
إسماعيل	
إسحاق	
يعقوب	
يهوذا	
يوسف	
مُوسى (خيمة الاجتماع)	1500 ق.م.
إيليَّا	
أليشع	
داود	1000 ق.م.
سُليمان (الهيكل)	
يونان	
عاموس	

هوشع

إشعياء 700 ق.م.

ميخا

إرميا

حبقوق

دانيال

حزقيال

زكريَّا 500 ق.م.

ملاخي

زكريَّا وإليصابات

مريم ويوسف

يوحنَّا المعمدان

يسوع المسيح بَدْء التأريخ الميلادي

23
حتّى تُكَمَّل الكُتُب

*"**الوَعْدُ** سَحَابَةٌ، **والإِنْجازُ** مَطَرُهُ."*
– مَثَل عَرَبي

مُنذ آلاف السنين، أعلن الأنبياء خطة الله بإرسال المخلص إلى الأرض *"وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ."* (رسالة غلاطيّة 4: 4)

كانت تلك النبوءات التي أعلنها أنبياء الله بمثابة الغيوم، وكان يسوع الناصري هو المطر الذي حقَّق تلك المواعيد. *"**الَّذِي سَبَقَ فَوَعَدَ بِهِ بِأَنْبِيَائِهِ** فِي الْكُتُبِ المقدَّسةِ، عَنِ ابْنِهِ. الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ."* (رسالة رومية 1: 2–3)

بعبارة أخرى فإنَّ الكتاب المقدَّس هو الغيوم، والمسيح هو المطر.

دخول أورشليم على جحش

كان المسيح يَعْرِف تماماً ما هي مَهمَّته. وقبل ذلك بخمسمئة سنة، كتب النبي زَكَريَّا عن واحد من الأحداث الكثيرة التي ستؤدي إلى صلب المسيح.

*"اِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. **هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ."*** (سِفْر زكريَّا 9: 9)

تَمَّم يسوع هذه النُبُوَّة ودَوَّنت الأناجيل الأربعة هذا الحدث. فقد كتب البشير مَتَّى (وهو شاهد عيان ليسوع) الكلمات التالية:

*"وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَاءُوا إِلَى بَيْتِ فَاجِي عِنْدَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، حِينَئِذٍ أَرْسَلَ يَسُوعُ تِلْمِيذَيْنِ قَائِلاً لَهُمَا: 'اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ تَجِدَانِ **أَتَانًا مَرْبُوطَةً وَجَحْشًا مَعَهَا**، فَحُلَّاهُمَا وَأْتِيَانِي بِهِمَا. وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ شَيْئًا، فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمَا. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُمَا.' فَكَانَ هذَا كُلُّهُ **لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ** بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: 'قُولُوا لابْنَةِ صِهْيَوْنَ: **هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعًا، رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ**'."* (إنجيل متّى 21: 1-5)

وهكذا، فقد قَدَّم يسوع نفسه للأُمَّة بصفته ملكاً عليهم، لكنهم قابلوه بالرفض – تماماً كما تنبأ الأنبياء.[204]

وتُدَوِّن الأناجيل بالتفصيل ما حدث بعد دخول يسوع إلى أورشليم على جحش. فقد دخل إلى الهيكل وطَرد كل من كان يستخدم بيت الله للمُتاجرة قائلاً لهم: *"مَكْتُوبٌ* [في الأسفار المُقدَّسة]: *بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ! ... وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُمْيٌ وَعُرْجٌ فِي الْهَيْكَلِ فَشَفَاهُمْ"* (متّى 21: 13-14).

بعد مرور أيام قليلة على هذا الحدث، جلس يسوع في الهيكل وراح يُعَلِّم الناس كلام الله. وعندها، حاول القادة الدينيون الإيقاع به ليستفزوه فيقول كلاماً يتهمونه به ويقتلونه لأجله؛ لكنهم باؤوا بالفشل. فقد رَدَّ يسوع على أسئلتهم بحكمة سماوية أدهشت الجميع.[205] ثُمَّ حان الوقت.

ها قد أتَتِ السَّاعَة

كان يسوع هو الوحيد الذي عَلِم بالتحديد:

ساعة موته،

ومكان موته،

وكيفية موته،

وسبب موته.

*"وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هذِهِ الأَقْوَالَ كُلَّهَا قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: 'تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ **الْفِصْحُ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ.**' حِينَئِذٍ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالكتبة وَشُيُوخُ الشَّعْبِ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ الَّذِي يُدْعَى قَيَافَا، وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يُمْسِكُوا يَسُوعَ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُوهُ. وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: 'لَيْسَ فِي الْعِيدِ لِئَلاَّ يَكُونَ شَغَبٌ فِي الشَّعْبِ'."* (إنجيل متَّى 26: 1-5)

أصيب القادة الدينيُّون الأنانيُّون بحالة من اليأس. فقد حاولوا مراراً *"أَنْ يُمْسِكُوهُ، وَلَمْ يُلْقِ أَحَدٌ يَدًا عَلَيْهِ، لأَنَّ **سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ.**"* (إنجيل يوحنَّا 7: 30). وأخيراً، نالوا فرصتهم التي لطالما حلموا بها.

كان "يهوذا" تلميذاً ليسوع في الظاهر فقط. ذهب يهوذا إلى كَهَنَة الهيكل وعرض عليهم أن يخون يسوع ويُسلِّمه لهم مُقابل مبلغ من المال. فوافق هؤلاء على دفع ثلاثين من الفضة إلى يهوذا. وكانت هذه الخيانة تتميماً لنبوءات عديدة في العهد القديم.[206]

وعندها، جاء ذلك اليوم الذي قال فيه يسوع لتلاميذه: *"**قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ**"* (إنجيل يوحنَّا 12: 23). فقد حانت ساعة موت حَمَل الله.

أسبوع الفِصْح

اكتظَّت شوارع أورشليم الضيقة بالسُّكان المحليين والأجانب، وملأت الأرجاء أنَّات الخِراف وتأوُّهات الثيران. وكان المُشترون يُساومون التُّجار على أسعار الحِمْلان. كان ذلك هو أسبوع الفِصْح.

كان الفِصْح جُزءاً من احتفال يمتدُّ لأسبوع كامل أسَّسَهُ الله قبل خمسة عشر قرناً. وفي تلك المُناسبة، كان الشعب يُحيي ذكرى تحرير الله لهم (بصفتهم هَمْزَة الوصل بينه وبين الأمم والشعوب الأخرى) من العبودية والموت في تلك الليلة الحاسمة حين وضع الآباء دماء الحِمْلان على الأبواب. وفي

نظر الله، كان ذلك الأسبوع أيضاً فُرصة للتطلُّع إلى الأمام، إلى ذلك اليوم الذي سيُتَمِّم فيه المسيح المعنى الأعمق للفِصْح.

لَكِنَّ فئة قليلة فقط هي التي أدركت أن يسوع الناصري يوشك على سفك دمه بصفته حَمَل الفصح الأخير لكي يُتَمِّم بذلك كافة الرموز المتعلقة بالحِمْلان التي ذُبحت في كل سنة منذ أيام مُوسى. وعلى النقيض من مَهَمَّة مُوسى لتحرير الشعب من الهَيمنة الجسدية التي مارسها عليهم سادتهم، قضت مَهَمَّة المسيح بتحرير الشعب من هيمنة الشيطان الروحية، والخطية، والموت.

وما يثير الاهتمام حقاً هو أن القادة الدينيين أصَرُّوا على قتل يسوع *"لَيْسَ فِي الْعِيدِ لِئَلاَّ يَكُونَ شَغَبٌ فِي الشَّعْبِ."* (إنجيل متَّى 26: 5) لكِنَّ خطة الله كانت تَقضي بأن يموت يسوع في ذلك الاحتفال! فيجب أن يُذبح حَمَل الله أثناء احتفالات الفصح.[207] أجل، كان كل شيء يجري بحسب خطة الله.

ويا لسُخرية القَدَر! فالأشخاص الذين رفضوا خطة الله هُم أنفسهم الذين سيلعبون الدور الرئيسي في تنفيذ هذه الخطة! كما أنَّ الشيطان نفسه لم يُدرك أنه من خلال حَثِّ القادة الدينيين على قتل يسوع، كان يُحَضِّر لهلاكِه! ويُسَمِّي الكتاب المقدَّس تداخل الأحداث هذا *"الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ."* (رسالة كورنثوس الأولى 2: 7–8)

الخُبْز والكأس

في تلك الليلة، اجتمع يسوع وتلاميذه في عِلِيَّة خاصة ليحتفلوا بالفصح. وبعد أن تناولوا العشاء المؤلف من حَمَل وبعض الأعشاب المُرَّة، أخذ الرب بعض الخبز، وشَكَرَ، وكَسَّرَه، ثم وَزَّعه على التلاميذ وطلب منهم أن يأكلوه قائلاً: *"اِصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي."* (إنجيل لوقا 22: 19)

كان **الخُبْز المَكسور** يرمز إلى جسد المسيح الذي كان على وشك أن يُجرح ويُعاقب من أجلهم.

ثُمَّ مَرَّر الكأس التي احتوت على نبيذ مُستخرج من العنب المهروس ثم قال للتلاميذ: *"هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا."* (إنجيل متَّى 26: 28)

كانت **الكأس** ترمز إلى دم يسوع الذي كان على وشك أن يُسْفَك لبدء العهد الجديد المُنتظر.

وهكذا فإنَّ هذين الرمزين البسيطين (الخبز والكأس) يُشيران إلى الرسالة الأساسية لأنبياء الله: أنَّ خالقنا سيأخُذ هيئة إنسان ليتعذَّب ويَسْفُك دمه من أجل جنس آدم الخاطئ.

وبعد أن قام يسوع بتعزية تلاميذه بوعود وحقائق رائعة لا مثيل لها،[208] اصطحبهم إلى بستان قريب يدعى جَثْسَيْمَانِي. ثُمَّ جَثا يسوع على الأرض وانكبَّ على الصلاة فيما كان عرقه يَتَصَبَّب منه وهو يتألم ألم الروح فقال: *"يا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ."* (إنجيل مَتَّى 26: 39)

ما هي تلك "الكأس" التي أرعبت يسوع؟ إنها كأس الألم من أجل الخطية، كأس الانفصال عن الآب، كأس الجحيم المخيف الذي سيحتمله لأجلي ولأجلك.

بعد أن صَلَّى يسوع تلك الصلاة ثلاث مَرَّات، خضع الابن طوعاً لمشيئة الآب. وكما تنبأ النبي داود، سوف يستعيد المسيح ما لم يسلبه. *"أَكْثَرُ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلاَ سَبَبٍ. اعْتَزَّ مُسْتَهْلِكِيَّ أَعْدَائِي ظُلْمًا. حِينَئِذٍ رَدَدْتُ الَّذِي لَمْ أَخْطَفْهُ."* (المزمور 69: 4). وسوف يُصبح يسوع هو ذبيحة الخطية الكاملة والنهائية.

الاعتقال

فور انتهاء يسوع من الكلام مع أبيه، تقدَّمت إلى البستان مجموعة من الجنود التي أرسلها رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ. لقد جاؤوا وهُم يَحملون مشاعلهم وسيوفهم وعِصِيِّهم ليعتقلوا ذاك الذي هَدَّأ العواصف وأخرج الشياطين وأقام الموتى.

*"فَخَرَجَ يَسُوعُ **وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ**، وَقَالَ لَهُمْ: 'مَنْ تَطْلُبُونَ؟' أَجَابُوهُ: 'يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ.' قَالَ لَهُمْ: '**أَنَا هُوَ**.' وَكَانَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ أَيْضًا وَاقِفًا مَعَهُمْ. فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: '**إِنِّي أَنَا هُوَ**'، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ. فَسَأَلَهُمْ أَيْضًا:*

*'مَنْ تَطْلُبُونَ؟' فَقَالُوا: 'يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ.' أَجَابَ يَسُوع: 'قَدْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي **أَنَا هُوَ**. فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هؤُلاَءِ يَذْهَبُونَ'."* (إنجيل يوحنَّا 18: 4-8)

عَرَّف يسوع عن نفسه لأولئك الذين جاؤوا لإلقاء القبض عليه مُستخدماً اسم الله: "أنا هو"[209] لكِنَّ يسوع ذهب معهم لأنه أراد ذلك. وفيما كان الجنود يتقدمون، استَلَّ بُطرس سيفه وقطع أُذن خادم أحد رؤساء الكهنة. أمَّا يسوع، فسارع إلى شفاء أذنه ثم قال لبطرس:

*"رُدَّ سَيْفَكَ إِلى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟ **فَكَيْفَ تُكَمَّلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟**"* (إنجيل متَّى 26: 52-54)

يا لهذا التبايُن الجميل الذي يُبرزه يسوع لكل الذين يستخدمون العُنف باسم الدين. فرغم أن يسوع كان يَعْلَم أنَّ هؤلاء الرجال سيهزأون به، ويُعذِّبونه، ويَقتلونه، إلاَّ أنه أظهر لهم لُطفه وطول أناته عوضاً عن الكراهية والانتقام.

نُبوءات الأنبياء

قال يسوع لمن أتوا للقبض عليه: *"كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ أَجْلِسُ مَعَكُمْ أُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ وَلَمْ تُمْسِكُونِي"*. ويضيف الكتاب المقدَّس هذا التعليق:

*"وَأَمَّا هذَا كُلُّهُ فَقَدْ كَانَ **لِكَيْ تُكَمَّلَ كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ**. حِينَئِذٍ تَرَكَهُ التَّلاَمِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا. وَالَّذِينَ أَمْسَكُوا يَسُوعَ مَضَوْا بِهِ إِلى قَيَافَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، حَيْثُ اجْتَمَعَ الْكَتَبَةُ وَالشُّيُوخُ."* (إنجيل متَّى 26: 55-57)

لماذا سَمح يسوع (الذي كان يُسيطر على الرياح والأمواج) لهؤلاء باعتقاله وتقييده وأخذه؟ لقد قام بذلك بدافع حُبِّه وطاعته لأبيه. وقام بذلك ليُخلِّصك ويُخلِّصني من الدينونة الأبدية. كما أنه فعل ذلك *"لِكَيْ تُكَمَّلَ كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ"*. فقبل تلك الحادثة بمئات السنين، كتب النبي إشعياء: *"**كَشَاةٍ** تُسَاقُ إِلى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ."* (سِفْر إشعياء 53: 7)

كما أعلن النبي إبراهيم: *"اللهُ يَرَى لَهُ **الْخَرُوفَ** لِلْمُحْرَقَةِ."* (سِفْر التكوين 22: 8)

وكتب النبي مُوسى: *"ثُمَّ يَأْخُذُ الْكَاهِنُ **الْخَرُوفَ** الْوَاحِدَ وَيُقَرِّبُهُ ذَبِيحَةَ ... وَيَذْبَحُ **الْخَرُوفَ** فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَذْبَحُ فِيهِ ذَبِيحَةَ الْخَطِيَّةِ."* (سِفْر اللاويِّين 14: 12–13)

أرجو أن تكون قد انتبهت إلى سُخرية القَدَر في كل ما جرى! فالكهنة المُشرفون على ذبح الحِمْلان وحَرْقِها على المذبح في الهيكل هم أنفسهم الذين ألقوا القبض على يسوع ليقتلوه. لكنهم لم يكونوا يُدركون أنهم على وشك ذبح **الحَمَل** الذي كتب عنه جميع الأنبياء.

حُكْم القادةِ الدينيِّين

"فَمَضَوْا بِيَسُوعَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْكَتَبَةُ." (إنجيل مَرْقُس 14: 53)

عَقَد قادة اليهود الدينيُّون محكمة ليليَّة غير شرعية:

*"وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةً عَلَى يَسُوعَ لِيَقْتُلُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوا. لأَنَّ كَثِيرِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِ زُورًا، وَلَمْ تَتَّفِقْ شَهَادَاتُهُمْ ... فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ فِي الْوَسْطِ وَسَأَلَ يَسُوعَ قَائِلاً: 'أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هؤُلاَءِ عَلَيْكَ؟' أَمَّا هُوَ فَكَانَ سَاكِتًا وَلَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَقَالَ لَهُ: **'أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟'** فَقَالَ يَسُوعُ: **'أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ.'** فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ ثِيَابَهُ وَقَالَ: 'مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ قَدْ سَمِعْتُمُ التَّجَادِيفَ!'"* (إنجيل مَرْقُس 14: 55–56، 60–63)

لماذا غضب رئيس الكهنة ومَزَّق ثيابه واتَّهم يسوع بالتجديف؟ لقد قام بذلك لأن يسوع أعلن أنه ابن الله وابن الإنسان؛ أي المسيح الذي كتب عنه الأنبياء. كما أنَّ يسوع عَرَّف عن نفسه قائلاً: "أنا هو".

وحين تَكَلَّم عن *"ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ"* كان يسوع يقتبس من كتابات الأنبياء ليُعلن نفسه دَيَّاناً على الأرض كلها.[210] لذلك:

"مَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ ثِيَابَهُ وَقَالَ: 'مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ قَدْ سَمِعْتُمُ التَّجَادِيفَ! مَا رَأْيُكُمْ؟' فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ. فَابْتَدَأَ قَوْمٌ يَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، وَيُغَطُّونَ وَجْهَهُ وَيَلْكُمُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ: 'تَنَبَّأْ.' وَكَانَ الْخُدَّامُ يَلْطِمُونَهُ." (مرقس 14: 63-65)

قبل تلك الحادثة بسبعمئة سنة، كتب النبي إشعياء عن آلام المسيح: *"بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ، وَخَدَّيَّ لِلنَّاتِفِينَ. وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ الْعَارِ وَالْبَصْقِ."* (سِفْر إشعياء 50: 6)

حُكْم القادة السياسيِّين

في ساعة الفجر، اقتاد الكهنة يسوع إلى بيلاطس البُنْطِي (الحاكم الروماني على منطقة اليهوديَّة) وطالبوه بإعدام يسوع صلباً. في ذلك الوقت من التاريخ، كان اليهود تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية ولم يكونوا يَملكون سُلْطة تنفيذ حُكم الإعدام بالمجرمين.

أثناء "المُحاكمة"، أعلن بيلاطس ثلاث مَرَّات *"لا أَجِدُ أَيَّ عِلَّةٍ فِيهِ"*؛ لكِنَّ الحشد – الذي حَثَّه الكهنة الذين حَثَّهم الشيطان بدوره – لم يتوقف عن الصراخ: ***"خُذْهُ، خُذْهُ، اصْلِبْهُ، اصْلِبْهُ!"***[211]

رَضَخَ بيلاطُس لطلب القادة الدينيِّين وحكم على يسوع بأقصى عُقوبة في القانون الروماني: الجَلْد الوحشي ثُمَّ الصَّلب.

"وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَلَدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصْلَبَ. فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: 'السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!' وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. وَبَعْدَ

مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ." (إنجيل متَّى 27: 26-31)

جَبَلُ الربِّ

اقتاد الجنود رَبَّ المجد خارج المدينة وجسده مُغَطَّى بالدماء، ورأسه مُكَلَّل بإكليل من الشوك، وهو يَحمل صليبه الثقيل ويسير نحو ذلك الجبل حيث تنبأ إبراهيم منذ ألفي سنة تقريباً:

"اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ ... فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى." (سِفْر التكوين 22: 8، 14)

اجتمعت كل العناصر معاً: الناس، والأحداث، وبطل القصة، والمكان. وكان كل شيء يسير بذات الطريقة التي تنبأ عنها الأنبياء.

لقد حان الوقت لإبرام أهم صَفْقَة في تاريخ البشريَّة.

24
قَدْ أُكْمِلَ!

الصَّلب هو أبشع وأقسى طريقة إعدام عرفتها الدول. وكانت الإمبراطورية الرومانية قد اعتمدت هذه الطريقة لإعدام أعتى المُجرمين.

وقد اخترنا نحن البشر هذه الطريقة (الصَّلب) لإعدام خالقنا عندما جاء لزيارتنا. [212]

"وَجَاءُوا أَيْضًا بِاثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مُذْنِبَيْنِ لِيُقْتَلاَ مَعَهُ. ولما مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى 'جُمْجُمَةَ' [213] صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنِبَيْنِ، وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ."
(إنجيل لوقا 23: 32-33)

مَصْلوب!

اخترع البشر الصَّلب لإنزال أقصى درجات الألم والذُّل بالشخص المُدان. وأنا لَمْ أرَ يوماً (ولا أريد أن أرى) أي لوحة أو فيلم يُصَوِّر حقيقة العار والألم اللذين احتملهما يسوع وهو مُعَلَّق على الصليب. فمثلاً، يضع الرسَّامون وكاتبو السيناريو قطعة ثياب عليه، لكِنَّ الحقيقة التاريخية تقول إن الجنود الرومان كانوا يُعَرُّون المُجرمين المُدانين قبل تثبيتهم على شجرة أو صليب بواسطة مسامير طويلة يدقونها في أيديهم وأرجلهم. وهكذا، فقد كان الموت صَلباً مُخزياً، ومؤلماً، وبطيئاً.

وقد اختار يسوع أن يَحتمل الصَّلب بكل عاره وآلامه لأجلي ولأجلك ولأجل البشر جميعاً. وكان القصد من هذا العذاب الشديد الذي احتمله يسوع هو مساعدتنا على فهم العقاب القاسي الذي نستحقه نحن بسبب خطايانا.

قبل قرون عديدة على اختراع الرومان لطريقة الصَّلب، وصف النبي داود آلام المسيح على الصليب فقال:

*"لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. **ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ.** أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ. يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ. اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ، لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ" (المزمور 22: 16-18، 8)؛ وكتب النبي إشعياء: "لِذلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ."* (سِفْر إشعياء 53: 12)

وفي المقطع التالي من الإنجيل، نرى كيف أنَّ الكثير من النُبُوَّات التي قرأناها سابقاً قد تحقَّقت بالفعل:

"وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى 'جُمْجُمَةَ' صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنِبَيْنِ، وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ. فَقَالَ يَسُوعُ: 'يَاأَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ.' وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا. وَكَانَ الشَّعْبُ وَاقِفِينَ يَنْظُرُونَ، وَالرُّؤَسَاءُ أَيْضًا مَعَهُمْ يَسْخَرُونَ بِهِ قَائِلِينَ: 'خَلَّصَ آخَرِينَ، فَلْيُخَلِّصْ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَسِيحَ مُخْتَارَ اللهِ!.' وَالْجُنْدُ أَيْضًا اسْتَهْزَأُوا بِهِ وَهُمْ يَأْتُونَ وَيُقَدِّمُونَ لَهُ خَلاًّ، وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُذْنَبِيْنِ الْمُعَلَّقَيْنِ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ قَائِلاً: 'إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا!' فَأَجَابَ الآخَرُ وَانْتَهَرَهُ قَائِلاً: 'أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟ أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ.' ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: 'اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ.' فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: 'الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ.' وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ، فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ ..." (إنجيل لوقا 23: 33-36، 39-45)

الصَّفقة

على مَرِّ العُصور، اختبر الكثيرون آلام الصَّلب المُميتة. وقبل سقوط أورشليم في سنة 70 ميلاديَّة، كان الجنود الرومان يَصلبون خمسمئة يهودي في اليوم.[214] وكان بعض المَصلوبين يُعلَّقون لبضعة أيام على الصليب قبل أن يموتوا. لكنَّ يسوع تَعَذَّب على الصليب لمُدَّة أقصر (ست ساعات تقريباً) قبل أن يموت. إذاً، ما الذي جعل آلامه فريدة؟

أحد الفروق الجوهرية هو أنَّ الأنبياء تنبأوا عن آلام يسوع وموته. وفي حين أنَّ دماء الكثيرين سُفِكَت على الصليب، إلاَّ أنَّ الرب يسوع هو الوحيد الذي سَفَكَ دماءً طاهرة وكريمة. وتُبيِّن الآيات التي قرأناها قبل قليل بُعْدَاً فريداً لموت يسوع:

"وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ [الثانية عشرة ظُهراً]، ***فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا*** *إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ* [الثالثة بعد الظُّهر]." (إنجيل لوقا 23: 44)[215]

عُلِّق يسوع على الصليب في الساعة التاسعة صباحاً. وقد أظلمت الأرض كلها من الثانية عشر ظهراً حتى الثالثة عصراً. لماذا؟ في هذه الساعات الثلاث، تَمَّت أهم صَفْقة في التاريخ فيما كان يسوع مَحجوباً عن أعيُن العالم. فقد كان الله يُعالج خطيتنا لكي لا نضطر إلى احتمال عواقبها في الأبديَّة. ففي ساعات الظلمة الحالكة تلك، أنزل الله بابنه الحبيب البار القصاص الرهيب الذي استحقَّته خطايانا. وكان هذا هو السبب الذي جعل ابن الله يأخذ جسداً من لحم ودم:

"وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا." (رسالة يوحنَّا الأولى 2: 2)

قبل هذا الحَدَث بسبعة قرون، وصف النبي إشعياء هذه الصَّفقة الأهم في تاريخ البشريَّة فقال:

*"وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، **وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.** ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ ... **أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ.** إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى*

*نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ. مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، **وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا.**"* (سِفْر إشعياء 53: 5-7، 10-11)

في هذه الساعات التي قضاها يسوع على الصليب، وفيما حَلَّ الظلام على الأرض، وضع الله على ابنه البار لعنة خطايانا وعقوبتها. قد لا نفهم أبداً ما حدث بين الابن والآب؛ لكِنَّ الشيء المؤكد هو أن تلك الصَّفقة كانت أعظم حَدَثٍ في التاريخ.

مُعاناة فريدة!

فيما كان الظلام يُغَطِّي الأرض، *"صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: 'إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟' أَيْ: **إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟**"* (إنجيل متَّى 27: 46)

لماذا صرخ يسوع تلك الصرخة المُدَوِّية وهو على الصليب؟ لقد صرخ لأن الله تركه ليُسَدِّد دَيْن الخطيَّة ... وحده! وقد اختبر يسوع بدلاً من جميع البشر مستويات الانفصال الثلاثة التي سَبَّبتها الخطية:

- فقد اختبر الموت الروحي حين حجب الله وجهه القُدُّوس عن ابنه الذي وَضَعَ عليه خطايا الجنس البشري بأكمله.
- وقد اختبر الموت الجسدي. ففي اللحظة التي مات فيها المسيح بإرادته، فارقت روحه ونفسه جسده.
- وقد اختبر الموت الثاني أي عذاب الجحيم من أجلي وأجلك.

يُشَكِّل الجحيم المكان المنبوذ من الله، مكان الظلمة والعُزلة الخالي من كل ما هو حسن، مكان الانفصال عن حضور الآب السماوي ومحبته. وأثناء وجود المسيح على الصليب، انفصل الابن الأزلي للمَرَّة الأولى والأخيرة عن أبيه الأزلي. وقد احتمل يسوع هذا الانفصال الرهيب لكي لا نختبره نحن.

أمسى حَمَل الله القُدُّوس حامل خطايانا: **بديلنا**. فقد احتمل أُجرة لعنة الخطية وعارها وألمها وأشواكها ومسامیرها. وعلى مذبح الصليب، أصبح يسوع "المُحْرَقَة" الأخيرة عن الخطية.[216]

جحيم في بضع ساعات؟

احتمل يسوع الجحيم بدلاً عنا. لكن كيف يُمكن لرَجُل واحد أن يَدفع أُجرة الخطية عن الجنس البشري بأكمله؟ وكيف أمكن ليسوع أن يَحتمل العذاب الأبدي عن كل البشر في بضع ساعات فقط؟

لقد أمكنه ذلك بفضل ما هو عليه. فهو لم يكن بحاجة إلى تسديد أُجرة خطايانا إلى الأبد كما كُنَّا سنفعل نحن. فبصفته الابن الأزلي وكلمة الله، فهو لم يكن غارقاً في أي دَيْن ينبغي عليه أن يُسدِّده عن نفسه، ولا كان مَحدوداً بالزمن مثلنا.

وهكذا، لأنه ابن الله الأزلي وكلمة الله، فقد استطاع أن *"يَذوقَ ... الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ"* (الرسالة إلى العِبرانيِّين 2: 9) في فترة زمنية محدودة. فكما أنَّ الربَّ الإله لم يَكُنْ بحاجة إلى أي فترة زمنية لكي يَخلق عالمنا المُعَقَّد (رغم أنه اختار أن يخلقه في سِتَّة أيام)، فهو لم يَكُن بحاجة أيضاً لأي فترة زمنية لكي يفدي البشر على الصليب (رغم أنه اختار أن يُتَمِّمَ ذلك في سِتِّ ساعات). فالوقت لا يعني شيئاً عند الله.

> *"مُنْذُ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ أَنْتَ اللهُ. ... لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ مِثْلُ يَوْمِ أَمْسِ بَعْدَ مَا عَبَرَ، وَكَهَزِيعٍ مِنَ اللَّيْلِ."* (المزمور 90: 2، 4)

"قَدْ أُكْمِلَ"

*"**بَعْدَ هذَا** رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ:«أَنَا عَطْشَانُ». وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعًا مَمْلُوًّا خَلاًّ، فَمَلأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الْخَلِّ، وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ. فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: 'قَدْ أُكْمِلَ.' وَنَكَّسَ رَأْسَهُ **وَأَسْلَمَ الرُّوحَ.**"* (إنجيل يوحنَّا 19: 28–30)

قبل موت يسوع مُباشرةً، أعلن قائلاً: *"**قَدْ أُكْمِلَ.**"*

هذه العبارة مُتَرْجَمة عن كلمة يونانية واحدة ألا وهي: "تيتيليستاي"؛ وهي مُصطلح كان شائعاً في عالم التجارة الروماني آنذاك للإشارة إلى تسديد الدَّيْن بالكامل. وقد تم العثور على وصولات ماليَّة كُتبت عليها هذه الكلمة "تيتيليستاي" لتعني: ***"تَمَّ تَسْدِيد الدَّيْن بالكامل"***.

كما أنَّ هذا المُصطلح كان يُستخدم للإشارة إلى انتهاء مَهمَّة ما. فعلى سبيل المثال، كان الخادم يقول لِسَيِّدِه بعد انتهائه من أي مهمة يُرسله لإنجازها: "تيتيليستاي" بمعنى: ***"لقد أَنْجَزْتُ المَهَمَّة"***.

ونقرأ في جميع الأناجيل الأخرى أن يسوع *"صَرَخَ ... **بِصَوْتٍ عَظِيمٍ** وَأَسْلَمَ الرُّوحَ"* (إنجيل مَرْقُس 15: 37). وكانت تلك هي صرخة الانتصار! فقد تَمَّت النبوات واكتملت الرموز التي أشارت إلى حَمَل الله المذبوح.

لقد تعامل يسوع بطريقة فَعَّالة مع سَبَب اللَّعنة ألا وهو: ***الخطيَّة***. فقد دفع الفدية المطلوبة إلى الله لتحرير نسل آدم المُتَمرِّد والملعون. وبهذا، تَمَّ إرضاء طبيعة الله البارَّة وتسكين غضبه على الخطية. كما أن شرائعه قد طُبِّقَت. قد أُكْمِل! لقد سُدِّد الدَّيْن بالكامل! لقد أُنْجِزَت المهمَّة!

> *"عَالِمِينَ أَنَّكُمُ **افْتُدِيتُمْ** لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ **بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ،** مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ **مِنْ أَجْلِكُمْ**."*
> (رسالة بُطرس الأولى 1: 18–20)

لقد سُفِكَت عبر القرون دماء ملايين الحيوانات الخالية من العيوب. أمَّا الآن، فقد سُفِكَ دَم يسوع من جسده الطاهر الخالي من الخطية. ودم المَسيح الكريم لن يُكَفِّر عن الخطية لفترة مُحَدَّدة، بل سيزيل الخطية من السِّجلاَّت.

كان هذا هو ما أعلنه عَهْدُ الله الأول:

*"هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا **عَهْدًا جَدِيدًا** ... **لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ.**"* (سِفْر إرميا 31: 31، 34)

ثُمَّ يُفَسِّر لنا العهد الجديد هذا الأمر بقوله: *"وَهَكَذَا، نُلاَحِظُ أَنَّ اللهَ بِكَلاَمِهِ عَنْ **عَهْدٍ جَدِيدٍ**، جَعَلَ الْعَهْدَ السَّابِقَ **عَتِيقًا**"* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 8: 13). لهذا، لا حاجة بعد الآن إلى الذبائح لأنَّ الله أنهاها بموت المسيح على الصليب.

وهكذا، كما أنَّ الله هو الذي قَدَّم الذبيحة الأولى (في اليوم الذي أخطأ فيه آدم وحوَّاء)، فقد قَدَّم أيضاً الذبيحة النهائية المَقبولة.

وكما تنبأ إبراهيم، فقد دَبَّر الله *"الخروف للمُحْرَقَة"* (سِفْر التكوين 22: 8). ورغم أنَّ الله أنقذ ابن إبراهيم من الذَّبح، إلاَّ أنه *"لَمْ يُشْفِقْ عَلَى **ابْنِهِ**، بَلْ بَذَلَهُ **لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ**."* (رسالة رومية 8: 32)

عملت دماء يسوع المسفوكة على إرضاء ***شريعة الخطية والموت*** وتتميم شريعة ***ذبيحة الخطية***. لذلك، لا عَجَبَ أنَّ يسوع صَرَخَ قائلاً: *"**قَدْ أُكْمِلَ!**"*

الحِجاب المَشْقوق

ما الذي حدث بعد أن قال يسوع: "قَدْ أُكْمِلَ!"؟

*"فَصَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. **وَانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ.**"* (إنجيل مَرْقُس 15: 37-38)

يقول المؤرِّخون إنَّ سَماكَة حِجاب الهيكل كانت قريبة من سَماكَة رَاحَة اليد, وإنه كان ثقيلاً جداً حتى إنه يحتاج إلى 300 رَجُل لرفعه.[217]

إذاً، ما الذي جَعَلَ هذا السِّتار السَّميك ينشَقُّ إلى جُزأين؟

رأينا في الفصل 21 أن الله أَمَرَ شعبه بتعليق هذا الستار المُمَيَّز في خيمة الاجتماع ثُمَّ في الهيكل. كان الحجاب يَفْصِل الإنسان عن "قُدْس الأقداس" – أي الغرفة الداخلية حيث تَجَلَّى الله بحضوره البهي. كما أنَّ هذا الحجاب الذي كان مُطَرَّزاً بألوان الأزرق والأحمر والبنفسجي كان يرمز إلى ابن الله الذي جاء من السماء. وقد عمل هذا الحجاب على تذكير الخُطاة بانفصالهم عن خالقهم القُدُّوس حيث أنه لا يُمكن لأي شخص أن يدخل إلى مَسْكِن الله الأبدي إلاَّ إذا بَلَغَ مقياس البِرِّ الكامل الذي وضعه الله.

في يوم الكَفَّارة الذي كان يُحتفل به مَرَّة واحدة كل سنة، كان الله يَسْمَح لرئيس الكهنة المَمسوح باجتياز الحِجاب والدخول إلى قُدْس الأقداس. وكانت الطريقة الوحيدة التي يُمكن من خلالها لرئيس الكهنة أن يدخل إلى حضرة الله دون أن يموت هي أن يأخذ وعاءً فيه دماء عنزة مذبوحة (إشارة إلى دماء المسيح المسفوكة). كذلك، كان ينبغي على الكاهن أن يرتدي سُترة مصنوعة من كتان أبيض (إشارة إلى بِرِّ المسيح). وفور دخول رئيس الكهنة إلى قُدْس الأقداس، كان يجب عليه أن يَرُشَّ الدم سبع مرات (إشارة إلى الكمال) على كُرسي الرحمة الذي يُغَطِّي تابوت العهد. وكان تابوت العهد يحتوي على الوصايا العشر التي حَكَمَت على البشر بالموت. لكِنَّ الله أظهر رحمته للخطاة من خلال سفك دم حيوان بريء بدلاً عنهم.

بقي الحِجاب يَشْهَد – لمُدَّة خمسة عشر قرناً – على قُدسيَّة الله المُطْلَقة، وأنه بدون دم المسيح المَسفوك لن تكون هناك كَفَّارة عن الخطية. فلا يُمكن لأي شخص أن يدفع أُجرة الخطيَّة سوى مُختار الله البار الوحيد. لذلك، أرسل الله ابنه في الوقت المُعَيَّن لكي يعيش حياة طاعة كاملة لشرائع الله، ولكي يدفع – من خلال دمه الكريم وبكامل إرادته – أُجرة الخطيَّة عن نسل آدم المُتَمَرِّد.

لَكِنْ مَن الذي شَقَّ الحجاب من فوق إلى أسفل؟ الله هو الذي شَقَّ الحِجاب. وقد كان هذا العمل بمثابة "الآمين" التي قالها الآب بعد أن قال الابن: "قَدْ أُكْمِلَ!"[218]

وهكذا، فقد تَمَّ إرضاء الله.

لا ذبائح خطية بعد الآن!

تَمَّت الكَفَّارة النهائية (غُفران الخطايا والمصالحة مع الله) بموت يسوع على الصليب. فقد سَفَكَ البديل الكامل دماءه بإرادته من أجل خطايا العالم. لهذا، لن تُثْقِل ذبائح الخطية السنوية كاهل شعب الله بعد الآن، ولن يطلب الله من شعبه أن يُمارسوا تلك الطقوس في الهيكل ولا أن يوجد رؤساء كهنة. فقد تَمَّت الذبيحة الحقيقية وظهر الحق الكامن وراء الظلال والرموز قائلاً: "قَدْ أُكْمِلَ!".

والله يقول لكل من يؤمن:

"وَلَنْ أَذْكُرَ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ». وَإِنَّمَا حَيْثُ تَكُونُ مَغْفِرَةٌ لِهذِهِ ***لاَ يَكُونُ بَعْدُ قُرْبَانٌ عَنِ الْخَطِيَّةِ. فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى الأَقْدَاسِ بِدَمِ يَسُوعَ،*** *طَرِيقًا كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا،* ***بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ،*** *وَكَاهِنٌ عَظِيمٌ عَلَى بَيْتِ اللهِ،* ***لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الإِيمَانِ"*** (الرِّسالة إلى العبرانيِّين 10: 17–22).

موت يسوع

في اللحظة التي مات فيها يسوع، لم ينشق حجاب الهيكل إلى اثنين فحسب، بل تزلزلت الأرض وتفرَّق الحشد المرعوب.

"وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ يَحْرُسُونَ يَسُوعَ فَلَمَّا رَأَوُا الزَّلْزَلَةَ وَمَا كَانَ، خَافُوا جِدًّا وَقَالُوا: 'حَقًّا كَانَ هذَا ابْنَ اللهِ!'" (إنجيل متَّى 27: 54)

وللتحقُّق من موت يسوع، أقدم أحد الجنود الرومان على طعن يسوع بحربة في جنبه. ويُعتبر خروج الدم والماء من جَنبه دليلاً طبياً على موته. وكان ما فعله ذلك الجُندي تتميماً لنبوءات أخرى أيضاً.[219]

دَفْن يسوع

"وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسمهُ يُوسُفُ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا تِلْمِيذًا لِيَسُوعَ. فَهذَا تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَأَمَرَ بِيلاَطُسُ حِينَئِذٍ أَنْ يُعْطَى الْجَسَدُ. فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ الْجَدِيدِ الَّذِي كَانَ قَدْ

نَحَتَهُ فِي الصَّخْرَةِ، ثُمَّ دَحْرَجَ حَجَرًا كَبِيرًا عَلَى بَابِ الْقَبْرِ وَمَضَى." (إنجيل متَّى 27: 57-60)

تنبأ النبي إشعياء عن قبر المسيح قائلاً: *"وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ"* (سِفْر إشعياء 53: 9). وهكذا، كانت خطة الله تُنَفَّذ بكل تفاصيلها؛ غير أن تلاميذ يسوع عجزوا عن إدراكها. فقد آمنوا بحق أن يسوع هو المسيح الذي جاء ليؤسِّس مملكة على الأرض. لكن عندما شاهدوه يموت، خابت آمالهم. فصديقهم العزيز صانع المعجزات قد أُعْدِم ودُفِن.

انتهى الأمر، أو هذا ما اعتقدوه! ورغم أنَّ التلاميذ نسوا وَعْد يسوع بأنه سيقوم في اليوم الثالث، إلاَّ أنَّ القادة الدينيِّين الذين تآمروا لقتله لم ينسوا ذلك:

*"وَفِي الْغَدِ الَّذِي بَعْدَ الاسْتِعْدَادِ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ إِلَى بِيلاَطُسَ قَائِلِينَ: 'يَا سَيِّدُ، **قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ.** فَمُرْ بِضَبْطِ الْقَبْرِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ، لِئَلاَّ يَأْتِيَ تَلاَمِيذُهُ لَيْلاً وَيَسْرِقُوهُ، وَيَقُولُوا لِلشَّعْبِ: إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، فَتَكُونَ الضَّلاَلَةُ الأَخِيرَةُ أَشَرَّ مِنَ الأُولَى!' فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: 'عِنْدَكُمْ حُرَّاسٌ. اِذْهَبُوا وَاضْبُطُوهُ كَمَا تَعْلَمُونَ.' فَمَضَوْا وَضَبَطُوا الْقَبْرَ بِالْحُرَّاسِ وَخَتَمُوا الْحَجَرَ"* (إنجيل متَّى 27: 62-66).

وهكذا، فقد ذهب هؤلاء وضبطوا قبر يسوع، وختموا الحَجَر الكبير الذي يُغلق باب القبر، ووضعوا حُرَّاساً لحراسته. وبهذا، بدا وكأنَّ قصة يسوع الناصري قد انتهت.

ثُمَّ جاء صباح يوم الأحد.

25
موتٌ يَهْزِمُ المَوت

يقول الكتاب المقدَّس عن آدم إنهَ *"**مَاتَ**"* (سِفْر التكوين 5: 5) وهكذا انتهت قصته على الأرض. ولم يختلف الأمر بالنسبة إلى نسل آدم حيث نقرأ في الأصحاح الخامس من سِفْر التكوين النقوش على أضرحة أولاد آدم:

"... ومات.

... ومات.

... ومات.

... ومات.

... ومات."

هذا هو تاريخ الرجال والنساء المُلوَّث بالخطية. فقد عاشوا وماتوا ودُفنوا على مَرِّ الأجيال والعصور.

أما قصَّة المسيح، فلم تَنْتَهِ عند القبر.

القبر الفارغ

*"وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ. وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ، وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ. فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ. فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لِلْمَرْأَتَيْنِ: "لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. **لَيْسَ هُوَ هُهُنَا، لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ! هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعًا فِيهِ.** وَاذْهَبَا سَرِيعًا قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ. هَا أَنَا قَدْ قُلْتُ لَكُمَا."*

فَخَرَجَتَا سَرِيعًا مِنَ الْقَبْرِ بِخَوْفٍ وَفَرَحٍ عَظِيمٍ، رَاكِضَتَيْنِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ. وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لاَقَاهُمَا وَقَالَ: 'سَلاَمٌ لَكُمَا.' فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ. فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: 'لاَ تَخَافَا. اِذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي'." (إنجيل متَّى 28: 1-10)

عجز الموت عن إحكام قبضته على المسيح. فحيث أنه كان بلا خطية، فقد أقامه الله الآب من الأموات. وهكذا، لم يَقتصر الأمر على أنَّ يسوع دفع أُجْرَة خطايا العالم فحسب، بل إنه هَزَمَ الخطية وغلب الموت نفسه! وعندها، ارتجف إبليس وأعوانه الشياطين ودَبَّ القلق في نفوس القادة الدينيِّين:

"وَفِيمَا هُمَا ذَاهِبَتَانِ إِذَا قَوْمٌ مِنَ الْحُرَّاسِ جَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرُوا رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ بِكُلِّ مَا كَانَ. فَاجْتَمَعُوا مَعَ الشُّيُوخِ، وَتَشَاوَرُوا، وَأَعْطَوُا الْعَسْكَرَ فِضَّةً كَثِيرَةً قَائِلِينَ: 'قُولُوا إِنَّ تَلاَمِيذَهُ أَتَوْا لَيْلاً وَسَرَقُوهُ وَنَحْنُ نِيَامٌ. وَإِذَا سُمِعَ ذلِكَ عِنْدَ الْوَالِي فَنَحْنُ نَسْتَعْطِفُهُ، وَنَجْعَلُكُمْ مُطْمَئِنِّينَ.' فَأَخَذُوا الْفِضَّةَ وَفَعَلُوا كَمَا عَلَّمُوهُمْ، فَشَاعَ هذَا الْقَوْلُ عِنْدَ الْيَهُودِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ." (إنجيل متَّى 28: 11-15)

عَلِمَ أعداء يسوع أن قبر المسيح كان فارغاً وحاولوا جاهدين ويائسين أن يُخفوا الحقيقة لكي لا يَعرف الناس أن ذاك الذي قتلوه قد عاد إلى الحياة مُجَدَّداً!

انتصار على الموت

أنذر الله آدم في جَنَّة عَدْن أنه إذا عصى قانون خالقه فسوف **يموت موتاً!** أمَّا الشيطان فقال لآدم وحوَّاء "لَنْ تَموتا" ثُمَّ تابع عمله وقاد الجنس البشري بأكمله إلى طريق الموت والهلاك. فقد تَمكَّن الموت على مدى آلاف السنين من إحكام قبضته القوية على الرجال والنساء والأطفال. لكنَّ ابن الله جاء وتَحَدَّى الموت وهزمه، وفتح باب الحياة الأبدية على مصراعيه:

*"لأَنَّهُ كَمَا **فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ**، هكَذَا **فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ**."* (رسالة كورنثوس الأولى 15: 22)

قالت لي جارة مُتَقَدِّمة في السِّن البارحة: "أكثر ما أخافه في الحياة هو الموت". وكم سُرِرْتُ بأن أُخبرها عن ذاك الأزلي الذي هزم الموت وقام حَيًّا مُنتصراً على ذلك العدو المخيف.

"فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ – خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ – كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" (الرِّسالة إلى العبرانيِّين 2: 14-15)

لنفترض أنَّ يسوع مات من أجل خطايانا ولكنه لم يَقُمْ من الأموات. لو لم يَقُمْ، لبقي الموت واقعاً رهيباً ومُخيفاً. لكِنْ بانتصاره على الموت، أثبت الربُّ يسوع أنه أعظم مِنْ أقوى سلاح لدى الشيطان وأرهب عدو للإنسان. فلأنَّ يسوع انتصر على الموت، يجب على المؤمنين بيسوع أن لا يخافوا من أي شيء في هذه الحياة أو في الحياة الآخرة.

إنَّ رسالة الله صريحة ومُباشرة. فإذا آمنت بابنه الذي تألَّم على الصليب ومات ودُفن ثُمَّ قام حياً في اليوم الثالث بدلاً عنك، فسوف يُحَرِّرك من قبضة الموت ويعطيك حياته الأبدية. وهذا هو خبر الله السَّار لهذا العالم المُستعبد للخطية:

*"أَنَّ الْمَسِيحَ **مَاتَ** مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا **حَسَبَ الْكُتُبِ**، وَأَنَّهُ **دُفِنَ**، وَأَنَّهُ **قَامَ** فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ **حَسَبَ الْكُتُبِ**."* (رسالة كورنثوس الأولى 15: 3-4)

كما أن يسوع المسيح يقول لكل من يؤمن به:

"إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ ... لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ." (إنجيل يوحنَّا 14: 19، سِفْر الرؤيا 1: 17-18)

هزيمة الشيطان

عندما دخل يسوع دائرة الموت وخرج منها بعد ثلاثة أيام، أصبح إبليس عدواً مهزوماً. وعلى الرغم من أنه وشياطينه استمروا في المعركة، إلاَّ أنهم لن يُحَقِّقوا النَّصْر أبداً.

هل ترى كيف تَمَّم الله النُبُوَّة التي أعلنها في جَنَّة عَدْن في اليوم الذي أخطأ فيه آدم وحوَّاء؟ فبحسب نبوءته ووعده، قامت الحيَّة (الشيطان) بلَدْغ نسل المرأة (يسوع)؛ لكِنَّ هذه الجروح نفسها هي التي أدَّت إلى هلاك الشيطان.

"مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ فَهُوَ مِنْ إِبْلِيسَ، لأَنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْبَدْءِ يُخْطِئُ. لأَجْلِ هذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ." (رسالة يوحنَّا الأولى 3: 8)

فمن خلال موته ودفنه وقيامته، انتصر يسوع على لعنة الخطية التي تقول:

*"لأَنَّكَ **تُرَابٌ**، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ"* (سِفْر التكوين 3: 19)

لآلاف السنين، هزأ الشيطان من نسل آدم الذي يموت ويتحوَّل إلى تُراب. لكنَّ جسداً واحداً فقط **لم** يتحوَّل إلى تُراب! والسؤال الذي يَطرح نفسه هنا هو: لماذا لَمْ يَتحلَّل جسد يسوع في القبر؟ لأنَّ الخطية لا تملك أي سُلطان عليه لأنه بلا خطية. فقبل ألف سنة، أعلن النبي داود:

*"لأَنَّكَ **لَنْ** تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى **فَسَادًا**."* (المزمور 16: 10)

وهكذا، فقد تَمَكَّن القُدُّوس من إلحاق الهزيمة بالشيطان وبالخطية وبالموت – لأجلنا.

البُرهان

هناك براهين كثيرة ومُقنعة تؤكِّد قيامة يسوع من الموت.[220]

كان القبر فارغاً ولم يتم العثور على جُثمانه.

كانت النساء هُنْ أوَّل من نَظَرْنَ القبر الفارغ، وسَمِعْنَ إعلان الملاك، وشَاهَدْنَ المسيح حيَّاً، ولَمَسْنَهُ، وتَكَلَّمْنَ معه. ولولا أنَّهُنَّ جديرات بالثقة لما سَرَدَ البَشيرون الأربعة (مَتَّى، ومَرْقُس، ولوقا، ويوحَنَّا) هذه التفاصيل عَنْهُنَّ.

يُخبرنا الكتاب المقدَّس عن ظُهورات عديدة للمسيح بعد قيامته (مع وجود شهود عليها). ولعقود تَلَت، شهد المئات من الأشخاص الجديرين بالثقة أنهم رأوا المسيح المُقام، ومشوا معه، وتحدثوا معه.

رأى التلاميذ المسيح يتألَّم ويموت فانفطرت قلوبهم وخابت آمالهم لأنهم ظنوا أنه لن يموت. لذلك، فقد عادوا إلى منازلهم والخوف والحزن يملآن قلوبهم. لكِنَّ شيئاً ما قد حدث. فقد رأوا يسوع حياً. وعندها فقط تَذَكَّروا أن يسوع قال لهم إنه سيُصلب وفي اليوم الثالث يقوم.[221] وأخيراً فهموا كلمات الأنبياء.

أصبح هؤلاء التلاميذ الجُبناء شُهوداً شُجعانا للمسيح. فبعد قيامة يسوع من الموت بوقت قصير، مشى بُطرس في شوارع أورشليم وقال مُوجِّهاً كلامه لأولئك الذين تآمروا لصلب يسوع:

> *"أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ، وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ. **وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ**، وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذلِكَ ... وَالآنَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ بِجَهَالَةٍ عَمِلْتُمْ، كَمَا رُؤَسَاؤُكُمْ أَيْضًا. **وَأَمَّا اللهُ فَمَا سَبَقَ وَأَنْبَأَ بِهِ بِأَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ**، أَنْ يَتَأَلَّمَ الْمَسِيحُ، قَدْ تَمَّمَهُ هكَذَا. فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ، لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ."* (أعمال الرُّسُل 3: 14-19)

أدرك بُطرس والتلاميذ الآخرون أن ذاك الذي وهبهم الحياة الأبدية يستحق أن يتألموا لأجله. وقد عانى تلاميذ المسيح (الذين أصبحوا يُعرَفون بالمسيحيِّين[222]) من السخرية والسجن والجَلْد والإعدام بسبب شهادتهم الجريئة عن الرب يسوع. وقد اضْطُهد بُطرس نفسه وصُلب بشكل معكوس (بحسب ما نقرأ في كتب التاريخ). لكِنَّ بُطرس وجميع التلاميذ الآخرين قبلوا هذا الاضطهاد بفرح بعد أن أدركوا أن مُخَلِّصهم ورَبَّهم انتصر على الموت والجحيم.[223] فقد أدركوا أن الله منحهم الغفران والبِرَّ والحياة الأبدية. لهذا لم يَعُد الموت يخيفهم. ففي اللحظة التي تموت فيها أجسادهم، تذهب روحهم الأبدية لتكون *"عِنْدَ الرَّبِّ"* في السماء. (رسالة كورنثوس الثانية 5: 8)

لهذا، لم يَعُد هناك أي شيء يُخيفهم بعد الآن. فَهُمْ يَحملون رسالةً إلى العالم؛ رسالة أَهَمُّ من الحياة نفسها! ونرى في الآيات التالية كيف خَتَمَ أحد أتباع يسوع رسالته التي وَجَّهَها إلى حَشْدٍ من الناس المُتشكِّكين السَّاخرين في مدينة أثينا القديمة:

"فَاللهُ الآنَ يَدْعُو جَمِيعَ النَّاسِ ***فِي كُلِّ مَكَانٍ*** *أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ تَائِبِينَ، وَقَدْ غَضَّ النَّظَرَ عَنْ أَزْمِنَةِ الْجَهْلِ الَّتِي مَرَّتْ، لأَنَّهُ حَدَّدَ يَوْماً* ***يَدِينُ فِيهِ الْعَالَمَ بِالْعَدْلِ عَلَى يَدِ رَجُلٍ اخْتَارَهُ لِذَلِكَ. وَقَدْ قَدَّمَ لِلْجَمِيعِ بُرْهَاناً، إِذْ أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ.*** *"* (أعمال الرُّسُل 17: 30-31)

كانت خُلاصته بسيطة وواضحة: "توبوا! توقَّفوا عن الظن بأنكم قادرون على تخليص أنفسكم من دينونة الله الحَتْمِيَّة! وعوضاً عن ذلك، ضعوا كل ثقتكم في ذاك المُخَلِّص الذي سَفَك دمه من أجل خطاياكم وقام من الأموات".

دليل قاطع

كيف يُمكننا (أنا وأنت) أن نتيقَّن من أن يسوع هو المُخَلِّص والدَيَّان لهذا العالم؟ لقد قرأنا الجواب للتوِّ. فالله ***"قَدَّمَ لِلْجَمِيعِ بُرْهَاناً، إِذْ أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ"***.

هل نحتاج إلى مزيد من البراهين على أن يسوع هو المُخَلِّص الوحيد؟ ولماذا نَعْهَد بمصيرنا الأبدي إلى غيره؟ من المؤسف حقاً أنَّ البشر يُكْرِمون الموتى الذين ناقضوا قصة الله ورسالته في حياتهم. وكيف يُمكن لأي شخص أن يضع ثقته في رَجُل عجز عن التغلُّب على الموت وناقض كلمة الله (في حين أنَّ يسوع انتصر على الموت وتَمَّم أقوال الأنبياء)؟

وهكذا، كما أنَّ الله يستخدم النبوءات الصادقة لتقديم البراهين للناس على أنَّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله، فإنَّ قيامة يسوع في اليوم الثالث هي البُرهان القاطع الذي استخدمه الله لكي يُثبت للناس أن يسوع وحده يستطيع أن يُخَلِّصنا من الموت الأبدي وأن يُعطينا الحياة الأبدية.

مُخَلِّصٌ لجميع الناس

إنَّ الكتاب المقدَّس واضح كل الوضوح. فالرسالة المُتعلِّقة بموت يسوع وقيامته موجَّهة إلى جميع الناس *"في كُلِّ مَكان"*. ويجب التركيز على هذه الحقيقة لأن البعض ما زالوا يقولون إن يسوع جاء من أجل اليهود فقط. لكِنَّ هذا القول بعيد كل البعد عن الحقيقة.[224]

ففي حين أنَّ خدمة يسوع الأرضيَّة كانت موَجَّهة بالفعل إلى اليهود، إلاَّ أنَّ هدفه من المجيء إلى هذه الأُمَّة هو تقديم الخلاص للعالم كله. فقبل ذلك بسبعمئة سنة، كتب النبي إشعياء الوعد التالي الذي قطعه الله الآب لابنه: *"**جَعَلْتُكَ نُورًا لِلأُمَمِ لِتَكُونَ خَلاَصِي إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ**"* (سِفْر إشعياء 49: 6).

لقد جاء المسيح إلى العالم وهو يَعْلَم أن القادة اليهود سيرفضونه. كما أنه عَلِمَ أنه من خلال رفضهم هذا فسوف يُسَدِّد أُجْرَة الخطية ويُقَدِّم الخلاص للعالم.

*"كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا **كُلُّ** الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ **الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ**."* (إنجيل يوحنَّا 1: 10-12)

يسوع المسيح هو مُخَلِّص العالم كله؛ لَكِنْ لا يُمكن لأي شخص أن يُصبح ولداً لله إلاَّ إذا آمن بشخص المسيح وبما فعله لتخليص الخُطاة.

لهذا، اعْلَمْ يا صديقي أنَّ الله يُحِبُّك لدرجة أنه بذل ابنه الوحيد لأجلك. لكنه لن يُرغمك على الإيمان به، بل يترك لك حُريَّة الاختيار.

*"لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ **كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ**، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ"* (إنجيل يوحنَّا 3: 16).

لا حيرة بعد اليوم

في اليوم الذي قام فيه يسوع من الموت، مَشى وتكلم مع تلميذين مُرتبكين كانا عاجزين عن فهم ضرورة موت المسيح وقيامته. لهذا، قال لهما يسوع:

*"'**أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ!** أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلى مَجْدِهِ؟' ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ **مُوسَى** [التوراة/سِفْر التكوين] وَمِنْ **جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ** يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ **الْمُخْتَصَّةَ بِهِ** فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ."*
(إنجيل لوقا 24: 25-27)

لقد زالت حيرتهما في نهاية المطاف. فالمسيح لم يأتِ ليُلْحِق الهزيمة بالأعداء السياسيِّين الذين يَنتَمون إلى الجنس البشري الفاني، بل لينتصر على الأعداء الروحيِّين الأشد فَتْكاً: الشيطان، والخطية، والموت، والجحيم!

وفي وقت لاحق من نفس ذلك اليوم، ظهر يسوع لتلاميذه في العِلِيَّة في أورشليم حيث كانوا يَختبئون. وعندها، أراهم يديه ورجليه المثقوبتين، وتناول الطعام معهم، ثُمَّ قال لهم:

*"'هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: **أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ.**' حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ. وَقَالَ لَهُمْ: 'هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ. وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذلِكَ.'"* (إنجيل لوقا 24: 44-48)

قال يسوع لتلاميذه إنهم *"شُهُودٌ لِذلِكَ"* للأُمَم. وكانت الرسالة التي سيُنادون بها واضحة: الرب من السماء دَفَعَ أُجْرَة الخطية وهَزَمَ الموت من أجل كل شخص وُلِدَ على هذه الأرض. لذلك، حالما يُعلن الإنسان توبته الحقيقية (التغيير في فكره) وإيمانه (الثقة القلبية) في المسيح وفي عمله الفدائي، فسوف يمنحه الله الغفران الكامل والسلام الحقيقي.

دعوة إلى الراحة

فَكِّر في اليوم السابع للخلق. ما الذي فعله الله في ذلك اليوم؟ لقد استراح. لماذا؟ لأن عمله **قد أُكْمِل:** *"أُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا. وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ **عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ**"* (سِفْر التكوين 2: 1–2).

وهكذا، لم تَكُنْ هناك حاجة لإضافة أي شيء إلى ما فعله الله في الخليقة. فقد أُكْمِل. كما أن عمل الفداء الذي قام به الله لا يحتاج إلى أي إضافات؛ فقد "أُكْمِل!"

وكما أنَّ الله استراح وسُرَّ بما عمله في الخليقة، فإنه يدعونا إلى الراحة والتمتُّع بعمل الخلاص الذي سَبَقَ فأتَمَّه: *"لأَنَّ الَّذِي **دَخَلَ رَاحَتَهُ اسْتَرَاحَ** هُوَ أَيْضًا **مِنْ أَعْمَالِهِ، كَمَا اللهُ مِنْ أَعْمَالِهِ**"* (الرِّسالة إلى العبرانيِّين 4: 10).

وفي حين أنَّ آلاف الديانات في العالم تُعلن قائلةً للناس: "افعل هذا! افعل ذاك! حاول أكثر!" فإنَّ يسوع يقول لهم: *"تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، **وَأَنَا أُرِيحُكُمْ**"* (إنجيل متَّى 11: 28).

هل أنت مُطمئن البال ومسرور بما فعله الله من أجلك؟

أربعون يوماً مع الرب

قضى الرب يسوع مع تلاميذه أربعين يوماً بعد قيامته من الأموات ليُعلِّمهم حقائق كثيرة عن ملكوت الله. وقد شاهده التلاميذ ولمسوا جسده الحيَّ، ذلك الجسد الأبدي المُمَجَّد الذي لا يُفسده زمان ولا مكان؛ وهو نفس الجَسَد الذي سيحصل عليه جميع المؤمنين الحقيقيين ذات يوم.

مَشى التلاميذ مع الرب يسوع، وتكلموا معه، وأكلوا معه أيضاً. وقد ذَكَّرهم بأنه سيتركهم قريباً وأن الآب سيُرسل إليهم الرُّوح القُدُس ليحيا في داخلهم، ويَقودهم، ويُقَوِّي عزيمتهم في شهادتهم لأمم العالم. كما أنه أخبرهم بأنه سيعود ذات يوم إلى الأرض ليُدين العالم بالعَدْل.

بعد أربعين يوماً من قيامة يسوع، اجتمع بتلاميذه على جبل الزيتون في الجانب الشرقي من أورشليم. فقد حان الوقت لرجوعه إلى *"بيت أبيه"* (إنجيل يوحنَّا 14: 2).

الصُّعود

"وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ، بَلْ يَنْتَظِرُوا 'مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي، لأَنَّ يوحنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ، لَيْسَ بَعْدَ هذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ.' أَمَّا هُمُ الْمُجْتَمِعُونَ فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: 'يَارَبُّ، هَلْ فِي هذَا الْوَقْتِ تَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ؟' فَقَالَ لَهُمْ: 'لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ، لكِنَّكُمْ ***سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ.*** *' وَلَمَّا قَالَ هذَا* ***ارْتَفَعَ*** *وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ. وَفِيمَا كَانُوا يَشْخَصُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ، إِذَا رَجُلاَنِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ، وَقَالاَ: 'أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟* ***إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ.*** *'."* (أعمال الرُّسُل 1: 4-11)

السَّماء تَحتَفل بالانتصار

صعد ابن الانسان *"إلى العَلاء"* كَما تنبَّأ الأنبياء تماماً.[225] فذاك الذي رضي أن يستبدل عبادة ملائكة السماء له بسُخرية الناس عاد إلى مسكنه. لكنَّ شيئاً ما تَغَيَّر فيه. فذاك الذي خلق الإنسان على صورته أصبح يَحْمِل الآن صورة الإنسان.

لا يَكشف لنا الكتاب المقدَّس الكثير عن عودة ابن الله إلى السماء؛ لكننا نعرف يقيناً أنها كانت عودة مجيدة! ويُمكننا أن نتخيَّل تلك الأعداد الهائلة من الملائكة والبشر المَفديِّين الذين كانوا ينتظرون بلهفة شديدة دخول الرب من بوَّابات السماء. فَرغم أنهم كانوا يعرفونه بصفته ابن الله ورب المجد، إلاَّ أنهم سيُقابلونه للمرَّة الأولى بصفته ابن الإنسان وحَمَل الله.

سادَّ الصَّمْت في السماء. وفجأة، عَلَت أصوات الأبواق وتهليلات الملائكة لتُمَزِّق ذلك الصَّمْت الرهيب: *"ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ."* (المزمور 24: 7)

فُتِحَت الأبواب على مَصاريعها. وعلى وَقْعِ التَّصفيق السَّماوي المُدَوِّي دخل البَطَل، ابن الله الوحيد، الكلمة، الحَمَل، ابن الإنسان الذي يَحمل آثار المعركة في جسده، **يسوع!**

سار يسوع وسط الحشود شاقًّا طريقه إلى عرش الآب. ثُمَّ استدار ونظر إلى نسل آدم المَفدي وجلس.[226]

لقد أُنجزت المَهمَّة.

وعندها، جَثا جَمْعُ المَفديِّين أمامه وقالوا بصوت واحد:

"مُسْتَحِق هُوَ الْخَرُوفُ الْمَذْبُوحُ." (سِفْر الرؤيا 5 : 12)

يا له من احتفال رائع! ويا له من احتفال مُستمر! فهو احتفال لن ينتهي أبداً!

26
مُتَدَيِّن وبَعيد عن الله

هُناك مُصطَلَح يستخدمه الكثيرون ألا وهو "الإدراك المُتأخِّر" للإشارة إلى إدراكنا لطبيعة الأشياء وأهميتها بعد حدوثها. وهكذا، فالإدراك المُتأخِّر يتعلَّق بالنظر إلى أشياء حدثت في الماضي، وهو يسمح لنا برؤية المسار الذي كان ينبغي علينا (أو على غيرنا) اتخاذه؛ لكن بعد فوات الأوان. لذلك فإنَّ هذا الإدراك غير مُفيد كثيراً في الأحوال العادية.

لكن عندما يتعلَّق الأمر بفهم قصة الله ورسالته التي أعلنها على مَرِّ العُصور، فإن "الإدراك المُتأخِّر" فعَّال جداً إذ يسمح لنا بتَخَطِّي بعض العقبات الرئيسية والتمييز بين الحق والباطل. لذلك، قال يسوع لتلاميذه:

*"**طُوبَى لِعُيُونِكُمْ لأَنَّهَا تُبْصِرُ، وَلآذَانِكُمْ لأَنَّهَا تَسْمَعُ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ وَأَبْرَارًا كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ وَلَمْ يَرَوْا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا.*"* (إنجيل متَّى 13: 16-17)

ما أعظم البَرَكة التي نلناها نحن الذين عشنا بعد المجيء الأوَّل للمسيح إلى الأرض حيث يُمكننا أن نعود لقراءة التاريخ، ودراسة الكتاب المقدَّس، ورؤية خطة الله الكاملة بوضوح.

في ضوء هذه الفكرة، وفي ضوء كل ما شاهدناه أثناء رحلتنا في رِحاب الكتاب المقدَّس، سوف نعود مَرَّة أخرى إلى كتاب البدايات.

رؤية قايين وهابيل من خلال "الإدراك المُتأخِّر"

يُقَدِّم لنا الأصحاح الرابع من سِفْر التكوين صورة واضحة: وُلِدَ قايين وهابيل وهُما يُعانيان من مُشكلة الخطية. وحين أصبحا رَجُلين، حاول كل منهما أن يَعبد الله. لكِنَّ الله لم يَقبل إلاَّ عبادة أحدهما.

"وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ."
(سِفْر التكوين 4:4-5)

بعد أن سمعنا قصة يسوع مُخَلِّص الخُطاة، من السهل علينا أن نفهم – باستخدام أسلوب "الإدراك المُتأخِّر للكتاب المقدَّس – السبب الذي من أجله ***"نَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ"***.

كان الحَمَل المذبوح الذي قَدَّمه هابيل يُشير إلى يسوع – حَمَلَ الله الذي سيأتي ليَسفك دمه من أجل الخُطاة. أمَّا خُضار قايين وفاكهته فلم تَكُنْ تُشير إلى يسوع.

وفي حين أنَّ هابيل نظر إلى حَدَث مُستقبلي، فإننا نعود اليوم إلى الوراء لنتذكَّر ما فعله يسوع لأجلنا بموته وقيامته:

*"وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ **يُطَهِّرُنَا** مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ."* (رسالة يوحنَّا الأولى 1: 7)

إيمان مُخَلِّص

غَفَر الله خطايا هابيل بذات الطريقة التي يَغفر بها خطايانا اليوم. فحين يَعترف الإنسان بأنه خاطئ ويثق بالرب وبخلاصه، تُغفر خطاياه ويُحْسَب إيمانه بِرًّا. وهذا هو ما حدث مع جميع الأنبياء والمؤمنين في كل العصور.

فعلى سبيل المثال، وكما رأينا سابقاً، *"**آمَنَ** إبراهيم **بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا**"* (سِفْر التكوين 15: 6). إنَّ عبارة *"آمن إبراهيم بالرب"* تعني أنه كان يثق بأن ما يقوله الله صحيح. فقد وثق إبراهيم بكلمة الله ووضع إيمانه بالله وحده.

كذلك، آمن النبي داود بوعود الله فكتب والفرح يملأ قلبه: "طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ. **طُوبَى لِرَجُلٍ لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً** ..." (المزمور 32: 1-2). كما أنه كتب أيضاً: *"إِنَّمَا خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ يَتْبَعَانِنِي كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، **وَأَسْكُنُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ إِلَى مَدَى الأَيَّامِ**"* (المزمور 23: 6).

لقد كُفِّر عن دَيْن خطية أولئك الذين عاشوا قبل مجيء المسيح (مثل هابيل وإبراهيم وداود) لأنهم آمنوا بالرب الإله وبخطته. وعندما مات المسيح، أُلغي دينهم إلى الأبد مِنْ سِجِلاَّت الله.

وهناك خَبَرٌ سَارٌّ لنا نحن الذين نعيش اليوم بعد المجيء الأول للمسيح: إذا آمنت بما فعله الربُّ يسوع لأجلك من خلال موته البَدَلي وقيامته المُنتصرة، فإن الله يَمْحو دَيْن خطيتك من سِجِلاَّته، ويضيف برَّ المسيح إلى حسابك، ويضمن لك مكاناً *"فِي بَيْتِ الرَّبِّ إِلَى مَدَى الأَيَّامِ"*. كل هذه البَرَكات وغيرها تَصير لك إذا آمنت.

والإيمان بالرب يسوع يَعني أن تضع ثقتك الكاملة به وبما فعله من أجلك. ولفهم معنى الإيمان فهماً أعمق، تَخَيَّل نفسك تدخل غرفة فيها الكثير من الكراسي: بعضها مكسور وبعضها الآخر على وشك أن ينكسر. ورغم أن بعض الكراسي تبدو بحالة جيدة، إلاَّ أنك تكتشف هشاشتها حال فحصك لها. وما إن تبدأ بالتفكير في أنه لا يوجد كُرسي راسخ في الغرفة حتى يقع نظرك على كرسي قوي وثابت. وعندها فإنك تسير نحوه وتجلس عليه. لقد وثقت به وارتحت إليه عالماً أنه لن يخذلك.

كذلك فإنَّ يسوع المسيح لا يُخَيِّب آمال الذين يتكلون عليه وعلى عمله الكامل.

إيمان مُميت

لا يُمكن لإيماننا أن يكون أفضل من الإله الذي نؤمن به. ورغم أنَّ الجميع يؤمنون، إلاَّ أنهم لا يؤمنون جميعهم بنفس الإله. فقد اتَّكل هابيل على الله وعلى طريقته في تحقيق الغُفران والبِر. أمَّا قايين فاتَّكل على أفكاره وجهوده الشخصية.

يُمكن مقارنة قايين وجميع الذين يرفضون تشخيص الله ودواءه لمرض الخطية بشخص شاهدته على شاشة التلفاز يُحاول أن يُمسك بأفعى ضخمة سامَّة بيديه المُجرَّدتين فلدغته. لكنه رفض أن يأخذ الحُقنة المُضادَّة لسُمِّها ظَنَّاً منه بأن جسمه قادر على مُقاومة السُّم. كان هذا الرجل يملك إيماناً قوياً، لكنه إيمان لا يُساوي أي شيء على الإطلاق. فقد وضع ثقته بنفسه بدلاً من دواء الطبيب فكَلَّفَه هذا القرار حياته!

والكتاب المقدَّس واضح بهذا الشأن: إذا اتَّكلنا على جهودنا الشخصية بدل أن نؤمن بخلاص الله، فهذا يعني أننا نسلك في *"طَرِيقِ قَايِينَ"* وأننا سنواجه *"قَتَام الظَّلاَمِ إِلَى الأَبَدِ"* (رسالة يهوذا 1: 11، 13). ففكرة قايين – بأنه بمقدور الإنسان أن يَقترب من الله بجهوده الشخصية – كانت (وما زالت) تتعارض مع خطة الله للفداء. وللأسف الشديد فإنَّ غالبية الناس في هذه الأيام يَميلون إلى *"طَرِيقِ قَايِينَ"*.

ميزان الإنسان

سأل القادة الدينيُّون يسوع يوماً قائلين: *"'مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى **نَعْمَلَ** أَعْمَالَ اللهِ؟' أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: 'هذَا هُوَ عَمَلُ اللهِ: أَنْ **تُؤْمِنُوا** بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ'"* (إنجيل يوحنَّا 6: 28–29). لقد أراد هؤلاء أن "يعملوا"؛ لكنَّ يسوع قال لهم أن "يؤمنوا به". وهذا التشويش الذي أظهَرَه اليهود مُنتشر بين كثيرين.

تعيش أختي وزوجها في غينيا الجديدة حيث يقومان – مع زُملاء لهما – بتقديم المساعدة العمليَّة للقبائل المُنعزلة. كما أنهم يُعلِّمون هؤلاء عن الله الواحد الحقيقي وعن الحياة الأبدية التي يَهَبها لكل من يؤمن بيسوع المسيح. وفيما يلي رسالة قصيرة كتبها أحد زُملائهما عن حديث دار بينه وبين رَجُل قَبَلي أمضى بعض الوقت في سماع "كلام الله" (وهو المُصطلح الذي يستخدمه أهل غينيا الجديدة للإشارة إلى الكتاب المقدَّس):

> قال الرَّجُل القَبَلي بعد أن سمعنا نُعَلِّم أنَّ يسوع هو خُبْز الحياة: "أنتُمْ تُبَسِّطون الأمر أكثر مِنَ اللازم. فقد عملت طوال حياتي مُحاولاً أن أكسب طريقي إلى السماء وأن أُصبح بارَّاً في نظر الله. وها أنتم تقولون إن كل ما ينبغي علينا فعله هو الإيمان بيسوع!"
>
> قُلت له: "اصغِ مَرَّة أخرى إلى ما قاله يسوع: *"أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ"* (إنجيل يوحنَّا 6: 35). ثم جعلته يقرأ من جديد الآية (يوحنَّا 6: 29): *"هذَا هُوَ عَمَلُ اللهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا **بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ**"*. ثم قرأ الآية (يوحنَّا 3: 16): *"لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ **يُؤْمِنُ بِهِ**، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ"*. ثم سألته إن كان يَعتقد أن الله يحتاج إلى مساعدتنا أو أنه ضعيف ولا يستطيع أن يُخلِّصنا بنفسه!

فضحك وقال لي: "بالطبع لا! الله لا يحتاج إلى مُساعدتنا". قُلت: "إذاً، بحسب كلمة الله، هل يحتاج الله إلى أعمالك ليُدخلك السَّماء؟" وعندها، هَزَّ الرجل رأسه بالنفي واسترسل في تفكير عميق.

على الرغم من وضوح رسالة الله، فإن الكثيرين (سواء كانوا من أفراد القبائل المُنعزلة أو من مُتَقَّفي المَجامع اليهوديَّة والكنائس المسيحيَّة والمَساجد الإسلاميَّة) يَميلون إلى الاعتقاد بأن الله سيضع أعمالهم الصالحة والطالحة في ميزان كبير في يوم الدينونة. وَهُمْ يعتقدون أنه إذا كانت نسبة الأعمال الصالحة 51 بالمئة أو أكثر، فسوف يستقبلهم الله في الفردوس. أمَّا إذا كانت نسبة الأعمال الطالحة 51 بالمئة أو أكثر، فسوف يُرسلهم الله إلى الجحيم. لَكِنَّ مثل هذا الميزان لا يُستخدم في المحاكم البشرية ولن يُستخدم في المحكمة السماوية.

فَكِّر في الأمر. هل تريد حقاً أن يُدينك الله وأن يُقَرِّر مصيرك الأبدي بحسب صلاحك؟ كم نشكر الله لأن نظام الميزان هذا **غير** وارد في كتاب الله.

مِقياس الله

الله يُطالبنا بالكمال. لهذا، لا يُمكن لأي شخص أن يَسْكُن معه إلاَّ إذا نال التبرير من الله نفسه. وهكذا، إنْ وَجَدَ الله ذَرَّة خطية في سِجِلِّك في يوم الدينونة، فلن يُدخلك الفردوس لأنه يُطالبنا بِبِرٍّ كامل لا تشوبه شائبة.

الله يُبغض الخطية كما نحن نُبغض رائحة خنزير مَيِّت ومُتعفِّن في منزلنا. فهل يُمكن لرَشِّ العطر أن يحل المُشكلة ويزيل العَفَن والرائحة الكريهة؟ بالتأكيد لا. كذلك، لا يُمكن لمُمارسة الطقوس الدينية أن تُزيل نجاستنا وأن تجعلنا مقبولين لدى الله.

بعبارة أخرى، كما أننا لا نُطيق قطرة سُمٍّ في فنجان الشاي، فإنَّ الله لا يُطيق الخطيَّة. فهل يُمكن لمزيد من الماء أن يُزيل خاصيَّة الموت الكامنة في السُمِّ؟ على نحو مُشابه، لا يمكن لأعمالنا الصالحة – مهما كانت كثيرة – أن تجعلنا طاهرين ولا أن تُخلِّصنا من الدينونة الأبدية. فعندما يتعلَّق الأمر بالتخلُّص

من دَيْن الخطية أو بجعل أنفسنا بارِّين أمام الله، فنحن عاجزون تماماً. لكننا نشكر الرب لأنه لم يتركنا بلا رَجاء. فقد دَبَّر كل ما نحتاج إليه لنحيا إلى الأبد في حضرته الطاهرة الكاملة.

الإيمان والأعمال

يقول الله لكل مَنْ يؤمن بيسوع المسيح الذي سَدَّد أُجْرَة الخطية بالكامل: *"لأَنَّكُمْ **بِالنِّعْمَةِ*** [اللُّطْف الذي لا نستحقه] ***مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ*** [الثقة بما فعله الله لأجلنا]، ***وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ"*** (رسالة أفسُس 2: 8-9).

لهذا، لن يَفتخر أحد في السماء. فالخلاص هو *"بالنعمة"* وهو *"عَطِيَّة الله"*. إنها هِبَة لا نَسْتَحِقُّها ينبغي علينا أن نَقبلها بالشُّكر وليست ميدالية نحصل عليها بجدارتنا. وهذا كله *"كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ"*. لكن للأسف الشديد فإنَّ الكثير من المُتديِّنين يُخطئون في هذه المسألة – كما هو حال هذا الشخص من الشرق الأوسط والذي كتب يقول:

> "أهم ما في الإيمان هو الثقة بالله الواحد، ومُمارسة الأعمال الصالحة، وتَجَنُّب الأعمال الشريرة. ففي هذه الأمور يَكْمُنُ خلاصُنا."

إذا كان خلاصنا من الدينونة الأبدية واكتسابنا الحق في السكن مع الله يتعلَّقان بجهودنا الشخصية، فكيف يُمكننا أن نعرف ما إذا كُنا قد قُمنا بالقدر الكافي من الأعمال الصالحة أو تَجَنَّبنا الشر بالقدر الكافي الذي يجعلنا نستحق مكاناً في الفردوس؟ إذا كان هذا هو ما نؤمن به فلن نتيقَّن أبداً من خلاصنا.

منذ ثلاثة آلاف سنة تقريباً، قال النبي يونان: ***"لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ"*** (سِفْر يونان 2: 9). وكم نَحْمَدُ الله على ذلك!

> *"لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ **لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال** كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ"* (رسالة أفسُس 2: 8-9).

إنَّ كلمة الله واضحة: إنْ وثقنا بأنفسنا وبأعمالنا لتخليص أنفسنا من دَيْن الخطية فهذا يعني أننا نرفض هِبَة الله للخلاص.

إذاً، ماذا عن القيام بالأعمال الصالحة وتجنُّب الأعمال الشرِّيرة؟ تَكْمُن الإجابة في الآية التالية:

*"**لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ**، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا"* (رسالة أفَسُس 2: 10).

الفرق واضح: فنحن لسنا مُخَلَّصين بالأعمال الصالحة، بل لنقوم بالأعمال الصالحة:

*"اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا **مِنْ كُلِّ إِثْمٍ**، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا **غَيُورًا فِي أَعْمَال حَسَنَةٍ**"* (الرِّسالة إلى تيطُس 2: 13-14).

بدأت مُقدِّمة هذا الكتاب بما قاله شيخ القرية لصديقي: "بسبب الأعمال الصالحة التي قُمْتَ بها، أنتَ تستحق الذهاب إلى الجَنَّة ...". لكِنَّ كلمة الله تَكشف الخطأ في تفكير هذا الشخص. فلا أحد يستحق الذهاب إلى الجَنَّة على أساس أعماله الصالحة. غير أن الذين نالوا عطية الله الرائعة المُتمثِّلة في الحياة الأبدية سيرغبون من أعماق قلوبهم في تَجَنُّب الشر وعمل الخير لمجد الله وبركة الآخرين.

الفرق بين الثَّمَرة والبذرة

لَمْ تَكُن الأعمال الصالحة في يوم من الأيام مَطْلَباً للخلاص؛ لكن يجب أن تكون ثَمَراً للخلاص. فعلى سبيل المثال: قال يسوع لتلاميذه:

"وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ" (إنجيل يوحنَّا 13: 34-35).

هل إظهار المحبة للآخرين والاهتمام بهم (كما فعل يسوع) هو شَرْط مُسْبَق للخلاص؟ كلا! فلو كان الأمر كذلك لما استطاع أحد أن يدخل الفردوس لأنَّ يسوع وحده هو الذي أَحَبَّ الآخرين باستمرار وبطهارة.

لكِنْ هل يجب على المحبة والاهتمام أن يكونا صِفَة في حياة المؤمنين الحقيقيين؟ بكل تأكيد: *"بِهَذَا* ***يَعْرِفُ الْجَمِيعُ*** *أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ."* فالمؤمنون الحقيقيون يُظهرون إيمانهم من خلال نَمَط حياتهم.[227]

لهذا، من المهم أن نُميِّز بين بذرة الخلاص وثَمَر الخلاص. فيجب على المؤمنين بالمسيح أن يُعَبِّروا عن امتنانهم للرب على هِبَة الخلاص (البذرة) من خلال حياتهم التي يَحيونها بقداسة، ومحبَّة، وعطاء، وانضباط (الثَّمَر). فأولاد الله لا يَعملون الأعمال الصالحة لإرضاء الله، بل لأنه قَبِلَهُم رُغم عدم استحقاقهم.

ديانة زائفة

قايين هو مؤسِّس أوَّل ديانة قائمة على الأعمال. فبدلاً من أن يَقترب إلى الله من خلال دَمِ حَمَل مذبوح، حاول أن يفعل ذلك بطريقته الخاصة وجُهده الشخصي. لذلك، لم تَحْظَ صلوات قايين وقُربانه بأي قبول من الله، بل كانت مكروهة عنده:

"مَنْ يُحَوِّلُ أُذْنَهُ عَنْ سَمَاعِ الشَّرِيعَةِ، ***فَصَلاَتُهُ أَيْضًا مَكْرَهَةٌ"*** (سِفْر الأمثال 28: 9).

كانت شريعة الله تقتضي تقديم حَمَل أو حيوان مُلائم كذبيحة للتكفير عن الخطية. وحيث أن قايين لم يأتِ إلى الله بالطريقة اللائقة، فقد أمْسَت *"صَلاَتُهُ أَيْضًا مَكْرَهَةٌ"* [عملاً مكروهاً وغير مرغوب فيه). وهكذا، فقد كان لقايين ديانة، لكنها كانت ديانة زائفة لأن قُربانه لَمْ يَرْمِز إلى المُخَلِّص المُنتظر وموته على الصليب. لذلك:

"وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضاً مِنْ خَيْرَةِ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَأَسْمَنِهَا. فَتَقَبَّلَ الرَّبُّ قُرْبَانَ هَابِيلَ وَرَضِيَ عَنْهُ. لَكِنَّهُ لَمْ يَتَقَبَّلْ قُرْبَانَ قَايِينَ وَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ. فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدّاً وَتَجَهَّمَ وَجْهُهُ

كَمَدًا. فَسَأَلَ الرَّبُّ قَايِينَ: 'لِمَاذَا اغْتَظْتَ؟ لِمَاذَا تَجَهَّمَ وَجْهُكَ؟ لَوْ أَحْسَنْتَ فِي تَصَرُّفِكَ أَلاَ يُشْرِقُ وَجْهُكَ فَرَحاً؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنِ التَّصَرُّفَ، فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيئَةٌ تَنْتَظِرُكَ، تَتَشَوَّقُ أَنْ تَتَسَلَّطَ عَلَيْكَ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَتَحَكَّمَ فِيهَا'" (سِفْر التكوين 4: 4-7)

تكلَّم الله – بمُقتضى رحمته – مع قايين وأفْسَح له المجال للتوبة والرجوع عن أعماله الشريرة والخضوع لخطة الله البارَّة. لكنَّ قايين غضب لأنه لم يكن مُستعداً لاستبدال ديانته الجميلة (ديانة الجهود الشخصية) بدماء حَمَل. بعبارة أخرى، لقد أراد أن يقوم بكل شيء باسم الله، ولكن على طريقته الخاصة!

وإلى أين قادَهُ ذلك التصرُّف؟

دِيانة عدائيَّة

*"وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ **قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ**."* (سِفْر التكوين 4: 8)

رفض قايين أن يتنازل عن كبريائه وأن يَذبح حَمَلاً كذبيحة خطيَّة، لكنه لم يتردَّد في قتل أخيه. وبقيامه بذلك، وضع قايين حجر الأساس للأنظمة الدينية والسياسية لاضطهاد وإذلال وإعدام كل مَنْ لا يَمتثل لقوانينها وتقاليدها.

وكما هو حال قايين، فإنَّ الكثيرين حول العالم يلجأون إلى العدوانية والقتل للدفاع عن ديانتهم. ومن خلال تصرفاتهم هذه فإنهم يَعكسون قلقهم حيال إيمانهم، وضعف ثقتهم بإلههم.

كُنت على اتصال دائم برَجُل يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية حيث كُنا نتبادل الكثير من الرسائل الإلكترونية. وفي إحدى المَرَّات كتب يقول:

> "ما أن انتهى أحد الأشخاص من شتم النبي الكريم على مَسْمَعٍ مِنِّي حتى ابتلع طَقْم أسنانه الأمامي. وكم استمتعت بفكرة أنه سيكون أَلْثَغ في المَرَّة القادمة التي سيشتم

فيها النبي (أي أنه لن يكون قادراً على نطق الحروف نطقاً سليماً). يجب على الوثنيِّين أن يهتدوا أو أن يموتوا. فليس هناك خيار ثالث أمامهم."

تتعارض كلمات هذا الرَّجُل تعارُضاً تاماً مع كلام الرب يسوع الذي قال:

*"لكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: **أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ**، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ"* (إنجيل لوقا 6: 27–28). وفيما هو على الصليب، صلّى يسوع من أجل الذين صلبوه قائلاً: *"**يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ.**"* (إنجيل لوقا 23: 34)[228]

قايين غيرِ التَّائب

لنرجع إلى قصة قايين. فبعد أن قتل قايين أخاه، مَنَحَهُ الله فُرصة للرجوع عن تفكيره الخاطئ وطُرقه الشريرة:

"فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: 'أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟' فَقَالَ: 'لاَ أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟' فَقَالَ: 'مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ'." (سِفْر التكوين 4: 9–11)[229]

رفض قايين الاعتراف بخطيئته والتواضُع أمام الله من خلال حَمَل مذبوح. وعوضاً عن ذلك *"خَرَجَ قَايِينُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ."* (سِفْر التكوين 4: 16)

لَمْ يَتُب قايين قَطّ. فبدلاً من الخضوع لطريق الله، ظل أسيراً لأفكاره ومُعتقداته الشخصية. وقد أسَّس قايين حضارة مُزدهرة، لكنها لم تكن خاضعة لله الخالق.[230] وسار نسل قايين على غراره في ذلك الطريق الذي يتمحور حول الذات ويؤدي إلى الهلاك.

كذلك، يُدَوِّن لنا الأصحاح الرابع من سِفْر التكوين قصة "لامَك" وهو مُنَحدِر من الجيل السادس لقايين. كان "لامَك" أنانياً وشهوانياً ومُنتقماً وقاتلاً – على غِرار جَدِّه قايين. ورغم أنَّ أولاده ابتكروا الكثير من العلوم والفنون وكانت لديهم معرفة واسعة عن الكثير من الأشياء، إلاَّ أنهم لم يَعرفوا الله.

وهكذا، فقد أدار الناس ظهورهم لا لطريق الله للخلاص فحسب، بل وأيضاً لطريقة الله للعيش.

جنس بشري غير تائب

بعد قايين بتسعة أجيال فقط، كان تقييم الرب للبشر كالتالي:

"وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا ***هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ*** (سِفْر التكوين 6: 5).

في زمن النبي نوح، كان نوح وعائلته الوحيدين الذين آمنوا بخالقهم. وبسبب إصرار الإنسان المستمر على عدم القيام بمشيئة الله، أرسل الله طوفاناً عظيماً غمر الأرض كلها. لكنَّ الله دَبَّر – بمُقتضى نعمته – طريقة للهرب انتفع بها ثمانية أشخاص فقط. فقد كان نوح وزوجته وأولاده سام وحام ويافث ونساؤهم هُم الأشخاص الثمانية الذين آمنوا برسالة الله (سِفْر التكوين 6–8).

*"****بِالإِيمَانِ*** *نُوحٌ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تُرَ بَعْدُ خَافَ، فَبَنَى فُلْكًا لِخَلاَصِ بَيْتِهِ، فَبِهِ دَانَ الْعَالَمَ، وَصَارَ وَارِثًا لِلْبِرِّ الَّذِي حَسَبَ* ***الإِيمَانِ.***" (الرِّسالة إلى العبرانيِّين 11: 7)

رُغم أنَّ عُلماء كثيرين في وقتنا الحاضر يَسْخَرون من قصة الطوفان الواردة في الكتاب المقدَّس،[231] فإنهم لا يُنكرون أن مُعظم مساحة اليابسة كانت في يومٍ ما مغمورة بالمياه، وأن ملايين المُتحجِّرات البحريَّة اكتُشفت في أكبر الصحارى وأعظم السلاسل الجبلية. كذلك، لا يُمكن لأحد أن يُنكر ظهور قوس قزح في السماء رُغم أن البعض يَسخرون من كونه علامة على وعد الله بعدم إهلاك العالم مَرَّة أخرى بطوفان.

مُتمرِّدون ومُتحيِّرون

رُغم أنَّ الله بارَك الناس وأعطاهم بداية جديدة عقب دينونة الطوفان، إلاَّ أنهم تمرَّدوا على خالقهم ومالكهم وراحوا يَتبعون أفكارهم الخاصة. فعلى سبيل المثال، قال الله للبشر أن ينتشروا وأن *"يملأوا الأرض."* (سِفْر التكوين 1: 28؛ 9: 1). لكن ما الذي قَرَّر الناس أن يفعلوه؟ لقد اختاروا العكس تماماً:

*"هَلُمَّ نَبْنِ **لأَنْفُسِنَا** مَدِينَةً **وَبُرْجًا** رَأْسُهُ **بِالسَّمَاءِ**. وَنَصْنَعُ **لأَنْفُسِنَا اسماً** لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ."* (سِفْر التكوين 11: 4)

لاحِظ التمحور حول الذات وروح التمرُّد في خططهم. فبدلاً من اتِّباع إرادة الله الصالحة والكاملة من نحوهم، خَطَّطوا لاتِّباع حكمتهم الخاصة وتعظيم أنفسهم. ربما اعتقدوا أنهم من خلال بناء *"بُرْجٍ رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ"* سيكونون في مأمن في حال حدوث طوفان آخر. وبقيامهم بذلك، كانوا على غرار مُتديِّنين كثيرين في وقتنا الحاضر مِمَّن يأملون النجاة من دينونة الله من خلال جهودهم الشخصية.

لكِنَّ الله وضع حَدَّاً لخطة الناس الرامية إلى العيش في مكان واحد لأنه عَلِمَ أن خطة كهذه ستؤدي إلى فساد الجنس البشري وهلاكه سريعاً. ويَجْدُر التنويه هنا إلى أنه في تلك الحقبة: *"كَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً"* (سِفْر التكوين 11: 1). والآن، لِنَرَ ماذا فَعَلَ الله:

*"وَقَالَ الرَّبُّ: 'هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ.' **فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ** مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ، لِذلِكَ دُعِيَ اسمهَا **بَابِلَ** لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ."* (سِفْر التكوين 11: 6-9)

عجز الناس عن التواصل أحدهم مع الآخر فتركوا البُرج دون أن يُكملوه، وانتشروا في العالم كما أرادهم الله أن يفعلوا منذ البداية. *"لِذلِكَ دُعِيَ اسمهَا 'بَابِلَ'* (ارتباك) *لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ"*. وهذا يُرينا أنَّ رَفْض خطة الله يقود دائماً إلى البلبلة والارتباك.

الأغلبيَّة المُخطِئة

هناك درس قَيِّم ينبغي علينا أن نتعلَّمه من الناس في زمن نوح ومن الذين حاولوا بناء بُرج بابل ألا وهو:

كانت الأغلبية مُخطئة.

ورغم أن الخُطاة تَعَزَّوا بأن ملايين الناس شاركوهم رأيهم وقرارهم، فقد أنزل الله دينونته عليهم. ويعتقد الكثيرون – حتى يومنا هذا – أن مفهومهم عن الله ورسالته صحيح لمُجَرَّد أن كثيرين غيرهم يُفَكِّرون بالطريقة نفسها.

أرسل لي رَجُل يعيش في بريطانيا هذه الرسالة الإلكترونية:

"إذا أردت أن تُخَلِّص نفسك من الجحيم فاتبع الديانة الأكثر انتشاراً في العالم ..."

لو كان النمو السريع والأرقام الكبيرة يُبرهنان على الديانة الحقيقية، لكان نسل قايين والناس في زمن نوح وسُكَّان بابل مُحِقِّين أيضاً. لكنهم كانوا مُخطئين تماماً.

*"اُدْخُلُوا مِنَ الْبَاب الضَّيِّق، لأَنَّهُ **وَاسِعٌ** الْبَابُ **وَرَحْبٌ** الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلى الْهَلاَكِ، **وَكَثِيرُونَ** هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا **أَضْيَقَ** الْبَابَ **وَأَكْرَبَ** الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلى الْحَيَاةِ، **وَقَلِيلُونَ** هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ."* (إنجيل متَّى 7: 13–14)

خطَّة الله مُستمرة

ما إن نرجع إلى قصة العائلة الأولى حتى نَعرف ما حدث بعد أن قتل قايين أخاه هابيل.

*"وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأَتَهُ أَيْضًا، فَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسمهُ **شِيثًا**، قَائِلَةً: **'لأَنَّ اللهَ قَدْ وَضَعَ لِي نَسْلاً آخَرَ عِوَضًا عَنْ هَابِيلَ.'** لأَنَّ قَايِينَ كَانَ قَدْ قَتَلَهُ. وَلِشِيثَ أَيْضًا وُلِدَ ابْنٌ فَدَعَا اسمهُ أَنُوشَ. حِينَئِذٍ ابْتُدِئَ أَنْ **يُدْعَى بِاسمِ الرَّبِّ**".* (سِفْر التكوين 4: 25–26)

لا يُمكن تعطيل شوق الله وخطته في اقتناء شعب يؤمن به. كان اسم "شيث" يَعني "بَديل". لهذا، فهمت حَوَّاء أن الله أعطاها "نسلاً آخر" عوضاً عن هابيل الذي قتله قايين. وهكذا، سوف يولد نسل المرأة من نسل شيث.

وكانت مريم العذراء (التي أصبحت أم يسوع) من نسل شيث. كما أنها كانت من نسل إبراهيم وداود – تماماً كما وعد الله.

وعلى الرغم من محاولات الشيطان الجاهدة لإفشال خِطَّة الله، إلاَّ أن هذه الخطَّة التي وضعها الرب الإله *"قبل تأسيس العالم"* استمرَّت ولم يتمكن أحد من إعاقتها.

اسم الرَّب

وثق شيث بالله وبطريقة غفرانه مثلما فعل أخوه هابيل *"فَابْتُدِئَ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ"* (سِفْر التكوين 4: 26). ورغم أنَّ العالم امتلأ – على مَرِّ العُصور – بأشخاص حاولوا أن يَصنعوا لأنفسهم اسماً كما فعل شعب بابل، فقد امتلأ أيضاً بأناس آمنوا بالرب ودعوا باسمه مثلما فعل هابيل وشيث.

يقول لي بعض أصدقائي إن لله مئة اسم، لكنهم لا يعرفون سوى تسعة وتسعين اسماً. فهل من المُحتمل أن يكون معنى الاسم الضائع هو: "الرَّبُّ يُخَلِّص"؟ وما هو هذا الاسم؟

إنه ***"يسوع"***.

إنَّ عدم الإيمان بهذا الاسم وبما فعله يعني عدم الخضوع لله. لنستمع إلى صلاة الرسول بولُس من أجل اليهود المُتمردين المُتديِّنين:

> "أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلِبَتِي إِلَى اللهِ لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْخَلاَصِ. لأَنِّي أَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّ لَهُمْ **غَيْرَةً لِلهِ**، وَلكِنْ **لَيْسَ حَسَبَ الْمَعْرِفَةِ**. لأَنَّهُمْ إِذْ كَانُوا **يَجْهَلُونَ بِرَّ اللهِ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ يُثْبِتُوا بِرَّ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يُخْضَعُوا لِبِرِّ اللهِ**. لأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ. ... لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ **بِالرَّبِّ يَسُوعَ**، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ

أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ لأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ: 'كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ **بِهِ** لاَ يُخْزَى.' لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ، لأَنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ، غَنِيًّا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ **بِهِ**. لأَنَّ '**كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسم الرَّبِّ يَخْلُصُ**.'" (رسالة رومية 10: 1-4، 9، 11-13 [يوئيل 2: 32])

عديم القيمة أَم عظيم القيمة؟

لنفترض أنني سأُحَرِّر شيكاً بقيمة مليون دولار. سوف يبدو الشيك رائعاً، لكنه عديم القيمة. لماذا؟ لأني لا أملك هذا المال في حسابي المصرفي. لكن ماذا لو حَرَّر لك أغنى رجل في العالم شيكاً بقيمة مليون دولار؟ لن تكون هناك أية مشكلة لأنه سيكون بإمكانك أن تصرفه وأن تقبض قيمته بالكامل. وهكذا، فإن المصرف الذي رفض الشيك الذي يحمل اسمي سيحترم الشيك الذي يحمل اسم الرجل الغني.

يَمتلئ عالمنا بأشخاص يحاولون التقرب إلى الله من خلال أسماء كثيرة، غير أن هذه الأسماء في نظر الله القدوس الذي أرسل ابنه ليُسَدِّد أُجْرَة الخطية هي أسماء عديمة القيمة لأن الخطية تُلَطِّخها. وهكذا، كما أنَّ المصرف لن يصرف شيكاً بقيمة مليون دولار باسمي، فإن الله لن يمنح غُفرانه والحياة الأبدية من خلال أي اسم غير **يسوع**.

*"وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ **لَيْسَ اسم آخَرُ** تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ."* (أعمال الرُّسُل 4: 12)

هل تريد أن يُمحى دَيْن خطيَّتك من سِجِلاَّت الله وأن تتمتَّع بغنى برِّه؟ وهل تريد أن تنتصر على لعنة الخطية وأن تتمتَّع بعلاقة وثيقة مع خالقك في هذه الحياة والحياة الأبديَّة؟ إذاً، لن يَنْفَعُكَ إلاَّ اسم واحد:

*"وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو **بِاسم الرَّبِّ** يَنْجُو."* (سِفْر يوئيل 2: 32)

*"آمِنْ **بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ** فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ."* (أعمال الرُّسُل 16: 31)

هل تؤمن بقلبك أن الرب يسوع المسيح تألم ومات ثُمَّ قام ليمحو أُجْرَة خطيتك؟ إذا كنت تؤمن فسوف *"تَخْلُص"*.

ديانَتان لا ثالثَ لهما

قُلنا في بداية هذه الرحلة إن عالمنا اليوم يَضُمُّ أكثر من عشرة آلاف ديانة. لكن في حقيقة الأمر أنَّ هناك ديانتين فقط:

- هُناك طريقة البشر التي تقول بأنك قادر على **تخليص نفسك**.
- وهُناك خطة الله التي تقول بأنك **تحتاج إلى مُخَلِّص**.

وطالما أنك تحاول أن تُخَلِّص نفسك بنفسك، فيمكنك أن تلجأ إلى أي ديانة وأي اسم. لكن حال إدراكك بأنك بحاجة إلى مُخَلِّص، لن يفي بالغرض إلا اسم واحد ألا وهو: يَسوع.

*"لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ **بِاسْمِهِ** غُفْرَانَ الْخَطَايَا."* (أعمال الرُّسُل 10: 43)

الجُزء الثَّالث
نـهاية الرِّحلة

إبطال اللَّعنة

27- المرحلة الأولى: برنامج الله السابق
28- المرحلة الثانية: برنامج الله الحاضر
29- المرحلة الثالثة: برنامج الله المُستقبلي
30- نَظْرَة إلى الفردوس

27
المَرحلة الأولى:
بَرنامج الله السَّابق

*"الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ **الْيَوْمَ** تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ!"*
– الربُّ يسوع (إنجيل لوقا 23: 43)

منذ بضع دقائق أوشكت بطارية حاسوبي المَحمول على الموت، لكنها تتغذى الآن بطاقة جديدة. تُرى، كيف أُبْطِل موتها؟ لقد أوصلتها بالتيار الكهربائي. وسواء كانت هذه بطارية حاسوب مَحمول أو هاتف خلوي أو أي جهاز آخر يعمل بالبطارية القابلة للشحن، فإنها تموت باستمرار (تفقد شحنتها) وتحتاج لإمدادها بالحياة من جديد عن طريق تزويدها بالطاقة الكهربائية.

إنَّ نسل آدم يُشبه هذه البطاريات إلى حَدٍّ ما. فقد بدأنا نموت منذ اليوم الذي تَشَكَّلْنا فيه، وكان من المستحيل إبطال لعنة الخطية.

وفيما نحن نقترب من نهاية رحلتنا، أوَدُّ أن أحكي لك قصة رَجُل فرنسي عاش تائهاً في حياته وبدا مستقبله يائساً كبطارية توشك شحنتها على النفاد.

البائِس

التقيت ببرونو البالغ من العُمر 26 عاماً في شهر آذار/مارس سنة 1987. كان هذا الرَّجُل قد بدأ مُنذ بضع سنوات بالتفكير في مَغْزى الحياة. كان يَشْعُر بالفراغ في داخله؛ فراغ لم تتمكَّن نشأته المُتدينة ولا مَلَذَّات العالم أن تَملأه.

لاحَظ برونو أثناء فترة صِباه أن الذين علَّموه عن الله لم يكونوا يُطَبِّقون ما يَعِظون به. وكمُراهق مُتمرِّد، لاحظ أن العالم مليء بالظُّلم. وعندما بلغ الثامنة عشرة من عُمره، أصبح هدف برونو الوحيد في

الحياة هو أن يَخرج مع أصدقائه في نهاية كل أسبوع لتناول المشروبات الكحولية ونسيان بؤسه. وتضاعف بؤسه عندما ماتت حبيبته في حادث سَيَّارة. وعندها، أصبح برونو غاضباً من الله.

قَرَّر برونو أن يُسافر إلى الهند لعَلَّه يجد مَعْنَىً لحياته في دياناتها المُتعدِّدة. وبعد رِحْلَة بَرِيَّة مُضْنِيَة وصل إلى إحدى مُدن الهند المكتظَّة بالسكان حيث رأى الحماسة الدينية والبؤس الإنساني الذي يَصْعُب وصفه. وقد عَبَّر برونو عن ذلك بقوله: "رأيت أشخاص يُعانون من التعاسة أكثر مني على الرغم من دينهم وإيمانهم".

بعد حوالى سنة في الهند، استنتج برونو أن الله وحده يقدر أن يكشف له الحقيقة المُطلقة. وعندها، تَوَجَّه إلى خالقه بصلاة بسيطة: "إذا كنت موجوداً حقاً فأعلن ذاتك لي!"

ذات يوم، وفيما كان برونو يمشي في شوارع كالكوتَّا، رأى دُكَّاناً كُتبت على يافطته الكلمات التالية: "بيت الكتاب المقدَّس". فدخل الدُكَّان بطريقة عفوية وسأل الرَّجُل قائلاً: "هل أجد لديكم كتاباً مُقدَّساً باللغة الفرنسيَّة؟" وكانت لديهم نُسخة فرنسيَّة واحدة؛ فاشتراها وبدأ بقراءتها.

فاجأته أمور كثيرة مثل الوَصِيَّتين الأولى والثانية من الوصايا العاشر التي يقول فيهما الله: *"لاَ يَكُنْ لَكَ **آلِهَةٌ أُخْرَى** أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا ... **لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ** وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ"* (سِفْر الخروج 20: 3-5). لكنه كان يرى من حوله معابد مليئة بتماثيل يأتي الناس ويسجدون أمامها. وفيما هو يُفَكِّر في الديانة التي نشأ عليها، أدرك أن المُتديِّنين يَتَعَدُّون على وصايا الله عندما يَركعون ويُصَلُّون أمام التماثيل بمُختلف صورها وأشكالها.

كذلك، تأثَّر برونو بهذه الآية: *"لاَ يَبْرَحْ **سِفْرُ** هذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ **تَلْهَجُ** [تتأمَّل] فِيهِ نَهَارًا وَلَيْلاً، لِكَيْ **تَتَحَفَّظَ** لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ. **لأَنَّكَ حِينَئِذٍ تُصْلِحُ طَرِيقَكَ وَحِينَئِذٍ تُفْلِحُ"*** (سِفْر يشوع 1: 8).

اقتنع برونو أن الحقيقة التي يبحث عنها موجودة في الكتاب القدَّس دون سِواه فترك الهند وعاد إلى فرنسا. لكن بدلاً من الاستمرار في قراءة الكتاب المقدَّس، وضعه على الرَّف وعاد إلى العمل والسَّهَر وطريقة العيش التي لم تُسَبِّب له إلاَّ المَرارة وفراغ القلب.

مَرَّت أربع سنوات. وذات يوم، كان برونو يُفَكِّر في بُطْل وجوده، فتذكَّر آية قرأها في الكتاب المقدَّس يقول فيها الله: *"تَطْلُبُونَنِي **فَتَجِدُونَنِي** إِذْ تَطْلُبُونَنِي **بِكُلِّ قَلْبِكُمْ**"* (سِفْر إرميا 29: 13). حينئذٍ، صلَّى برونو قائلاً: "حسناً يا الله، سوف أطلبك من كل قلبي لأرى ما إذا كان وعدك صادقاً أَم لا".

قَرَّر برونو أن يذهب في رحلة أخرى – إلى إفريقيا هذه المَرَّة – لكي يبتعد عن مشغولياته والتأثيرات السلبيَّة. وأثناء سفره بَرَّاً قرأ في الكتاب المقدَّس وصلَّى قائلاً: "يا الله، قُدْني إلى حَقِّك واحفظني من الأفكار الخاطئة". بعد عبور الصحراء الكُبرى وصل إلى جنوب السنغال وأمضى ليلته الأولى في المدينة التى كنت أعيش فيها مع عائلتي. وفي صباح اليوم التالي، ذهب برونو في نزهة في المدينة فلفتت نظره – كما في كالكوتَّا – يافطة كُتب عليها: "اسْمَعُوا، لأنَّ الرَّبَّ الإِلَهَ قَدْ تَكَلَّمَ!"

دخل برونو إلى مكتبي فرأيت رَجُلاً مُلتحياً يحمل بيده كتاباً صغيراً أزرق اللون – إنه الكتاب المقدَّس الذي ابتاعه من الهند. ما زلت أذْكُر سؤاله الأول: "هل أنت كاثوليكي أَم إنجيلي؟" أجبت: "أنا مَسيحيٌّ تابعٌ للمسيح". تفاجأ برونو وفرح بهذه الإجابة. فهو لم يقرأ في الكتاب المقدَّس عن أية طوائف، بل قرأ عن المسيحيِّين؛ أي عن المؤمنين بيسوع المسيح. وقد قال لي برونو لاحقاً: "لو قُلت لي إنك كاثوليكي أو إنجيلي لَعُدْت أدراجي". فقد أتعبته الديانات وكان يبحث عن الحقيقة.

في الأيام التي أعقبت ذلك، طرح عَلَيَّ برونو كَمَّاً هائلاً من الأسئلة وكُنت أُجيبه من الكتاب المقدَّس. وفي ليلة رحيله (إلى جنوب إفريقيا)، وضعت أمامه التحدِّي التالي: "اقرأ كتابك المقدَّس من جديد وابحث عن ما فعله الله من أجلك".

بعد ستة أسابيع، تلقيت رسالة من برونو قال فيها إنه استأجر غرفة في قرية يعمل غالبية أهلها في صيد السَّمك، وأنه انتهى من قراءة الكتاب المقدَّس بأكمله ومن المُقارنة بين العهدين القديم والجديد". وأضاف أنه رأى المسيح في الكتاب المقدَّس كله.

كما أنه قال بالحرف الواحد: "في ليلة كنت فيها وحدي، دَوَّى وَعْد يسوع في قلبي قائلاً: *'تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، **وَأَنَا أُرِيحُكُمْ**'* (إنجيل متَّى 11 : 28). وعندها رُحت أفكِّر في حياتي، ومواضِع فشلي، ومَرارتي، وندمي؛ وإذ بقلبي يَتخبَّط في صراع رهيب. فقد كنت أُدرك أنني إذا أردت أن أتبع المسيح، فلن أكون حُرَّاً في إشباع رغباتي وشهواتي. وأخيراً، استسلمت. وعندها فقط فتح الله عينيَّ وآمنت أن المسيح سَفَك دمه من أجلي على الصليب وقام من أجلي أيضاً. كما أنَّ سَلام الله ملأ كياني فأخذت أبكي دون توقُّف. لقد زال حِمْل الخطية الثقيل!" وأضاف برونو: "لقد وُلِدْتُ من جديد!"

وَجَد برونو ما كان يبحث عنه: قلباً وضميراً طاهرين، وعلاقة وثيقة مع خالقه، وحياة أبدية. لقد فهم الآن الهدف من وجوده على هذه الأرض وتوقَّف عن البحث.

يقول الكتاب المقدَّس:

*"إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ **فِي الْمَسِيحِ** فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: **الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا**."* (رسالة كورنثوس الثانية 5: 17).

بدأت حياة برونو تَتَغَيَّر على الفور في الأمور الصغيرة والكبيرة على حَدٍّ سَواء. فعلى سبيل المثال، قام الرب بتحريره من عادة التدخين التي كان قد بدأها في الحادية عشرة من عُمره. كما أنَّ حياة الأنانية المليئة بالسُّكر والشهوات الرديئة أصبحت ذكرى مُحزنة من الماضي. علاوة على ذلك، فقد فهم الكتاب المقدَّس وتحوَّلت الصلاة إلى شيء دائم ومستمر في حياته مثل التنفُّس.

وعوضاً عن الرجوع إلى بلده، بقي برونو ستة أشهر في السنغال يدرس الكتاب المقدَّس، ويمضي الوقت مع المؤمنين المسيحيِّين، ويُخبر الآخرين عن ما فعله الله من أجله. لقد تَحَوَّل إلى خليقة جديدة.

مَرَّ عشرون عاماً على لقائي الأول ببرونو، لكننا ما زلنا على اتصال. والآن، يعيش "برونو الجديد" وزوجته في فرنسا كتابعين للمسيح. وهُما يُرَبِّيان أبناءهما الأربعة في معرفة الرب وبركته. هل

يعني هذا أن حياة برونو خالية من الأحزان والصراعات والألم؟ كلا، بل إنه يواجه هو وعائلته الكثير من التجارب والاختبارات؛ لكنهم ليسوا وحدهم، بل الله نفسه معهم.

برنامج الله بمراحله الثلاث

رُبَّما يقول أحدهم: "لحظة من فضلك! إذا كان المسيح قد هزم الشيطان والخطية والموت من أجلنا، فلماذا يعيش المؤمنون في صراع مستمر؟ ولماذا يمتلئ عالمنا بالشرور والمشاكل؟ أين هو التحرير الموعود والكمال المُرْتَقَب؟"

تَكْمُن الإجابة في أن برنامج الله الأزلي للتدخُّل في تاريخ البشرية يشتمل على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: سوف يقوم الله بتحرير شعبه من **أُجْرَة** الخطية.
المرحلة الثانية: سوف يقوم الله بتحرير شعبه من **سُلطان** الخطية.
المرحلة الثالثة: سوف يقوم الله بتحرير شعبه من **وجود** الخطية.[232]

والآية التالية المُقتبسة من العهد الجديد تُلَخِّص برنامج الله بمراحله الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل:

*"الَّذِي **نَجَّانَا** مِنْ مَوْتٍ مِثْلِ هذَا* [المرحلة 1]، *وَهُوَ **يُنَجِّي*** [المرحلة 2]. *الَّذِي لَنَا رَجَاءٌ فِيهِ أَنَّهُ سَيُنَجِّي أَيْضًا فِيمَا بَعْدُ* [المرحلة 3]." (رسالة كورنثوس الثانية 1: 10)

وسوف نُرَكِّز في الأجزاء الباقية من رحلتنا عبر الكتاب المقدَّس على برنامج الله الثلاثي المراحل والذي سيقوم الله من خلاله بإبطال مفعول الشيطان والخطية والموت. وسوف يكون الجزء الأخير من رحلتنا رائعاً جداً حيث سنُلقي نظرة خاطفة على الفردوس نفسه.

إبْطال اللَّعنة: المرحلة الأولى

عندما أصغى آدم وحوَّاء إلى الشيطان، دَمَّرا صداقتهما مع خالقهما ومالكهما، وجلبا لعنة الخطية على نفسيهما وعلى نسلهما. وفجأة تحوَّل العالم الكامل إلى مكان سَعى فيه الناس إلى الاختباء من الله لكي

يسلكوا في طرقهم الخاصة. وعندها، أصبحت الحياة تَتَّسِم بالحزن، والألم، والمرض، والتشوُّه، والفقر، والجوع، والتعب، والشيخوخة، والموت.

لقد جلبت الخطية لعنة. لكن في الوقت المُعَيَّن، جاء ابن الله الأزلي من السماء إلى الأرض بصفته نسل المرأة لكي يُخلِّص نسل آدم من الشيطان والخطية والموت – تماماً كما وعد الله.

> *"**اَللهُ**، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق كَثِيرَةٍ، **كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ**، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، **بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي**"* (الرِّسالة إلى العبرانيِّين 1: 1–3).

لم يكن يسوع مُلَطَّخاً بالخطية، بل أظهر سُلطانه الكامل على كافة عناصر الخليقة الملعونة بسبب الخطية. فبكلمة من فمه أو بلمسة من يده كان يجعل الأرواح الشريرة ترحل، والعمي يبصرون، والبرص يَطْهُرون، والموتى يقومون. كما أنه مشى على الماء، وهَدَّأ العاصفة، وضاعف الخبز لإطعام الجياع، وغفر الخطايا، وملأ القلوب المجروحة بالسلام. ثم قام بما جاء للقيام به. فقد تألم ومات وقام ليُمَجِّد أباه، ويُكَمِّل الكُتُب، ويَفدي كل مَنْ يؤمن به.

> *"**اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا**، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: 'مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ.' لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ"* (رسالة غلاطيَّة 3: 13–14 [سِفْر التثنية 21: 23]).

نِعْمَة مُذْهِلَة

جاء المسيح – الذي طَبَّق شريعة الله الآب تطبيقاً تامَّاً وكاملاً – ليفدي الذين خَرَقوا هذه الشريعة *"مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ* [الذي يتطلَّب طاعة تامَّة]، *إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا!"* وبهذا، احتمل يسوع طَوْعاً العقاب الذي نستحقه نحن لكي يُنقذنا من العقاب الأبدي.

وحتى عندما كان الرب يسوع يتألَّم على الصليب، أظهر عَزْمَه على إبطال لعنة الخطية. لقد صُلب يسوع بين مُجْرِمَيْن صَدَر بحقِّهما حُكْم الإعدام بسبب الخيانة والسرقة والقتل. ولنستمع مَرَّة أخرى إلى الحديث الذي دار بين الرب يسوع وهذين الخاطئين. في البداية، سخر كلاهما من يسوع ثُمَّ تاب أحدهما:

"وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُذْنِبَيْنِ الْمُعَلَّقَيْنِ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ قَائِلاً: 'إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا!' فَأَجَابَ الآخَرُ وَانْتَهَرَهُ قَائِلاً: 'أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟ أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ.' ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: 'اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ.' فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: 'الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ'." (إنجيل لوقا 23: 39-43)

كان هذان المجرمان على وشك الموت والذهاب إلى الجحيم. وفي تلك الساعات الأخيرة، اعترف أحدهما بخطاياه أمام الله ووضع ثقته في المُخَلِّص الخالي من الخطية الذي كان مَصلوباً في الوسط. وعندها، أعطاه يسوع هذا الوعد الثمين:

"إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ."

وهكذا، بدلاً من قضاء الأبدية في الجحيم الذي أعَدَّه الله لإبليس وأعوانه الساقطين، سوف يَقضيها هذا المجرم الذي غفرت خطاياه في حضرة خالقه وفاديه. فيا له من تغيير كامل!

فعلى أساس ثقته بحَمَل الله الذي كان في تلك اللحظات يَسْفُك دمه ليُسَدِّد أُجرة الخطية، مَحا الله خطايا هذا الخاطئ من سجلاته، ومنحه بِرَّ يسوع، وكتب اسمه في سِفْر حياة الخروف – الكتاب الذي يَحوي أسماء كل الذين نالوا من خلال إيمانهم غُفران الله وبِرَّه بالإضافة إلى الحياة الأبدية.

وهكذا، فقد أُبْطِلَت لعنة الخطية إلى الأبد في ما يتعلَّق بهذا الخاطئ الذي كان عاجزاً عن تخليص نفسه.

هل يُمكن مُسامحة القَتَلَة؟

وصلتني هذه الرسالة الإلكترونية من أحد الأشخاص:

> أودُّ أن أعرف كيف تُفَسِّر كلمة "عَدْل" في ضوء القول بأن يسوع (عليه السَّلام) مات بدلاً عنَّا لكي يغفر خطايانا. هل يعني هذا أنني لن أُحاسَب على جميع الأخطاء التي اقترفتها في حياتي؟ إذاً، القاتل الذي هرب من العدالة في هذه الحياة سَيُطلق سراحه في الحياة الآخرة لأن يسوع دفع أُجرة خطاياه ... إنني أجد صعوبة كبيرة في قبول هذا الرأي ... أتمنَّى أن نهتدي جميعنا إلى الطريق الصحيح!

هل يتوافق موت يسوع على الصليب بدلاً من الخطاة مع مفهوم "العَدالة"؟ وهل يُمكن لله أن يُسامح القاتل؟ سوف نبدأ بالإجابة عن السؤال الأخير من خلال بعض الشهادات التي شهد بها قَتَلَة نالوا الغُفران وتغيَّرت حياتهم.

أَكَلَة لُحوم البَشَر

في كتابه *"أرباب الأرض"*، يتحدث المترجم وعالم الإنسان "دون ريتشاردسون" عن شعب "يالي"؛ وَهُم شعب مُتوحِّش يأكلون لحوم البشر ويَقطنون جبال "إيريان جايا" في إندونيسيا. اعتاد هؤلاء – لقرون طويلة – مُمارسة كافة وسائل التعذيب والقتل وأكل لحوم الأعداء من القُرى المجاورة. وهكذا، كان الانتقام والخوف هو الطابع الاعتيادي لحياتهم اليومية.

ثم وصلت كلمة الإنجيل إليهم. فقد سمع شعب "يالي" والقبائل المجاورة خبر الله السَّار عن غفران الخطية والحياة الجديدة في المسيح. آمن كثيرون منهم فتغيَّرت حياتهم وطريقة تفكيرهم، وأصبحوا يُطَبِّقون مقياساً جديداً في حياتهم بصفتهم أولاداً لله، ولم يعودوا أعداءً يَكرهون بعضهم بعضاً، بل إخوة. ولتسهيل الصداقة مع أعدائهم السابقين، شَقُّوا طُرُقاً جديدة تَصِل قرى شعب "يالي" بعضها ببعض.[233]

والآن، بعد أن أحدث روح الله تغييراً جذرياً في قلوب هؤلاء القَتَلَة السابقين، أصبحوا يُظهرون الرَّحمة تجاه من يحاول أن يؤذيهم لأنَّ كلمة الله تُعَلِّمهم: *"كُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ"* (رسالة أفسُس 4: 32).

فتاة يائسة

نشأت "إيما" في بيت إسلامي مُتَشَدِّد في سنغافورة. ونظراً لطلاق والديها وحياتها العائلية المضطربة قرَّرت أن تَنتحر عن طريق القفز من شُرفة شقتها الواقعة في الطابق العاشر. لكن قبل أن تُنَفِّذ خطتها، صرخت بغضب ويأس إلى الله الذي لم تَكُنْ تعرفه وقالت: "إذا كنت موجوداً حقاً فاعْلِمْني بذلك بطريقة ما!" وأثناء صعودها دَرَج البناية، رأت كتاباً مُقدَّساً على إحدى الدرجات! فالتقطته وعادت مُسرعة إلى غرفتها. وحين فتحته وقعت عيناها على هذه الكلمات:

> *"**الرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ.** فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي. **يَرُدُّ نَفْسِي.** يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ. أَيْضًا إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرًّا، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي. تُرَتِّبُ قُدَّامِي مَائِدَةً تُجَاهَ مُضَايِقِيَّ. مَسَحْتَ بِالدُّهْنِ رَأْسِي. كَأْسِي رَيَّا. **إِنَّمَا خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ يَتْبَعَانِنِي كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، وَأَسْكُنُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ إِلَى مَدَى الأَيَّامِ.**"* (المزمور 23)

بعد أن قرأت "إيما" هذا المزمور، شعرت بأن حُضور الله ومحبته يملآن كيانها. وبعد فترة قصيرة، وضعت ثقتها في الرب يسوع الذي قال: *"**أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ.**"* (إنجيل يوحنَّا 10: 11)

وهكذا، أصبحت إيما أحد خرافه، ولم تَعُد راغبة في الانتحار؛ بل أصبحت زوجة وأماً لخمسة أبناء. وصار شغفها هو مساعدة الناس على العثور على ما وجدته في المسيح: محبة الله المُتدفِّقة.

وفي وسط الضغوط والتحديات التي تواجه المرأة في العالم، تستمد إيما قوتها وفرحها كل يوم من محبة المسيح واهتمامه العجيبين.

رَجُل عَنيف

أخيراً، لنتأمَّل في شخصيَّة "شَاول الطَرْسُوسِيّ" – ذلك المُتَدَيِّن الغيور الذي كان يقتل الناس باسم الله في القرن الميلادي الأول. وُلد شاول في زمن المسيح في طرسوس بآسيا الصغرى (تُركيا اليوم)، لكنه لم يؤمن بأن يسوع هو المسيح ابن الله. وبعد قيامة يسوع وصُعوده إلى السماء بوقت قصير، أوكلت المحكمة اليهودية العُليا لشاول مهمَّة اعتقال جميع أتباع يسوع ومُحاكمتهم وإعدامهم. ظَنَّ شاول أنه يخدم الله من خلال اعتقال وجَلْد وإعدام اليهود الذين آمنوا بيسوع.[234] لكن إليك ما حدث في أحد الأيام أثناء انطلاق شاول مع رجاله في مهمَّة أخرى لإلقاء القبض على مجموعة من اليهود الذين آمنوا بالمسيح:

"وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلاً لَهُ: 'شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا ***تَضْطَهِدُنِي؟*** *' فَقَالَ: 'مَنْ أَنْتَ يَا* ***سَيِّدُ؟*** *' فَقَالَ الرَّبُّ: 'أَنَا* ***يَسُوعُ*** *الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ.' فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: 'يَارَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟' فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: 'قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ'."* (أعمال الرُّسُل 9: 3–6)

انقلبت نظرة شاول إلى ما فعله يسوع إلى النقيض تماماً. فبصفته مُعَلِّماً للعهد القديم، فهم شاول فجأة أن يسوع هو المسيح الذي كتب عنه الأنبياء. وعندها، تَحَوَّل عَدُوُّه الأكبر إلى صَديقه الأعظم.[235] وقد شهد شاول (الذي غَيَّر اسمه لاحقاً إلى "بولس" [ومَعناه: الصغير]) قائلاً:

"أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلاً ***مُجَدِّفًا وَمُضْطَهِدًا وَمُفْتَرِيًا.*** *وَلكِنَّنِي رُحِمْتُ، لأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ إِيمَانٍ. وَتَفَاضَلَتْ نِعْمَةُ رَبِّنَا جِدًّا مَعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحَقَّةٌ كُلَّ قُبُولٍ: أَنَّ* ***الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوَّلُهُمْ أَنَا.***"* (رسالة تيموثاوس الأولى 1: 13–15)

اختصاص المسيح

هل يُمكن لله أن يُسامح القَتَلَة ويُغيِّرهم؟ هذا هو ما حدث مع آكلي لحوم البشر، وإيما، وشاول الطرسوسي. وهذا هو ما حدث أيضاً لِلِّصِّ التائب الذي صُلب إلى جانب يسوع. وهذا هو ما يحدث كل

يوم للخطاة حول العالم – داخل السجون وخارجها – عندما يؤمنون برسالة الله. فاختصاص المسيح هو فداء وتغيير قلوب أسوأ و "أفضل" الخُطاة. فهذه هي رحمة الله ونعمته.

لكن من المؤكد أن للخطية عواقب. فالمُجرم المصلوب تألَّم نتيجة جرائمه التي اقترفها، ولم يَختبر في حياته معنى السلام والفرح اللذين ينبعان من معرفة الله، والعيش لأجله، ومساعدة الآخرين على معرفته هُمْ أيضاً.

غير أن الطريقة التي تُغفر بها خطايا الخاطئ وتجعله باراً أمام الله هي نفسها دائماً: أن يَعترف بأنه خاطئ ويؤمن بخطة الله للخلاص. أمَّا عدم الإيمان بالرب يسوع فيعني الهلاك مع المُجرم غير التائب على الصليب.

الرَّحمة والعَدالة معاً

اقتبسنا قبل قليل بعض الأجزاء من رسالة إلكترونية قال فيها كاتبها: "كيف تُفَسِّر كلمة ***'عَدْل'*** في ضوء القول بأن يسوع مات بدلاً عنَّا لكي يغفر خطايانا"؟ وكان أحمد قد أثار نفس السؤال سابقاً حين قال:

> ألا يقدر الله بكل عظمته أن يُخْبِر الناس بما يريد وأن يَغفر لهم خطاياهم دون الحاجة لصلب ابنه الوحيد وتعذيبه؟؟؟!

كما رأينا سابقاً، فإن الله عظيم في عدالته وأمانته بحيث لا يمكنه "إلغاء" خطايا الناس إلا بعد محاكمتها ومُعاقبتها. هل تَذْكُر المثال التوضيحي في الفصل 13 عن القاضي الذي منح رحمته دون أن تأخذ العدالة مجراها؟ لقد استنكر الناس في المحكمة تَصَرُّفه هذا.

لكِنَّ الله ليس مثل ذلك القاضي غريب الأطوار لأنه لا تَشوب طبيعته وسُمعته شائبة. كما أنه لا يمنح رحمته على حساب عدله. لذلك، فقد أرسل ابنه إلى الأرض بدافع محبته العظيمة ليموت على الصليب ويُظهر هناك رحمة الله وحقه في تَناغُم تام.

*"**الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا**. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا. الْحَقُّ مِنَ الأَرْضِ يَنْبُتُ، وَالْبِرُّ مِنَ السَّمَاءِ يَطَّلِعُ."* (المزمور 85: 10-11)

ولأنَّ يسوع تَحَمَّل غضب الله بدلاً عَنَّا، فإن الله يَنْظُر من السماء ويُقَدِّم لنا عطايا الغفران والكمال والحياة الأبدية. وحين أخذ يسوع مكاننا، برهن على عدل الله ورحمته ونعمته. وكما سبق ورأينا:

العَدْل هو نوال ما نستحقه (القصاص الأبدي).
الرَّحْمَة هي عدم نوال ما نستحقه (لا قصاص).
النِّعْمَة هي نوال ما لا نستحقه (الحياة الأبدية).

فكل من يؤمن بالمسيح يَحْصُل على ما لا يستحقه أي إنسان: التطهير من الخطية، وبِرّ المسيح، ومكاناً في عائلة الله، وحياة أبدية. وكل من يَرْفُض المسيح، ينال ما يَستحقه الجميع: العقاب الأبدي.

قبل مجيء المسيح بسبعة قرون، كتب النبي ميخا: *"يَضْرِبُونَ قَاضِيَ إِسْرَائِيلَ"* (ميخا 5: 1). فَكِّر في الأمر! فقد أخذ دَيَّان الأرض كلها جسداً بشرياً ليموت على أيدي الخُطاة الجاحدين الذين جاء لتخليصهم. وهذا هو أسمى أشكال الرحمة والعدالة والنعمة!

*"**لأَنَّ الْمَسِيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ، مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ.** فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارّ. رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ. وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا."* (رسالة رومية 5: 6-8)

البارُّ والمُبَرِّر

في المرحلة الأولى من خطته، أوجد الله طريقة لغُفران خطايا الخُطاة دون أن يتنازل عن مَعاييره الكاملة: *"لِيَكُونَ **بَارًّا وَيُبَرِّرَ** مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ"* (رسالة رومية 3: 26). فالله بارٌّ لأنه عاقب الخطية بالعقاب المُناسب. والله هو المُبَرِّر لكل من يؤمن بالمُخَلِّص الذي أرسله؟ لذلك، في اللحظة التي أتوقف فيها عن الاتكال على جهودي وأضع ثقتي بالمسيح وبموته وقيامته من أجلي، فسوف يَختم الديَّان العادل على سِجِلِّي الكلمة التالية:

مُبَرَّر!

وأن تكون مُبَرَّراً يعني أن يُعلن الله براءتك ويُطَهِّر سِجِلَّك. لكن كيف يُمكنه أن يقوم بذلك؟ يُمكنه القيام بذلك لأنه دفع أُجْرَة خطيَّتي على الصليب. فعندما أخطأ آدم، أعلن الله أن كل الجنس البشري خاطئ. لكن حيث أنَّ يسوع مات وقام من الموت، فقد أعلن الله بِرَّ كل من يؤمن به.

"لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ ***جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً،*** *هكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ* ***سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا."*** (رسالة رومية 5: 19)

فكما أن خطية آدم أنتجت نجاسةً وموتاً، فإن موت المسيح وقيامته أنْتَجَا تَطهيراً وحياة.

"كَمَا ***فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ،*** *هكَذَا* ***فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ"*** (رسالة كورنثوس الأولى 15: 22).

وهكذا، عندما يَنْظُر القاضي البار من السماء، فهل يراك في آدم ونجاسته؟ أَمْ في المسيح وبِرِّه الكامل؟ إنَّ مَحكمة السماء لا تَعرف خياراً ثالثاً.

مأزق مزدوج

يُخبرنا الأصحاح الثالث من سِفْر التكوين أن آدم وحوَّاء جَلَبا على نفسيهما مأزقاً مزدوجاً عندما عصيا الله: الخطيَّة والعَار.

الخطية قادتهما إلى الاختباء.
والعار دفعهما إلى تغطية عريهما.

رفض الله – بمُقتضى عدله – المآزِر التي صَنَعها آدم وحوَّاء من أوراق التين؛ لكنه – بمُقتضى رحمته – ألبسهما رِداءَيْن من جلود حيوانات ذُبِحَت. وفي حين أنَّ دماء الحيوانات رمزت إلى الترتيب الذي وضعه الله لإزالة خطيتهما، فإنَّ جلود الحيوانات رمزت إلى الترتيب الذي وضعه الله لتغطية عارهما.

ونحن نشترك في الخطيَّة والعار مع آبائنا. فنحن خطاة نجسون، وعراة روحياً أمام الله، ولا نستحق أن نسكن في محضره بسبب عارنا. لذلك، فنحن بحاجة إلى ***غفرانه وكماله***.

ويُمكننا أن نُلَخِّص مأزقنا المزدوج في سؤالين:
1- كيف يُمكننا أن نتطهَّر من الخطية التي تفصلنا عن خالقنا؟
2- كيف يُمكننا أن نَكْتَسي بالكمال لكي نسكن مع الله إلى الأبد؟

علاج الله المُزدوج

الله وحده لديه العلاج لخطية الإنسان وافتقاره للبر. فعندما سَفَك يسوع – ابن الله الخالي من الخطية – دمه على الصليب، حَمَلَ **القصاص** عَنَّا وأعطانا **برَّه** لكونه انتصر على الموت.

*"بَلْ مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا، الَّذِينَ سَيُحْسَبُ لَنَا، الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ. الَّذِي **أُسْلِمَ [للموت] مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا**."* (رسالة رومية 4: 24-25).

*"إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا وَلكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ ... لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ **بِرَّ اللهِ فِيهِ**"* (رسالة كورنثوس الثانية 5: 17-18، 21).

في اللحظة التي تَتَخَلَّى فيها عن ثقتك بنفسك وديانتك وتضع رجاءك في المسيح والدم الكامل الذي سَفَكَه من أجلك، فإنه:
1) يُطَهِّرُكَ من نجاسة الخطية.
2) يُغَطِّيك بِبِرِّه الكامل.

والله لا يُقَدِّم أي علاج آخر لعارنا وخطيتنا.

برنامج الله التبادُلي

أخذ الرب يسوع خطايانا وأعطانا بِرَّه من خلال موته وقيامته. وهذا هو برنامج الله التبادُلي العظيم: ***خطيَّتي مُقابل بِرَّه.***

هل يُمكن لأحد أن يَرفض عَرْضاً رائعاً كهذا؟

تقول الحقيقة المأساوية إن معظم الناس يَرفضون برنامج الله. رغم ذلك، ما زال عَرضه قائماً: كل من يَقبل هِبَة الخلاص يُحْسَب بارَّاً. وكل من يَرفضها سيدفع ثمن خطاياه لا في جحيم مؤقَّت؛ بل في الجحيم الأبدي المُعَد لإبليس وشياطينه.

يُصِرُّ الكثير من المُتديِّنين على أن كل إنسان سيدفع ثمن خطاياه. أجل، كل من يَرفض هِبَة الغفران والبِر سيدفع ثمن خطاياه. غير أنه لا يُمكن لأي شخص أن يُسَدِّد دَيْن الخطيَّة هذا لأنه دَيْن دائم. علاوة على ذلك، سوف يُمضي الخطاة أبديَّتهم وهُم يُسَدِّدون دَيْن خطاياهم في بُحيرة النار ولن يتمكنوا أبداً من اكتساب أي قَدْر من البِر الذي قد يُتيح لهم دخول الفردوس. لذلك، الله وحده هو القادر على غُفران خطايا الخُطاة العاجزين وإعطائهم البِر لكي يَحيوا معه.

قبل مجيء المُخَلِّص بسبعمئة سنة، كتب النبي إشعياء عن برنامج الله التبادُلي العظيم:

*"وَقَدْ صِرْنَا كُلُّنَا **كَنَجِس، وَكَثَوْبِ عِدَّةٍ** [كَثَوب قَذِر] **كُلُّ أَعْمَالِ بِرِّنَا**، وَقَدْ ذَبُلْنَا كَوَرَقَةٍ، وَآثَامُنَا كَرِيحٍ تَحْمِلُنَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، **وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا**. فَرَحًا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِإِلهِي ..."* (سِفْر إشعياء 64: 6؛ 53: 6؛ 61: 10).

أما زلت غير طاهر أمام الله؟ أَم أنك **تَطَهَّرت** بدم المسيح؟ هل تلبس ثَوباً بالياً من بِرِّك الخاص؟ أَم أنك **لبست** رداء بِر المسيح؟ وهذا كله يقودنا إلى سؤال واحد:

"مَنْ **صَدَّقَ** خَبَرَنَا." (سِفْر إشعياء 53: 1)

هل صَدَّقت خبر الله؟ هل تركت كافة الاحتمالات الأخرى لتعرف الحقيقة؟

"**لِكَيْ تَعْلَمُوا**"

تقول كلمة الله: *"كَتَبْتُ هذَا إِلَيْكُمْ، **أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ** بِاسم ابْنِ اللهِ، **لِكَيْ تَعْلَمُوا** أَنَّ لَكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلِكَيْ تُؤْمِنُوا بِاسم ابْنِ اللهِ."* (رسالة يوحنَّا الأولى 5: 13)

قبل بضع سنوات، تكلمت مع امرأة مُتديِّنة جداً عن هبة الله للحياة الأبدية. ورغم أنها قالت إنها مَسيحيَّة، لكنها لم تَكُن قد وثقت بعد بخطَّة الله للخلاص في المسيح. وعندما قلت لها: "أنا أعلم أنني ذاهب إلى السماء بعد موتي"، أجابت باستنكار: "أتظنُّ أنك صالح لدرجة أنك ستذهب فوراً إلى السماء؟" قلت: "لا، ليس لأنني صالح، بل لأن الله صالح، فهو الذي قال 'لِكَيْ **تَعْلَمُوا** أَنَّ لَكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً إذا آمنّا به وبما فعله من أجلنا. لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا'" (رسالة رومية 6: 23).

كيف عَلِمَ عَليٌّ؟

في الفصل الأول من هذا الكتاب، ذَكَرْتُ شخصاً اسمه "عَلي" رفضته عائلته بعد إيمانه برسالة الله. كان عَلي في السادسة والعشرين من العمر (مثل "برونو" تماماً) عندما التقيته للمَرَّة الأولى. وكان مُطَبِّقاً حقيقياً لواجباته الدينية حيث كان يُصَلِّي يومياً، ويصوم شهر رمضان كله، ويحاول أن يُعامل الناس بطريقة جيدة (خلافاً لبرونو الذي سعى وراء المَلَذَّات). غير أنه لم يَكُن يَشْعُر بالسَّلام في قلبه. فقد كان يَنهض من نومه في الليل ويُفَكِّر: "طالما أنني أدَّيت واجباتي الدينية، فلماذا أخاف من يوم الحساب؟ يا إلهي، هل من طريقة أعرف من خلالها إلى أين سأذهب بعد موتي؟"

طَرَح "عَليٌّ" السؤال التالي على أبيه ورجال الدِّين في قريته: "كيف يُمكنني أن أتأكد من أن الله سيُدخلني الجَنَّة؟" فأجابه الجميع قائلين: "لا يُمكنك أن تتأكَّد من ذلك. لا يُمكن لأي شخص أن يتأكد من مَصيره. الله أعلَم!" وهكذا، لم تَكُن إجابتهم مُقنعة لعَلِيٍّ.

تَعلَّم علي من القرآن أنَّ يسوع، ابن مريم، كان نبياً باراً وُلد من عذراء. كما تَعلَّم أيضاً أن يسوع كان صانع مُعجزات عظيم وحامل ألقاب كثيرة مثل "المسيح" و "كلمة الله" و "روح الله". وعندها فَكَّر قائلاً: "لَعَلَّ النبي عيسى (يسوع) يُساعدني على العثور على الجواب".

قَرَّر علي البحث عن كتاب يسوع. وبعد بضعة أسابيع التقينا فأعطيته كتاباً مُقَدَّساً بدأ بقراءته باهتمام كبير. وإليك ما اكتشفه علي بعد بحثه في الكتاب المقدَّس لمدة سنة تقريباً:

تَعلَّمت أن الأنبياء جميعهم أشاروا إلى يسوع. كما قرأت أنَّ يسوع قال: *"**أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ.** لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي ... اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي **فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ،** بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ"* (إنجيل يوحنَّا 14: 6، 5: 24).

لقد ساعدتني هذه الآيات وغيرها على فهم يسوع وقبوله بصفته المُخَلِّص الوحيد الذي سَفك دمه وقام من الموت لكي يُوَفِّر خَلاصاً حقيقياً للبشر. لهذا، فقد آمنت به وبأنه تألَّم ومات من أجل خطاياي.

وفي اللحظة التي آمنت فيها، شعرت بسلام داخلي لم أختبره مِنْ قَبل. يا له من تغيير! لم أعد أقلق حيال مصيري الأبدي لأنني أعلم أن الرب دَفَعَ الأجرة الكاملة عن جميع خطاياي التي جَلَبَت لي الدينونة. لهذا فأنا أعلم الآن أنني ذاهب إلى السماء – لا لأنني صالح، بل بفضل نعمة الله التي حصلت عليها بيسوع المسيح. ولهذا أيضاً فإنني أسعى لإرضاء الله في كل ما أفعله – لا لأشتري خلاصي، بل لأن الله خَلَّصني وغَيَّر قلبي".

أُبْطِلَت اللعنة في حياة عَلي. لهذا، فقد صاروا – هو وزوجته وأبناؤه – يَعرفون يقيناً إلى أين هُم ذاهبون بعد الموت والسبب الذي لأجله يعيشون على الأرض: لكي يَعرفوا ويُحِبُّوا ويَخدموا خالقهم وفاديهم، ولكي يقودوا آخرين إلى معرفته.

الموت: خادِم المؤمن

عندما جاء المسيح إلى الأرض، تَمَّم الجزء الأول من خِطَّة الله الثلاثية المَراحل لإبطال لعنة الخطية. فمن خلال حياته وموته ودفنه وقيامته، هَدَمَ يسوع جدار الخطية والموت الذي بدا وكأنه لا يُهْدَم. وقد استفاد مِنْ ذلك كل مَنْ قَبِلَ رسالة الله (كاللص التائب على الصليب، وأكلة لحوم البشر، وإيما، وشاول، وعلي، وبرونو).

ففيما يتعلَّق بالأشخاص الذين آمنوا بالمسيح، تَمَّ إنزال الموت – هذا الطاغية القاسي – إلى مَرتبة دُنيا حيث أصبح عمله يَقتصر على فتح باب السماء بأمر من الله. وكما يقول الكتاب المقدَّس: "**عَزِيزٌ** فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ **مَوْتُ** أَتْقِيَائِهِ."[236] (المزمور 116: 15). ومَن كان يتخيَّل أن يتم استخدام كلمة "عزيز" لوصف "الموت"؟ لكننا نَشْكُر الله لأنه جعل الموت عزيزاً لكل مَنْ يؤمن.

*"**أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟** أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟ ... وَلكِنْ شُكْرًا لِلهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ"* (رسالة كورنثوس الأولى 15: 55، 57).

لقد أُبْطِلَت لعنة الخطيَّة.

28
المرحلة الثانية:
بَرنامج الله الحَاضر

*"أَجْعَلُ شَرِيعَتِي **فِي دَاخِلِهِمْ***
*وَأَكْتُبُهَا **عَلَى قُلُوبِهِمْ**."*
– الربُّ (سِفْر إرميا 31: 33)

على الرغم من أن الكثيرين لا يُفَكِّرون في لعنة الخطية المُميتة، فَهُم يعيشون عبيداً لما يُمكننا أن نُسَمِّيه "لعنات الحياة اليومية". فمعظم الناس يعيشون في عالم من الخوف والمصائب والمرض والموت. ويقلق كثيرون حيال عدم امتلاك المال الكافي لشراء الطعام أو تسديد الديون. ويخاف البعض من الطالع السيِّئ أو السحر الأسود أو العين الشريرة فلا يُخبرون أحداً عن سعادتهم حتى لا تسمعهم الأرواح الشريرة وتقضي على الأوقات الحلوة في حياتهم. ولإبعاد الشر والنائبات، فإنهم يَربطون التميمات (التعويذات) على أنفسهم وأولادهم ويُعلِّقونها في بيوتهم. كما يشرب العديدون جُرعات سِحريَّة ويُرَدِّدون عبارات مُعَيَّنة يعتقدون أنها تحميهم.[237]

أما الذين يعرفون خالقهم وفاديهم ويثقون به فلا يحتاجون إلى إجراءات احتياطية كهذه، فهو أعظم من كل قوى الشر الخيالية والحقيقية. فلا يَجْدُر بالمؤمن أن يخاف من شيء لأن الرب يسوع يملك سُلطاناً مُطلقاً على كل قوة بما فيها الموت نفسه.

لقد جاء يسوع ودفع أُجْرَة خطايانا لكي يُبْطِل لعنة الخطية التي تؤثِّر على مصيرنا الأبدي. كما أنه جاء ليُبْطِل لعنة الخطية التي تؤثِّر على حياتنا اليومية.

إبْطال اللَّعنة: المرحلة الثانية

يقول الكتاب المقدَّس: *"أَنْتُمْ مِنَ اللهِ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، وَقَدْ غَلَبْتُمُوهُمْ **لأَنَّ الَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ** مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ"* (رسالة يوحنَّا الأولى 4: 4).

مَنْ هو هذا "**الذي في**" المؤمن؟

في الليلة التي سبقت صلبه، قال يسوع لتلاميذه:

*"وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ **مُعَزِّيًا آخَرَ** لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ **إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ** الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ **مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ**. لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. **إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ**. بِهذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. وَأَمَّا **الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ**، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ **بِاسْمِي**، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ. سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. **لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ**"* (إنجيل يوحنَّا 14: 16-18، 25-27).

مُعَزِّياً آخر

وَعَدَ يسوع تلاميذه بأن الآب سيرسل لهم "مُعَزِّياً آخر" (أي الروح القُدُس) بعد صعوده إلى السماء. والكلمة اليونانية المُترجمة "مُعَزِّي" هي "باراكليتوس" أي: "المُعين" أو "المُعَزِّي" أو "المُرشد" أو "المُحامي". وفي الكتاب المقدَّس، تُستخدم كلمة "باراكليتوس" للإشارة إلى "ابن الله" و "الروح القدس".[238] فكما أنَّ الابن جاء ليُخَلِّص الخُطاة من أُجْرَة الخطية، فقد جاء الروح القُدُس أيضاً لتخليص المؤمنين من سُلطان الخطية.

الروح القُدُس موجود مع الله دائماً – تماماً مثل الابن. لذلك، نرى الروح القُدُس في الأصحاح الأول من الكتاب المقدَّس بصفته "**روح الله**" (سِفْر التكوين 1: 2).

يقول البعض[239] إن "المُعَزِّي" هو الملاك جبرائيل أو نبي أتى في ما بعد. غير أنَّ هذا القول يُناقض لا كتب الأنبياء فحسب، بل وأيضاً قول يسوع وفعله. فقد قال يسوع لتلاميذه إنه بعد موته على الصليب وقيامته، سيصعد إلى السماء لكي يَنزل الروح القُدُس ويسكن في قلوب الذين يؤمنون برسالة الله. إذاً، الابن سيصعد والروح سينزل. قال يسوع لتلاميذه: *"لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ **الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ**"* (إنجيل يوحنَّا 16: 7).

قبل قيامة يسوع وصعوده إلى السماء، كان الروح القُدُس يُقَوِّي المؤمنين ويقودهم ويباركهم. لكن بعد أن حلَّ يسوع مشكلة الخطية، أصبح بإمكان الروح القُدُس أن يأتي ويسكن في المؤمنين بصورة دائمة. وقد كان الرب يسوع يُعْلِن عن حَدَث مُمَيَّز *"رُوحُ الْحَقِّ ... مَاكِثٌ مَعَكُمْ **وَيَكُونُ فِيكُمْ**"* (إنجيل يوحنَّا 14: 17).

حُلول الرُّوح القُدُس

بعد قيامة يسوع من الموت، يقول الكتاب المقدَّس:

*"وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ [مع تلاميذه] أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ، بَلْ **يَنْتَظِرُوا مَوْعِدَ الآبِ** الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي، لأَنَّ يوحنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ **بِالرُّوحِ الْقُدُسِ**، لَيْسَ بَعْدَ هذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ. **لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ**"* (أعمال الرُّسُل 1: 4-5، 8).

وهذا هو ما حَدَثَ في اليوم الخمسين[240] من قيامة يسوع واليوم العاشر من صعوده إلى السماء.

"وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. **وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ** ..." (أعمال الرُّسُل 2: 1-4).

نقرأ في العهد الجديد (وتحديداً في الأصحاح الثاني من سِفْر أعمال الرُّسُل) تفاصيل ما حدث. فبقوَّة الروح القُدُس، بدأ تلاميذ يسوع يُبَشِّرون بلغات مختلفة من أجل توصيل الخبر السَّار إلى الغُرباء الذين أتوا إلى أورشليم من آسيا وشبه الجزيرة العربية وأنحاء مُتفرِّقة من العالم.

وفي اليوم الذي نزل فيه الروح القُدُس، آمن ثلاثة آلاف شخص برسالة الله ونالوا هِبَة الحياة الأبدية؛ وبهذا، زاد عدد المؤمنين بسرعة. ويخبرنا سِفْر أعمال الرُّسُل عن تاريخ المؤمنين الأوائل وكيف انتشر خبر المسيح السَّار في الإمبراطورية الرومانية – لا بقوة السيف، بل بقوة مَحَبَّة الله والرُّوح القُدُس.

المَدْعُوُّون

يَقْضي برنامج الله الرئيسي على الأرض في الوقت الحاضِر بأن يأخذ *"مِنْهُمْ شَعْبًا عَلَى اسمِهِ"* (أعمال الرُّسُل 15: 14).

أدَّى حُلول الروح القُدُس في يوم الخمسين إلى إنشاء عائلة مُمَيَّزة من المؤمنين تُسَمَّى ***"الكنيسة"*** (أو "إيكليزيا" باليونانية) أي: "الجماعة" أو "المَدْعُوُّون". ويَجْدُر التنويه إلى أنَّ كلمة "كنيسة" تَعَرَّضت للكثير من سوء الفهم والمفاهيم الخاطئة في وقتنا الحاضر. كما أنَّ الكثيرين مِمَّن يَدَّعون أنهم مسيحيِّين يُلَطِّخون اسم السيِّد المسيح بسبب طريقة عيشهم. فرغم أنهم يُظهرون تَدَيُّنَهُم، لكنهم لا يتمتَّعون بعلاقة حقيقية مع الله ولم يَطْهُروا من خطاياهم عن طريق الإيمان بما فعله الرب يسوع المسيح لأجلهم.

لكِنَّ الخبر السَّار هو أن الله يدعو جميع الناس في كل مكان للإيمان بابنه وبأن يُصبحوا خليقة جديدة وأولاداً في عائلة المؤمنين التي ستمضي الأبدية معه.

إنَّ كل الذين آمنوا بوعود الله قبل مجيء المسيح (في العهد القديم) يُشَكِّلون جُزءاً لا يتجزَّأ من عائلة الله. أمَّا الذين آمنوا بعد مجيء المسيح فَهُمْ جُزء من الكيان الحَيِّ الذي يُدعى "الكنيسة". وتُسَمَّى الكنيسة أيضاً "جَسَد المسيح" و "العَروس".[241] ويقول الكتاب المقدَّس لكل من يؤمن بالرب يسوع المسيح:

> *"وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، **شَعْبُ اقْتِنَاءٍ**، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. الَّذِينَ قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ **شَعْبُ اللهِ** ..."* (رسالة بُطرس الأولى 2: 9–10).

يُبَيِّن لنا الأصحاحان الأول والثاني من الكتاب المقدَّس كيف أنَّ الله جَعَل البشر خليقته الخاصة في بادئ الأمر. ثُمَّ يُخبرنا الأصحاح الثالث عن خطية آدم التي فصلته والجنس البشري بأكمله عن الله. أمَّا ما

يلي ذلك في الكتاب المقدَّس فيُوضِّح لنا ما فعله الله لكي يَرجع الخطاة النجسون إليه ويصبحوا من جديد شعبه الخاص.

فهل أنت تنتمي إلى شعب الله الخاص؟ إذا كنت كذلك، فقد دخلت في المرحلة الثانية من برنامج الله لإبطال اللعنة.

مُخلَّصٌ ومَختوم

أوَّل شيء يقوم به الروح القُدُس في حياة الخاطئ الذي يَقبل الخلاص هو أنه يُعطيه حياة جديدة. فكل من يتوقف عن الاتِّكال على نفسه وجهوده ويَتَّكِل على يسوع المسيح وعمل الفداء الذي أتَمَّه، فإنه يُولد روحياً من الروح القُدُس. لهذا، قال يسوع:

> *"اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: **يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ**... لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ **كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ**"* (إنجيل يوحنَّا 3: 6-7، 16).

يا له من أمر رائع أن "تُولد من جديد!" وفي حقيقة الأمر أنَّ الفَضْل في ولادة الخاطئ من جديد على الصعيد الروحي يَرْجِع إلى الله بوحدانيته الجامعة. فالولادة الجديدة مُمكنة لأن الآب أرسل ابنه، ولأن الابن سَفَك دَمَه عن خطايانا، ولأن الروح القُدُس يُعطي المؤمن حياة جديدة.

والروح القدس لا يُعطينا الحياة الأبدية فحسب، بل يَختمنا إلى الأبد كعلامة على مُلكِيَّة الله، ويَسْكُن فينا إلى الأبد، ويَضْمَن وصولنا بسلام إلى بيت الآب عندما يأتي دورنا لمُغادرة هذا العالم.

> *"اَلَّذِي فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمْ، اَلَّذِي فِيهِ أَيْضًا **إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، اَلَّذِي هُوَ عُرْبُونُ مِيرَاثِنَا** ..."* (رسالة أفسُس 1: 13-14)

نَرى من خلال هاتين الآيتين أن المؤمن الحقيقي لا يُمكن أن يَفقد خلاصه الأبدي. فالروح القدس ***"هُوَ عُرْبُونُ مِيرَاثِنَا"***.

هل حُرِّرنا لنُخطئ ثانيةً؟

من وقت لآخر، أسمع البعض يقولون: "حسناً، كل ما ينبغي أن أفعله لأضمن لي مكاناً في الجَنَّة هو أن أؤمن بأن يسوع مات من أجل خطاياي. بعد ذلك، يُمكنني أن أُخطئ قدر ما أشاء، أليس كذلك؟"

إذا لجأنا إلى نفس هذا المَنطق، هل ستقول لمن خَلَّصك بعد أن كنت تائهاً في صحراء قاحلة: "شُكراً، يُمكنني الآن أن أضيع من جديد!"؟ أو إذا قام أحد الأشخاص بمُسامحتك على دَيْن كبير، فهل ستتعَمَّد إغاظته بأن تُزعجه وتَجرح مشاعره؟ أو هل يُمكنك أن ترتدي ثياباً جميلة ثُمَّ تقول في نفسك: "لأذهب وأغوص في الوحل مَرَّة أخرى!"؟

من المؤكد أن مثل هذا التفكير غير منطقي. إذاً، لماذا يُفَكِّر بنو آدم بهذه الطريقة عندما يتعلَّق الأمر بالخطية وعواقبها؟

للأسف الشديد أن الجواب واضح. فالخطية لها سُلطان كبير على عقولنا وقلوبنا، وقادرة على إقناعنا بأن الخطية جيدة ومرغوب فيها. وبالطبع، فإن هذه الفكرة ليست جديدة. فآدم وحوَّاء نظرا إلى الخطية – المُتمثِّلة في الثمرة المُحَرَّمة – على أنها ***"جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ ... وَبَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ ... وَشَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ"*** (سِفْر التكوين 3: 6).

لكن يجب أن نُدرك أنه في اللحظة التي يؤمن فيها الخاطئ برسالة الله فإنه لا يَعود ضائعاً في عالم الخطية الواسع. فقد دُفع الدَّيْن بالكامل واكتَسى المؤمن بِبِرِّ المسيح. كما أنَّ الروح القدس يَضَع في المولود الجديد قناعة عميقة بأن الخطية سيئة، ويُعطي شعب الله القوة اللازمة ليعيشوا حياة تعكس طبيعة الله المقدَّسة. وكأفراد في العائلة السماوية، يُصبح أولاد الله راغبين في العيش بطريقة يُحافظون من خلالها على شَرَف العائلة.

وحتى إن تجاهل المؤمنون الروح القُدُس واحتقروا الرب من خلال نمط حياتهم، فسوف يبقى هذا الضيف السماوي في داخلهم. لذلك، يقول الكتاب المقدَّس لكل من يؤمن بالمسيح:

*"**لَا تُحْزِنُوا** رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ **الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ** لِيَوْمِ الْفِدَاءِ."* (رسالة أفسُس 4: 30)

وهكذا، لا يُمكن للمؤمنين بالرب يسوع أن يفقدوا خلاصهم الذي نالوه بالإيمان، لكن يُمكنهم أن *"يُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ"* من خلال العيش كغير المؤمنين. فرغم أنَّ المؤمنين ما زالوا يعيشون ***في*** العالم، إلاَّ أنهم *"لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ"* (إنجيل يوحنَّا 17: 16).

لهذا، كما أن الرب يُبغض المُمارسات الشرِّيرة لهذا العالم، يجب على تلاميذه أن يُبغضوها أيضاً.

*"فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟ **حَاشَا!** نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟"* (رسالة رومية 6: 1–2).

*"**فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ:** الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ، الأُمُورَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ، الَّذِينَ بَيْنَهُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا سَلَكْتُمْ قَبْلاً، حِينَ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ فِيهَا. وَأَمَّا الآنَ فَاطْرَحُوا عَنْكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا الْكُلَّ: الْغَضَبَ، السَّخَطَ، الْخُبْثَ، التَّجْدِيفَ، الْكَلاَمَ الْقَبِيحَ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ. لاَ تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، **إِذْ خَلَعْتُمُ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ** مَعَ أَعْمَالِهِ، **وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ** الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ **حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ**"* (رسالة كولوسي 3: 5–10).

حياةُ الله في المؤمن

كما أنَّ ابن الله جاء ليُخَلِّص الخُطاة المؤمنين من أُجْرَة الخطية، جاء روح الله ليُخَلِّص الخُطاة من سُلطان الخطية اليومي. وهو يَعمل بالطريقة التالية:

في اللحظة التي يضع فيها الإنسان ثقته بالمسيح، يَضَع روح الله ملكوته داخل الشخص بأن يأتي ويَسْكُن في روحه؛ أي في مركز السَّيطرة والتحكُّم. وبهذا فإنه يُعطي المؤمن طبيعة جديدة ترغب في

إرضاء الرب. وهذا لا يعني أن طبيعة الإنسان الأنانية الخاطئة أُزيلت. فالطبيعة القديمة لن تزول إلا بعد ذهاب المؤمن إلى السماء. فلا يَستطيع المؤمن أن يَصِل إلى حالة الكمال الخالية من الخطية وهو ما زال يعيش في هذا العالم؛ غير أنه يَشْعُر بالحزن العميق عندما يُحْزِن الله.[242]

وهكذا، هناك معركة دائمة بين الطبيعة القديمة (الموروثة من آدم) والطبيعة الجديدة (التي يزرعها الروح القدس) في حياة كل مؤمن حقيقي. لكِنَّ رُوح الله يُعطي المؤمن قلباً يَتوق إلى إرضاء الله. كما أنه يُعلِّم شعبه أنه على الرغم من *"التمتُّع **الوقتي** بالخطيَّة"* (الرِّسالة إلى العِبرانيِّين 11: 25)، فإنَّ *"نِهَايَةَ تِلْكَ الأُمُورِ هِيَ **الْمَوْتُ**. وَأَمَّا الآنَ إِذْ **أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ** ... فَلَكُمْ **ثَمَرُكُمْ لِلْقَدَاسَةِ**، وَالنِّهَايَةُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ"* (رسالة رومية 6: 21–22). لكِنَّ الروح القُدُس يُحْدِث تَغييرات أساسية في حياة المؤمن:

"وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ" (رسالة غلاطيَّة 5: 22–23).

أمَّا الديانات والجهود الذاتية فلا تُعطي ثمراً روحياً. ففي حين أنَّ الشرائع الدينية قد تُغَيِّر تَصَرُّفات المرء الخارجية إلى حَدٍّ ما، فإن طبيعة الإنسان الداخلية لا تتغيَّر إلاَّ من خلال عمل الرُّوح القُدُس.

الله يريد أن يُدير حياتنا، لكن بدلاً من أن يُعطينا لائحة قوانين طويلة لنُطَبِّقها، فإنه يعيش في داخلنا ويعمل من خلالنا لنبارك الآخرين ونمجد اسمه.

لوائح أَمْ مَحَبَّة؟

يُحكى أنَّ رَجُلاً ماتت زوجته فعَيَّن سَيِّدة لتنظيف منزله وغَسْل ثيابه ثلاث مَرَّات في الأسبوع. وقد علَّق الرَّجُل لائحة بالمهمَّات التي يجب على هذه السيِّدة أن تُنجزها في كل مَرَّة تأتي فيها إلى منزله. وكان يدفع لها مبلغاً من المال لقاء عملها.

بمرور الوقت، وقع هذا الرَّجُل في حُبِّ هذه المرأة وطلب يَدَها للزواج فوافقت. وبعد زواجهما، أزال الرجل لائحة الواجبات المطلوبة وتوقَّف عن دفع المال لها. لماذا؟ لأنها أصبحت زوجته الحبيبة! فقد

أصبحت تُنَظِّف المنزل وتغسل الثياب بإرادتها، وتقوم بأمور أخرى غير مَذكورة في اللائحة. لماذا؟ لأنها أحَبَّت زوجها وأرادت أن تُرضيه. كما أنَّ الواجبات المكتوبة في اللائحة أصبحت مَحفورة في قلبها.

وهذا هو ما يفعله الله للذين يَنتمون إليه:

*"أَجْعَلُ شَرِيعَتِي **فِي دَاخِلِهِمْ** وَأَكْتُبُهَا **عَلَى قُلُوبِهِمْ**، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا"* (سِفْر إرميا 31: 33).

كما هو حال تلك اللائحة التي كَتَبها ذلك الرَّجُل، فإنَّ الديانات البشريَّة تُقَدِّم لك لائحة طويلة من الأعمال التي ينبغي عليك القيام بها؛ وهي تَعِدُكَ بالحصول على دُفعة جَيِّدة في يوم الدينونة "إن شاء الله"!

على النقيض من ذلك فإنَّ الربُّ يُقدِّم لك **علاقة** معه. فهو أخذ العِقاب عنك وقَدَّم لك الحياة الأبدية. كما أنه يُريد أن يسكن في داخلك من خلال الروح القُدُس إن قبلت عَرْضَه. وبدل أن يَفرض عليك لائحة طويلة من المهمَّات التي لن تتمكَّن من تنفيذها، فإنه يَعِدُ بأن يعطيك الرغبة في إرضائه وخدمته من قلب مُفعم بالمحبة. فعلاقة المحبَّة التي تربطك به – وليست الديانة القائمة على الشرائع والقوانين – هي التي ستُعطيك الدافع للقيام بالأعمال الصالحة. والسبب في ذلك هو أن:

*"**الْمَحَبَّةَ** هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ"* (رسالة رومية 13: 10).

قد يَعِدُكَ الدِّين بحياة جديدة ومكاناً في السماء، لكِنَّ الروح القُدُس هو الوحيد القادر على الوفاء بمثل هذا الوعد. فهو الوحيد الذي يقدر أن يملأ قلبك بالمحبة، والفرح، والسلام، والضمان الأبدي.

*"وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي، لأَنَّ **مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ** الْمُعْطَى لَنَا."* (رسالة رومية 5: 5)

طاعة قلبيَّة

مِنَ المؤكد أن خدمة المؤمنين للرب وللناس من قلب مُفعم بمحبة الله لا تعني أنه ليست هناك وصايا ينبغي عليهم تنفيذها. فقبل أن يَصْعَد يسوع إلى السماء، قال لتلاميذه:

"دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَاذْهَبُوا ***وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ*** *بِاسمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.* ***وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ.*** *وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ"* (إنجيل متَّى 28: 18-20).

أوصى يسوع أتباعه بإعلان خَبَر الخَلاص السَّار إلى جميع الأمم. وبعد قبول الشخص لهِبَة الخلاص من الله، يجب عليه أن يَتَعَلَّم كيف يَسْلُك في جميع وصايا الرب يسوع. فمثلاً، علَّم يسوع تلاميذه أن يُحِبُّوا أعداءهم وأن يخدموا الجميع بفرح. كما يجب أن يكون شَوق قلوب أتباع المسيح هو أن يَعرف الناس الله، وأن يؤمنوا به، وأن يُسَبِّحوه في كل أنحاء العالم.

كذلك، أوصى يسوع تلاميذه أن يُعَمِّدوا المؤمنين الجُدُد *"بِاسمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ"*. لاحِظ صيغة المفرد في "باسْمِ" (وليس "بأسْمَاء"). فلن يَدخل في علاقة أبدية مع الله الواحد الحقيقي (الذي هو الآب والابن والروح القُدُس) سوى أولئك الذين يَرون أنفسهم كخُطاة عاجزين، ويُصَدِّقون الخَبَر السَّار عن حياة يسوع وموته وقيامته. ويجب على مَنْ يُصَدِّق رسالة الله أن يُظهر إيمانه من خلال مُمارسته لمعمودية الماء.

ما هي أهميَّة المَعْموديَّة؟

هل يحتاج المؤمن أن يوضع تحت الماء – في إطار طُقوس مُعَيَّنة – لكي يَطْهُر من خطاياه؟ كلا! فالمؤمن قد طَهُرَ وأعلنه الله باراً بفضل ما عمله المسيح من خلال موته وقيامته. لكِنَّ معموديَّة الماء تَرْمُز إلى حقيقة داخلية. فيجب أن نَعْتَمِدَ في الماء بعد إيماننا برسالة الله كعلامة طاعة لمُخَلِّصنا وسَيِّدنا الجديد. لكِنَّ المعموديَّة لا تؤهلنا لدخول السماء.[243]

إذاً ما هي أهمية المعمودية؟ مَعموديَّة الماء تَرمز – بطريقة مرئيَّة – إلى انضمام المؤمن إلى الرب يسوع في موته ودفنه وقيامته. كما أنها طريقة يُعلن المؤمنون من خلالها إيمانهم ببرنامج الله

الخلاصي. فالماء يُشير إلى الموت. وعندما يوضع المؤمن تحت الماء فكأنه يُعلن قائلاً: "يسوع مات من أجل خطاياي ودُفن". وعندما يَصعد من المياه فكأنه يُعلن قائلاً: "يسوع غَلَبَ الموت من أجلي وطهَّرني من الخطية بموته ودفنه وقيامته، ثُمَّ أعلنني باراً وأعطاني الحياة الأبدية".

من الضروري أن نفهم أن الله لا يَقبل الخُطاة إلاَّ بناءً على عمل يسوع المسيح الكامل. وكخاطئ غُفِرَت خطاياه، أنا مُتيقِّن أنني سأعيش مع الرب إلى الأبد لا لأني صالح، بل لأني *"أُوجَدُ **فِيهِ**، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، **الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ**"* (رسالة فيلبِّي 3: 9).

وهكذا فإنَّ ديانات البشر تُعلِّمك أن تنظر إلى نفسك وإلى جهودك الذاتية. أمَّا إنجيل الله فيُعلِّمك أن تَنظر إلى المسيح وبِرِّه الكامل.

لا دينونة على المؤمنين؟

لقد قام المسيح بكل ما يلزم لتخليص الخُطاة من الدينونة الأبدية. غير أن هذه الحقيقة تَدفع الكثيرين لطرح سؤال آخر؛ وهو سؤال طَرَحَهُ أحد الأشخاص في رسالة إلكترونية أرسلها لي:

> إنْ كان المسيح قد سَفَك دمه على الصليب لكي يُخَلِّص الناس من خطاياهم، فهل هذا يُبْطِل الغاية من يوم الدينونة؟

كلا! إن موت المسيح على الصليب لا يُلغي حقيقة أنه ينبغي على المؤمنين أن يُقَدِّموا حساباً عن أنفسهم إلى الله. فالكتاب المقدَّس يقول: *"حَقّاً إِنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ **لِيَبْتَدِيءَ الْقَضَاءُ بِأَهْلِ بَيْتِ اللهِ**. فَإِنْ كَانَ الْقَضَاءُ يَبْدَأُ بِنَا أَوَّلاً، فَمَا هُوَ مَصِيرُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِإِنْجِيلِ اللهِ؟"* (رسالة بُطرس الأولى 4: 17).

دَينونَتان

يَتَحَدَّث الكتاب المقدَّس عن دينونتين مختلفين: أولاً، سوف يَقوم الأبرار ويُقَدِّمون حساباً عن حياتهم؛ ثُمَّ تأتي قيامة الأشرار ومحاكمتهم.[244]

- **دينونة الأبرار:** من الأفضل لك أن تكون جُزءاً من هذه الدينونة لأن المؤمنين الذين سيقفون أمام كرسي المسيح سيكونون هناك على أساس حصولهم على بر الله أثناء حياتهم على الأرض. ورغم

عدم وجود شك في ما إذا كان هؤلاء سيذهبون إلى الفردوس أو الجحيم، فإن الله سيُقَيِّم دوافعهم وأعمالهم كمؤمنين. وبناءً على ذلك، سيحصلون على المُكافآت التي يستحقونها. ففي حال أن المؤمن عاش بحسب إرادة الله، وخدم الآخرين بتواضع، ووثق بالله في التجارب، وأحب كلمة الله وحرص على توصيلها للآخرين، وانتظر مجيء الرب باستعداد، فسوف يُكافئه الله. أمَّا المؤمن الذي تمحورت حياته حول ذاته فسوف يَخْسَرُ مُكافأته *"وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ، وَلكِنْ كَمَا بِنَارٍ"* (انظر رسالة كورنثوس الأولى 3: 11–15). ويَذْكُر الكتاب المقدَّس خمسة "أكاليل" يُمكن للمؤمنين أن يحصلوا عليها؛ وَهُمْ بدورهم سيضعونها عند قدمي المسيح بالتسبيح.[245] *"لأَنَّنَا **جَمِيعًا** سَوْفَ نَقِفُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ ... فَإِذًا **كُلُّ وَاحِدٍ** مِنَّا سَيُعْطِي عَنْ نَفْسِهِ حِسَابًا لِلهِ"* (رسالة رومية 14: 10، 12).

- **دينونة الأشرار:** مِنَ المؤكَّد أنك لا تريد التواجد أمام العرش العظيم الأبيض للدينونة. فسوف يَضُمُّ هذا الحدث الرهيب كل من مات كخاطئ دون أن يثق بخلاص الله أثناء حياته على الأرض. فسوف يُطرح الجميع في بُحيرة النار حيث سيحصل كل واحد على درجة قصاص مُعَيَّنة بحسب ما فعله بالحقيقة التي عرفها: "وَدِينَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ ... وَدِينُوا ***كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ***. وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ. هذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي. وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ." (انظر سِفْر الرؤيا 20: 11–15)

الخَبَر السَّار هو أنه يُمكن لكل مَن يقرأ هذه الكلمات أن ينجو من هذا المصير المُرعب لأن الرب يسوع دفع أُجْرَة الخطية عن كل شخص يؤمن به.

أولاد الله

لقد رأينا أنه في اللحظة التي تضع فيها ثقتك بالرب يسوع المسيح وبما فعله لأجلك، تصبح فرداً في عائلة الله. وعندها، لن يكون الله بعيداً، بل سيُصبح أباً لك:

*"وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا **أَوْلاَدَ اللهِ**، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. **الَّذِينَ وُلِدُوا ... مِنَ اللهِ**"* (إنجيل يوحنَّا 1: 12–13). *"بِمَا أَنَّكُمْ **أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: 'يَا أَبَا الآبُ'**"* (رسالة غلاطيَّة 4: 6).

يَمتلئ العالم بديانات تُصوِّر الله وكأنه إله بعيد ومُتَطَلِّب ويرفض أي علاقة شخصية مع الإنسان. غير أن الله الذي أرسل ابنه إلى الأرض أظهر نفسه كآبٍ سَماويٍّ مُحِبٍّ للخُطاة. فهو يَعِد كل من يؤمن بابنه يسوع المسيح بأنه سيُطَهِّرُه، ويَمنحه بِرَّ المسيح الكامل، ويُرسل الروح القُدُس ليسكن في قلبه.

في كتابها *"تجرَّأت أن أدعوه أبي"*، تتحدث "بلقيس شيخ" الباكستانية عن بحثها عن رسالة الله الواحد الحقيقي. وبعد بضعة أشهر من مُقارنة الكتاب المقدَّس بالكتاب الديني الذي تَرَبَّت عليه، فإنها تُخبرنا بما حدث معها حين صرخت إلى الله لكي يكشف لها الحقيقة فتقول:

> "حَمَلْتُ أحد الكتاب بيدي اليُمنى والآخر بيدي اليُسرى ورفعتهما لأعلى وقلت مُخاطبةً الله: 'أيهما يا أبي؟ أيهما هو كتابك؟' وعندها حدث شيء عجيب لم أختبر مثله في حياتي. فقد سمعت صوتاً في داخلي تَكَلَّم إليَّ بوضوح وكأنني أُرَدِّد تلك الكلمات في رأسي. كانت الكلمات مُنعشة ومليئة بالحنان؛ لكنها كانت – في الوقت نفسه – مليئة بالسُّلطان: **'في أيِّ كتاب التقيتِ بي كأب؟'** وعندها، وَجَدْتُ نفسي أُجيب: 'في الكتاب المقدَّس'. وكان هذا هو كل ما تَطَلَّبه الأمر لأتخذ قراري".[246]

وكما هو الحال مع هذه المرأة الباكستانية، فإنَّ الله أبي أنا أيضاً. ففي اليوم الذي آمنت فيه برسالة الله، وُلدت من جديد روحيَّاً ولن ينزع أحد مني مركزي كأحد أفراد عائلة الله. قال يسوع: "خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا **حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إلى الأَبَدِ**، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي" (إنجيل يوحنَّا 10: 27–28).

عَلاقة وشَرِكَة

ماذا يحدث عندما أخطئ؟ هل يَتسبَّب ذلك في انفصالي مُجَدَّداً عن الله؟

إذا أخطأ الابن إلى أبيه الأرضي، هل يتوقف عن كونه جزءاً من العائلة؟ كلا. فعصيان الابن لا يؤدي إلى إنكار ولادته كابن. فلا يمكن قطع الروابط البيولوجية التي تربطه بأبويه. وكذلك الأمر فيما يتعلق برابطتنا الروحية مع الله. فلا يمكن لأي شيء أن ينزع منك مكانتك كابن لله: ***"مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ***

*مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ **إِلَى الأَبَدِ**"* (رسالة بُطرس الأولى 1: 23). لهذا يجب أن تُدرك أنَّ الله هو أبوك السماوي، وأنَّ برَّ المسيح الذي كَساك الله به لا يُمكن أن يُنزع منك، وأنَّ الروح القُدُس لن يتركك، وأنَّ حياتك الأبديَّة مَضمونة:

"فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (رسالة رومية 8: 38-39).

وهكذا، لا يُمكن لأي عمل أقوم به أن يُفسد **العلاقة** الأبدية التي أنشأها الله معي. غير أن الخطية تؤثِّر على **شركتي** اليومية مع الله.

المَقام والحالة

لنفترض أن أباً طلب من ابنه أن يَجُزَّ العشب في حديقة المنزل، لكِنَّ الابن ذهب ليلعب كرة القدم مع أصدقائه. لن يتأثر مَقام (أو مَركز) الابن بالنسبة إلى أبيه؛ لكِنَّ شركة الابن مع أبيه ستتأثَّر بكل تأكيد! فعندما يعود الابن إلى البيت سوف يسأله الأب عن سبب تقصيره ويَتَّخذ بحقِّه إجراءات تأديبية حازمة. حينئذٍ، يجب على الابن أن يعترف بعصيانه لاسترجاع علاقته وشركته الحلوة مع أبيه.

وكذلك الأمر مع أولاد الله. فالله يؤدِّب أولاده حين يُخطئون:

*"يَا ابْنِي، لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ وَلاَ تَكْرَهْ تَوْبِيخَهُ، لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، **وَكَأَبٍ** بِابْنٍ يُسَرُّ بِهِ"* (سِفْر الأمثال 3: 11-12).

وفي ما يتعلَّق بشركتنا اليومية مع الله، يقول الكتاب المقدَّس:

*"إِنْ قُلْنَا: إِنَّ لَنَا **شَرِكَةً** مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ ... إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا. **إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ***

وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا *وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ* (رسالة يوحنَّا الأولى 1: 6، 8-9).

الروح القُدُس الساكن في المؤمن يُريد أن يُعَلِّم جميع أولاد الله أن يُبغضوا الخطية بكافة أشكالها وأحجامها. كما أنه يريدنا أن نكون مُرْهَفي الحِسِّ تجاه تلك الأمور التي قد لا يعتبرها الآخرون خطايا. فعلى سبيل المثال، إذا تكلَّمت بفظاظة مع زوجتي، أو تصرَّفت بعدم محبة مع شخص أساء إليَّ، أو قلت شيئاً غير صحيح تماماً، فإن الروح القُدُس يُبَكِّتُني على خطيتي. والعلاج هو الاعتراف بخطيتي أمام الرب وطلب الغفران من الذين أسأت إليهم. وحالما أقوم بذلك، سوف أعود للتمتُّع بشركتي الحميمة والطيبة مع الرب.

هل ترى الفرق؟

إن **مَقامي** في المسيح كامل أمام الله. أمَّا في حياتي اليومية **فحالتي** ليست كاملة. فقد أكمل المسيح عمله على الصليب من أجلي. أما عمله فِيَّ فسوف يستمر إلى أن ألتقي به في السماء.

مَفْدِيُّون لهدف

الروح القُدُس يُريد أن يَغَيِّر طريقة تفكير المؤمنين وكلامهم وتصرفاتهم. لهذا فهو يقول:

"كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ" (رسالة بُطرس الأولى 1: 16).

كما أنه يقول لشعبه: *"لاَ تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ. وَلاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ، بَلِ* ***امْتَلِئُوا*** *بِالرُّوحِ* [كونوا مُنقادين بالروح]" (رسالة أفسُس 5: 17-18).

إنَّ الروح القُدُس لا يَقْمَع شخصياتنا، بل يُحرِّرنا لنعيش في كل يوم حياة البِرِّ والانتصار التي يريدنا الله أن نحياها. فقد خَلَّصنا الله لقَصْد مُعَيَّن. ونحن مَدْعُوُّون لتمجيده بأفكارنا وأقوالنا وأفعالنا:

*"أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ **هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمْ**، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ، **وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟** لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. **فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ**"* (رسالة كورنثوس الأولى 6: 19–20).

يا لها من حقيقة مُغيِّرة لحياة الذين آمنوا بالإنجيل! فحُضور الله ساكن فينا! وعندما نخضع له فإننا نُمَجِّد اسمه في حياتنا ونكون بَرَكة للآخرين. ويمكننا أن نقول المزيد عن عمل الروح القُدُس في حياة شعب الله:

فهو يُعَزِّي، ويُقَوِّي، ويُرشد، ويَقود، ويُنير، ويُعَلِّم.
وهو يساعد المؤمنين على فهم الكتاب المقدَّس.[247]
وهو يُهَيِّئهم للصلاة بطريقة تَضْمَن تواصُلَهُم مع الله.[248]
وهو يُعطي المؤمنين مواهب خاصَّة لكي يُساعدوا الآخرين ويُساهِموا في بُنيانهم.[249]
وهو يُمكِّن أتباع المسيح من العمل والشهادة له مهما اشتد الاضطهاد. فقد قال يسوع لتلاميذه:

*"هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ. وَلكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ. فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، **لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ**"* (إنجيل متَّى 10: 16–20).

مُشابهون صورته

باختصار، فإن الروح القُدُس يُمكِّن شعب الله من تحقيق قَصْد الله الرئيسي للبشر ألا وهو أن يعكسوا صورة الله الواحد الحقيقي وأن يتمتعوا بالشركة الحميمة معه إلى الأبد.

"وَكَذلِكَ الرُّوحُ أَيْضًا يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا، لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا ... وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ. لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ

*فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ **لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ**، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ"* (رسالة رومية 8: 26، 28–29).

وهكذا، يجب أن نُدرك أن الله يَستخدم كل حادثة وتجربة يُمكن أن تجعل شعبه *"مُشابهين صُورَة ابْنِهِ"*.

يُعلن الأصحاح الأول من كتاب الله أن الرَّجُل والمرأة الأولين خُلقا *"عَلى صُوْرَةِ اللهِ وَشَبَهِهِ"*. لكِنَّ الإنسان شَوَّه هذه الصورة جذرياً عندما اختار أن يُخطئ تجاه خالقه. غير أن الله أرسل ابنه الكامل المجيد إلى العالم في الوقت المُعَيَّن. وقد شَكَّلت حياة يسوع البارَّة وموته وقيامته المرحلة الأولى من برنامج الله لإبطال الضرر الذي أحدثته الخطية. لكن كما رأينا في هذا الفصل فإن برنامج الله لا ينتهي هنا، بل يمتد إلى ما هو أبعد من ذلك.

في اللحظة التي يؤمن فيها الخطاة العاجزون – مثلي ومثلك – بخلاص الله، فإن الله يُعطينا الروح القُدُس الذي يبدأ عمله لنكون *"عَلى صُوْرَتِهِ كَشَبَهِهِ"* في أفكارنا ودوافعنا وأقوالنا وأعمالنا. وهذه هي المرحلة الثانية من برنامج الله لإبطال لعنة الخطية. فالله يُريد من أولاده أن يعكسوا طبيعة المسيح وشخصيته. وهذا هو المعنى الحقيقي لكلمة "مَسيحي". غير أنَّ عمل الروح القُدُس في تشكيلنا لنصبح على صورة المسيح هو عملية مستمرة لن تتوقَّف إلا عندما نراه وجهاً لوجه.[250]

*"**اُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ!** مِنْ أَجْلِ هذَا لاَ يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لأَنَّهُ لاَ يَعْرِفُهُ. أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ **نَكُونُ مِثْلَهُ**، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ"* (رسالة يوحنَّا الأولى 3: 1–2).

وبفضل عمل الفداء الذي أَكْمَلَهُ ابن الله من أجل جميع الذي يؤمنون به، وعمل الروح القُدُس المُغَيِّر لقلوب جميع الذين يَخضعون له، لم يَعُد لسُلطان الشيطان أي تأثير لأنَّ ملكوت الله المُفْعَم بالمحبة والفرح والسلام قد عاد.

وفيما نحيا حياتنا الهادفة فإننا ننتظر بفارغ الصبر المرحلة الأخيرة من برنامج الله حيث سيقضي على الشيطان والخطية والموت إلى الأبد.

يسوع آتٍ ثانيةً.

29
المَرحلة الثالثة:
بَرنامج الله المُستقبلي

*"وَإِلهُ السَّلاَمِ **سَيَسْحَقُ الشَّيْطَانَ** تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ **سَرِيعًا**."*
(رسالة رومية 16: 20)

يَنبثق هذا الوعد المُوَجَّه للمؤمنين من تلك النُبُوَّة العجيبة الأولى التي أعلنها الله في اليوم الذي أفسدت فيه الخطية الجنس البشري: نَسْل المَرأة سيَسحق رأس الحيَّة.

من المؤكد أن خالق العالم ومالكه سيُتَمِّم كل ما وعد به، لكنه سيفعل ذلك بحسب جدوله وتوقيته.

إبْطال اللَّعنة: المَرحلة الثالثة

غلب المسيح الشيطان في مجيئه الأول من خلال تسديد أُجْرَة الخطية بالكامل. لهذا، لم يَعُد المؤمن يخاف الجحيم، بل أصبح مُتيقِّناً من ذهابه إلى السماء. ونتيجة لذلك، لم يَعُد للموت – الذي هو سلاح الشيطان المُفَضَّل – تأثير على المؤمنين. وبهذا، أُبْطِلَت ***أُجْرَة الخطية***.

بعد أن عاد الرب يسوع إلى السماء، أرسل الروح القدس أي "المُعَزِّي" لكي يُمَكِّن شعبه من مقاومة تأثير الشيطان في حياتهم اليومية ولكي يُشَكِّلهم على صورته. وبهذا، أُبْطِلَت ***قُوَّة الخطية***.

غير أننا لن نتحرَّر من وجود الخطية إلا بعد عودة يسوع إلى الأرض حيث سيَسحق الشيطان بالكامل ويُحَرِّر شعبه من ***وجود الخطية***.

الأمور المُستقبليَّة

كما تنبَّأ أنبياء الله بالمجيء الأول للمسيح، فقد تنبأوا أيضاً بمجيئه الثاني.[251] وكما أن مجيئه الأول كان مُطابقاً للنبوَّات، فسوف يكون مجيئه الثاني كذلك أيضاً. ويجب أن نَعلم أننا نقترب من اليوم الذي سيُدَوِّي فيه صوت من السماء مُعلناً:

> *"قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ"* (سِفْر الرؤيا 11: 15).

عندما يَرجع المسيح إلى الأرض، لن يَضَع الناس إكليلاً من الشوك على رأسه، ولن يَصلبوه، ولن يَشتموه، ولن يقولوا إنه مُجَرَّد نبي. ففي مجيئه الثاني، لن يتمكَّن أي شخص من مُعاملته بتلك الطريقة المُزرية التي عاملوه بها في مجيئه الأول. والكتاب المقدَّس واضح بهذا الشأن. فعندما يأتي المسيح ثانيةً سوف "تَجْثُو أمامه كل رُكْبَة" (سِفْر إشعياء 45: 23). لكن قبل حدوث ذلك، هناك سلسلة من النبوءات الأخرى التي لا بُدَّ أن تتحقَّق.

فَرَح في السَّماء

أحد الأحداث التي لا بُدَّ أن تتم قبل أن تَجثو أُمَم العالم أمام خالقها ومالكها هو نزول يسوع إلى الغلاف الجوي المُحيط بالأرض لمُلاقاة شعبه المفدي في الهواء.

> *"لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ"* (رسالة تسالونيكي الأولى 4: 16-17).

قد يتم هذا الحدث العجيب في أي وقت. وعندها، سوف تقوم أجساد "الأموات في المسيح" الذين أرواحهم في السماء ويُخطفون مع المؤمنين الأحياء "لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ".[252] وسوف يتغيَّر المؤمنون بالمسيح فوراً فيُصبحون مُشابهين للمسيح وذلك بأن يَحصلوا على أجساد مُمَجَّدة تُلائم الحياة الأبدية، أجساد لا يُقَيِّدُها زمان ولا مكان.

بعد أن نُخْطَف جَميعاً، سوف يحصل كل مؤمن على أكاليل (مُكافآت) على الأعمال التي قام بها على الأرض لمجد الله وبَرَكة الآخرين.[253] ثُمَّ سيُصبح أولاد الله *"قديسين وبلا عيب"* إلى الأبد، وسيُقَدَّمون إلى *"عَريسهم"* الأبدي،[254] البطل الذي بَذَل حياته ليُخَلِّصهم من الدينونة الأبدية.

"لِنَفْرَحْ وَنَبْتَهِجْ وَنُمَجِّدْهُ، فَإِنَّ عُرْسَ الْحَمَلِ قَدْ حَانَ مَوْعِدُهُ، وَعَرُوسَهُ قَدْ هَيَّأَتْ نَفْسَهَا، وَوُهِبَ لَهَا أَنْ تَلْبَسَ الكَتَّانَ الأَبْيَضَ النَّاصِعَ! وَالْكَتَّانُ يَرْمِزُ إِلَى أَعْمَالِ الصَّلاَحِ الَّتِي قَامَ بِهَا الْقِدِّيسُونَ. وَأَمْلَى عَلَيَّ الْمَلاَكُ أَنْ أَكْتُبَ: 'طُوبَى لِلْمَدْعُوِّينَ إِلَى وَلِيمَةِ عُرْسِ الْحَمَلِ'" (سِفْر الرؤيا 19: 7–9).

وهكذا، سوف تكون العلاقات التي سنتمتَّع بها في الأبدية أسمى وأرقى من كل ما عرفناه على الأرض.

ضيق يَسود الأرض

يُعلن الكتاب المقدَّس أن زمن *"ضيق عظيم"*[255] سيسود الأرض حين يَسْكُب الله غضبه على العالم المُعاند له ويُمَهِّد الطريق لمجيء ابنه ثانيةً. ويُشار إلى هذه الفترة أيضاً بـــ *"وَقْت ضِيق عَلَى يَعْقُوبَ"* (سِفْر إرميا 30: 7) لأن الغاية منها هي حَثُّ أُمَّة إسرائيل على التوبة.

في هذه الفترة، سوف يَتَسَلَّط على العالم حاكم قوي ذو نفوذ هائل يُشير إليه الكتاب المقدَّس بـــ "ضِدَّ الْمَسِيحِ" و "الوحش" (رسالة يوحنَّا الأولى 2: 18؛ سِفْر الرؤيا 13). وسوف يَتبعه الناس دون وعي. كما أنهم سيَتبعون النبي الكذَّاب الذي سيُرافقه. وسوف يتعيَّن على كل شخص أن يُظْهِر ولاءه لضد المسيح عن طريق وضع علامة الوحش على يده اليُمنى أو على جَبهته:

"وَيَجْعَلَ الْجَمِيعَ: الصِّغَارَ وَالْكِبَارَ، وَالأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ، وَالأَحْرَارَ وَالْعَبِيدَ، تُصْنَعُ لَهُمْ سِمَةٌ عَلَى يَدِهِمِ الْيُمْنَى أَوْ عَلَى جَبْهَتِهِمْ، وَأَنْ لاَ يَقْدِرَ أَحَدٌ أَنْ يَشْتَرِيَ أَوْ يَبِيعَ، إِلاَّ مَنْ لَهُ السِّمَةُ أَوِ اسم الْوَحْشِ أَوْ عَدَدُ اسمهِ." (سِفْر الرؤيا 13: 16).

أمَّا الذين يرفضون الخضوع للوحش فسوف تُقطع رؤوسهم. وفيما يتعلَّق بالمسيح الدَّجَّال فسوف يَعِدُ الناس بالسلام والازدهار، غير أنه سيقود الناس في طريق الخداع والدَّمار والموت.

هَرْمَجَدُّون

كتب العديد من أنبياء الله في الكتاب المقدَّس عن الحرب العالمية الأخيرة التي ستكون في أوجها عندما ينزل الرب يسوع من السماء إلى الأرض. وسوف تحدث هذه الحرب المُرعبة في سهول يزرعيل؛ وهي منطقة واسعة تمتدُّ من نهر الأردن إلى البحر الأبيض المتوسِّط. ويشير الكتاب المقدَّس إلى أرض المعركة القديمة والمستقبلية هذه بـــ "هَرْمَجَدُّون"؛ أي "جَبَل الذَّبْح".

*"فَإِنَّهُمْ أَرْوَاحُ شَيَاطِينَ صَانِعَةٌ آيَاتٍ، تَخْرُجُ عَلَى مُلُوكِ الْعَالَمِ وَكُلِّ الْمَسْكُونَةِ، لِتَجْمَعَهُمْ **لِقِتَالِ ذلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، يَوْمِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.** 'هَا أَنَا آتِي كَلِصٍّ! طُوبَى لِمَنْ يَسْهَرُ وَيَحْفَظُ ثِيَابَهُ لِئَلاَّ يَمْشِيَ عُرْيَانًا فَيَرَوْا عُرْيَتَهُ.' فَجَمَعَهُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ: **هَرْمَجَدُّونَ**"* (سِفْر الرؤيا 16: 14–16).

وقد وصف النبي زكريَّا أيضاً الأحداث التي سترافق عودة المسيح فقال:

*"**هُوَذَا يَوْمٌ لِلرَّبِّ يَأْتِي** ... وَأَجْمَعُ كُلَّ الأُمَمِ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِلْمُحَارَبَةِ، فَتُؤْخَذُ الْمَدِينَةُ، وَتُنْهَبُ الْبُيُوتُ، وَتُفْضَحُ النِّسَاءُ، وَيَخْرُجُ نِصْفُ الْمَدِينَةِ إِلَى السَّبْيِ، وَبَقِيَّةُ الشَّعْبِ لاَ تُقْطَعُ مِنَ الْمَدِينَةِ"* (سِفْر زكريَّا 14: 1–2).

وهكذا، سوف تقوم *"كُلَّ الأُمَمِ"* بمُحاصرة أورشليم، ونهبها، واغتصاب نسائها، وسَبْي نصف أهلها.

عَودة المسيح

عندما تضيع كل الآمال ويفتقر سُكَّان المدينة الأحياء إلى العون والمساعدة، سوف يَنظرون إلى أعلى ويَصْرُخون إلى الرب لكي يُنقذهم. وعندها، سينزل من السماء ذاك الذي اسمه يَعني *"الرَّبُّ يُخَلِّص"*. ولكثرة دهشتهم، لن يكون المُخَلِّص سوى ***يسوع*** الذي صلبوه! لكن في هذه المَرَّة سوف يشعرون بالمرارة، ويُعلنون التوبة، ويَقبلونه مَلِكاً عليهم:

*"وَأُفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ، **فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ، الَّذِي طَعَنُوهُ**، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ"* (سِفْر زكريَّا 12: 10).

وهكذا، سوف تُفتح عيون اليهود العمي روحياً في نهاية المطاف، ويعرفون يسوع، ويؤمنون بأنه المسيح الوحيد.[256]

بعد ذلك، سوف يرى الناس أعظم عرض للقوة الحربية حين يقوم المسيح (الكلمة) بإلحاق الهزيمة بجيوش الأعداء:

*"**فَيَخْرُجُ الرَّبُّ وَيُحَارِبُ** تِلْكَ الأُمَمَ كَمَا فِي يَوْمِ حَرْبِهِ، يَوْمَ الْقِتَالِ. وَتَقِفُ قَدَمَاهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ الَّذِي قُدَّامَ أُورُشَلِيمَ مِنَ الشَّرْقِ، فَيَنْشَقُّ جَبَلُ الزَّيْتُونِ مِنْ وَسَطِهِ نَحْوَ الشَّرْقِ وَنَحْوَ الْغَرْبِ وَادِيًا عَظِيمًا جِدًّا، ... وَهذِهِ تَكُونُ الضَّرْبَةُ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا الرَّبُّ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَجَنَّدُوا عَلَى أُورُشَلِيمَ. لَحْمُهُمْ يَذُوبُ وَهُمْ وَاقِفُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، وَعُيُونُهُمْ تَذُوبُ فِي أَوْقَابِهَا، وَلِسَانُهُمْ يَذُوبُ فِي فَمِهِمْ. وَيَكُونُ يَوْمٌ وَاحِدٌ مَعْرُوفٌ لِلرَّبِّ. لاَ نَهَارَ وَلاَ لَيْلَ، بَلْ يَحْدُثُ أَنَّهُ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ يَكُونُ نُورٌ. **وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلِكًا عَلَى كُلِّ الأَرْضِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ الرَّبُّ وَحْدَهُ وَاسمهُ وَحْدَهُ"*** (سِفْر زكريَّا 14: 3–4، 12، 7، 9).

وهكذا، سوف يَلقى الله الواحد الحقيقي التسبيح والإكرام اللائقين به في نهاية المطاف.

استعادة السُّلطان

قبل عقود من كتابة زكريَّا للنبوَّة التي قرأناها، أعطى الله رؤيا مُشابهة للنبي دانيال:

*"كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ **ابْنِ إِنْسَانٍ** أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ **سُلْطَانًا** وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ*

*وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. **سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ** أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ"* (سِفْر دانيال 7: 13-14).

تَتَكَرَّر كلمة "سُلطان" ثلاث مَرَّات. عندما خلق الله الرجل والمرأة، أعطاهما *"**سُلطاناً** عَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ"* (سِفْر التكوين 1: 26، 28). لكِنَّ آدم تَخَلَّى عن ذلك السُّلطان لإبليس بسبب تمرُّده على خالقه. رغم ذلك فإن السُّلطان الذي فقده آدم *"الإنسان الأوَّل"* سيستعيده يسوع *"الإنسان الثاني"*.[257]

كما أنَّ الله أعطى الرسول يوحنَّا (وهو أحد تلاميذ المسيح) رؤيا شاملة تتناغم تماماً مع نُبُوَّة زكريَّا ونُبُوَّة دانيال:

*"ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ. وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيجَانٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ اسم مَكْتُوبٌ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ إِلاَّ هُوَ. وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسمهُ **'كَلِمَةَ اللهِ'**. وَالأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بِيضٍ، لاَبِسِينَ بَزًّا أَبْيَضَ وَنَقِيًّا. وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ. وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ بِعَصًا مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسم مَكْتُوبٌ: **'مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ'**"* (سِفْر الرؤيا 19: 11-16).

عندما يعود ملك الملوك، سيُرافقه *"الأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ ... لاَبِسِينَ بَزًّا أَبْيَضَ وَنَقِيًّا"*. ويتألف هذا الجُند من ملائكة السماء ونسل آدم المفدي.[258] وفي ضوء السُّلطان المُطْلَق والمَجْد الفائق اللذين سيُظهرهما يسوع في مجيئه الثاني، سوف تبدو مظاهر المجد والسُّلطان التي جَسَّدَها يسوع في مجيئه الأول باهِتَة.

السَّماء تَملِكُ في القلوب

إذا كنت تمشي وحدك في غابة، هل تُفَضِّلُ أن تُصادف حَمَلاً أَم أسداً؟

عندما جاء المسيح إلى الأرض في المَرَّة الأولى، أتى كَحَمَل ليُخَلِّص الخُطاة. لكن عندما يأتي للمرَّة الثانية والأخيرة فسوف يأتي كالأسد ليُدين الخطاة.[259]

في المجي الأوَّل للمسيح إلى الأرض، بَشَّر قائلاً: *"تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ"* (إنجيل مَتَّى 4: 17). لكن عوضاً عن أن يتوبوا عن أفكارهم الخاطئة ويَقبلوا يسوع مَلِكاً على قلوبهم، تآمر اليهود والرومان معاً ليصلبوه. وبقيامهم بذلك تَمَّموا – دون أن يَدروا – خطة الله الأزليَّة التي قَضَت بإرسال المسيح إلى الأرض لكي يَسفك دمه ويدفع أُجْرَة الخطية عن العالم.

والخبر السَّار هو أنه عندما يؤمن الخطاة بالرب يسوع وبما فعله لأجلهم، فإن الله يُنشئ ملكوته في قلوبهم ويجعلهم أولاداً له إلى الأبد. هل تعرف أن كل مؤمن حقيقي في المسيح مُسَجَّل كمواطن في السماء؟

"فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ" (رسالة فيلبِّي 3: 20–21).

السَّماء تَملِكُ على الأرض

عندما يعود يسوع إلى الأرض، سوف يُؤَسِّس مملكته في أورشليم حيث سيملك على الأرض لمدة ألف سنة. وأخيراً، سوف يأتي ملكوته وتكون مشيئته *"كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ"* (مَتَّى 6: 10). وعندها، لن تحتمل أي أُمَّة وجود الشَّر في وسطها لأن المسيح *"سَيَرْعَاهُمْ بِعَصًا مِنْ حَدِيدٍ"* (سِفْر الرؤيا 19: 15).

الكثيرون لا يؤمنون بأن ابن الله سيعود فعلياً إلى الأرض. غير أن الكتاب المقدَّس واضح في هذا الشأن. فكما أنَّ ابن الله أخذ جسداً بشريَّاً في مجيئه الأول وصعد إلى السماء بجسده المُقام غير المحدود، فسوف يأتي ثانيةً بجسده المُمَجَّد. وهذا هو ما قاله الملاكان للتلاميذ يوم عودته إلى السماء:

*"إِنَّ **يَسُوعَ هذَا** الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ **سَيَأْتِي هكَذَا** كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ"* (سِفْر أعمال الرُّسُل 1: 11).

تَقييد الشيطان

يتحدث الكتاب المقدَّس كثيراً عن المُلك الألفي ليسوع المسيح، غير أننا سنكتفي هنا بتلخيص الأحداث الرئيسية:

بعد عودة يسوع إلى الأرض، سوف تكون أولى الأشياء التي ستحدث مُتعلِّقة بالشيطان – "الحيَّة" القديمة التي قادت الجنس البشري في طريق الدمار الذاتي:

*"وَرَأَيْتُ مَلاَكًا نَازِلاً مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ مِفْتَاحُ الْهَاوِيَةِ، وَسِلْسِلَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى يَدِهِ. **فَقَبَضَ عَلَى التِّنِّينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ، وَقَيَّدَهُ أَلْفَ سَنَةٍ**، وَطَرَحَهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ **لِكَيْ لاَ يُضِلَّ الأُمَمَ فِي مَا بَعْدُ، حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ**. وَبَعْدَ ذلِكَ لاَبُدَّ أَنْ يُحَلَّ زَمَانًا يَسِيرًا"* (سِفْر الرؤيا 20: 1–3).

سوف يُقَيَّد الشيطان ويُسجن لمدة ألف سنة كاملة. وعندها، سيَحِلُّ السلام أخيراً ويُصبح بإمكان المرء أن يقول *"الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ"* (إنجيل لوقا 2: 14) فيما يكون الشيطان مُقَيَّداً والبارُّ (المسيح) يَملك على الأرض. وبهذا، سوف تُصبح سيادَة الله البار التي يَتوق إليها العالم حقيقة واقعة:

*"يُقِيمُ إِلهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا ... **وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ**"* (سِفْر دانيال 2: 44).

خُضوع حَقيقي

قبل ثلاثة آلاف سنة تقريباً، كتب الملك سُليمان[260] عن مُلْك المسيح المستقبلي حيث ستَجثو له كل أُمَّة وكل شخص في خضوع تام. ورغم أن الكثيرين يَزْعُمون أنهم يَخضعون لله الواحد الحقيقي، إلاَّ أن جميع الناس سيَخضعون له خضوعاً حقيقياً في ذلك اليوم.

*"يُشْرِقُ **فِي أَيَّامِهِ** الصِّدِّيقُ، وَكَثْرَةُ السَّلاَمِ إِلَى أَنْ يَضْمَحِلَّ الْقَمَرُ. **وَيَمْلِكُ** مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. أَمَامَهُ تَجْثُو أَهْلُ الْبَرِّيَّةِ، وَأَعْدَاؤُهُ يَلْحَسُونَ التُّرَابَ. مُلُوكُ تَرْشِيشَ* [أوروبا] *وَالْجَزَائِرِ* [البلدان البعيدة] *يُرْسِلُونَ تَقْدِمَةً. مُلُوكُ شَبَا وَسَبَأَ* [إفريقيا والجزيرة العربية] *يُقَدِّمُونَ هَدِيَّةً. **وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ. كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ. لأَنَّهُ يُنَجِّي الْفَقِيرَ الْمُسْتَغِيثَ**، وَالْمِسْكِينَ إِذْ لاَ مُعِينَ لَهُ. يُشْفِقُ عَلَى الْمِسْكِينِ وَالْبَائِسِ، وَيُخَلِّصُ أَنْفُسَ الْفُقَرَاءِ. مِنَ الظُّلْمِ وَالْخَطْفِ يَفْدِي أَنْفُسَهُمْ، **وَيُكْرَمُ دَمُهُمْ فِي عَيْنَيْهِ. وَيَعِيشُ** وَيُعْطِيهِ مِنْ ذَهَبِ شَبَا. وَيُصَلِّي لأَجْلِهِ دَائِمًا. الْيَوْمَ كُلَّهُ يُبَارِكُهُ. **تَكُونُ حُفْنَةُ بُرٍّ فِي الأَرْضِ** فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ. تَتَمَايَلُ مِثْلَ لُبْنَانَ ثَمَرَتُهَا، وَيُزْهِرُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ مِثْلَ عُشْبِ الأَرْضِ. **يَكُونُ اسمهُ إِلَى الدَّهْرِ.** قُدَّامَ الشَّمْسِ يَمْتَدُّ اسمهُ، **وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَمِ الأَرْضِ يُطَوِّبُونَهُ.** مُبَارَكٌ الرَّبُّ اللهُ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، الصَّانِعُ الْعَجَائِبَ وَحْدَهُ. وَمُبَارَكٌ اسم مَجْدِهِ إِلَى الدَّهْرِ، **وَلْتَمْتَلِئِ الأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ مَجْدِهِ.** آمِينَ ثُمَّ آمِينَ"* (المزمور 72: 7–19).

يُخبرنا هذا المزمور بوضوح عن مُلْك المسيح المستقبلي الذي سيَمْلِكُ *"إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ"*.

حُكم مثالي

"لأَنَّهُ يُنَجِّي الْفَقِيرَ الْمُسْتَغِيثَ وَالْمِسْكِينَ". سوف يكون مُلك المسيح مُختلفاً تماماً عن حُكْم العالم الحاضر الذي يَسوده الفساد والاضطراب. ولأوَّل مَرَّة منذ السقوط، سوف يتمتع الجميع بالحرية والعدالة. كما أن حياة كل رَضيع وطفل وامرأة ورَجُل ستُحترَم وتُقَدَّر إلى أبعد الحدود. *"مِنَ الظُّلْمِ وَالْخَطْفِ يَفْدِي أَنْفُسَهُمْ، **وَيُكْرَمُ** دَمُهُمْ فِي عَيْنَيْهِ"*.

تُعلن وسائل الإعلام بصورة دائمة عن قادة سياسيين ودينيين يُنادون بإحلال السلام ويُفاوضون من أجل نَزْع السِّلاح. لكن بسبب محدودية سُلطتهم وقوتهم، يَعجز هؤلاء القادة عن إحلال السلام الذي ينادون به. غير أنه عندما يأتي الذي خضعت له الرياح والأمواج، سوف تتمتع الأرض أخيراً بالعدالة الحقيقية *"وَكَثْرَةُ السَّلاَمِ"*.

على مَرِّ العصور، عاش ملوك وحُكَّام على هذه الأرض وماتوا. أمَّا يسوع، ملك الملوك، فيقول عنه الكتاب المقدَّس: *"وَيَعِيشُ"*. لذلك، سوف تزدهر الأرض في هذا المُلك الألفي الذي لا مثيل له حيث سيحل السلام ويسود الرَّخاء تحت حُكْم ابن الإنسان الذي انتصر على الخطية والموت.

"وَيَسْجُدُ ***لَهُ*** *كُلُّ الْمُلُوكِ ... وَيَتَبَارَكُونَ* [الناس] ***بِهِ.*** *كُلُّ أُمَمِ الأَرْضِ* ***يُطَوِّبُونَهُ"*
(المزمور 72: 11، 17).

سوف يُوفِّر الرب نفسه الحُكْم البار الوحيد لهذا العالم المُتْعَب. أمَّا الفئة الوحيدة التي ستملك معه إلى أبد الآبدين فهي جماعة المَفديِّين – المالكين الأبديِّين للأجساد المُمَجَّدة والطبيعة المُقَدَّسة. وسوف يكون مُلكه عديم الفساد:

"مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْقِيَامَةِ الأُولَى. هؤُلاَءِ لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ سَيَكُونُونَ كَهَنَةَ اللهِ وَالْمَسِيحِ، ***وَسَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ"*** (سِفْر الرؤيا 20: 6).

ففي حين أن كل أشكال الحُكم في العالم (أنظمة الحُكْم المَلَكيَّة، والاستبداديَّة، والديمقراطيَّة، والدينيَّة) قد فشلت، فإن مُلكه لن يَفشل؛ بل سيكون كاملاً تماماً كطبيعته.

رئيس السَّلام

رأينا في السابق نُبُوَّات عديدة عن المجيء الأوَّل للمسيح. فمثلاً، تنبَّأ النبي ميخا أن المسيح سيولد في بيت لحم. لكن هل لاحظت أن نُبُوَّة ميخا أعلنت أيضاً أن المسيح سيحكم كل الأرض في يومٍ ما؟

"أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي ***الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ. ... يَتَعَظَّمُ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. وَيَكُونُ هذَا سَلاَمًا"*** (سِفْر ميخا 5: 2، 4–5).

كما أن النبي إشعياء – الذي كان مُعاصراً للنبي ميخا – تنبَّأ هو الآخر عن الطفل الذي سيولد والابن الأزلي الذي سيُعطى. وقد أشارت نبوَّة إشعياء أيضاً إلى حُكْم الابن الذي سيَشمل كل الأرض:

*"لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، **وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ**، وَيُدْعَى اسمهُ **عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ** عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ **إِلَى الأَبَدِ**"* (سِفْر إشعياء 9: 6–7).

أخيراً، سوف يُخاطب العالم كله ابن الله بالألقاب التي يَستحقها: "**وَيُدْعَى اسمهُ:**

عَجِيبًا،

مُشِيرًا،

إِلهًا قَدِيرًا،

أَبًا أَبَدِيًّا،

رَئِيسَ السَّلاَمِ".

سوف تتمتع أُمَم الأرض بالعدل والسلام *"مِنَ الآنَ* [من ذلك الوقت] ***إِلَى الأَبَدِ***". وبهذا، سوف تتحقَّق رغبة الله في البقاء مع الإنسان إلى الأبد.

*"**فَيَتَّصِلُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ بِالرَّبِّ** فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، **وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا فَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ**"*
(سِفْر زكريَّا 2: 11)

الخبر السَّار اليوم هو أنه يُمكن لكل من يَسْكُن الروح القُدُس في قلبه أن يتمتع بحضور الله وسلامه الآن.

لا جَهْل بعد اليوم

عندما جاء الرب يسوع إلى الأرض قبل نحو ألفي سنة وعاش بين البشر، لم يُدرك معظم الناس حقيقته. وحتى هذا اليوم، يرفض الكثيرون الاعتراف بأن يسوع هو ملك وسيِّد على حياتهم. غير أن العصر الذهبي آتٍ حين ستعترف كل نفس على الأرض بأن يسوع هو ملك الملوك ورب الأرباب.

*"وَيَكُونُ مِنْ هِلاَل إِلى هِلاَل وَمِنْ سَبْتٍ إِلى سَبْتٍ، أَنَّ كُلَّ ذِي جَسَدٍ يَأْتِي لِيَسْجُدَ **أَمَامِي، قَالَ الرَّبُّ**"* (سِفْر إشعياء 66: 23).

ولن تمتلئ الأرض بآلاف الديانات والطوائف والبِدَع، ولن يتجرأ أحد على إنكار الحقيقة التاريخية بأن يسوع ابن الله مات على الصليب وقام من الأموات. وحتى إن لَمْ يؤمن به الجميع، فسوف يعرفون حقيقته وحقيقة رسالته:

"لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَجْدِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ" (سِفْر حبقوق 2: 14).

لا حَرْب بعد اليوم

حين يَملك الرب على الأرض، سوف يُصبح النِّزاع بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب حَدَثاً من الماضي. كما أنَّ النِّزاع بين إسرائيل والبلدان المجاورة سيتوقف. علاوة على ذلك، سوف تتوقف مُعاناة القارَّة الإفريقية إلى الأبد. وهذا ينطبق على القارَّات الأخرى أيضاً حيث ستنتهي الحروب الأهلية ويتوقف الاضطهاد. كما أن الأرض كلها سَتَنْعُم بالسلام الحقيقي والازدهار.

*"وَتَسِيرُ **شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ، وَيَقُولُونَ: 'هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلى جَبَلِ الرَّبِّ**، إِلى بَيْتِ إِلهِ يَعْقُوبَ، فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ'. لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ. فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، **وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ**"* (سِفْر إشعياء 2: 3-4).

وهكذا، سوف يَسود السلام والوحدة الأرض كلها، ويعرف الناس الله الواحد الحقيقي ويعبدونه. كما أن بَلْبَلَة الألسُن التي حَدَثت عند بناء بُرج بابل ستنتهي فيرجع الناس للتحدث بلُغَة واحدة مَرَّة أخرى:

"لأَنِّي حِينَئِذٍ أُحَوِّلُ الشُّعُوبَ إِلى شَفَةٍ نَقِيَّةٍ، لِيَدْعُوا كُلُّهُمْ بِاسمِ الرَّبِّ، لِيَعْبُدُوهُ بِكَتِفٍ وَاحِدَةٍ" (سِفْر صَفَنيا 3: 9).

اللَّعنة رُفِعَت

لكي يُضْفي الله مزيداً من الازدهار على فترة المُلك الألفي، سوف يَرفع اللَّعنة التي حَلَّت على الأرض بسبب الخطية.

عندما عاش المسيح على الأرض في المرة الأولى، أظهر قُدرته على إبطال اللعنة وتحويلها إلى بَرَكة. فقد أخرج الشياطين، وشفى المرضى، وأقام الموتى، وأطعم الجموع، وأثبت سُلطانه وسيطرته الكاملة على الطبيعة. وبقيامه بهذه الأعمال قَدَّم الدليل القاطع على أنه المسيح والملك المنتظر.

كل ما قَدَّمه يسوع في مجيئه الأول سيُصبح سائداً في العالم كله عند مجيئه الثاني. فسوف يُقَيِّد إبليس وشياطينه، ويقضي على التشوه والأمراض والموت الناشئ عن الأسباب الطبيعية. كما أن الأرض لن تُنتج شوكاً وحَسَكاً بعد الآن؛ بل إن المُزارعين سيحصدون محاصيل وفيرة لم يروا مثلها مِنْ قَبْل. وسوف يصبح "الفقر" و "الجوع" مُصطلحين قديمين غير مُتداولين.

سوف تَختبر كل أُمَّة العصر الذهبي التاريخي هذا. وسوف ينتشر ملكوت السماوات الذي رفضه سكان الأرض عند مجيء يسوع للمَرَّة الأولى انتشاراً شاملاً عند مجيئه الثاني.

*"حِينَئِذٍ تَتَفَقَّعُ عُيُونُ الْعُمْيِ، وَآذَانُ الصُّمِّ تَتَفَتَّحُ. حِينَئِذٍ يَقْفِزُ الأَعْرَجُ كَالإِيَّلِ وَيَتَرَنَّمُ لِسَانُ الأَخْرَسِ، لأَنَّهُ قَدِ انْفَجَرَتْ فِي الْبَرِّيَّةِ مِيَاهٌ، وَأَنْهَارٌ فِي الْقَفْرِ. الذِّئْبُ وَالْحَمَلُ يَرْعَيَانِ مَعًا، وَالأَسَدُ يَأْكُلُ التِّبْنَ كَالْبَقَرِ. **أَمَّا الْحَيَّةُ فَالتُّرَابُ طَعَامُهَا.** لاَ يُؤْذُونَ وَلاَ يُهْلِكُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، قَالَ الرَّبُّ"* (سِفْر إشعياء 35: 5–6، 65: 25).

وحتى أن الحيوانات ستعيش في سلام وتعود إلى النظام النباتي الذي كان سائداً في جنة عَدْن قبل دخول الخطية.

غير أنّ جذور الخطية ستبقى في قلوب الذين وُلدوا في أثناء مُلك المسيح الألفي. فكما هو الحال في كل عصر، سوف يحتاج نسل آدم إلى قبول غُفران الله من خلال الثقة بخلاصه.

هل لاحظت ما تقوله الآية الأخيرة أعلاه عن الحيَّة؟ *"أَمَّا الْحَيَّةُ فَالتُّرَابُ طَعَامُهَا"*. ففي أثناء المُلك الألفي، سوف تستمر الحيَّات بالزحف على بطنها للتذكير بأنه ما زال هناك حَدَث مهم في المرحلة الثالثة والأخيرة من خطة الله لإبطال اللعنة إلى الأبد.

محاولة الشَّيطان الأخيرة

رأينا من قبل أن "الحيَّة القَديْمَة" (الشيطان أو إبليس) ستُقيَّد وتُحتجز في حفرة في فترة المُلك الألفي: *"لِكَيْ لاَ يُضِلَّ الأُمَمَ فِي مَا بَعْدُ، حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ. **وَبَعْدَ ذلِكَ لاَبُدَّ أَنْ يُحَلَّ زَمَانًا يَسِيرًا**"* (سِفْر الرؤيا 20: 2–3).

لكِنْ لماذا سيقوم الله بتحرير الشيطان مَرَّة أخرى؟ لِمَ لا يُبقيه مسجوناً؟

سوف يَسمح الرب – بمُقتضى حكمته المُطلقة – لقلب الإنسان الخاطئ والفاسد بالتعرُّض للمَرَّة الأخيرة للشيطان الذي سيُسجن إلى الأبد. وعندها، سوف تصبح الحقيقة التالية واضحة كعين الشمس: نسل آدم عاجز عن التغلُّب على طبيعته الساقطة، ولا يُمكن لأحد سوى الله أن يُحَوِّل الخطاة إلى أبرار وأن يُغَيِّر قلوبهم العاصية.

*"**اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ**، مَنْ يَعْرِفُهُ؟ أَنَا الرَّبُّ فَاحِصُ الْقَلْبِ مُخْتَبِرُ الْكُلَى لأُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ طُرُقِهِ، حَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِهِ"* (سِفْر إرميا 17: 9–10).

يا لقلب الإنسان المخادع! فحتى بعد ألف سنة من العيش في بيئة كاملة تحت حُكْم مَلِك كامل، سوف يُصَدِّق الكثيرون (مِمَّن وُلدوا في فترة المُلْك الألفي) أكاذيب الشيطان ويتبعونه عندما يُطْلِق الله

سَراحه! فسوف يَصْطف هؤلاء مع عدو الله ويتمردون على خالقهم – تماماً كما فعل آباؤهم في عَدْن. وسوف تكون هذه هي محاولة الشيطان الأخيرة.

موقف الشَّيطان الأخير

*"ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ، الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ. فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ، **فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ**"* (سِفْر الرؤيا 20: 7–9).

سوف يَسمح الرب للأُمم التي تَتبع الشيطان بأن تُحاصر أورشليم. لكن حال تَجَمُّعهم، سوف تنزل نار من السماء وتلتهمهم. وهنا سوف يَصِل الشيطان وأتباعه إلى طريق مسدود.

الشَّيطان يُسْحَق

ما سيحدُث بعد ذلك هو الحدث الأعظم في التاريخ:

"ثُمَّ رَأَيْتُ عَرْشًا عَظِيمًا أَبْيَضَ، وَالْجَالِسَ عَلَيْهِ، الَّذِي مِنْ وَجْهِهِ هَرَبَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، *وَلَمْ يُوجَدْ لَهُمَا مَوْضِعٌ! وَرَأَيْتُ الأَمْوَاتَ صِغَارًا وَكِبَارًا وَاقِفِينَ أَمَامَ اللهِ، وَانْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ، وَانْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرُ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِينَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ. وَسَلَّمَ الْبَحْرُ الأَمْوَاتَ الَّذِينَ فِيهِ، وَسَلَّمَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ الأَمْوَاتَ الَّذِينَ فِيهِمَا. وَدِينُوا كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ. وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ.* ***هَذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي. وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ"*** (سِفْر الرؤيا 20: 10–15).

إذاً، سوف ينتهي الصراع الذي امتد لأجيال وأجيال.

بعد الدينونة أمام العرش العظيم الأبيض، سوف تُطوى صفحة لعنة العالم من التاريخ. غير أن الدروس المُستخلصة من دينونة الله للشر لن تُنسى أبداً. فسوف تشهد الخليقة كلها على نبذ الخطية وعلى بِرِّ الله.

أخيراً، سيتم سَحْق رأس الحية. فسوف يُطْرَح الشيطان وأتباعه إلى الأبد في *"النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ"* (إنجيل متَّى 25: 41). ولن يتمكَّن المحكوم عليهم في ذلك السجن الأبدي من الهرب. كما أنهم لن يتمكنوا من إلقاء اللَّوم على الله بسبب عقابه لهم لأنهم استمروا في تمردهم عليه رغم أنه باركهم بمَلِك كامل وبألف سنة من الحياة المثالية على الأرض. لذلك، لن يكون هناك أي عُذر للإنسان.

وبهذا، سوف تَثْبُت صِحَّة رسالة الله الواحد الحقيقي إلى الأبد. وسوف يبقى مع الله إلى الأبد كل من كُتِبَ اسمه في سِفْر حياة الخروف. *"وَأَمَّا الْخَائِفُونَ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجِسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ وَعَبَدَةُ الأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذَبَةِ، فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي"* (سِفْر الرؤيا 21: 8)[261] ولن يَرفع الشَّر رأسه القبيح مَرَّة أخرى، بل ستخضع الخليقة كلها لله الواحد الحقيقي.

مَعَهُ إلى الأبد!

ما سيحدث بعد ذلك سيكون أروع من أن يَتَصوَّره عقل بَشَر!

> "وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: '**هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ**، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، **وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ**. وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، **وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ** فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ.' وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: '**هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!**'" (سِفْر الرؤيا 21: 3-5).

وكما أنَّ الأصحاحين الأوَّلين من العهد القديم يَصِفان خليقة الله الأولى، فإن الأصحاحين الأخيرين من العهد الجديد يَصِفان خليقته الجديدة. فبعد زوال الشيطان والخطية والموت، سوف يَرجع الكون إلى

تَناغُمه التام السابق مع الخالق القُدُّوس. ولن يسقط البشر ولا الملائكة مَرَّة أخرى فريسة الخطية. فقد تعلَّموا الدروس اللازمة *"وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ"*.

يَشتمل برنامج الله على ما هو أكثر من إزالة تأثيرات خطية آدم. فهو سيجعل "كل شيء جديداً". وسوف يَحْصُل شعب الرب على أجساد سَماويَّة مُمَجَّدة تُلائم حضوره البهي. وسوف يَشترك المفديُّون من كل أُمَّة وحِقْبَة زمنيَّة في برامج الله الرائعة والأبديَّة. كما أنه سيكون من دواعي سرورنا – كمؤمنين – أن نَحيا معه إلى الأبد. وسوف يكون من دواعي سروره أيضاً أن نكون هناك. وعندها، ستُصبح عبارة *"الله معنا"* حقيقة دائمة.

مِثله تماماً!

لن تتوقف الشركة الرائعة بين الفادي وشعبه. فكل ما فقده آدم في الجَنَّة الأرضية سيَستردُّه أضعافاً مُضاعفة في الفردوس السماوي. عندما كان الله على وشك خلق المرأة والرَّجُل الأوَّلين قال:

"نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" (سِفْر التكوين 1: 26).

وكما رأينا، سوف يسير كل شيء وفقاً لخطَّة الله. وسوف تمتلئ السماء بالنساء والرِّجال الذين عَكَسوا صورته وشبهه في شخصياتهم وتصرُّفاتهم. كما أن الخطية لن تعود موجودة؛ بل سيُختم شعب الله بالبِرِّ. وقد استبق النبي داود هذا المشهد حين قال: *"أَمَّا أَنَا **فَبِالْبِرِّ** أَنْظُرُ وَجْهَكَ. أَشْبَعُ إِذَا اسْتَيْقَظْتُ **بِشَبَهِكَ**"* (المزمور 17: 15).

وسوف يكون الرِّجال والنساء والأطفال المفديون مَختومين إلى الأبد بصفتهم خليقة الله الجديدة: *"لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا **مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ**"* (رسالة رومية 8: 29).

*"أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ **نَكُونُ مِثْلَهُ**، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ"* (رسالة يوحنَّا الأولى 3: 2).

مِنْ أجله!

منذ البداية، كان قَصْد الله هو إنشاء ملكوته بين البشر بطريقة نعرف من خلالها مجده، وطهارته، ومحبته، وعدله، ورحمته، ونعمته.

وطوال هذه الحرب الطويلة مع الشيطان، كان قَصْد الله هو افتقاد الأمم *"لِيَأْخُذَ مِنْهُمْ شَعْبًا عَلَى اسمِهِ"* (أعمال الرُّسُل 15: 14). وسوف يُحَقِّق الرب القَصْد الذي جاء إلى هذه الأرض لتحقيقه: شعباً مَفدياً على صورته يتمتَّع بحضوره، ويُمَجِّده، ويُحِبُّه إلى الأبد من قلب يفيض بالتسبيح والشُّكْر.

ويمكن للمرحلة الثالثة والأخيرة من برنامج الله لإبطال لعنة الخطية أن تبدأ في أية لحظة. فهل أنت مُستعد؟ وهل التفكير في المجيء الثاني للمسيح يملأ قلبك بالفرح أَم بالرُّعْب؟

ورغم أن الكتاب المقدَّس يُقَدِّم لنا توضيحات كثيرة عن نهاية الأزمنة، إلاَّ أنه لا يُمكننا هنا أن نُسَلِّط الضوء عليها في رحلتنا هذه عَبْر الكتاب المقدَّس. لذلك، يَكفينا في هذه المرحلة أن نَعْلَم أنَّ خالقنا الجدير بالثقة سيُحَقِّق النُبُوَّة الواردة في الأصحاح الأخير من كتابه:

*"**وَلاَ تَكُونُ لَعْنَةٌ** مَا فِي مَا بَعْد"* (سِفْر الرؤيا 22: 3).

30
نَظْرَة إلى الفِرْدَوس

يَنْظُر الكثيرون إلى الشَّر من خلال مفهوم الـــ "ينْ–يَانْغ". إنَّ كلمة "ينْ" تَعني "ظَليل" (أو مُعْتِم). أمَّا كلمة "يَانْغ" فتعني "مُشْمِس" (أو مُشْرِق). ولعلَّك رأيت يوماً رمز الـــ "ينْ–يَانْغ"؛ وهو عبارة عن دائرة فيها مزيج مُمَيَّز من الأسود والأبيض. ورغم أن هذه الفلسفة الصينية القديمة تشتمل على بعض الحقيقة، إلاَّ أنها لا تُمَيِّز بوضوح بين الخير والشر، وبين الصواب والخطأ، وبين الحياة والموت. فهي تنظر إلى الخير والشر كَسِمَتَيْن طبيعيَّتين لوجود الإنسان.

لكن كما رأينا سابقاً، فإن الكتاب المقدَّس يُقَدِّم نَظْرَة مُختلفة عن الخير والشر. فهو لا يُؤيِّد الفكرة التي تقول بأن الألم والحزن يُشَكِّلان جزءاً لا يتجزأ من الكون وأنهما سيظلاَّن هكذا دائماً. بل إن الكتاب المقدَّس واضح في هذا الشأن. فسوف يأتي يوم يتلقَّى فيه الشر والألم والموت ضَربة قاضية تجعلها تختفي من صفحات التاريخ. ويُصَوِّر الرسم التالي برنامج الله غير القابل للتغيير:

الأزل	[الزمن]	الأبد
كل شي حَسَن	**[الخير/الشر]**	**كل شيء حَسَن**

إن الوضع الراهن المؤلف من [خَيْر وشَر] محصور بين قوسين للدلالة على أنه لن يستمر إلى الأبد.[262]

يُصَوِّر الأصحاحان الأوَّلان والأصحاحان الأخيران من الكتاب المقدَّس عالماً يخلو من الخطية، عالماً يتمتَّع الله فيه بمحبة البشر وتمجيدهم له. غير أننا نرى الله يُنَفِّذ خطته ما بين هذين الأصحاحين الأوَّلين والأصحاحين الأخيرين حيث أنه يُعالج مُشكلة الخطية ولعنتها ليحصل على شعب مَفدي يعرفه ويُحبُّه ويَتوق إلى تمضية الأبدية معه.

وكما هو حال أي قصة جيدة، فإن تاريخ الفداء له بداية، ووسط، ونهاية:

البداية: سِفْر التكوين 1 و 2:
عالم كامل – قبل دخول الشر.
الوسط: من سِفْر التكوين 3 إلى سِفْر الرُّؤيا 20:
عالم فاسد – تَدَخُّل الله.
النهاية: سِفْر الرُّؤيا 21 و 22:
عالم كامل – بعد القضاء على الشر.

سِفْر النِّهايات

كما أنَّ السِّفْر الأول من الكتاب المقدَّس يُدعى "سِفْر البدايات"، فإن السِّفْر الأخير من الكتاب المقدَّس يُدعى "سِفْر النهايات".

سِفْر التَّكوين	**سِفْر الرُّؤيا**
بداية كل شيء	نهاية كل شيء
خلق السماء والأرض	خلق السماء والأرض الجديدتين
خلق الشمس من أجل الأرض	الله هو نور السماء
اختبار الشيطان الأول للإنسان	اختبار الشيطان الأخير للإنسان
دينونة الله الأولى	دينونة الله الأخيرة
دخول الخطية والموت	إبْطال الخطية والموت
"آدم الأول" يفقد سُلطانه	"آدم الأخير" يستعيد سُلطانه
الله يَعِدُ بسحق الشيطان	طَرْح الشيطان في بُحيرة النار
الحَمَل الأول يُذْبَح	حَمَل الله يُمَجَّد
الإنسان يُطرَد من الفردوس الأرضي	الإنسان في الفردوس السماوي
الإنسان مُنفصل عن شجرة الحياة	الإنسان يأكل من شجرة الحياة
البشر مُنفصلون عن الله	البشر المُخَلَّصون مع الله إلى الأبد

يُمكننا أن نستمر في سَرْد المزيد والمزيد؛ لكِنْ ما يهمنا هنا هو أن نفهم الفكرة الرئيسية.

الرؤيا

فيما نُكمل رحلتنا معاً، نود أن نتأمَّل في "نهاية" قصة الله التي ستكون – في حقيقة الأمر – بداية جديدة. يبدأ السِّفْر الأخير من الكتاب المقدَّس بهذه الكلمات:

> *"**إِعْلاَنُ** يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَعْطَاهُ إِيَّاهُ اللهُ، لِيُرِيَ عَبِيدَهُ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ قَرِيبٍ، وَبَيَّنَهُ مُرْسِلاً بِيَدِ مَلاَكِهِ لِعَبْدِهِ يوحنَّا، الَّذِي شَهِدَ بِكَلِمَةِ اللهِ وَبِشَهَادَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِكُلِّ مَا رَآهُ. طُوبَى لِلَّذِي يَقْرَأُ وَلِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ أَقْوَالَ النُّبُوَّةِ، وَيَحْفَظُونَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهَا، لأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ. وَمِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ: **الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً للهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ. هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ،** وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. نَعَمْ آمِينَ. 'أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ' يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ"* (سِفْر الرؤيا 1: 1–3، 5–8).[263]

أوحى الله بهذه الكلمات للرسول يوحنَّا الذي كان أحد التلاميذ الاثني عشر الذين تبعوا يسوع أثناء خدمته على الأرض.[264] وبعد مرور ستة عقود على صعود يسوع إلى السماء، أوحى الروح القُدُس إلى يوحنَّا بكتابة هذا السِّفْر الأخير من كتاب الله.

كلمة "رؤيا" تعني "الكشف". فهذا السِّفْر الرائع يَكشف لنا عن أحداث لا يستطيع أي بشر تَصَوُّرها. وهو يُرينا كيف أن الله سيُبرئ اسمه ويستعيد ذلك السُّلطان الذي فقده الإنسان بسبب الخطية. كما أن هذا السِّفْر يُلقي بعض الضوء على الفردوس.

العَرْش

أتاح الله لفئة صغيرة من أنبيائه ورُسُله أن يَلمحوا مكان سُكناه لَمْحَة خاطفة. أمَّا الرسول يوحنَّا فرأى ذلك بوضوح تام، وكتب:

"بَعْدَ هذَا نَظَرْتُ وَإِذَا ***بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ،*** *وَالصَّوْتُ الأَوَّلُ الَّذِي سَمِعْتُهُ كَبُوق يَتَكَلَّمُ مَعِي قَائِلاً: 'اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَصِيرَ بَعْدَ هذَا.' وَلِلْوَقْتِ صِرْتُ فِي الرُّوحِ،* ***وَإِذَا عَرْشٌ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ.*** *وَكَانَ الْجَالِسُ فِي الْمَنْظَرِ شِبْهَ حَجَرِ الْيَشْبِ وَالْعَقِيقِ* [حجران كريمان[265]]، *وَقَوْسُ قُزَحَ حَوْلَ الْعَرْشِ فِي الْمَنْظَرِ شِبْهُ الزُّمُرُّدِ"* (سِفْر الرؤيا 4: 1–3).

اجتهد يوحنَّا في وصف مكان العرش في السماء. فقد كان المشهد بديعاً يخلب الألباب. وكانت الملائكة التي تُحلِّق حول عرش الله تنشد قائلة: *"****قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ،*** *الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي"* (سِفْر الرؤيا 4: 8).

قال يوحنَّا إن ما رآه كان شبيهاً بعض الشيء بما رآه على الأرض، ولكنه يفوقه جمالاً وروعةً بما لا يُقاس. كما أنه رأى مكاناً يُشِعُّ منه نور ساطع، ورأى ألواناً بديعةً يَعْسُر وصفها. علاوة على ذلك فقد سمع أصوات تُدَوِّي كالرَّعد وأصوات أخرى تُعَبِّر عن الفرح والتسبيح. غير أنَّ أكثر ما أَسَرَ قلب يوحنَّا كان ذلك الجالس على العرش.[266]

فَرَح غامِر!

تُصَوِّر ديانات الأرض الفردوس بأشكال وطرق مختلفة بعضها يدعو للضَّجَر وبعضها الآخر يدعو للضحك كما هو الحال في بعض الرسوم المتحركة: أشخاص يجلسون على الغيوم ويعزفون على القيثارات. لكِنَّ هذا بعيد كل البُعد عن ما يقوله الكتاب المقدَّس عن مكان سُكنى الله المجيد.

كما أن بعض الديانات تُصَوِّر الفردوس وكأنه حديقة يجلس في وسطها الرجال ويتمتَّعون بالمَلَذَّات الحِسِيَّة. لكِنَّ هذه الفكرة ليست صحيحة أيضاً. فعندما كان الرب يسوع على الأرض، قال عن المؤمنين في الفردوس إنهم *"لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةِ اللهِ فِي السَّمَاءِ"* (إنجيل متَّى 22: 30).

الفردوس هو مكان يَتَمَحْوَر فيه كل شيءٍ حول الله. وهو مكان يَسوده الفرح الغامر والسعادة التي لا توصف نتيجة التواجد في مَحْضَر الله ونتيجة المحبة التي لا تنضب. وهو مكان تَتَّخِذ فيه العلاقات طابعاً أسمى جداً ممَّا كانت عليه على الأرض. فعلى سبيل المثال، لقد صَمَّم الله الزواج الأرضي لكي

يُعطينا لمحة خاطفة عن العلاقة المجيدة التي ستنشأ بين الرب وشعبه المَفدي طوال الأبدية. لذلك فإن أنجح العلاقات الزوجية الأرضية تقف عاجزة عن تمثيل الفرح الغامر والرِّفقة المقدَّسة اللذين سيتمتَّع بهما المؤمنون المُتَّحدون مع المسيح. والكتاب المقدَّس يَصِف هذه العلاقة بـــ *"السِّرِّ العَظِيمِ"* (رسالة أفسُس 5: 32) ويقول *"طُوبَى لِلْمَدْعُوِّينَ إِلَى **عَشَاءِ عُرْسِ الْخَرُوفِ!**"* (سِفْر الرؤيا 19: 9). وهكذا، فالفردوس يعني الوجود في مَحْضَر الرب.

وكما أن الملائكة التي خُلِقَت مُنذ القديم مُندهشة الآن بحضور الله أكثر من أي وقت مضى، فإن بني آدم المَفديِّين سيحتاجون إلى الأبدية بأسرها لإدراك روعة الرب إلهنا، وحكمته، وكماله!

*"مَا أَكْرَمَ أَفْكَارَكَ يَا اَللهُ عِنْدِي! مَا أَكْثَرَ جُمْلَتَهَا! إِنْ أُحْصِيهَا فَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ الرَّمْلِ. اسْتَيْقَظْتُ **وَأَنَا بَعْدُ مَعَكَ**"* (المزمور 139: 17–18).

وهكذا، فإن الفرح الذي سيَغْمُرُنا بسبب وجودنا في مَحْضَر الرب لن ينتهي أو ينقص. فالسؤال ليس ما إذا كُنَّا سنشعُر بالضَّجَر أَمْ لا، بل ما إذا كُنَّا سنتمكَّن من حَجْب أنظارنا عنه للحظة واحدة!

*"تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. **أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ**. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ"* (المزمور 16: 11).

جَماعة المَفْدِيِّين

إلى جانب أنَّ الرسول يوحنَّا لمح الرب الجالس على العرش، فقد رأى أيضاً جماعة المَفْدِيِّين.

*"بَعْدَ هذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، **مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ**، وَاقِفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ، مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: 'الْخَلاَصُ لإِلهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ'"* (سِفْر الرؤيا 7: 9–10).

هل تَذْكُر كيف وعد الله بمُباركة جميع أمم الأرض وشعوبها من خلال المُخَلِّص المولود من نسل إبراهيم وإسحق ويعقوب؟[267] لقد سمح الله ليوحنَّا بالنظر إلى المستقبل ليشهد على تنفيذ وعده. فسوف تقف جميع شعوب الأرض وأُممها وجماعاتها أمام عرش الله. كما أن جماعة المَفْدِيِّين ستقف مُسَبِّحةً وعابدةً الخَروف الذي سَفَك دمه ليُحَرِّرَها من الموت الأبدي ويمنحها الحياة الأبدية.

*"وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: 'مُسْتَحِقٌ أَنْتَ ... **لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا** للهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لإِلهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى الأَرْضِ.' وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ، قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: 'مُسْتَحِقٌ **هُوَ الْخَرُوفُ الْمَذْبُوحُ** أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ!'"* (سِفْر الرؤيا 5: 9–12).

هذا هو فاديَّ!

قبل أربعة آلاف سنة تقريباً، قال النبي أيُّوب:

*"**أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي*** [فادِيَّ] ***حَيٌّ**، وَالآخِرَ عَلَى الأَرْضِ يَقُومُ، وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هذَا، **وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللهَ**. الَّذِي أَرَاهُ أَنَا لِنَفْسِي، وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرُ. إِلَى ذلِكَ **تَتُوقُ** كُلْيَتَايَ فِي جَوْفِي!"* (سِفْر أيُّوب 19: 25–27).

هل يَتوق قلبك لرؤية الله كأيُّوب؟ وهل تعرفه كفادٍ لك؟

إنَّ جميع المؤمنين الحقيقيين يُشاطرون النبي أيُّوب الرأي. ورغم أنني لا أستطيع أن أتكلَّم نيابة عنك، إلاَّ أنني مُتيقِّن من أنني سأرى فادِيَّ وجهاً لوجه! فسوف أمشي وأتكلم مع *"ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي"* (رسالة غلاطيَّة 2: 20).

نعم، إنني أتطلَّع بشوق لقضاء أوقات رائعة من الشركة مع شعب الله من كل جيل وعصر بما في ذلك أفراد العائلة والأصدقاء الذين سبقوني في الذهاب عند الرب. كما أنني أتمنى من أعماق قلبي أن

تكون أنت أيضاً من بين هؤلاء الأشخاص. لكِنَّ أكثر ما أتوق إليه هو أن أرى يسوع الذي خَلَّصني وفَداني من دينونة الخطيَّة!

إحدى الحقائق المدهشة التي يحاول ذهني أن يتأمَّل فيها هي أن الرب يُريدني أن أمضي الأبدية معه! ففي الليلة التي تَمَّ فيها اعتقال يسوع لمُحاكمته وصلَبه، صلَّى قائلاً:

*"أَيُّهَا الآبُ **أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا**، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ"* (إنجيل يوحنَّا 17: 24).

وهذا هو لُبُّ رسالة الله. فقد خلق البشر ليكونوا معه، غير أنه لن يُجبرك على قبول عرضه هذا. فهو يترك الخيار لك:

"مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ ... مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلاَّ الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ؟" (سِفْر الرؤيا 2: 7، رسالة يوحنَّا الأولى 5: 5).

المسكن الأبدي الكامل

يُدَوِّن لنا الأصحاحان الأخيران من الكتاب المقدَّس تفاصيل اللَّمْحَة الخاطفة التي رآها يوحنَّا للمسكن الأبدي الذي سيعيش فيه المؤمنون من كل عصر مع خالقهم وفاديهم ليشتركوا في كل ما أَعَدَّه لشعبه.

*"ثُمَّ رَأَيْتُ **سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً**، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ. وَأَنَا يوحنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ المقدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ"* (سِفْر الرؤيا 21: 1–2).

سوف تنزل المدينة المجيدة "مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ" لتَتَّحِد بأرضنا الجديدة. ولن يكون للأرض الجديدة بحر (*"وَالْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ"*)، ولا قارَّات مُنفصلة بعضها عن بعض.

*"وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، **وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ** فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ"* (سِفْر الرؤيا 21: 4).

سوف يكون كل شيء كاملاً، وسوف تكون المدينة السماوية مَجيدة إلى حَدٍّ يَصْعُب تَصَوُّرُه. فحتى الرسول يوحنَّا وجد صعوبة في وصفها:

*"**وَالْمَدِينَةُ كَانَتْ مَوْضُوعَةً مُرَبَّعَةً**، طُولُهَا بِقَدْرِ الْعَرْضِ. فَقَاسَ الْمَدِينَةَ بِالْقَصَبَةِ مَسَافَةَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ غَلْوَة* [2200 كيلومتر]. *الطُّولُ وَالْعَرْضُ وَالارْتِفَاعُ مُتَسَاوِيَةٌ. وَقَاسَ سُورَهَا: مِئَةً وَأَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، ذِرَاعَ إِنْسَانٍ أَيِ الْمَلاَكُ. وَكَانَ بِنَاءُ سُورِهَا مِنْ يَشْبٍ، وَالْمَدِينَةُ ذَهَبٌ نَقِيٌّ شِبْهُ زُجَاجٍ نَقِيٍّ. وَأَسَاسَاتُ سُورِ الْمَدِينَةِ مُزَيَّنَةٌ بِكُلِّ حَجَرٍ كَرِيمٍ. الأَسَاسُ الأَوَّلُ يَشْبٌ. الثَّانِي يَاقُوتٌ أَزْرَقُ. الثَّالِثُ عَقِيقٌ أَبْيَضُ. الرَّابِعُ زُمُرُّدٌ ذُبَابِيٌّ الْخَامِسُ جَزَعٌ عَقِيقِيٌّ. السَّادِسُ عَقِيقٌ أَحْمَرُ. السَّابِعُ زَبَرْجَدٌ. الثَّامِنُ زُمُرُّدٌ سِلْقِيٌّ. التَّاسِعُ يَاقُوتٌ أَصْفَرُ. الْعَاشِرُ عَقِيقٌ أَخْضَرُ. الْحَادِي عَشَرَ اسمانْجُونِيٌّ. الثَّانِي عَشَرَ جَمَشْتٌ. وَالاثْنَا عَشَرَ بَابًا اثْنَتَا عَشَرَةَ لُؤْلُؤَةً، كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الأَبْوَابِ كَانَ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ. **وَسُوقُ الْمَدِينَةِ ذَهَبٌ نَقِيٌّ كَزُجَاجٍ شَفَّافٍ**. وَلَمْ أَرَ فِيهَا هَيْكَلاً، لأَنَّ الرَّبَّ اللهَ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ وَالْخَرُوفُ هَيْكَلُهَا. وَالْمَدِينَةُ لاَ تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلاَ إِلَى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، **لأَنَّ مَجْدَ اللهِ قَدْ أَنَارَهَا، وَالْخَرُوفُ سِرَاجُهَا**. وَتَمْشِي شُعُوبُ الْمُخَلَّصِينَ بِنُورِهَا، وَمُلُوكُ الأَرْضِ يَجِيئُونَ بِمَجْدِهِمْ وَكَرَامَتِهِمْ إِلَيْهَا. وَلَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا يَصْنَعُ رَجِسًا وَكَذِبًا، **إِلاَّ الْمَكْتُوبِينَ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْخَرُوفِ**"* (سِفْر الرؤيا 21: 16–24، 27).

وهكذا، سوف تكون هذه المدينة الهائلة مَجيدة في كل تفاصيلها. فحتى شوارعها ستكون من *"ذَهَب نَقِيّ شِبْه زُجَاجٍ نَقِيٍّ"*. فقد تَمَّ تصميم كل شيء فيها ليعكس مجد الرب.

ولن يكون للمدينة هيكل ولا شمس لأن الرب نفسه هو هيكلها ومصدر نورها الوحيد: *"وَالْخَرُوفُ سِرَاجُهَا"*. كما أن السماء ستُضيء بذاك الذي قال في اليوم الأول من أيام الخلق: *"لِيَكُنْ نور"*. وسوف يكون النور الذي يُضيء المدينة هو نفسه النور البهي الذي سَطَعَ في قُدْس الأقداس في خيمة الاجتماع، وفي الهيكل، وفي شخص يسوع الذي قال عن نفسه: ***"أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ"*** (إنجيل يوحنَّا 8: 12).

سوف تكون هذه المدينة السماوية على شكل مُكَعَّب (كقُدس الأقداس الذي يرمز إلى السماء) حيث سيبلغ طول المدينة وعرضها وعُلُّوها 2200 كيلومتراً في كافة الاتجاهات. وعلى ما يبدو، سوف تَعلو المدينة فوق طبقة الستراتوسفير للأرض الجديدة لتصل إلى الطبقات الأعلى من الفضاء.

كذلك، سوف تكون مساحة هذا المسكن المجيد كافية لاستيعاب كل شخص وُلد على الأرض. لَكِنْ لن يكون الجميع هناك ليملأوا تلك المساحة: *"إِلاَّ الْمَكْتُوبِينَ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْخَرُوفِ"*. فالأشخاص الذين آمنوا بالله الواحد الحقيقي وبخلاصه أثناء حياتهم على الأرض هُم الذين سيوجدون فيها.

ثُمَّ يَصِفُ الأصحاح الأخير من سِفْر الرُّؤيا الحديقة التي ستُتَزيِّن المدينة:

*"وَأَرَانِي نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لاَمِعًا كَبَلُّورٍ، خَارِجًا مِنْ عَرْشِ اللهِ وَالْخَرُوفِ. فِي وَسَطِ سُوقِهَا وَعَلَى النَّهْرِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ، **شَجَرَةُ حَيَاةٍ** ... وَلاَ تَكُونُ لَعْنَةٌ مَا فِي مَا بَعْدُ. وَعَرْشُ اللهِ **وَالْخَرُوفِ** يَكُونُ فِيهَا، وَعَبِيدُهُ يَخْدِمُونَهُ. وَهُمْ سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ، وَاسمهُ عَلَى جِبَاهِهِمْ. ... وَهُمْ **سَيَمْلِكُونَ** إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ"* (سِفْر الرؤيا 22: 1-5).

القِصَّة المُكتملة

لقد دارَت قصة الله دورة كاملة.

*"فِي وَسَطِ سُوقِهَا وَعَلَى النَّهْرِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ، **شَجَرَةُ حَيَاةٍ**".*

ما بدأ في جَنَّة بديعة سينتهي في مدينة رائعة فيها حديقة خَلاَّبة. لكن على النقيض من جَنَّة عَدْن، لن يحتوي الفردوس السماوي على شجرة معرفة الخير والشر، بل سيحتوي على شجرة الحياة التي

انفصل آدم وحوَّاء عنها عندما أخطآ. وسوف تكون القداسة والحياة الأبدية الخيارين الوحيدين في المدينة السماوية. كذلك سوف ينتهي زمن التجارب والآلام ويُمسي صفحة من صفحات التاريخ.

*"وَعَرْشُ **الله وَالْخَرُوفِ** يَكُونُ فِيهَا، وَعَبِيدُهُ يَخْدِمُونَهُ. **وَهُمْ سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ** ... وَهُمْ **سَيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ**".*

لن يَنْسَ شعب الله في الأبدية الثمن الغالي الذي دفعه *"حَمَل الله"* لكي يفدي نفوسهم العاجزة من الدينونة، ولكي يؤهِّلهم لقضاء الأبدية معه.

كذلك، سوف تكون الشَّركة الطيِّبة التي لا تَنقطع هي السِّمَة الدائمة لبيت الرب وشعبه. وسوف يكون وجود الرب معنا ووجودنا معه أروع جداً من أي شيء كان يُمكن لآدم وحوَّاء أن يَختبراه لو أنهما لم يَسْقُطا في الخطية.

لكن لماذا ستكون علاقتنا بالرب رائعة جداً؟ يَكْمُن الجواب في كلمة "**فِداء**".

*"الَّذِي **أَنْقَذَنَا** مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، **وَنَقَلَنَا** إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ، **الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ**، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا"* (رسالة كولوسي 1: 13-14).

فهل هناك أروع من أن يَتِمَّ **إنقاذنا** – نحن الذين تَعَدَّينا على ناموس الله – **من** أسوأ مصير قادنا إليه الموت والخطية، **ونَقْلُنا** إلى أفضل مكان لنصير مواطنين في ملكوت الله حيث يسود النور والحب؟

هذا هو ما أَعَدَّه خالقنا وفادينا لكل من يثق به وحده لخلاصه. فبدافع محبته العظيمة وبواسطة دمه الكريم، فدى الخطاة العاجزين من الجحيم وأَهَّلَهُم للسماء.

هذه هي القصة الكاملة الرائعة؛ قصة الفداء التي ستتذكره وتُقَدِّره طوال الأبدية.

"بَعْدَ هذَا نَظَرْتُ وَإِذَا ***جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ،*** *وَاقِفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ، مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: 'الْخَلاَصُ لإِلهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ'"* (سِفْر الرؤيا 7: 9–10).

"وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: مُسْتَحِقٌ ... ***لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ*** *مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ ... لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ* ***إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ"*** (سِفْر الرؤيا 5: 9، 13).

سَعادة أبديَّة

يَعشق الناس بمختلف أعمارهم قصص الحُب التي تَزْخُر بالأحداث العاطفية، ومُغامرات الإنقاذ، والنهايات السعيدة.[268]

وسواء كانت القصة أسطورة حوَّلها حكَواتي القرية إلى قصة دراميَّة وقَصَّها على أهل القرية الجالسين حول النار المُتأجِّجة تحت السماء الصافية، أو حكاية خيالية يَحكيها أب لطفله قبل نومه، فإن لجميع القصص حَبْكَة مُشابهة. وهي تسير على النحو التالي تقريباً:

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان فتاة تعيش في تعاسة كبيرة بسبب شخص شرِّير كان يستعبدها. وعندما أوشكت على الغَرَق في حُزنها المَرير، امتَدَّت يَدُ القَدَر العَجيبة وخَلَّصتها من مصيرها المشؤوم على يد مُحارب عظيم أو أمير وسيم. وبعد أن أنقذ البطل حبيبته تزوَّجها وعاشا معاً في منزله البديع.

وكيف تنتهي الحكاية؟

وعاشا حياةً هَنيئةً في سعادةٍ أبديَّة.

لماذا يَسْرُد الناس قصصاً كهذه؟

لأن الله وضع في روح الإنسان رغبة للتحرُّر من الشر، والبحث عن الحب، والعيش في سعادة أبدية. لهذا، نرى أن الصغار والكبار يَعشقون مثل هذه الحكايات.

لَكِنَّ قصة الله ليست حكاية من نسج الخيال. فالقصص الخيالية لا تؤيِّدها براهين تاريخية ولا تؤكِّدها اكتشافات أثريَّة. كما أن القصة التي ابتدعها بَشَر لا يَكتبها عشرات الأشخاص على مدى خمسة عشر قرناً، ولا تذكرها مئات النُبُوَّات المُفَصَّلة. كما أنه لا يُمكن لأي بطل زائف أن يتكلَّم بحكمة يسوع السماوية ولا أن يقول للذين جاء لينقذهم: *"هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلى أُورُشَلِيمَ، وَسَيَتِمُّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ بِالأَنْبِيَاءِ عَنِ ابْنِ الإِنْسَانِ، لأَنَّهُ يُسَلَّمُ إِلى الأُمَمِ، وَيُسْتَهْزَأُ بِهِ، وَيُشْتَمُ وَيُتْفَلُ عَلَيْهِ، وَيَجْلِدُونَهُ، وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ"* (إنجيل لوقا 18: 31–33).

كما أنه لا يُمكن لأي قصة خيالية أن تُعطي الخطاة الهالكين ضميراً طاهراً ويقيناً بالحياة الأبدية، ولا أن تَجعلنا نتمتَّع بعلاقة شخصية مع خالقنا، ولا أن تُحَوِّل قلوبنا الخاطئة والأنانية إلى قلوب تَتوق إلى تمجيد الله وخدمة الآخرين.

وهكذا، فإن قصة الله هي القصة الوحيدة القادرة على القيام بكل هذه الأمور لأنها قصة حقيقية!

وفيما يلي مُلَخَّص هذه القصة: تَتَمَحْوَر قصة الله الواحد الحقيقي ورسالته حول ابنه الأزلي الذي أصبح إنساناً، وعاش حياة كاملة، وسَفَك دمه الطاهر، ومات، وقام من الموت ليُخَلِّص الخطاة العاجزين من الشيطان والخطية والموت والجحيم لكي يتمكن كل من يؤمن به من مُشاركته في تلك الروائع التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى لحكمته ومحبته في مجد بيت أبيه.

هذه هي بشارة الله للعالم الغارق في التعاسة. وبفضل ما فعله لأجلنا، يُمكننا أن نحيا في سعادة أبَديَّة.

*"قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ اللهُ أَنَّهُ يَكُونُ **إِلى الأَبَدِ**"* (سِفْر الجامعة 3: 14).

دَعْوَة وتَحذير

ينتهي كتاب الله بهذه الكلمات:

*"**أَنَا يَسُوعُ**، أَرْسَلْتُ مَلاَكِي لأَشْهَدَ لَكُمْ بِهذِهِ الأُمُورِ عَنِ الْكَنَائِسِ. أَنَا أَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ. كَوْكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرُ ... أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ"* (سِفْر الرُّؤيا 22: 16، 13).

*"**وَالرُّوحُ وَالْعَرُوسُ*** [الخُطاة المَفْدِيُّون] ***يَقُولاَن: 'تَعَالَ!'*** *وَمَنْ يَسْمَعْ فَلْيَقُلْ: 'تَعَالَ!' وَمَنْ يَعْطَشْ فَلْيَأْتِ. **وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا**. لأَنِّي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالَ نُبُوَّةِ هذَا الْكِتَابِ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هذَا، يَزِيدُ اللهُ عَلَيْهِ الضَّرَبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِي هذَا الْكِتَابِ. **وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ** مِنْ أَقْوَالِ كِتَابِ هذِهِ النُّبُوَّةِ، يَحْذِفُ اللهُ نَصِيبَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَمِنَ الْمَدِينَةِ المقدَّسةِ، وَمِنَ الْمَكْتُوبِ فِي هذَا الْكِتَابِ. يَقُولُ الشَّاهِدُ بِهذَا: 'نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعًا.' آمِينَ. **تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ!** نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. **آمِينَ**"* (سِفْر الرؤيا 22: 17–21).

وهكذا، يَختم الكاتب الحقيقي الأزلي قِصَّته ورسالته بكلمة "آمين" (التي تَعني: "هذا قَوْلٌ حَقٌّ وجَديرٌ بالتَّصْديق" أو "فليَكُن كذلك").

الله والإنسان معاً إلى الأبد

هل تتذكَّر جواب آدم عندما جاء الرب إلى الجَنَّة مُنادياً: *"أين أنت؟"* لقد أجاب آدم بخجل:

"سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" (سِفْر التَّكوين 3: 10).

حاول الرَّجُل والمرأة أن يختبآ من خالقهما ومالكهما لأنهما أخطآ.

لَكِنْ الآن، في نهاية التاريخ، كيف يَتَجاوب المؤمنون – بمُختلف أعمارهم – مع وعد خالقهم وفاديهم لهم بأنه سيرجع ويأخذهم ليحيوا معه إلى الأبد؟ إنهم يُجيبون بفرح قائلين:

"آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ" (سِفْر الرؤيا 22: 20).

ما الذي أحدث هذا التغيير؟ ولماذا لا يختبئ بعض بني آدم من رَبِّهم؟ ولماذا أصبحوا يتوقون إلى مجيئه الثاني ليروه وجهاً لوجه؟ يَكْمُن الجواب في رسالة الله الواحد الحقيقي:

"الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً،
لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا،
بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ
الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ
قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ،
وَإِنَّمَا أُظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا
يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ
وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ
بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ" (رسالة تيموثاوس الثانية 1: 9–10).

قاعدة واحِدة

كما أن الله وَضَّحَ قانونه الوحيد لآدم في جَنَّة عَدْن الأرضيَّة، فقد وَضَّحَ أيضاً قانونه الوحيد لنسل آدم بشأن المدينة السماوية:

*"**وَلَنْ** يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا يَصْنَعُ رَجِسًا وَكَذِبًا، **إِلَّا** الْمَكْتُوبِينَ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْخَرُوفِ"* (سِفْر الرُّؤيا 21: 27).

هل اسمك مكتوب في سِفْر حياة الخروف؟ إذا كانت إجابتك "نعم"، فإليك هذه الرسالة الشخصية التي يُوَجِّهُها الله لك:

"لاَ تَضْطَرِبْ **قُلُوبُكُمْ**.

أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي.
فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ،
وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ **لَكُمْ**.
أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ **لَكُمْ** مَكَانًا،
وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ **لَكُمْ** مَكَانًا
آتِي أَيْضًا **وَآخُذُكُمْ** إِلَيَّ،
حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ **أَنْتُمْ** أَيْضًا ...
أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ.
لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي."
– يسوع (إنجيل يوحنَّا 14: 1–3، 6)

الخَاتِمَة

كانت كتابة هذا الكتاب رحلة مليئة بالحماس والتشويق. كما أنني نِلْتُ بَرَكات يَعجز لساني عن وصفها من خلال تأمُّلي في خالقي وفادِيَّ، وفي قصَّته الرائعة، وفي رسالته التي لا نظير لها. علاوة على ذلك، فقد لَمَسْتُ بوضوح حُضور الرب وإرشاده طوال فترة عملي في هذا المشروع. لهذا فإنني أُعطي كل المجد والتسبيح له.

شُكراً جَزيلاً

رغم أنني اتخذت قراراً بعدم إدراج لائحة طويلة بأسماء الأشخاص الذين يَستحقون الشكر، فإنني على يقين بأن هذا الكتاب لم يَكُن ليرى النور لولا دعم زوجتي الرائعة كارول وصبرها ولولا مُلاحظات الأهل والأصدقاء القيِّمة جداً. أمَّا غلاف الكتاب ورسوماته فهي من إعداد أخي العزيز دايف. أشكركم جزيل الشُّكر من أعماق قلبي.

"لأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ حَتَّى يَنْسَى عَمَلَكُمْ وَتَعَبَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَظْهَرْتُمُوهَا نَحْوَ اسمِهِ، إِذْ قَدْ خَدَمْتُمُ الْقِدِّيسِينَ وَتَخْدِمُونَهُمْ" (الرِّسالة إلى العبرانيين 6: 10).

كما أود أن أُعبِّر عن امتناني لجميع المُسلمين الذي راسلوني عبر البريد الإلكتروني لأن رسائلهم تلك حَثَّتني كثيراً على الكتابة.

علاوة على ذلك، أود أن أشكركم على انضمامكم إليَّ في هذه الرحلة القصيرة. أقول إنها قصيرة لأنها كان يمكن أن تكون أطول بكثير. فالآيات التي قرأناها من الكتاب المقدَّس طوال رحلتنا هذه تُشَكِّل أقل من 4% من إجمالي آيات الكتاب المقدَّس بأكمله. لذلك، رُغم أننا وصلنا إلى نهاية رحلتنا، فإن الرحلة الحقيقية قد بدأت للتَّو!

الرِّحلة المُستمرَّة

رُغم أن الله الواحد الحقيقي وَضَّح رسالته لجميع الذين يريدون أن يفهموها، إلاَّ أنه (الرب) في الوقت نفسه عميق وغير محدود. لذلك، لا يُمكن لأي إنسان أو مَلاك أن يستوعب كل شيء عنه. وقد سَبَقَ أن عَبَّر الرسول يوحنَّا عن هذه الحقيقة في آخر آية من الإنجيل الذي يَحمل اسمه:

"وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ، إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ" (إنجيل يوحنَّا 21: 25).

ربما كان الجُزء الأصعب في تأليفي لهذا الكتاب "إله واحد، رسالة واحدة" هو اختيار الآيات التي سأقتبسها والآيات التي لن أقتبسها من الكتاب المقدَّس. ففي حقيقة الأمر أن كلمة الله كنز ثمين لا يَنضب. وهي لذيذة ومُشْبِعَة للروح. وكما اكتشف صديقنا من لبنان: "أنا أدرك الآن أنه لا يكفي أن أقول إنني قرأت الكتاب المقدَّس، **إذ أنه كتاب ينبغي أن يُقرأ مراراً وتكراراً**" (الفصل 7).

والآن، بعد أن أكملت هذه الرحلة، قد ترغب في تَصَفُّح "إله واحد، رسالة واحدة" واستخراج الآيات المُقتبسة فيه من الكتاب المقدَّس مُباشرة وقراءتها في ضوء السِّياق الكامل الذي وردت فيه. والأفضل من ذلك هو أن تقرأ الكتاب المقدَّس بأكمله وأنت ترفع هذه الصلاة إلى خالقك:

"اكْشِفْ عَنْ عَيْنَيَّ فَأَرَى عَجَائِبَ مِنْ شَرِيعَتِكَ" (المزمور 119: 18).

وإذا شعرت بحاجتك للاستزادة، راجع الهوامش في آخر الكتاب ولا تتردَّد في مُراسلتي ومُشاركتي أسئلتك وتعليقاتك. فسوف يكون من دواعي سروري أن أستلم رسائلك وأرد عليها؛ فربما دفعني ذلك إلى تأليف كتاب آخر!

في الختام، أستودعك بهذه البَرَكَة التي يَبْلُغ عُمرها 3500 سنة:

"يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ.
يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ.
يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ

وَيَمْنَحُكَ سَلاَمًا." (سِفْر العدد 6: 24–26)

ب. د. برامسِن
pb@rockintl.org
www.one-god-one-message.com

الهوامش

"عَلِّمْنِي مَا لاَ أَرَاهُ."
(سِفْر أَيُّوب 34: 32)

المقدمة

[1] الساحل الإفريقي: منطقة شبه جافة تفصل الصحراء الإفريقية عن الغابات الاستوائية. وهذا الحزام الرملي ذو الأشجار الصغيرة المتفرقة يمتد من السنغال إلى السودان.

[2] في حين أن البعض يؤمنون بإله واحد، فإن البعض الآخر يؤمنون بآلهة مُتعدِّدة. وهناك الوجوديون الذين يرون كل شيء كجزء من الله، والملحدون الذين لا يؤمنون بوجود الله. أمَّا العلمانيون فإنهم يُمجِّدون الإنسان أكثر من الله.

الفصل 1: اقْتَنِ الحق

[3] هذه الجملة (وأكثر من ألف جُملة وعبارة أخرى وردت في هذا الكتاب) مُقتبسة من الكتاب المقدس. أحياناً أكتفي باقتباس جزء من الآية كما هو الحال في هذه الآية. أمَّا الآية الكاملة التي وردت في الآية 23 من الأصحاح 23 من سِفْر الأمثال فتقول: *"اقتن الحق ولا تبعه والحكمة والأدب والفهم."*

[4] Barrett, David B., George T. Kurian and Todd M. Johnson. *World Christian Encyclopedia: A Comparative Survey of Churches and Religions in the Modern World.* London: Oxford University Press, 2001.

[5] في وقتنا الحاضر، تتوفر الأسفار المقدَّسة بأكثر من 2403 لغة: فقد تُرجم الكتاب المقدَّس كاملاً إلى ما لا يقل عن 426 لغة، والعهد الجديد إلى نحو 1115 لغة، وبعض أجزاء الكتاب المقدَّس إلى نحو 862 لغة. (انظر موقع جمعية الكتاب المقدَّس: www.biblesociety.org). انظر أيضاً الموقع الإلكتروني التالي: www.wycliffe.org/About/statistics.aspx

[6] Foxe, John (edited by G. A. Williamson). *Foxe's Book of Martyrs*. Toronto: Little, Brown & Company, 1965.

[7] من الخطأ أن نقول عن أي بلد إنها "أُمَّة مسيحيَّة" إذ أن المسيح قال: *"مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلَّم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا."* (إنجيل يوحنَّا 18: 36).

[8] Wurmbrand, Richard. *Tortured for Christ* – 30th Anniversary Edition. Bartlesville, OK: Living Sacrifice Book Co., 1998.

[9] البرنامج الإذاعي "طريق الحق" تُرجم (وتتم ترجمته) إلى أكثر 90 لغة للبث حول العالم. لمعرفة المزيد عن هذا البرنامج، انظر: www.twor.com أو www.injil.org/TWOR

[10] الآية الكاملة في القرآن تقول: *"وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ"* (سورة 5: 46)

[11] ما المقصود باستخدام الضمير بصيغة الجَمْع في كلمة "أنزلنا"؟ في القرآن، غالباً ما يُشير الله إلى ذاته بضمير المُتكلِّم بصيغة الجمع. وفي الكتاب المُقدَّس، يُشير **الرب** أيضاً إلى نفسه بصيغة الجمع في بعض الأحيان. **ملاحظة:** الناطقون باللغة العربية يستخدمون كلمة "الله" بطريقتين: 1) الله هو الاسم العام الذي يستخدمه المسيحيون العرب، وغير المسلمين، والمسلمون أيضاً. وعندما تُستخدم كلمة الله بهذه الطريقة فإنها ليست اسم علم لله. فليست هناك فئة ناطقة بالعربية تحتكر هذا الاسم العام "الله" لنفسها. 2) يستخدم المسلمون كلمة "الله" كاسم عَلَم لله. لمعرفة المزيد، يرجى الرجوع إلى الفصل التاسع.

[12] تم تغيير أو إغفال أسماء الأشخاص الذين كتبوا الرسائل الإلكترونية التي اقتبسنا أجزاء منها في هذا الكتاب وذلك حرصاً على خصوصيتهم وأمنهم.

[13] "يُضيف المُسلمون عبارة "عليه الصَّلاة والسَّلام" في معظم الأحيان بعد ذكر أو كتابة اسم أي نبي. أمَّا العبارة التي يستخدمونها بعد ذكر اسم محمد (ألا وهي: "صلَّى الله عليه وسلَّم" والتي يختصرها البعض "صلعم") فيعود أصلها إلى الآية القرآنية: *"إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"* (سورة 33: 56). إلاَّ أن استخدام هذه العبارة لا يتلاءم مع ما يقوله الكتاب المقدس: *"وُضِعَ للناس أن يموتوا مرة وبعد ذلك الدينونة."* (الرسالة إلى العبرانيين 9: 27). فعندما يموت الإنسان، فإن مصيره الأبدي يُحْسَم. وعندها، لا يُمكن لأي كمية من الصلوات أن تغير المكان الذي سيقضي فيه الأبدية. (سِفْر الرؤيا 22: 11).

[14] الرسائل الإلكترونية المقتبسة في النسخة العربية من هذا الكتاب مُترجمة عن اللغة الإنجليزية.

[15] مثلاً، يقول القرآن في الآيات 70-72 من سورة المؤمن: *"الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ. إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ. فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ"* . وأيضاً: *"وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ"* (سورة 5: 49). *"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا.... إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا"* (سورة 4: 136 ، 163) للمزيد من الآيات القرآنية المماثلة، أنظر الصفحة الأولى من الفصل الثالث وما يرافقها من ملاحظات هامشيَّة.

[16] سفر الأمثال 23:23. البعض يبيع الحق بدل أن يَقتنيه وذلك بسبب خوفهم من رد فعل الأسرة والأصدقاء إن اكتشفوا أنهم يقرأون الكتاب المُقدَّس (مع أنه الكتاب الأكثر مبيعاً في العالم وأنه يحتوي على الأسفار القديمة التي يأمر القرآن المسلمين بأن يؤمنوا بها).

الفصل 2: التغلب على العراقيل

[17] Doyle, Sir Arthur Conan. Treasury of World Masterpieces: The Celebrated Cases of Sherlock Holmes. R.R. Donnelley and Sons Company, 1981,p.17.(First published in Great Britain in 1891).

[18] رسالة رومية 14: 1 - 15: 7؛ إنجيل مَتَّى 7: 1-5.

[19] دويل، صفحة 16.

[20] سفر العدد، الأصحاح 12.

[21] سفر ملوك الثاني، الأصحاح 5.

[22] سفر يونان، الأصحاح 4.

[23] ابحث عن هذه الأسفار في الكتاب المقدس: دانيال، عزرا، أستير.

[24] إنجيل يوحنَّا، الأصحاح 4.

[25] "The Greatest Journey", *National Geographic Magazine*, Mar. 2006, p. 62.

[26] سفر المزامير 90: 1-12؛ إنجيل مرقس 8: 36؛ رسالة كورنثوس الثانية 4: 16-18؛ رسالة رومية 8: 18؛ رسالة يعقوب 4: 13-15.

[27] في تاريخ البشرية، أرسل الله كوارث مختلفة على الأرض (أو سمح بحدوثها). ففي أيام نوح، وبعد صبر وتحذير داما مئة عام، أرسل الله طوفاناً على كل الأرض هلكت فيه كل نفس حية ما عدا ثمانية أفراد (سِفْر التكوين 6-8). ورغم مزاعم البعض بأن هذا الطوفان ما هو إلا أسطورة، فإن سجلات علم الآثار والمتحجرات تؤكدان صحته. وفي أيام إبراهيم، هلك جميع الساكنين في سدوم وعمورة ما عدا ثلاثة أفراد. وفي أيام موسى وبعده، أمر الله بني إسرائيل بالقضاء على الكنعانيِّين (سفر يشوع 1-10). كانت تلك المعارك تنفذ تحت أوامر محددة من الله، وغالبا ما كان يتخللها تدخل معجزي من السماء مثل سقوط أسوار أريحا إلى

الخارج (وهذا هو ما أكده علماء الآثار لاحقاً) بعد أن دار بنو إسرائيل حول السور لسبعة أيام متتالية. لقد انتظر الله مئات السنين قبل أن يدين تلك الشعوب، مُعطياً إياهم الوقت لكي يتوبوا ويرجعوا عن عبادة الأصنام وممارسة الشر وتقديم الذبائح البشرية لآلهتهم (سفر التكوين 15: 16؛ سفر الخروج 12: 40). ومع ذلك فقد تجاهلوا شهادة رجال الله الأتقياء مثل إبراهيم ويوسف وموسى. القليل من الكنعانيين تابوا وآمنوا بالله الحي الذي أرسل الضربات العشر العظيمة على مصر وشَقَّ طريقاً في البحر الأحمر. وعندما كان الله يستخدم شعبه لتنفيذ دينونته، كان يبقى عادلاً وغير مُتحيِّز. فمثلا، نقرأ في العهد القديم أن الله عاقب بني إسرائيل أولاً (بسبب الزنى وعبادة الأوثان) بمرض هلك فيه 24 ألفاً منهم (سِفْر العدد 25-31). وهكذا، لم يُرسل الله بني إسرائيل لتنفيذ دينونته على الشعوب الأخرى الشريرة والفاسدة إلا بعد أن أنزل دينونته عليهم (على بني إسرائيل) أولاً. ومن الخطأ أن ننظر إلى تلك الشعوب على أنها بريئة. فالكتاب المقدس يُخبرنا أنهم كانوا شديدي الفساد حتى أن "الأرض لفظت ساكنيها" (سِفْر اللاويين 18: 25). إنَّ صلاح الله وصبره عظيمان. لكن غضبه عظيم أيضاً ودينونته مؤكدة.

[28] أحد الأسباب التي من أجلها لا يدين الله الشر في الحال هو أنه يعطي الخطاة فرصة لكي يتوبوا ويقبلوا عطيَّة خلاصه: "وَلَكِنْ، أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، عَلَيْكُمْ أَلاَّ تَنْسَوْا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ: أَنَّ يَوْماً وَاحِداً فِي نَظَرِ الرَّبِّ هُوَ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. فَالرَّبُّ، إِذَنْ، لاَ يُبْطِئُ فِي إِتْمَامِ وَعْدِهِ، كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْكُمْ، فَهُوَ لاَ يُرِيدُ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَهْلِكَ، بَلْ يُرِيدُ لِجَمِيعِ النَّاسِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ تَائِبِينَ" (رسالة بُطرس الثانية 3: 8-9).

[29] الفصول 8 و 12 و 28 و 29 في هذا الكتاب تُجيب عن هذه الاعتراضات الثلاثة.

[30] إنجيل مَتَّى 7: 1-20؛ قارن رسالة رومية 14 ورسالة كورنثوس الأولى 6.

[31] العديد من المواقع الإلكترونية مستمرة في عرض هذه التناقضات المزعومة تحت عنوان "101 تناقض واضح في الكتاب المقدس" وذلك على الرغم من صدور مقالة أخرى منذ بضع سنوات تحت عنوان "101 تناقُض في الكتاب المُقدَّس تم توضيحها وإثبات بُطلانها". انظر:
www.debate.org.uk/topics/apolg/contrads.htm

[32] توجد قاعدتان لتفسير أي آية في الكتاب المقدس بطريقة صحيحة:
1) اقرأ سياق الآية.
2) قارن الآية بآيات أخرى.
على سبيل المثال، في سِفْر التثنية (السِّفْر الخامس في الكتاب المقدس) نطق موسى بهذه النبوَّة على مسمع بني إسرائيل: "يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي، له تسمعون" (سفر التثنية 18: 15). ماذا قصد موسى عندما قال إن الله سيُقيم نبياً "من وسطك من إخوتك"؟ البعض يقول إن الله كان يتكلم عن أولاد إسماعيل، والبعض الآخر يقول إنه كان يتكلم عن بني إسرائيل. والنص المحيط بالآية يعطينا الإجابة الصحيحة (مثلاً، تثنية 17: 15، 20؛ 18: 2، 5؛ الخ). من كان هذا "النبي" الذي وعد الله أن يُقيمه؟ في حين أن البعض يُحاولون أن يجعلوا هذه النبوَّة تنطبق على مؤسِّس ديانتهم، فإن التفسير الصحيح مذكور بوضوح في الأسفار المقدسة اللاحقة. اقرأ إنجيل يوحنَّا 5: 43-47، وإنجيل يوحنَّا 6: 14، وأعمال الرسل 3: 22-26.

[33] إذا اقترضت يوماً مالاً من أي مصرف فلا بد أنك تَذْكُر أنك وَقَّعت على مستند رسمي أو اتفاقية. وبموجب هذه الاتفاقية تعهَّد البنك بأن يُقرضك المبلغ المُتفق عليه، وتعهَّدت أنت بسداد المبلغ خلال المدة المتفق عليها. وفي حال أنك لم تلتزم بتعهُّدك فسوف تكون هناك عواقب وخيمة. على نحو مشابه، يُطلعنا الكتاب المقدس على العهود التي قطعها الله للبشر؛ وهي وعود تُمكننا نحن البشر من التمتع ببركاته الأبدية. إن فكرة قطع الله لعهد مع البشر هي فكرة فريدة وغير موجودة إلا في الكتاب المقدس.

[34] سوف نتأمل في هذا الجزء المميز من الكتاب المقدس في الفصل الخامس. نجد مثلاً قوياً على إعلان الله عن الأحداث التاريخية قبل حدوثها في سفر دانيال (الأصحاحات 7-12). يصف دانيال تاريخ إمبراطوريات العالم من سنة 400 قبل الميلاد حتى مجيء المسيح. كما أنه يصف أحداثاً ستجري في الأيام الأخيرة. وقد كتب دانيال هذه النبوَّات ما بين سنة 600 و 530 قبل الميلاد.

[35] هناك المزيد من الآيات القرآنية التي تُعلن للمسلمين أن أسفار الكتاب المقدس موحى بها من الله: سورة 2: 87-91، 101، 136، 285؛ 3: 3-4؛ 4: 47، 54، 136، 163؛ 5: 43-48، 68؛ 6: 92؛ 10: 94؛ 20: 133؛ 21: 105؛ 28: 43؛ 29: 46؛ 32: 23؛ 40: 53-54، 70-72؛ 45: 16؛ 46: 12؛ 57: 27، وغيرها.

[36] عبر القرون، قام اليهود بالحفاظ على العهد القديم بغيرة شديدة. هل كان اليهود سيسمحون لأي شخص بالتلاعب بأسفارهم المقدسة، مع وجود كثيرين مستعدين للموت في سبيل حمايتها؟ لا توجد أي حالة أخرى معروفة في التاريخ قام فيها أي مُجتمع ديني (المسيحيون) بتأسيس إيمانهم على كتاب (العهد القديم) يُقدِّسه ويحميه مجتمع ديني آخر (اليهود المستقيمون). ألا يكفي هذا السبب في حد ذاته لاستحالة تغيير كتب العهد القديم من قبل أي شخص؟

[37] Metzger, Bruce M. and Michael D. Coogan. *The Oxford Companion to the Bible*. NY: Oxford University Press, 1993, p. 754.

[38] انظر الملاحظة رقم 35.

[39] لا يوجد أي مُستند قرآني أو إسلامي جدير بالقبول قبل سنة 750 ميلادية (أي بعد أكثر من 100 سنة من موت محمد). انظر: http://debate.org.uk/topics/history/bib-qur/qurmanu.htm

[40] Metzger and Coogan, p. 683.

[41] في ما يلي مثال على أحد الاختلافات البسيطة الموجودة في المخطوطات القديمة: نقرأ في سِفْر ملوك الثاني في العهد القديم: "كان يهوياكين ابن **ثماني عشرة سنة** حين مَلَك ..." (ملوك الثاني 24: 8). أمَّا سِفْر أخبار الأيام الثاني فيقول: "كان يهوياكين ابن **ثماني سنين** حين مَلَك ..." (أخبار الأيام الثاني 36: 9). كيف يمكن أن نشرح هذا التبايُن؟ قال بعض العلماء إن والد يهوياكين جعل ابنه شريكاً له في الحكم في سن الثامنة، وأنه ابتدأ يملك في الثامنة عشرة بعد موت أبيه؛ وهذا ممكن. لكن هناك تفسير آخر معقول ألا وهو أن هذا الاختلاف بين الرقمين هو ببساطة خطأ نسخي اقترفه النُسَّاخ الأقدمون ("8" بدلاً من "18"). وإن كان هذا قد حدث بالفعل، فقد تم نسخ هذا الرقم المغلوط بهذه الصورة في جميع النسخ التي نُسخت بالاعتماد على نسخة ذلك الناسخ. ومهما يكن الأمر، فإن اختلافات كهذه لا تؤثر في رسالة الله ولا تُغيرها بأي شكل من الأشكال. وغالباً فإن الأعداد الكبيرة لمخطوطات الأسفار المقدسة تساعد الباحثين على معرفة الأصل الصحيح من خلال مقارنتهم للنصوص العديدة.

[42] يقول الحديث: "...فأمر [عثمان] زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. ... ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق" (صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، الحديث رقم 4987).

[43] لإثبات عدم حدوث تغيير في الأسفار المقدسة (حتى قبل اكتشاف مخطوطات البحر الميت)، كان كل ما ينبغي القيام به هو مقارنة العهد القديم الحالي بالترجمة السبعينية (الترجمة اليونانية للعهد القديم والتي تُرجمت في نحو سنة 270 قبل الميلاد). فالترجمة السبعينية تؤكد أن العهد القديم لم يُحَرَّف، بل هو محفوظ.

[44] Abegg, Martin Jr., Peter Flint and Eugene Ulrich. *The Dead Sea scrolls Bible*. San Francisco: Harper, 1999, page xvi.

[45] McDowell, Josh. *A Ready Defense*. Nashville: Thomas Nelson Publishers, 1993, pp. 42-48. www.debate.org.uk/topics/history/bib-qur/bibmanu.htm

[46] أسفار العهد الجديد مُترجمة من نصوص يونانية رئيسية. أطول مقطع يتضمن اختلافات هو مرقس 16: 9-20 ويوحنا 7: 53 إلى 8: 11، وكل منهما يتضمن 12 آية فقط. ومع أن هذين المقطعين غير موجودين في عدد قليل من المخطوطات القديمة، إلا أنهما موجودين في مئات النصوص الأخرى. لاحظ أن النصوص

الأقدم لا تعني بالضرورة أنها الأكثر دقة. لاحظ أيضا أن النصوص جاءت من نسخ قديمة مختلفة. من المُرجَّح أن أحد النساخ نسي أن ينسخ هذين المقطعين. وعلى أي حال، فإن الحقائق الموجودة في هذين النصين موجودة أيضاً في نصوص أخرى في العهد الجديد. وتبقى كلمة الله ثابتة لا تتأثر. هل من الحكمة رفض رسالة الله بسبب عدم وجود هذه النصوص في نسخ قديمة قليلة رغم أنها لا تغير أبداً رسالة الله؟

[47] في أيامنا هذه، تم نشر العديد من الكتب وعرض الكثير من الأفلام التي تُشَكِّك في رسالة الكتاب المقدس. أشار البعض إلى وجود "أناجيل أخرى" تتعارض مع رسالة الإنجيل. لكنَّ هذه الأناجيل المزعومة كتبت بعد فترة طويلة من مجيء المسيح وليس لها أساس تاريخي.

[48] هذه العبارة موجودة أيضا في: إنجيل مَتَّى 11: 15؛ 13: 43؛ إنجيل مرقس 4: 9، 23؛ 7: 16؛ إنجيل لوقا 8: 8؛ 14: 35؛ سفر الرؤيا 2: 7، 11، 29؛ 3: 6، 13، 22؛ 13: 9.

الفصل 4: العلم والكتاب المقدس

[49] Solomon, Eldra Pearl, PhD and Linda R. Berg, PhD. *The World of biology.* London: Saunders College Publishing. 1995, p. 24.

[50] Bucaille, Maurice. *La Bible, le Coran et la science.* Paris: Seghers, 1976, p. 35.

رداً على كتاب موريس بوكاي، قام الدكتور وليم كامبل بتأليف كتاب "القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم". يمكن الاطلاع على ردود الدكتور كامبل بست لغات على الموقع الإلكتروني التالي:

http://answering-islam.org/Campbell

[51] يقول علماء التطور الأحيائي إن أشكال الحياة المختلفة (كالطحالب والقردة) يمكن أن تتحول إلى نباتات وبشر على مَرِّ ملايين السنين. وبحسب نظرية النشوء فإن الإنسان والقرد والسمكة يتشاركون في السلف. والحقيقة أنه لا يمكن للعلم الحديث أن يُثبت نظرية النشوء ولا قصة الخلق. فكلاهما يحتاج إلى الإيمان.

[52] http://www.gma.or/space1/nav_map.html

[53] هناك آيات أخرى تؤكد دورة المياه: المزمور 135: 7؛ سِفْر أرميا 10: 13؛ سِفْر الجامعة 1: 7؛ سِفْر إشعياء 55: 10.

[54] انظر الموقع الإلكتروني التالي: (www.artsci.wustl.edu/landc/html/cann). يقول مقال نشرته صحيفة نيوزويك إن العلماء اكتشفوا من خلال دراسات أجروها على عينات من أحماض نووية لأشخاص مختلفين أنه توجد امرأة واحدة انحدر منها كل الجنس البشري. صحيفة نيوزويك، 11 يناير/كانون الثاني 1988. ص 46-52.

[55] "... كان هناك آدم السلف الذي انتشرت جيناته في كل البشر على الأرض." مجلة تايم، 4 ديسمبر/كانون أول 1995. ص 29. **ملاحظة:** يزعم العلماء أن تاريخ سلفنا الذكر يختلف عن تاريخ سلفنا الأنثى. وزعمهم هذا يتوافق مع الكتاب المقدس الذي يظهر أننا كلنا ننحدر من نوح. أمَّا أمنا فهي حَوَّاء حيث أن نوح كان له ثلاث بنين وثلاث زوجات بنين انحدر منهم كل البشر.

[56] www.pbs.org/wnet/redgold/basics/bloodletting.html

[57] www.bible.ca/tracks/matthew-fontaine-maury-pathfinder-of-sea-ps8.htm

ملاحظة: اكتشف موراي أن طرق البحار ثابتة لدرجة أنه يمكن للربّان أن يعرف طريقه بسهولة عبر المحيطات (Rozwadowski, Helen M. *Fathoming the Ocean.* Cambridge, MA: The Belknap Press of Harvard University Press, 2005, p. 40). عندما كتب داود عن "طرق البحار"، لم يكن معروف لديه ولدى شعبه إلا البحر الأبيض المتوسط، وبحر الجليل، والبحر الميت، والبحر الأحمر. وتلك البحار ليس لها "طرق" واضحة أو مميزة كغيرها.

[58] *World Book Encyclopedia* 1986; Stars.

[59] "في ليلة صافية مظلمة، يُمكن رؤية آلاف النجوم بالعين المجردة. وعندما نستخدم المنظار الفلكي، يُمكننا

رؤية نجوم لا تُعد ولا تُحصى. ومع أن كل نجم مختلف عن غيره، إلا أن جميع النجوم تشترك في صفات رئيسية. انظر الموقع الإلكتروني الفلكي التالي لجامعة كورنيل: http://curious.astro.cornell.edu/stars.php والكتاب المقدس يعلن أن النجوم الموجودة في السماء لا يمكن عدها (سِفْر التكوين 15: 5؛ 22: 17).

[60] Ramsay, Walter M. *The Bearing of Recent Discovery on the Trustworthiness of the New Testament.* Grand Rapids, MI: Baker Book House, 1953, p. 222.

[61] Josephus, Flavius. *Josephus: The Essential Works.* (Paul L. Maier, editor) Grand Rapids, MI: Kregel Publications, 1988. pp. 268, 277.

يحتوي الكتاب على صور لحجر بيلاطس ومسرح هيرودس.

[62] Bruce, F. F. *Archaeological Confirmation of the New Testament.* (*Revelation and the Bible.* Edited by Carol Henry) Grand Rapids, MI: Baker Book House, 1969.

[63] Josephus, Flavius. *Antiquities* 18: 2, 2; 4, 3

[64] تفاصيل وصورة تابوت قيافا: http://www.kchanson.com/ANCDOCS/westsem/caiaphas.html

[65] Glueck, Nelson. *Rivers in the Desert*. NY: Farrar, Strauss & Cudahy, 1959, p. 136.

كان غلوك مُتخصصاً في حفريات حوض البحر المتوسط.

[66] عقيدة المورمون يتبعها ملايين البشر في العالم. وخلافاً للكتاب المقدس فإن الحفريات الأثرية لا تؤكد صحة كتاب المورمون؛ بل إن معهد السميثسونيان بواشنطن دي سي يقول: "علماء الآثار السميثسونيون لا يجدون أي علاقة بين علم آثار العالم الحديث وكتاب المورمون." (Martin, Walter. *The Kingdom of the Cults.* Minneapolis, MN: Bethany House Publishers, 1997, pp. 200-202.)

انظر أيضاً الهامش رقم (88) حول نفس الموضوع في الفصل السادس. وللمقارنة بين ما يقوله علم الآثار وما يقوله الكتاب المقدس والقرآن، انظر: http://debate.org.uk/topics/history/bib-qur/contents.htm

[67] Free, Joseph P. and Howard F. Vos. *Archaeology and Bible History*. Grand Rapids, MI: Zondervan, 1992, p. 294.

[68] يزعم كل من المسلمين والمورمون أن أحد أعظم البراهين أن كتابهم المقدس مصدره الله هو أسلوب الكتابة. يقول أحد مواقع الإنترنت الإسلامية: "أعظم تَحَدٍّ وضعه القرآن ... منذ ظهور القرآن قبل أربعة عشر قرناً، هو أن أحداً لم يستطع أن يكتب سورة واحدة مثل سور القرآن في جمالها وعظمتها وتنميقها..." (www.islam-guide.com/frm-chl-2.htm). كما أن أحد مواقع الإنترنت التابعة للمورمون يَدَّعي شيئاً مُشابهاً (www.greatlakesrestorationbranches.org/newpage34.htm).

[69] المزمور 119 (أطول أصحاح في الكتاب المُقدَّس) يقدم مثلاً على أحد الأساليب الأدبية العجيبة والرائعة الموجودة في الكتاب المقدس. ففي هذا المزمور هناك تسلسل رقمي مؤلف من 22 جزء، وكل جزء فيه ثماني آيات، وكل آيات الجزء الواحد تبدأ بنفس الحرف العبري لذلك الجزء. ففي الجزء الأول، تبدأ كل آية بحرف ألف (وهو أول حرف هجائي عبري)، وفي الجزء الثاني، تبدأ الآيات الثماني بحرف البث (ثاني حرف هجائي عبري)، وهلُمَّ جَرًّا. حاول أن تكتب بهذا الأسلوب! لا، لا تحاول؛ بل اقرأ المزمور 119 وتأمل بعمق في تأثير كلماته.

الفصل 5: توقيع الله

[70] Wallenfels, Ronald and Jack M. Sasson. *The Ancient Near East*. Volume IV. NY: Charles Scribner's Sons, 2000; Carl Roebuck. *The World of Ancient Times.* NY: Charles Scribner's Sons, 1966, p. 355.

[71] "قام الإسكندر الكبير بتقليل حجم المدينة بعد حصار دام تسعة أشهر (332 ق.م.) رغم أنه لم يدمرها تماماً. ولم تستعد صور مكانتها أبداً بعد هذه الضربة ..." (Avery, Catherine B. and Jotham Johnson. *The New Century Classical Handbook.* NY: Appleton-Century-Crofts, Inc., 1962, p. 1130.)

[72] Matthews, Samuel W. "The Phoenicians Sea Lords of Antiquity," Washington, DC: *National Geographic,* August 1974, p. 165.

[73] سِفْر التكوين 26: 3؛ 28: 15. **ملاحظة:** كانت الأرض التي وعد الله أن يعطيها للأمة من خلال إبراهيم وإسحق ويعقوب موجودة في موقع استراتيجي "في وسط الشعوب" (سِفْر حزقيال 5: 5). انظر أيضاً أعمال الرسل 1: 8 و 2: 5.

[74] Josephus, Flavius, *The Complete Works of Josephus*. (William Whiston) Grand Rapids, MI: Kregel Publications, 1967, pp. 566-568, 580-583, 588-589.

[75] مثلاً، قبل الحرب العالمية الثانية، أراد الكثير من اليهود في ألمانيا (في أيام هتلر) أن يُخفوا هويتهم بأنهم يهود. لهذا، فقد راحوا يتكلمون اللغة الألمانية ويدفعون الضرائب للدولة. كما أنهم حاربوا مع ألمانيا في الحرب العالمية الأولى. لكن النازيين أصَرُّوا على مُعاملتهم كيهود. وفي غضون سنوات قليلة قامت ألمانيا بإبادة 6 ملايين يهودي في مجازر جماعية. انظر: Phillips, John. *Exploring the World of the Jew*. Neptune, NJ: Loizeaux Brothers, 1993, p. 109.

انظر أيضاً العنوان الرئيسي: "النازيون يعترفون بقتل 6 ملايين يهودي في أوروبا":

Bourne, Eric. *The Palestine Post*, Sunday, December 16, 1945.

[76] سِفْر إشعياء 44: 18؛ إرميا 5:21؛ إنجيل يوحنا 5: 39-47؛ رسالة كورنثوس الثانية 3: 12-16؛ رسالة رومية 9-11. **ملاحظة:** قبل نحو 2600 سنة، كشف الله للنبي حزقيال أن ولادة إسرائيل من جديد ستحدث عبر ثلاث مراحل مميزة. فقد شَبَّه إسرائيل بالوادي الممتلئ بعظام يابسة ستتحد معاً في يومٍ ما وتدب فيها الحياة من جديد (سِفْر حزقيال 37: 1-14).

[77] قارن سِفر التكوين 37-50 بحياة يسوع المُدوَّنة في الأناجيل. اقرأ أيضاً:

Joseph Makes Me Think of Jesus, by William MacDonald. Grand Rapids, MI: Gospel Folio Press.

الفصل 6: شهادة مُتناغمة

[78] "إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مُدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر." (رسالة رومية 1: 19-20). فحتى البشر الذين لا يملكون الكتاب المقدس "يُظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة..." (رسالة رومية 2: 15). ولكن بدل أن يسعوا إلى معرفة المزيد من الحق فإنهم يسعون وراء الباطل.

[79] عندما نحسب الأعمار المدونة في سجل الأنساب في الكتاب المقدس، نرى أن آدم لم يمت إلا حين أصبح

عمر والد نوح (الجيل التاسع بعد آدم) أكثر من خمسين سنة (سِفْر التكوين، الأصحاح 5).

[80] عندها قال السحرة لفرعون "هذه إصبع الله" (سِفْر الخروج 8: 19). انظر أيضاً سِفر الخروج 12: 30-33. لقراءة القصة كاملة انظر سِفْر الخروج 5-14.

[81] مع أن موسى كتب أول جزء من الكتاب لمقدس إلا أنه من المحتمل أن سفر أيوب قد كتب قبل التوراة "تقريبا في وقت النبي إبراهيم"، وهذا يجعل سفر أيوب من أقدم الأعمال الأدبية الكاملة في الوجود. إذا كان هذا التاريخ صحيحاً، يكون الكتاب المقدس قد كتب على مدى أكثر من ألفي سنة.

[82] DeHaan, Dennis. *Our Daily Bread*, May 6, 2006. Grand Rapids, MI: RBC Ministries.

[83] البعض يسأل: "لماذا يسمح الله للأنبياء الكذبة أن يعلنوا رسالتهم المزيفة؟" أجاب النبي موسى عن هذا السؤال في التوراة موضحاً: "إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة. ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها. فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الله إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم." (سِفْر التثنية 13: 1-3).

[84] ملوك الأول 18؛ ملوك الأول 19: 18؛ رسالة رومية 11: 14.

[85] Smith, James E. *What the Bible Teaches about the Promised Messiah.* Nashville, TN: Thomas Nelson Publishers, 1993, pp. 470-474; Phillips, John. *Exploring the World of the Jew*. Neptune, NJ: Loizeaux Brothers, 1993, pp. 80-81.

[86] Taylor, John. "Jones Captivated San Francisco's Liberal Elite," *San Francisco Chronicle*, November 12, 1998.

[87] Smith, Joseph. *Pearl of Great Price*. Joseph Smith—History; 1:15-16.

[88] خلافاً للكتاب المقدس الذي يؤيده التاريخ وعلم الآثار، فإن كتاب المورمون ليس كذلك. وقد قام الأستاذ توماس ستيوارت فيرجَسون بتأسيس قسم علم الآثار في كلية بريغهام يونغ المورمونية بقصد اكتشاف براهين تؤيد كتاب المومون. وبعد 25 سنة من الأبحاث الدقيقة لم يجد هذا القسم أي براهين جغرافية أو نقدية أو غيرها تؤكد صحة كتاب المورمون. لذلك، استنتج فيرجَسون أن جغرافيا وتاريخ كتاب المورمون "خرافة". (Martin, Walter. *The Kingdom of the Cults*. Minneapolis, MN: Bethany House Publishers, 1997, pp. 200-202)

الفصل 7: الأساس

[89] يحتوي الكتاب المقدس على 66 سفراً - 39 في العهد القديم و 27 في العهد الجديد. في وقت لاحق، قررت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية (التي تضع التقاليد الكنسية فوق كلمة الله مثلها في ذلك مثل العديد من الكنائس البروتستنتية) أن تضيف 11 سفراً ما بين العهدين القديم والجديد. وقد عُرفت تلك الكتب بكتب الأبوكريفا (أو الأسفار المَنْحولة). ويرجع أصل كتابتها إلى الفترة الواقعة ما بين العهدين القديم والجديد. ورغم أنها تحتوي على مواد تاريخية وأسطورية مُمتعة، فإن المؤمنين اليهود لم يقبلوها كجزء من الأسفار الموحى بها. كما أن الكثير من المخطوطات التي اكتشفت في البحر الميت عام 1947 هي تفاسير للأسفار التسعة والثلاثين التي يشتمل عليها العهد القديم؛ لكنها لا تَذكُر أسفار الأبوكريفا مُطلقاً. كذلك، فقد استخدم المسيح أثناء حياته على الأرض آيات كثيرة من العهد القديم؛ لكنه لم يَذْكُر أسفار الأبوكريفا مُطلقاً أيضاً.

ويجب أن نَعلم أيضاً أن جميع أسفار العهد القديم ذُكرت آيات منها في العهد الجديد بخلاف كتب الأبوكريفا التي لم يُذكر منها شيء. أسفار العهد القديم التسعة والثلاثون كتبها أنبياء كلمهم الله مباشرة وأكد لهم كلامه "بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس ..." (الرسالة إلى العبرانيين 4: 2). وفي ما يتعلق بالعهد الجديد، فإن المؤمنين الذين عاشوا في زمن المسيح قبلوا سُلطة الرسل وأسفار العهد الجديد باعتبارها مُساوية لسُلطة وأنبياء وأسفار العهد القديم. وهذا لا ينطبق أبداً على أسفار الأبوكريفا.

[90] إنجيل لوقا 24: 25-48؛ إنجيل يوحنا 5: 39-47. للإطلاع على مصادر تُبيِّن التسلسل التاريخي لرسالة الله، انظر: www.goodseed.com أو www.one-god-one-message.com

الفصل 8: من هو الله

[91] محاولة علماء الفلك لاكتشاف تاريخ الكون تقوم على "الملاحظة والنظريات" (Loeb, Abraham. "The Dark Ages of the Universe," *Scientific American*, November 2006) . وفي حين أن معرفتهم قائمة على الملاحظة **والنظريات،** فإن معرفة الذين يؤمنون بالكتاب المقدس قائمة على الملاحظة **والوحي؛** الوحي الذي يَحمل توقيع الله (كما لاحظنا في الفصلين 5 و 6 من هذا الكتاب). فقد أعلن الله حقه بطريقة تجعلنا قادرين على "معرفة" أن هذا حق.

[92] نقرأ في سفر أيوب 38: 6-7 أن الملائكة كانت تنظر وتهتف عندما خلق الله الأرض. سفر أيوب هو سفر شعري، ولذلك وصفت فيه الملائكة بـ "كواكب الصُّبح" و "بني الله". وهذان المُصطلحان لا يدلان على وجود نوعين مختلفين من المخلوقات، لكنَّ الكاتب يستخدم هنا أسلوباً شعرياً معروفاً في الشعر العبري يُدعى "التوازي". انظر أيضاً سِفْر أيوب 1: 6 و 2 :1.

[93] أكثر من نصف أسفار الكتاب المقدس الستة والستين تُشير إلى الملائكة. وفيما يلي بعض هذه الآيات: تكوين 3: 24؛ 16: 7-11؛ 18: 1-19: 1؛ ملوك الأول 19: 5-7؛ المزمور 103: 20-21؛ 104: 4؛ دانيال 6: 22؛ الرسالة إلى العبرانيين 1: 4-7، 14؛ 12: 22؛ إنجيل مَتَّى 1: 20؛ 2: 13، 19-20؛ 22: 30؛ 26: 53؛ لوقا 1 و 2؛ تسالونيكي الثانية 1: 7؛ سِفْر الرؤيا 5: 11؛ 18: 1؛ 22: 6-16؛ وغيرها. (سفر الرؤيا يستخدم كلمة ملاك/ملائكة أكثر من 70 مَرَّة).

[94] سِفْر التثنية 10: 14؛ كورنثوس الثانية 12: 2، 4؛ إنجيل يوحنَّا 14: 2؛ المزمور 33: 13؛ 115: 3؛ ملوك الأول 8: 39.

[95] Vine, W. E., M.A. *An Expository Dictionary of New Testament Words.* Westwood, NJ: Fleming H. Revel Company; 1966, p. 229.

[96] أيام الخلق الستة ويوم الراحة السابع هي أساس دورة زمنية إلهية للجنس البشري يعترف بها العالم حتى يومنا هذا. فالأسبوع يختلف عن الأيام والشهور والسنين التي تتعلق بعلم الفلك. الأسبوع مُعَيَّن من قبل الله.

[97] الذين يؤيدون نظرية "الانفجار العظيم" يعتقدون أن النور كان موجوداً قبل الشمس والأرض بتسعة مليارات سنة! (Loeb, Abraham. "The Dark Ages of the Universe," *Scientific American*; November 2006, p. 49.)

[98] عندما تشرب الماء ثانية لا تَنْسَ أن تشكر الله عليه! فإلى جانب إرواء عطشنا وإبقائنا أحياء، فإن هذه المياه

عجيبة للغاية. فالماء هو السائل الوحيد الذي يتمدد عندما يتجمد ليصبح أخف وزناً وأقل كثافة. ولو تصرف الماء مثل كافة المواد وتكثف في حالة التجمد، لغاص إلى قاع المحيطات والبحيرات والأنهار. وعندها لن يذوب الجزء الأكبر منه ولن نحصل على المياه العذبة. لهذا، من الجيد أن خالقنا فَكَّر في هذا!

[99] أول مَرَّة رأى فيها الإنسان وجه القمر المظلم كان في 24 ديسمبر/كانون الأول 1968، وذلك عندما دار المكوك الفضائي أبوللو 8 حول القمر. والمدهش أنه في نفس ذلك اليوم، قرأ رواد فضاء المركبة الأصحاح الأول من سفر التكوين وتم بث ذلك إلى الأرض من الفضاء الخارجي. (Reynolds, David West. *Apollo: The Epic Journey to the Moon.* NY: Harcourt, Inc., 2002, pp. 110-111)

الفصل 9: لا مثيل له

[100] فيما يلي أمثلة إضافية من الكتاب المقدس يشير فيها الله إلى نفسه بضمير الجمع: تكوين 3: 22؛ 11: 7؛ إشعياء 6: 8 (ملاحظة: في القرآن يتكلم الله عن نفسه دائماً بصيغة الجمع. والآيات القرآنية المذكورة في الفصل الثالث من هذا الكتاب تبين هذا).

[101] تكوين 1: 1-3 ؛ رغم أن الجزء الافتتاحي من سفر التكوين لا يُفسِّر وجود الله بوحدانيته المُثلَّثة، فإن طريقة الكتابة تتوافق تماماً مع التفسيرات اللاحقة المُبيَّنة في الكتاب المقدس. والكتاب واضح في أن الأقانيم الثلاثة لله الأحد اشتركت جميعها في عملية الخلق.

[102] عندما أصبح داود ملكاً على إسرائيل، يقول الكتاب المقدس: "فاجتمع بنو بنيامين وراء أبنير وصاروا جماعة **واحدة** ووقفوا على رأس تل" (صموئيل الثاني 2: 25). وقد استخدمت نفس الكلمة لتعلن أن "الله واحد" ولوصف وحدانية الله الجامعة.

[103] هناك آيات كثيرة في العهد القديم تؤكد وحدانية الله الجامعة: في سِفْر التكوين 17: 1-3 و 18: 1-33 ظهر الله لإبراهيم في هيئة بشرية. كانت تلك مقابلات حقيقية وجهاً لوجه وليست رؤى وأحلام. تكوين 35: 9-15؛ خروج 3: 1-6؛ 6: 2-3؛ 24: 9-11؛ 33: 10-11. قارن أيضا خروج 33: 11 مع 33: 20. هنا تكلم موسى وجهاً لوجه مع أقنوم واحد من أقانيم الله (الابن)، لكن لم يُسمح له بأن يرى وجه الأقنوم الآخر (الآب). هل هذا صعب؟ نعم. الله هو الله. انظر يوحنا 1: 1-18. إليك المزيد من الآيات في العهد القديم والتي لا يمكن فهما بعيداً عن مبدأ وحدانية الله الجامعة: المزمور 2؛ المزمور 110: 1 (قارن مَتَّى 22: 41-46)؛ أمثال 30: 4؛ إشعياء 6: 1-3؛ (قارن إنجيل يوحنَّا 12: 41)؛ إشعياء 26: 3-4؛ إشعياء 40: 3-11؛ إشعياء 43: 10-11 (قارن إشعياء 7: 14؛ 9: 6-7)؛ إشعياء 48: 16؛ إشعياء 63: 1-14؛ إشعياء 49: 1-7؛ إرميا 23: 5-6؛ دانيال 7: 13-14؛ هوشع 12: 3-5؛ ميخا 5: 2؛ ملاخي 3: 1-2، وغيرها.

[104] لوقا 15: 11-32 . اقرأ أيضاً رسالة يوحنَّا الرسول الأولى.

[105] اقرأ المزمور الثاني والذي يشير فيه النبي داود إلى المسيح كابن الله. تأمل أيضاً في بعض الأسماء والألقاب الأخرى للابن. فهو يُدعى "الباب" (إنجيل يوحنَّا 10)؛ لكن هذا لا يعني أنه باب من خشب أو معدن. وهو يُدعى أيضاً "خُبز الحياة" (إنجيل يوحنا 6)؛ وهذا لا يعني أنه رغيف خبز. كذلك فإن عبارة "ابن الله" لا تشير إلى أن الله اتخذ زوجة وأنجب ولداً. اقرأ الأصحاحات 1 و 3 و 5 من إنجيل يوحنا.

[106] صحيفة السنغال الوطنية:

Senegal's national newspaper, *Le Soleil*, mercredi 14 mars 1984: "Bienfaiteur sincère, il considérait ses 2.000 employés **comme ses enfants** et partageait leur problèmes, leur soucis et leur joie. Le 'Vieux' comme l'appelaient familièrement et tendrement son personnel, était **un grand fils du Sénégal**."

[107] كما هو حال الله نفسه، لا يُمكن لجبلتنا البشرية أن تفهم الروح القُدُس. أحد أنبياء الله الذي أُعطي لمحة خاطفة عن السماء وصف الروح القدس بأنه "سبعة مصابيح نار مُتَّقدة هي سبعة أرواح الله" (سِفْر الرؤيا 4: 5). كما أن نبياً آخر وصف الروح القُدُس بسبع صفات يتصف بها الله نفسه: "روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب" (إشعياء 11: 2).

[108] عندما كان ابن الله على الأرض، وعد تلاميذه قائلاً: "وأمَّا المُعَزِّي، الروح القدس الذي سيُرسله الآب باسمي، فهو يُعلِّمكم كل شيء ويُذكِّركم بكل ما قلته لكم" (إنجيل يوحنَّا 14: 26). هذه الكلمات تُعَبِّر عن الوحدة التامة التي توجد دائماً بين الآب والابن والروح القدس. والروح القدس، مثل الآب والابن هو شخص عاقل. لمعرفة المزيد عن الروح القُدُس، انظر الأصحاحات 16 و 22 و 28 من إنجيل يوحنَّا. اقرأ أيضاً الرسائل وسفر أعمال الرسل في الكتاب المقدس مُنتبهاً إلى دور الروح القدس.

[109] يُدَوِّن الإنجيل حديث الابن مع الآب: "المجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم". ونسمع أيضا الابن يقول: "أيها الآب ... لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم" (إنجيل يوحنَّا 17: 5، 24). انظر أيضاً سفر ميخا 5: 2 وإشعياء 9: 6. أما بالنسبة للروح القدس فإن أحدى ألقابه هو "الروح الأزلي" (الرسالة إلى العبرانيين 9: 14).

[110] سفر الخروج 20: 22؛ الرسالة إلى العبرانيين 12: 25؛ إنجيل لوقا 3: 22؛ 5: 24؛ إنجيل يوحنا 1: 1-18؛ 3: 16-19؛ 17: 22؛ أعمال الرسل 5: 3؛ 7: 51؛ رسالة غلاطية 4: 6، وغيرها.

[111] كلمة "الله" باللغة العربية تقابل كلمة "God" باللغة الإنجليزية. وسواء في آيات العهد القديم مثل تكوين 1: 1: "في البدء خلق **الله** ..." أو آيات العهد الجديد مثل يوحنَّا 1: 1: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند **الله** وكان الكلمة **الله**" تُستخدم كلمة الله بالعربية لتعني "الكائن الأعظم". لكن من المهم أن نفهم أن "الكائن الأعظم" له أسماء شخصية يريد أن يُعرَف بها. فكلمة "God" في اللغة الإنجليزية ليست اسمه الشخصي مع أن كثيرين يعتقدون هذا. كما أن كلمة "الله" في اللغة العربية ليست الاسم العلم له رغم أن كثيرين يظنون أنها كذلك.

الفصل 10: خليقة خاصة

[112] Guinness, Alma E. *ABC's of The Human Body.* Corporate Author: The Reader's Digest Association, 1987, p. 22.

[113] Gates, Bill. *The Road Ahead*. NY: Penguin Group, 1995, p. 188.

[114] لتوضيح حقيقة روحية عظيمة، يصف الكتاب المقدَّس النظام المتناغم في جسم الإنسان بهذه الكلمات: *"الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّبًا مَعًا، وَمُقْتَرِنًا بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحَصِّلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ"* (رسالة أفسس 4: 16).

[115] هذه أفكار مأخوذة بتصرُّف عن تفسير جون فيليبس الرائع لسفر التكوين: (Phillips, John. *Exploring Genesis*. Chicago: Moody Press, 1980). **ملاحظة**: الكتاب المقدَّس يُمَيِّز بين الروح والنفس والجسد. راجع رسالة تسالونيكي الأولى 5: 23 والرسالة إلى العبرانيين 4: 12-13 وإنجيل يوحنا 4: 24).

[116] القول بأن جنة عَدْن كانت تقع في العراق يرجع إلى المعلومات الجغرافية التي يُقدِّمها سفر التكوين 2: 13-14. **ملاحظة:** يُشير البعض إلى جنة عَدْن بـ "جنّة الفردوس" رغم أن الكتاب المقدَّس لا يفعل ذلك. لهذا، يجب التمييز بين جنة عدن الأرضية والفردوس السماوي.

[117] Henry, Matthew. *Matthew Henry's Commentary*. Grand Rapids, MI: Zondervan, 1960, p. 7.

[118] كلمة آدم هي كلمة عبرية تعني إنسان؛ وهي تعني حرفياً "تراب أحمر" لأنه خُلق من تراب الأرض. وكلمة حوَّاء تعني "حياة": *"لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ"* (سِفْر التكوين 3: 19-20).

الفصل 11: دخول الشر

[119] *"كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ! كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ!"* (سِفْر إشعياء 14: 12). في هذه الآية، كلمة *زُهَرَةُ* التي تعني "حامل النور" لا ترد في النص العبري. فهي الترجمة اللاتينية للكلمة العبرية *helel* أي "الساطع". يُقدِّم الأصحاح 14 من سِفْر إشعياء والأصحاح 28 من سِفْر حزقيال مثالاً على التفسير المزدوج. ففي الظاهر، تشير هذه المقاطع إلى الملوك الأرضيين. فإشعياء يُشير إلى "ملك بابل" وحزقيال يكتب عن "رئيس صور". غير أن المقطعين يذكران أموراً لا يمكن أن تنطبق على أشخاص عاديين. لكن عندما ندرس هذين المقطعين في ضوء مقاطع أخرى من الكتاب المقدَّس (إنجيل لوقا 10: 18، أيوب 1: 6-12؛ سِفْر الرؤيا 12: 10، رسالة بطرس الأولى 5: 8، وغيرها) يتبيَّن لنا أن هذه الآيات تشير إلى سقوط الشيطان – العقل المُدَبِّر الذي يؤثر على هؤلاء الملوك الأشرار.

[120] سِفْر الرؤيا 12: 4.

[121] إنجيل مَتَّى 10: 28، 23: 33، إنجيل مرقس 9: 43-48.

[122] سِفْر الرؤيا 20: 10-15.

الفصل 12: ناموس الخطية والموت

[123] سؤال شائع: ماذا يحصل للأطفال والأولاد الصغار عندما يموتون؟ هل يُحاسَبون على الطبيعة الخاطئة التي ورثوها (المزمور 51: 5؛ 58: 3)؟ سوف يتصرف الديَّان العادل بالحق (سِفْر التكوين 18: 25). فهو لا يُحاسب أي شخص على أي شيء لا يُمكنه أن يفهمه. بل إنه يُحاسب الناس على ما يعرفونه وعلى ما كان بإمكانهم معرفته لو أنهم بحثوا أكثر عن الحق الذي أعلنه الله (رسالة روميه 2: 11-15؛ المزمور 34: 10؛ إشعياء 55: 6). لهذا، يصبح الإنسان مسؤولاً أمام الله عندما ينضج ويصبح قادراً على اتخاذ القرارات (سفر التثنية 1: 39؛ إشعياء 7: 16، صموئيل الثاني 12: 23؛ إنجيل مَتَّى 18: 10، رسالة تيموثاوس الثانية 3: 14-17). والله وحده هو الذي يعرف العُمر الذي يصبح فيه الإنسان ناضجاً ومسؤولاً عن خطاياه وخياراته. وفي كل الحالات، تبقى رسالة الله لنا: *"فِي وَقْتٍ مَقْبُول سَمِعْتُكَ، وَفِي يَوْمِ خَلاَصٍ أَعَنْتُكَ. هُوَذَا الآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ. هُوَذَا الآنَ يَوْمُ خَلاَصٍ"* (رسالة كورنثوس الثانية 6: 2).

[124] سِفْر الرؤيا 20: 14-15؛ 2: 11؛ 21: 8؛ إنجيل مَتَّى 25: 46.

الفصل 13: الرَّحْمَة والعدل

لا توجد ملاحظات هامشيَّة على هذا الفصل.

الفصل 14: اللعنة

[125] "تمتلك بعض أجناس الحيات كالبوا والأصلة قوائم على شكل نُتوء تحت جلدها، ومخالب صغيرة لا يزيد طولها عن نصف بوصة تبرز فوق تلك القوائم بالقرب من بطنها بجانب فتحة الشرج. وفي الحقيقة أن تلك النتوءات ليست قوائم، بل بقايا عظم أعلى القوائم (عظم الفخذ). وما زال ذكور هذه الحيات يستخدمون هذه النتوءات لا للمشي، بل لمغازلة الإناث وأثناء القتال. ولا تملك أي حيات أخرى قوائم". انظر الموقع التالي الذي يحتوي على بعض الصور: (www.wonderquest.com/snake-legs.htm). ورغم أن البعض يُفسِّر هذه الحقيقة على أنها تدعم نظرية النشوء، لكن الحقيقة تقول إن أجسام هذه المخلوقات تتوافق تماماً مع ما دَوَّنه الكتاب المقدَّس منذ آلاف السنين.

[126] أيضاً: سِفْر الرؤيا 20: 2؛ إنجيل لوقا 10: 18؛ رسالة كورنثوس الثانية 11: 3، 14: *"كَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا" فإن "الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ!"*

[127] سِفْر الخروج 29: 7؛ صموئيل الأول 10: 1؛ ملوك الثاني 9: 6؛ المزمور 45: 7.

[128] يوضح الفصل 18 ثلاثة أسباب وراء إخفاء الله لخطته الخلاصية. عندما نقرأ الكتاب المقدَّس بتسلسله الزمني، نكتشف برنامج الله لخلاص الخطاة من الشيطان والخطية والموت. والله في حكمته، كشف عن خطته بتدرّج: *"لأَنَّهُ أَمْرٌ عَلَى أَمْرٍ. أَمْرٌ عَلَى أَمْرٍ. فَرْضٌ عَلَى فَرْضٍ. فَرْضٌ عَلَى فَرْضٍ. هُنَا قَلِيلٌ هُنَاكَ قَلِيلٌ"* (إشعياء 28: 10).

[129] في مقال بعنوان "وتدعونه ذكيًّا؟" سخرت مجلّة "تايم" من فكرة وجود خالق ذكي (الله): "ألم يكن بالإمكان معالجة موضوع الشيخوخة بشيء من الكياسة والكرامة؟ فمثلاً، بدلاً من أن يصاب المُسنون بالتجعد وتتدهور حالتهم الصحية، ماذا لو أنهم اضمحلوا وتلاشوا شيئاً فشيئاً؟" (Handy, Bruce and Glynis Sweeny, *Time*, July 5, 2005, p. 90). كذلك، في كتاب "عدم احتمالية وجود الله" وردت هذه الجملة: "أليست فكرة وجود خالق ذكي للإنسان هي عجرفة من الإنسان الذي هو مجرد كائن سيِّئ التصميم؟" (Bruce and Frances Martin in *The Improbability of God* by Michael Martin and Picki Monnier. Amherst, NY:Prometheus Books, 2006, p. 220).

الفصل 15: مأزق مزدوج

[130] Associated Press, May 20, 2006

www.abclocal.go.com/ktrk/story?section=nation_world&id=4189656

[131] كانت الغَسْلات الطقسيَّة جزءاً من شرائع العهد القديم، وكان الهدف منها تعليم الخطاة عن مدى نجاستهم أمام الله. وبما أن الله وَفَّر التطهير الكامل والبر من خلال المسيح، فهو لم يَعُد يطلب طقوساً كهذه. اقرأ الأصحاح العاشر من سِفْر أعمال الرسل، ورسالة كولوسي الثانية. وحتى يومنا هذا ، تُركز العديد من الديانات على الطقوس الخارجية المتعلقة بالطهارة. استلمت الرسالة الإلكترونية التالية من رَجُل مُسلم في

لندن يقول فيها: "جميع غير المُسلمين – بمن فيهم المسيحيين – نجسون ... أمَّا المسلمون فطاهرون جداً وقريبون من الله لأنهم يتوضَّأون ...".

[132] بعد إعلان الله لوصاياه شفهيّاً (سِفْر الخروج 20)، دعا موسى إلى صعود الجبل لكي يعطيه لوحي الحجر اللذين نقش الله عليهما الوصايا (خروج 24: 12؛ 31: 18). *"وَاللَّوْحَانِ هُمَا صَنْعَةُ اللهِ، وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ"* (سِفْر الخروج 32: 16).

[133] انظر لوقا 18: 9-14؛ أفسس 2: 8-9.

[134] المسيح هو الوحيد الذي طبَّق شرائع الله بالكامل وكان بمقدوره أن يقول: *"أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلهِي سُرِرْتُ، وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أَحْشَائِي"* (المزمور 40: 8). وهكذا، فالشريعة تقودنا إليه: *"إِذًا قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ **بِالإِيمَانِ**"* (غلاطيّة 3: 24). ويظهر حل الله لمشكلة خطية الإنسان بوضوح في رسالة رومية 3: 20-27.

الفصل 16: نسل المرأة

[135] "لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ" (رسالة كورنثوس الأولى 15: 22). اقرأ أيضاً الأصحاح الخامس من رسالة رومية ورسالة غلاطيّة 4: 4-5.

[136] Neobirth Pregnancy Care Center: www.neobirth.org.za/development.html

[137] "أفْرَاتَة" هو الاسم القديم لبيتَ لحم، المدينة التي تقع جنوب أورشليم (تكوين 35: 16-19؛ 48: 7). ولد الملك داود في بيت لحم (صموئيل الأول 16: 1، 18-19؛ 17: 12). كما أن المسيح الذي جاء من نسل داود ولد في بيت لحم أيضاً (إنجيل مَتَّى 2: 1-6؛ إنجيل لوقا 2: 1-12). اختلط الأمر على اليهود الذين عاشوا في زمن يسوع حيث أنه نشأ في الناصرة في الجليل (إنجيل يوحنا 7: 41-42).

[138] للإطلاع على المراجع الكتابية، راجع لائحة النبوّات في الفصل الخامس.

[139] للإطلاع على المزيد من معاني اسم "المسيح" راجع الفصل 14 تحت العنوان الفرعي: "النسلان".

[140] سِفْر التكوين 1: 2، يجب عدم الخلط بين روح الله والملاك جبرائيل الذي كان مخلوقاً. فالروح القدس غير مخلوق، بل هو روح الله بذاته. راجع الفصلين 9 و 28.

[141] بعد ولادة يسوع، عاشت مريم مع زوجها يوسف كباقي الأزواج وأنجبا سوياً بنين وبنات (إنجيل مَتَّى 13: 55-56؛ إنجيل لوقا 8: 19؛ إنجيل يوحنا 7: 3-10).

[142] تنبّأ الأنبياء بأن المسيح سيولد من عذراء: إشعياء 7: 14؛ وأنه سيأتي من نسل إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويهوذا: تكوين 17: 18-21؛ 26: 3-4؛ 28: 13-14؛ 49: 8-10؛ وأنه سيكون من نسل داود الملكيّ: صموئيل الثاني 7: 16؛ وأنه سيولد في بيت لحم: ميخا 5: 2.

[143] إنجيل مَتَّى، الأصحاح الثاني. كان الملك هيرودس غيوراً من فكرة أن ملكاً آخر سيولد. لهذا فقد حاول أن يقضي على يسوع بأن أمر بقتل جميع الأولاد الذكور من عُمر سنتين فما دون في بيت لحم وضواحيها. وكان الشيطان يقف وراء هذا كله. فقد كان هدفه هو القضاء على نسل المرأة الذي غزا "أرضه"! غير أن الله الذي يعرف محاولات الشيطان لقتل يسوع حَذَّر يوسف وأخبره أن يأخذ مريم والطفل الصغير ويهربوا إلى مصر. وقد تنبَّأ الأنبياء بهذه الأحداث كلها (إنجيل مَتَّى 2؛ ميخا 5: 2؛ هوشع 11: 1؛ إرميا 31: 15). وبعد موت الملك هيرودس، عاد يوسف ومريم ويسوع إلى الناصرة حيث كبر يسوع ونما ليصبح رَجُلاً.

الفصل 17: من يكون هذا؟

[144] مقتبسة عن كتاب "حكايات جُحا" لسلمى خضرا الجيوسي. (Jayyusi, Salma Khadra. Tales of Juha. Interlink Books. Northampton, MA, 2007, p. 19.)

[145] فيما يلي أسماء بعض الكُتَّاب القدامى الذين ذكروا يسوع الناصريّ في كتاباتهم الخارجة عن الكتاب المقدَّس: تاسيتوس، مؤرِّخ روماني (55-120م.) (*تاسيتوس* 15: 44)؛ يوسيفوس، مؤرِّخ يهودي (37-101م.) [*العاديَّات* 18: 3)؛ التلمود، تفسير يهودي للتوراة [*التلمود البابليّ*، السنهدريم 43أ]؛ يوناني اسمه لوسيان [*موت بيريغواير* ص 11-13 في *أعمال ساماسوتا*] ترجمه "هـ. و. فولر" و "ف. ج. فولر"، أربعة أجزاء. أكسفورد: مطبعة كلاريندون، 1949؛ سوتونيوس (69-122م.)، أمين السرّ الأعلى للإمبراطور هادريان [*كلودياس*، 25]. **ملاحظة**: كتب ج. أوسوالد ساندرز: "القول بأن مسيح الكتاب المقدَّس ليس إلا ابتكاراً بشرياً خيالياً لا جذور تاريخية له يجعل من الأناجيل أعجوبة في عالم الأدب؛ تماماً كما أن المسيح الحيّ هو أعجوبة في صفحات التاريخ. وقد علَّق إيرنست رينان بأن ابتكار فكرة يسوع يستلزم يسوع بذاته. كذلك، قال ج. ج. روسّو أنه من غير المعقول أن يتفق عدد كبير من الأشخاص على كتابة تاريخ كهذا؛ فكم بالحري أن يُشَكِّل شخصٌ واحد موضوع هذا التاريخ" (Sanders, J. Oswald. The Incomparable Christ. Moody Press. Chicago, 1971, p. 57.)

[146] إنجيل مَتَّى 13: 55-56. نشأ يسوع في الناصرة (إنجيل مَتَّى 2: 22-23؛ إنجيل لوقا 2: 51-52)، وعمل كنجّار مع يوسف (إنجيل مرقس 6: 3). كان اتِّضاع يسوع إهانة لمن أرادوه بطلاً يغزو الأعداء، لا خادماً متواضعاً.

[147] "وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ ..." (إنجيل لوقا 3: 23).

[148] كثيراً ما أشار يسوع إلى نفسه بأنه "ابن الانسان" أي "ابن الجنس البشري/البشرية" (في اليونانية: *أنثروبوس*). يا له من لقب! شئنا أم أبينا، نحن جميعاً أولاد (ذريّة) الجنس البشري. أما ابن الله العظيم فقد اختار بنفسه وبكامل إرادته أن يصير ابن الإنسان وحسب نفسه مع الجنس البشري. لذلك، فإن هذا اللقب يُسلِّط الضوء على لاهوت المسيح بقدر ما يُركِّز على ناسوته (بشريته) لأنه يشير إلى تدخُّل الله الشخصي في البشرية. اقرأ دانيال 7: 13-14؛ إنجيل مَتَّى 8: 20؛ إنجيل لوقا 5: 24؛ 22: 69-70؛ إنجيل يوحنَّا 5: 27؛ 13: 31، سِفْر الرؤيا 1: 13-18؛ 14: 14.

[149] مثلاً، هذه الآية التي اقتبسها يسوع (في إنجيل لوقا 4: 4) هي من توراة موسى: سِفْر التثنية 8: 3.

[150] بسبب خطية الإنسان، أمسى الشيطان بالفعل "رئيس هذا العالم" و *"رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ"* (إنجيل يوحنَّا 12: 31؛ رسالة أفسس 2: 2). وقد جاء ابن الله ليعيد للإنسان السُّلطان الذي فقده بسبب الخطية؛ لكنه لم يفعل ذلك على طريقة الشيطان بل على طريقة الله.

[151] المزمور 110 والمزمور 2؛ إنجيل مَتَّى 21: 41-46.

[152] القرآن: 19: 19؛ انظر التباين بينها وبين 48: 2؛ 47: 19.

[153] القرآن: 19: 19؛ 3: 45-51؛ 5: 110-112؛ 19: 19.

[154] القرآن: 4: 171.

[155] الخطية الكُبرى في الإسلام هي "الشِّرْك"؛ أي اعتبار أي شيء أو أي إنسان مساوٍ لله.

[156] لاحظ الألقاب التي تُطلق على المسيح الذي تنبَّأ عنه الأنبياء:

عجيباً = صفة تستخدم لله وحده وهي تعني "خارج عن المعتاد".

مُشيراً = المسيح هو الحكمة بذاتها.

إلهاً قديراً = لا يستطيع إلا الله أن يأخذ جسداً بشرياً.

أباً أبدياً = هو مالك الأبدية.

رئيس السلام = سوف يوفِّر لكل من يؤمن به سلاماً مع الله (رسالة رومية 5: 1)، وسلاماً مع الآخرين (رسالة أفسس 2: 14-18)، وسلاماً داخلياً (رسالة فيلبي 4: 7). كما أنه سيوفِّر في نهاية العالم سلاماً على مستوى العالم كله (انظر الفصل 29 من هذا الكتاب).

[157] تنبأ النبي داود بأن الرب سيأتي إلى الأرض كإنسان: *"**هأَنَذَا جِئْتُ**. بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ **عَنِّي**"* (المزمور 40: 7). كما تنبأ النبي ملاخي بأن الله سيرسل من يُهَيِّئ الناس لمجيء الرب (سِفْر ملاخي 3: 1).

[158] هل نزول الله إلى مستوانا يَنتقص من مجده؟ تخيل أنك وصديقك تتحدثان عن قائدين روحيين جديران بالاحترام أحدهما اسمه عمر والآخر اسمه هارون. يقول صديقك: "هارون يلعب ألعاب السيارات، أمَّا عمر فلا". وحيث أنك تحترم هارون كثيراً فإنك تُجيبه قائلاً: "هذا مستحيل! حاشا أن يلعب بألعاب السيارات!" قد يبدو رد فعلك منطقياً ومُبرراً. لكنك تكتشف لاحقاً أن عمر وهارون لديهما أطفال، وأن أطفالهما يطلبون منهما أن يجلسا معهم على الأرض ليشاركوهم ألعاب السيارات. والآن، ماذا لو اكتشفنا أن هارون يستمتع بقضاء وقته مع أبنائه بهذه الطريقة في حين أن عمر يرفض القيام بذلك لأنه يعتقد أن ذلك ينتقص من كرامته؟ من هو الأفضل كأب ورَجُل وقائد: عمر أم هارون؟ كذلك، قد تكون دوافع الناس نبيلة حين يقولون "حاشا لله أن يأتي إلى الأرض كإنسان"؛ لكن عوضاً عن تعظيم الله فإنهم يُقلِّلون من شأنه.

[159] نقرأ في الأصحاح 13 من إنجيل يوحنَّا أن يسوع غسل أرْجُل تلاميذه – وهو عمل كان يقوم به الخادم! نعم، فقراءة الأناجيل تجعلك تلتقي مع الخادم الأعظم: الرب يسوع بذاته!

[160] إنجيل مَتَّى 14؛ إنجيل مَرْقس 6؛ إنجيل يوحنَّا 6.

[161] لو أراد يسوع أن يكتفي بالقول بأنه كان موجوداً قبل إبراهيم لقال: "قبل أن يكون إبراهيم، أنا **كنت**" بدل أن يقول:" قبل أن يكون إبراهيم، أنا **كائن**." انظر الفصل 9 عن يهوه (سِفْر الخروج 3: 14).

[162] الكلمة المستخدمة للإشارة إلى "سجود" هؤلاء الأشخاص ليسوع هي نفس الكلمة المستخدمة للإشارة إلى السجود لله. (قارن إنجيل مَتَّى 8: 2 مع سِفْر الرؤيا 7: 11). في كلتا الحالتين، الكلمة هي نفسها في الأصل اليوناني "بروسكنيو").

[163] إذا كنت ما تزال مُتمسكاً بالقول المغلوط بأن الكتاب المقدس تعرَّض للتحريف، اقرأ الفصل الثالث من جديد؛ وهو بعنوان: "مُحَرَّف أم مَحفوظ؟"

[164] Lewis. C. S. *Mere Christianity*. NY: Macmillan-Collier, 1960, pp. 55-56.

[165] لمراجعة وحدة الله الجامعة، اقرأ الفصل 9.

[166] يخطئ الكثيرون في فهم قصة يسوع والشاب الغنيّ. فقد جاء الشاب الغني إلى يسوع وسأله: *"أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟"* (إنجيل مَتَّى 19: 16؛ إنجيل مرقس 10: 17؛ إنجيل لوقا

10: 25). بدا سؤال الشاب جيِّداً في نظر الناس، لكنه لم يكن كذلك في نظر الرب. فقد علم يسوع أن هذا الشاب المتديّن لم يدرك بعد الحقائق الأساسية عن قداسة الله غير المحدودة وشر الإنسان غير المحدود. فقد كان ذلك الشاب المُتمسِّك ببرِّه الذاتي يعتقد أنه يستطيع أن يحصل على الحياة الأبدية بنفسه وأنه صالح بالقدر الكافي لتحقيق هذا الهدف. وبهذا، فقد كان أشبه بطفل يحمل بيده بعض القطع النقدية ويقول لأغنى رجل في العالم: "كم أعطيكَ لأرث ممتلكاتك؟" كيف أجاب يسوع عن سؤال هذا الرجل؟ لقد وَجَّهه إلى التوراة والوصايا العشر ليريه أنه لن يستطيع أبداً بقدرته أن يَفي بمتطلبات الله المتعلقة بالبر الكامل. فلا توجد "*حياة أبدية*" لمن يظن أنه يستحقها من خلال القيام ببعض الأعمال الصالحة.

[167] قال يسوع أيضاً: "*لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي ... أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي" ... اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟... أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ ... صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا*" (إنجيل يوحنَّا 14 :1، 6، 9-11).

[168] إشعياء 53 :1؛ إنجيل يوحنَّا 12: 28، إنجيل لوقا 1: 51. انظر أيضاً: إشعياء 40: 10-11؛ 51 : 5؛ 52: 10؛ 59: 16؛ 63: 5؛ إرميا 32: 17.

[169] أعطى الله القدرة لاثنين من أنبيائه (إيليَّا وأليشع) لإقامة شخصين من الموت؛ لكن لم يزعم أي نبي أنه رئيس الحياة غير يسوع الذي قال عن نفسه: "أنا هو القيامة والحياة".

[170] كان المسيح في السماء قبل مجيئه إلى الأرض، وكان حاضراً عندما طُرد إبليس من هناك. لذلك، قال يسوع لتلاميذه: "رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ" (إنجيل لوقا 10: 18).

الفصل 18: خطّة الله الأزليَّة

[171] الرسالة إلى العبرانيين 11: 6؛ إرميا 29: 13؛ إشعياء 29: 11؛ إنجيل مَتَّى 11: 25؛ 13: 13-14؛ إنجيل لوقا 8: 4-15؛ إنجيل يوحنَّا 6. الكثير من حقائق الله تظهر بشكل غير واضح عمداً وذلك لكي لا يفهمها إلا من يبحث عن الحق. فالله لا ولن يُرغم الناس على الإصغاء إليه وفهمه والإيمان به. فمن يريد أن يفهم سيكتشف الحق. أما الذين يُغلقون عيونهم وأذهانهم بإرادتهم، فلن يكتشفوه.

[172] هل لاحظت عدد النبوَّات التي كُتبت في صيغة الماضي على الرغم من أنها كُتبت قبل مئات السنين من تحقُّقها؟ هذا يُرينا أنه لا يمكن مُطلقاً إفساد خطط الله. فعندما يقول الخالق إن أمراً ما سيحدث فهو سيحدث حتماً.

[173] اقرأ المزمور الثاني الذي كُتب قبل ألف سنة من مجيء المسيح إلى الأرض. في أماكن عديدة من الكتاب المقدَّس، يُشار إلى المسيح في مجيئه الثاني (انظر الفصل 29 من هذا الكتاب) بالصخرة الكبيرة التي ستنزل من السماء وتسحق كل من يرفض الخضوع لخطة الله للفداء (سِفْر دانيال 2: 34-35؛ إنجيل مَتَّى 21: 33-44).

[174] للإطلاع على المزيد من أقوال بطرس، اقرأ أعمال الرسل 2-5؛ أعمال الرسل 10؛ رسالة بطرس الأولى 1: 10-12؛ 2: 21-25؛ 3: 18 وغيرها. كذلك، تأمَّل في كلمات الرسول بولس: "*فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ ... وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ ... بَلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ*". (رسالة كورنثوس الأولى 1: 18، 25، 27).

الفصل 19: شريعة الذبائح

[175] كيف عرف هابيل أن عليه القيام بكل هذا؟ لقد أخبره الله بذلك. نرى في الرسالة إلى العبرانيين 11: 4 أن هابيل قَدَّم ذبيحته بالإيمان بأن الله أمر ووعد. ويُفصِّل الكتاب المقدَّس لاحقاً شرائع الله المتعلقة بالذبيحة البدليَّة التي كان هابيل قد قدَّمها سابقاً. نقرأ في سِفْر التكوين 4: 4 أن هابيل قَدَّم من *"أبكار غنمه"* (قارن مع سِفْر الخروج 13: 12-13؛ سِفْر اللاويين 5: 6) "وَمِنْ سِمانِها" (انظر سِفْر اللاويِّين 3: 16). ورغم أن الكتاب المقدَّس لا يقول إن هابيل قَدَّم الحَمَل على مذبحٍ، لكن من المُرجَّح أنه فعل ذلك – تماماً كما فعل المؤمنون من بعده. سِفْر التكوين 8: 20؛ 12: 17؛ 13: 4، 18؛ 22: 8-9؛ سِفْر الخروج 20: 24-26؛ سِفْر اللاويين 17: 11؛ وغيرها.

[176] دانيال 6؛ أستير 3: 8-15؛ 8: 7-17.

[177] جيمس سترونغ *"الفهرس الشامل للكتاب المقدَّس"*. نيويورك: مطبعة أبينغدون-كوكسبري، 1948، ص 57. قارن تكوين 6: 14 (وتَطْليه [أو وتُغَطِّيه]) مع لاويين 5: 18 (فيُكَفِّر). فقد استُخدمت الكلمة العبريّة نفسها في هاتين الآيتين.

[178] سِفْر اللاويين 5: 7.

[179] يَذْكُر الكتاب المقدَّس أكثر من خمسين مرة أنه ينبغي أن تكون الذبيحة صحيحة. فمثلاً: *"وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُهُ مِنَ الْغَنَمِ الضَّأْنِ أَوِ الْمَعْزِ مُحْرَقَةً، فَذَكَرًا صَحِيحًا يُقَرِّبُهُ"*. (سِفْر اللاويين 1: 10).

الفصل 20: ذبيحة عظيمة

[180] عيد الأضحى هو العيد الإسلامي الأكثر أهمية في السنة. فهو يشير إلى الحدث الذي وَفَّر الله فيه حملاً لإبراهيم ليذبحه بدل ابنه. ووفقاً للرأي الإسلامي الشائع، كان الابن الذي سيُذبح هو إسماعيل وليس إسحاق على الرغم من أن القرآن لا يذكر أنه كان إسماعيل. أما الكتاب المقدَّس فيوضِّح أن الابن كان إسحاق. يُحيي جميع المسلمين في جميع أنحاء العالم عيد الأضحى كما يُحتَفل به أيضاً في الحج إلى مكة في ختام مناسك الحج حيث تتم التضحية بإحدى الأنعام (خروف أو بقرة أو ناقة) في آخر الحج بعد صلاة العيد الصباحية. يؤمن معظم المسلمين بأن هذه الطقوس تُقدِّم لهم "ولادة جديدة" وتمحو لهم خطاياهم. لكنَّ المسلمين يعترفون أيضاً بأن هذه الطقوس لا يمكن أن توفِّر لهم يقين الخلاص حيث أن خطاياهم تعود وتتراكم بعد الحج. (اقرأ الأصحاح 10 من الرسالة إلى العبرانيين والأصحاح 3 من إنجيل يوحنَّا لتعرف ما يقوله الكتاب المقدَّس).

[181] في البداية، كان اسم إبراهيم هو أبرام. لا يسعنا هنا أن نشرح هذا الجزء من القصة. اقرأ الأصحاح 17 من سفر التكوين. للإطِّلاع على قصة إبراهيم بالكامل، اقرأ تكوين 11-25؛ اقرأ أيضاً رومية 4؛ غلاطيّة 4؛ عبرانيين 11.

[182] سفر التثنية 7: 6-7؛ 14: 2.

[183] فيما يلي بعض الأمثلة على استخدام الله لأمة إسرائيل لمباركة الشعوب غير اليهودية: خلّص يوسف حياة ملايين المصريين (تكوين 37-50). كانت نُعمي (وهي من نسل إبراهيم) بَرَكَة لامرأتين موآبيتين ألا وهما راعوث وعُرفة (انظر سِفْر راعوث في العهد القديم). وكان النبي إيليَّا بَرَكَة لأرملة صِرْفَة (ملوك الأول 17؛ إنجيل لوقا 4: 26). أما يونان فأوصل رسالة الخلاص إلى شعب نينوى (سِفْر يونان). وكان الملك سُليمان بَرَكَة أيضاً لملكة سبأ (ملوك الأول 10؛ إنجيل لوقا 11: 31). كما أن النبي دانيال بارك البابليين (دانيال 1-6). أما أستير ومردخاي فكانا بَرَكَة للإمبراطورية الفارسيَّة (سِفْر أستير).

[184] تكوين 12: 2-3؛ 22: 16-18؛ الرسالة إلى العبرانيين 6: 13-20؛ إنجيل يوحنَّا 4: 22؛ أعمال الرسل 1-10، وغيرها.

[185] *"بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ. قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ الَّذِي قِيلَ لَهُ: 'إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ'. إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضًا، الَّذِينَ مِنْهُمْ أَخَذَهُ أَيْضًا فِي مِثَالٍ"* (الرسالة إلى العبرانيين 11: 17-19).

الفصل 21: دماءٌ تُهرَق

[186] بدأت في عَدِّ قصص الذبائح في العهد القديم؛ لكنني توقَّفت بعد أن وصلت إلى القصة رقم 200. وقد تكرَّرت الكلمات "دماء" و "ذبيحة" و "تقدِمة" و "مذبح" أكثر من 1400 مَرَّة في الكتاب المقدَّس (بحسب ترجمة الملك جيمس الجديدة).

[187] تكوين 15: 13-14: *"فَقَالَ لأَبْرَامَ: اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. ثُمَّ الأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا، وَبَعْدَ ذلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاَكٍ جَزِيلَةٍ"*. يظهر تحقيق هذا الوعد في سفر الخروج 1: 1-12؛ 12: 35-41. الله هو صاحب السيادة والسُّلطان. لهذا فإن خططه تتحقَّق دائماً.

[188] سِفْر الخروج، الأصحاحات 5-11.

[189] وعد الله موسى من داخل العلّيقة المشتعلة قائلاً: *"إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ، وَهذِهِ تَكُونُ لَكَ الْعَلاَمَةُ أَنِّي أَرْسَلْتُكَ: حِينَمَا تُخْرِجُ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ، تَعْبُدُونَ اللهَ عَلَى هذَا الْجَبَلِ"* (سِفْر الخروج 3: 12).

[190] سِفْر الخروج 13-17؛ *"شَقَّ الصَّخْرَةَ فَانْفَجَرَتِ الْمِيَاهُ. جَرَتْ فِي الْيَابِسَةِ نَهْرًا"* (المزمور 105: 41).

[191] سِفْر الخروج 28: 9-19. عندما كان المسيح على الأرض قال: *"أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى"* (إنجيل يوحنَّا 10: 9). كان كل عنصر في خيمة الاجتماع يرمز إلى شخص المسيح وعمله.

[192] *"يَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ قُرْبَانِهِ وَيَذْبَحُهُ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَيَرُشُّ بَنُو هَارُونَ الْكَهَنَةُ الدَّمَ عَلَى الْمَذْبَحِ مُسْتَدِيرًا ... وَيُوقِدُهَا بَنُو هَارُونَ عَلَى الْمَذْبَحِ ..."* (سِفْر اللاويين 3: 2، 5).

[193] كانت خيمة الاجتماع بمثابة صورة عن المخلِّص الذي سيأتي من السماء إلى الأرض. وللذين يعرفون هذا المخلِّص جيِّدًا: *"كُلُّهُ مُشْتَهَيَاتٌ"* (نشيد الأنشاد 5: 16) تماماً كما في داخل خيمة الاجتماع. ولمن لا يعرفه بعد: *"لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ"* (إشعياء 53: 2-3) تماماً كخيمة الاجتماع من الخارج.

[194] تعني كلمة آدم "إنسان" وهي تعني حرفياً "التراب الأحمر" لأن الله خلق جسد آدم من تراب الأرض.

[195] سِفْر العدد 3: 23-39.

[196] سِفْر اللاويين 16؛ يحتفل اليهود حتى يومنا هذا بيوم الكفارة رغم أنه يخلو الآن من معناه الأصلي لأن ليس لديهم هيكل ولا كهنوت ولا حَمَل يُقدِّمونه ذبيحة. ومن سُخرية القَدَر أن أحد رموز اليهودية اليوم هو حائط (الحائط الغربي [حائط المبكى]؛ سور بناه هيرودس الكبير لتوسيع منطقة جبل الهيكل). وفي يومنا هذا، يقف اليهود كل يوم أمام هذا الحائط ويُصلون من أجل مجيء المسيح رغم أنه أتى قبل ألفي سنة! وكما قال الأنبياء، فإن الأمة اليهودية مُصابة بالعمى الروحي: (إشعياء 6: 10؛ 53 :1؛ إرميا 5: 21؛ حزقيال 12: 2؛ رسالة كورنثوس الثانية 3: 12-4: 6). لكن سيأتي يوم تنفتح فيه عيونهم ويدركون أن يسوع هو التحقيق الكامل لرموز الهيكل والكهنوت والذبائح (الرسالة إلى العبرانيين 8-10؛ رسالة أفسس 2). وعندها، سوف

يُهدم حائط العمى الروحي (رسالة أفسس 2: 14؛ رسالة رومية 9-11). انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب تحت عنوان "نبوءات عن شعب". اقرأ أيضاً الحواشي.

[197] أخبار الأيام الثاني 3: 1. قارن مع تكوين 22: 2. في هذا الموقع بنى المسلمون مسجد قبّة الصخرة في القرن السابع.

[198] أخبار الأيام الثاني 7: 5.

الفصل 22: الحَمَل

[199] أحد أسماء الربّ في الكتاب المقدَّس هو *عمّانوئيل* الذي يعني حرفيًّا "الله مَعَنا" (إشعياء 7: 14؛ إنجيل مَتَّى 1: 23).

[200] رسالة كورنثوس الثانية 5: 1-4؛ رسالة كورنثوس الأولى 6: 19؛ رسالة بطرس الثانية 1: 13-14؛ رسالة أفسس 2: 21.

[201] إشعياء 40: 3-9؛ ملاخي 3: 1؛ إنجيل لوقا 1؛ إنجيل يوحنَّا 1.

[202] عندما كان الله يختار رجلاً ليُصبحَ كاهناً أو نبيّاً، كان أحد رجال الله الأتقياء يَمْسَح مُختار الله بالزيت كعلامة على أن الله اختاره لمهمة مُعيَّنة. وقد قام الله بمسح ابنه بالروح القُدُس. وغالباً ما يرمز الزيت في الكتاب المقدَّس إلى الروح القُدُس. **ملاحظة:** كما أنَّ الأقانيم الثلاثة اشتركت في عملية الخلق، فقد اشترك الآب والابن والروح القُدُس في عمل الفداء.

[203] *"البَارُّ بِإِيمَانِهِ يَحْيَا"* (سِفْر حبقوق 2: 4). في حين أن الذبيحة التي جاء يسوع لتقديمها كافية لرفع "خطيَّة العالم"، إلا أن فائدتها تقتصر على الذين يؤمنون بأن يسوع سَفَك دمه لأجلهم. ويمكننا توضيح هذه الحقيقة من خلال المثال التوضيحي التالي: هناك برنامج إذاعي بعنوان "طريق البرّ" يُبث في السنغال (انظر الموقعين الإلكترونيين التاليين: www.twor.com أو www.lesprophetes.com). في أحيان كثيرة يتم الإعلان عن توفر نسخ مجانية من الكتاب المقدَّس للمستمعين. وهكذا فإن كل من يكتب إلينا ويطلب نسخة من الكتاب المقدَّس يحصل على نسخة مجانية. هل هذا العرض مُتاح لملايين الناس الذين يستمعون إلى برنامجنا؟ أجل. وهل يكتب إلينا جميع المستمعين للمطالبة بنسختهم المجانية من الكتاب المقدَّس؟ لا. فالكثيرون لا يستفيدون من هذا العرض. على نحو مُشابه، قُدِّم الله المغفرة والحياة الأبدية لجميع الناس من خلال ذبيحة ابنه يسوع المسيح. لكنَّ فئة صغيرة من الناس هي التي تقبل عرض الله. انظر إنجيل لوقا 14: 15-24.

الفصل 23: حتى تُكَمَّل الكتب

[204] إشعياء 53؛ المزمور 22. انظر أيضاً دانيال 9: 24-27 الذي يُسَلِّط الضوء على خطة الله الأزلية. ويتمثَّل جزء من هذه الخطة بهذه الآية: *"يُقْطَعُ الْمَسِيحُ وَلَيْسَ لَهُ"* (دانيال 9: 26).

[205] إنجيل مَتَّى 21-25.

[206] الخيانة التي تعرَّض لها يسوع: انظر المزمور 41: 9؛ سِفْر زكريّا 11: 12-13؛ مَتَّى 26: 14-16؛ 27: 3-10.

[207] كما أن اليهود كانوا يحتفلون بعيد الفصح السنوي، فإن يسوع هو خروف الفصح النهائي والكامل الذي

يُخَلِّص الناس من غضب الله على الخطيّة: *"لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا"* (رسالة كورنثوس الأولى 5: 7).

[208] إنجيل يوحنَّا 13-17.

[209] كان كل ما قاله يسوع للذين جاؤوا للقبض عليه: "أنا هو". وهو لم يقصد بذلك أنه يسوع الناصري وحسب، بل أنه الرب الموجود من الأزل. لذلك حين قال يسوع "أنا هو" رجع القائد والجنود إلى الوراء وسقطوا على الأرض.

[210] *"كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ ..."* (دانيال 7: 13). **ملاحظة:** كان تمزيق الثياب تقليداً سائداً للتعبير عن الحزن والغضب. وقد ورد في الشريعة التي أعطاها الله لموسى: *"وَالْكَاهِنُ الأَعْظَمُ بَيْنَ إِخْوَتِهِ ... لاَ يَشُقُّ ثِيَابَهُ"* (سِفْر اللاويين 21: 10). مَزَّق الكاهن قيافا ثيابه؛ وبذلك فقد اعتبر نفسه غير مستحقّ لأن يكون رئيساً للكهنة (مَتَّى 27: 65؛ مرقس 14: 63). كان يسوع رئيس الكهنة الأزلي الذي جاء إلى الأرض ليقدّم جسده ذبيحة. وهو الوحيد القادر بالفعل على مُصالحة الخاطئ مع الله القدوس (الرسالة إلى العبرانيين 2: 17؛ 3: 1؛ 4: 14-16؛ 7: 26؛ 8: 1؛ 9: 11، 25؛ 10: 19-22).

[211] إنجيل يوحنَّا 18: 38؛ 19: 4، 6؛ 19: 15؛ إنجيل لوقا 23: 21.

الفصل 24: قد أكْمِل!

[212] إذا لم تكن قد فهمت الفصول 8 و 9 و 16 و 17 من هذا الكتاب فقد تجد هذا الكلام تجديفاً (كُفْراً). سمعتُ بعض الناس يقولون باستهزاء: "من كان يهتم بالكون فيما كان الله في رحم العذراء وعلى الصليب؟" يُظهر هذا السؤال أن البعض ينظرون نظرة خاطئة إلى الكتاب المقدَّس وإلى الله الذي أوحى به. *"فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللهِ"* (إنجيل مَتَّى 22: 29). بما أن الله موجود منذ الأزل في ثلاثة أقانيم مُتَّحدة، فليست هناك أي مشكلة في وجوده على الأرض وفي السماء في الوقت نفسه. فإن كانت الشمس الموجودة في الفضاء الخارجي تُنير الأرض وتُعطي حرارتها، فلماذا لا يستطيع خالق الشمس أن يوجد في السماء وعلى الأرض في الوقت نفسه؟

[213] صُلب يسوع في موضع يُدعى "جُلْجُثَة" أو "جُمجُمَة" (إنجيل مَتَّى 27: 33؛ إنجيل مرقس 15: 22؛ إنجيل يوحنَّا 19: 17). التل الذي صُلب عليه يسوع (وهو على شكل جُمجمة) يقع خارج مدينة أورشليم القديمة، ويُشَكِّل جزءاً من الجبل الذي قَدَّم إبراهيم عليه الكبش بدلاً من ابنه.

[214] كتب المؤرِّخ يوسيفوس أنه قبل سقوط أورشليم في سنة 70 ميلادية، كان الجنود الرومان "يقبضون على خمسمئة يهودي كل يوم؛ لا بل أكثر في بعض الأحيان. ... وكان هؤلاء الجنود يصبّون كراهيتهم وغضبهم على هؤلاء اليهود فيُسمِّرونهم على الصلبان الواحد تلو الآخر ..." كما كتب يوسيفوس أن الضحايا كانوا "يُجْلدون أولاً ثم يُعذَّبون بشتى أشكال التعذيب ..." (يوسيفوس، العاديَّات 11: 1، ص 563).

[215] كان اليهود يعتبرون بداية النهار عند الساعة السادسة صباحاً *"وَكَانَتِ السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ* (6+3=الساعة 9) *فَصَلَبُوهُ... وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ السَّادِسَةُ* (الساعة 12 ظهراً)*، كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ* (الثالثة عصراً)*"* (إنجيل مرقس 15: 25، 33).

[216] تكوين 8: 20؛ 22: 2-8؛ خروج 29: 18. تتكرَّر كلمة "مُحْرَقَة" 169 مَرَّة في العهد القديم. فقد أصبح يسوع هو المُحْرَقَة الأخيرة عن الخطية. إنجيل مرقس 12: 33؛ الرسالة إلى العبرانيين 10: 6-14. **ملاحظة:** لفهم السبب الذي جعل الله يحجب وجهه عن الرب يسوع وهو على الصليب، اقرأ إشعياء 53 والمزمور 22. في المزمور الذي تنبّأ فيه داود بأن المسيح سيقول: "إلهي، إلهي لماذا تركتني؟" (المزمور 22: 1)، فإنه يُخبرنا عن السبب الذي من أجله ترك الله ابنه: *"وَأَنْتَ الْقُدُّوسُ"* (المزمور 22: 3). فقد ترك الله يسوع لأنه قُدُّوس: *"عَيْنَاكَ أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ"* (سِفْر حبقوق 1: 13). في ساعات الظلمة تلك، كان ابن الإنسان الخالي من الخطية يتألَّم بدلاً من الخُطاة فيما تركه الله وكأنه هو الخاطئ. لقد أصبح يسوع القدوس حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم (دون أن يُمسي خاطئاً).

[217] Edersheim, Alfred. *The Life and Times of Jesus the Messiah*. 1883, p. 614.

[218] اقرأ الرسالة إلى العبرانيين 9-10. **ملاحظة**: كما ورد في الفصل 22 من هذا الكتاب، فإن مجد الله الذي سكن في قُدْس الأقداس في خيمة الاجتماع لم يَعُد وراء الحجاب. فلقد ظهر في يسوع المسيح.

[219] إنجيل يوحنَّا 19: 31-37.

الفصل 25: موت يَهزم الموت

[220] إنجيل متَّى 28؛ إنجيل مرقس 16؛ إنجيل لوقا 24؛ إنجيل يوحنَّا 20-21؛ رسالة كورنثوس الأولى 15. **ملاحظة:** عَقَد البعض العَزْم على دحض قيامة يسوع؛ لكنَّ بحوثهم قادتهم إلى تأليف كُتُب تُثبت قيامة المسيح من الأموات. ومن الأمثلة على هؤلاء: فرانك موريسون: *"مَنْ دَحْرَجَ الحجر؟"* (Morrison, Frank. *Who Moved the Stone?* Grand Rapids, MI: Zondervan, 1987) وجوش ماكدويل: *"بُرهان يتطلَّب قراراً"* (McDowell, Josh. *Evidence that Demands a Verdict*. Nashville, TN: Thomas Nelson, Inc., 1993) ولي ستروبل: *"قضيَّة المسيح"* (Strobel, Lee. *The Case for Christ*. Grand Rapids, MI: Zondervan, 1998).

[221] لم يقل المسيح إنه سيقوم في اليوم الثالث فحسب، بل قال أيضاً إنه *"كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ"* (إنجيل متَّى 12: 40). يقول الكثيرون إن المسيح لم يبقَ في القبر ثلاثة أيام كاملة لأنه بقي في القبر من الجمعة مساءً حتى الأحد صباحاً. غير أن المدة التي بقي فيها المسيح في القبر بحسب طريقة اليهود في الكلام هي ثلاثة أيام كاملة. فعندما كانوا يشيرون إلى جزء ولو صغير من اليوم كانوا يشيرون إلى اليوم كلّه. (إنجيل متَّى 27: 63-64؛ تكوين 42: 17-18؛ صموئيل الأول 30: 12-13؛ أستير 4: 16-5: 1). كذلك، لا يذكر الكتاب المقدَّس أن المسيح صُلب يوم الجمعة. وهكذا، فيما يهب الكثيرون للقول إن هذا تناقض، هناك العديد من التفسيرات المُقنعة لحل هذه التناقضات الظاهرية في الكتاب المقدَّس.

[222] أعمال الرسل 11: 26؛ 26: 28، رسالة بطرس الأولى 4: 16.

[223] أعمال الرسل 5: 41 *"وَأَمَّا هُمْ فَذَهَبُوا فَرِحِينَ مِنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ، لأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ"*. لقد تعرَّض بطرس للسجن والضرب: أعمال الرسل 5؛ انظر أيضاً أعمال الرسل 12. كما أن يسوع تنبأ بموت بطرس كشهيد (إنجيل يوحنا 21: 18-19).

[224] يقتبس البعض هذه العبارة التي قالها يسوع لامرأة أممية: *"لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ"* (إنجيل مَتَّى 15: 24)، غير أنهم لا يذكرون أنه شفى ابنتها! (لمزيد من الأمثلة على خدمة يسوع وتعاطفه مع غير اليهود، اقرأ إنجيل مَتَّى 12: 41-24؛ 21: 33-43؛ إنجيل لوقا 9: 51-55؛ 10: 30-36؛ 17: 11-19؛ رسالة يوحنَّا الأولى 2: 1-2؛ إنجيل لوقا 24: 45-48).

[225] المزمور 68: 18؛ 110: 1؛ المزمور 24.

[226] يسوع "بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي" (الرسالة إلى العبرانيين 1: 3). "وَكُلُّ كَاهِنٍ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ وَيُقَدِّمُ مِرَارًا كَثِيرَةً تِلْكَ الذَّبَائِحَ عَيْنَهَا، الَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ الْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ الْخَطِيَّةَ. وَأَمَّا هذَا فَبَعْدَمَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللهِ" (الرسالة إلى العبرانيين 10: 11-12). اقرأ أيضاً الرسالة إلى العبرانيين 8: 1؛ 12: 2؛ سِفْر الرؤيا 3: 21.

الفصل 26: متديِّن وبعيد عن الله

[227] رسالة يعقوب 2: 18؛ إنجيل مَتَّى 5: 13-16؛ الرسالة إلى العبرانيين 11.

[228] رغم أن الله يُعطي الحكومات الحق في الدفاع عن شعوبها ويوكل إليها مسؤولية استخدام "السيف" باعتبارها "خادِمَة الله، وهي التي تَنْتَقِمُ لِغَضَبِهِ مِمَّن يَفْعَلُ الشَرَّ" (رسالة رومية 13: 1-4؛ سِفْر التكوين 9: 6)، فإن استخدام العنف لنشر حقّ الله يتعارض تماماً مع تعليم يسوع الذي قال: *"سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟"* (إنجيل مَتَّى 5: 43-47). على النقيض من ذلك فإن القرآن يقول: *"قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"* (القرآن، سورة 9، آية 29).

[229] *"لأَنَّ هذا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدْءِ: أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا. لَيْسَ كَمَا كَانَ قَايِينُ مِنَ الشِّرِّيرِ وَذَبَحَ أَخَاهُ. وَلِمَاذَا ذَبَحَهُ؟ لأَنَّ أَعْمَالَهُ كَانَتْ شِرِّيرَةً، وَأَعْمَالَ أَخِيهِ بَارَّةً"* (رسالة يوحنا الأولى 3: 11-12). وهكذا، هناك دافعان قويان جعلا قايين يقتل أخاه هابيل ألا وهما الشيطان والحسد (قارن مع إنجيل مَتَّى 27: 18).

[230] للإجابة عن السؤال المُشَكِّك: "من أين أخذ قايين زوجة له؟" يُجيب الأصحاح الخامس من سفر التكوين عن هذا السؤال. فقد كان لآدم وحوَّاء "بَنين وَبَنات" (تكوين 5: 4). ومن الواضح أن قايين تزوَّج إحدى أخواته؛ لكن هذا لم يُحدث أي ضرر جيني في ذلك الوقت. لاحقاً، منع الرب هذا النوع من الزيجات. وماذا حدث لهابيل بعد موته؟ تحوَّل جسده إلى تراب وصعدت نفسه وروحه إلى السماء إذ أن الله غفر له وأعلنه باراً على أساس إيمانه (الرسالة إلى العبرانيين 11: 4).

[231] يَصِف موسى وأنبياء آخرون الطوفان العالمي والتغييرات الجيولوجية التي حدثت في زمن نوح: سِفْر التكوين 7-8؛ المزمور 104: 6-8؛ أيُّوب 22: 16؛ إنجيل مَتَّى 24: 37-39؛ رسالة بُطرس الثانية 2: 5-6.

الفصل 27: المرحلة الأولى: برنامج الله السابق

[232] بطريقة أو بأخرى، يرتبط كل جزء في الكتاب المقدَّس بواحدة من الأفكار الثلاث التالية:

1- ما فعله الله

2- ما يفعله الله

3- ما سيفعله الله

وبعبارات لاهوتيَّة، تُصنَّف هذه الأفكار الثلاث في الكتاب المقدَّس على النحو التالي:

1) *التبرير*= عندما تؤمن بالإنجيل، يُعلنك الله باراً في **مقامك** (رسالة رومية 3-5).

2) *التقديس*= كمؤمن، الله يعمل بصورة دائمة في حياتك لكي يساعدك على أن تحيا حياة البرِّ في حياتك العمليَّة **[حالتك]**. (رسالة رومية 6-8 و 12-15).

3) *التمجيد*= ستكون بارَّاً بالكامل في السماء في **مقامك وحالتك**. (سِفْر الرؤيا 21-22).

[233] دون ريتشاردسون، *"أرباب الأرض"* (Richardson, Don. *Lords of the Earth*. Oxnard, CA: Regal Books; 1977, pp. 354). اقرأ للكاتب نفسه أيضاً: *"طفل السلام"* (*Peace Child*. Oxnard, CA: Regal Books, 1975).

[234] أعمال الرسل 26: 9-11؛ 7: 58-60؛ 8: 1-3؛ 9: 1-2.

[235] أعمال الرسل 9: 1-31؛ أيضاً أعمال الرسل 11؛ 13-14؛ 16-28. في الأصحاحين 22 و 26 من سِفْر أعمال الرسل، يَسرد بولس قصَّة اهتدائه). انظر أيضاً: رسالة غلاطيّة 1: 13، 23؛ رسالة فيلبي 3: 6؛ رسالة كورنثوس الأولى 15: 9، وغيرها.

[236] القِدِّيس بحسب تعريف الكتاب المقدَّس هو الشخص الذي يُكَرِّس نفسه لله؛ إنه شخص يُعلنه الله باراً بالإيمان من خلال إيمانه بطريقة الله للغفران والتبرير. لذلك، فإن ما يفعله البشر حين يُحيطون بعض الأموات بهالة من القداسة ويُعلنون أنهم "قدِّيسون" يتعارض تماماً مع تعليم الكتاب المقدَّس (اقرأ سِفْر التثنية 33: 2-3؛ المزمور 30: 4؛ سِفْر الأمثال 2: 8؛ دانيال 7: 21-27؛ إنجيل مَتَّى 27: 52؛ أعمال الرسل 26: 10؛ رسالة أفسُس 1: 1؛ 2: 19، وغيرها).

الفصل 28: المرحلة الثانية: برنامج الله الحاضر

[237] ما لا يُدركه معظم الناس هو أنهم يقفون إلى جانب العدو عندما يستخدمون طرقاً كهذه للحماية. تثنية 18: 10-14، إشعياء 47: 13؛ أعمال الرسل 19: 19؛ غلاطيَّة 5: 19-21.

[238] رسالة يوحنا الأولى 2: 1؛ إنجيل يوحنا 14-16.

[239] في الفصل الأول، اقتبست جزءاً من رسالة إلكترونية أرسلها لي أحمد كتب فيها: "بالإضافة إلى هذا كله، يحتوي كتابكم المقدَّس الأصلي على نبوءات عن مجيء مُحمَّد (صلعم)". أحد المقاطع الرئيسية التي أشار إليها أحمد هو الأصحاحات 14-16 من إنجيل يوحنَّا.

[240] يوم الخمسين هو عيد كان بنو إسرائيل يشكرون الله فيه على بركاته (سِفْر اللاويين 23: 16). فمنذ البدء، خَطَّط الله لإرسال البركة الكُبرى في هذا اليوم: الروح القُدُس.

[241] رسالة كورنثوس الأولى 12: 27؛ رسالة أفسس 4: 21؛ 5: 25-32؛ سِفْر الرؤيا 19: 7-9؛ 22: 17؛ إنجيل يوحنَّا 3: 29.

[242] رسالة يوحنا الأولى 1: 8-10؛ 2: 1-2؛ رسالة رومية 6-8.

[243] في اللحظة التي تتوب فيها عن تفكيرك الخاطئ وتؤمن بالرب يسوع المسيح الذي مات من أجل خطاياك وقام، فإنك تعتمد *"ليسوع المسيح"* (رسالة رومية 6: 3) لا بالماء (فمعمودية الماء تأتي لاحقاً)، بل بالروح القدس (رسالة رومية 6: 1-5؛ أعمال الرسل 1: 5؛ رسالة كورنثوس الأولى 12: 13). الاعتماد ليسوع المسيح يعني الاتحاد به. فعندما تؤمن، تُصبح فرداً في عائلة الله المؤلفة من جميع المُتَّحدين مع ابنه الذي بلا خطية (رسالة رومية 6: 5). وعندها، يُصبح مقامك الجديد الأبدي هو "في المسيح".

[244] أعمال الرسل 24: 15؛ إنجيل لوقا 14: 14، إنجيل يوحنا 5: 28-29؛ دانيال 12: 2؛ سِفْر الرؤيا 20: 6، 11-15؛ 22: 12.

[245] رسالة كورنثوس الثانية 5: 10. يذكر الكتاب المقدَّس أكثر من خمسة أكاليل (مكافآت) سيحصل عليها المؤمنون: رسالة كورنثوس الأولى 9: 25؛ رسالة بطرس الأولى 5: 4؛ رسالة يعقوب 1: 12؛ رسالة تسالونيكي الأولى 2: 19-20؛ رسالة تيموثاوس الثانية 4: 8. لكنَّ هذه الأكاليل لن تكون لمجد الإنسان، بل لمجد الرب (سِفْر الرؤيا 4: 10). لن ينسى الرب أي عمل صالح قام به شعبه المفدي باسمه ولمجده (إنجيل مَتَّى 10: 41-42؛ الرسالة إلى العبرانيين 6: 10).

[246] Sheikh, Bilquis. *I Dared to Call Him Father*. New York: Fleming H. Revell Company, 1978; p. 53.

[247] رسالة يوحنا الأولى 2: 27؛ إنجيل يوحنا 4: 14؛ 14: 26؛ 16: 13؛ إرميا 31: 33-34؛ رسالة أفسس 4: 21.

[248] هناك فرق شاسع بين ترديد الصلوات ترديداً آلياً والاتصال الحقيقي بالله والحصول على استجابته. رسالة رومية 8: 26-27؛ رسالة أفسُس 6: 18؛ رسالة يوحنَّا الأولى 5: 14-15؛ إنجيل يوحنا 14: 13-14؛ 15: 7؛ رسالة فيلبي 4: 6-9.

[249] رسالة رومية 12؛ رسالة كورنثوس الأولى 12؛ رسالة أفسس 4.

[250] رسالة كورنثوس الثانية 3: 18؛ رسالة فيلبي 1: 6؛ 3: 20-21.

الفصل 29: المرحلة الثالثة: برنامج الله المستقبليّ

[251] بعد صفحات قليلة، سنقرأ العديد من آيات العهد القديم التي تنبأ الأنبياء فيها عن المجيء الثاني للمسيح إلى الأرض وعن الأحداث التي سترافق مجيئه. ومن الآيات التي سنتحدث عنها زكريا 14؛ دانيال 7: 13-14؛ المزمور 72؛ إشعياء 9: 6-7.

[252] رسالة تسالونيكي الأولى 4: 13-18؛ رسالة كورنثوس الأولى 15: 51-58.

[253] انظر الفصل 28 تحت العنوان "دينونتان".

[254] اقرأ الآية أفسس 5: 27 والآيات المحيطة بها. لقد تطرقنا إلى هذه الفكرة المذهلة في الفصل 10 من هذا الكتاب. غالباً ما يُصَوِّر الكتاب المقدَّس يسوع بـ "العريس" وشعبه بـ "العروس". يُشَكِّل الزواج في حالته المثاليّة ومضة من العلاقة الروحية الحميمة التي يرغب الله في أن يتمتع بها مع شعبه في الأبدية (إشعياء 54: 5؛ 62: 5؛ المزمور 45؛ نشيد الأنشاد؛ هوشع 2: 16، 19، 20؛ إنجيل مَتَّى 9: 15؛ 25: 1-13؛ إنجيل يوحنَّا 3: 29؛ رسالة كورنثوس الثانية 11: 2-3؛ رسالة أفسس 5: 22-33؛ رؤيا 21: 2، 9؛ 22: 17).

[255] إنجيل مَتَّى 24: 21؛ سِفْر الرؤيا 7: 14. أكمل وصف للضيقة العظيمة موجود في الأصحاحات 6-19 من سفر الرؤيا.

[256] رسالة رومية 11: 26-27. **ملاحظة**: يُشار إلى هذا الحدث في قصة يوسف في سِفْر التكوين 37-45. أوجه تشابُه رائعة!

[257] رسالة كورنثوس الأولى 15: 45-47؛ رسالة رومية 5: 12-21. إن العبارات مثل *"آدم الأول"* و*"آدم الأخير"* مذكورة أيضاً في الفصل 16 من هذا الكتاب. كما أن خطية آدم أدَّت إلى موت جميع الناس، فإن دم يسوع البار يُعطي الحياة الأبدية لكل من يؤمن به.

[258] رسالة تسالونيكي الثانية 1: 7-10؛ سِفْر الرؤيا 19: 6-14؛ رسالة يهوذا 14؛ سِفْر زكريا 14: 5.

[259] إشعياء 53: 7؛ إنجيل يوحنا 1: 29؛ سِفْر الرؤيا 5: 5؛ رسالة تسالونيكي الثانية 1: 5-10؛ إنجيل يوحنا 3: 17-18؛ 12: 47؛ دانيال 9: 24-27. قارن إشعياء 53 مع زكريا 14. لاحظ الفروق بين "الآلام" و "المجد" في هذه المقاطع: لوقا 24: 25-26؛ رسالة بطرس الأولى 1: 10-12؛ الرسالة إلى العبرانيين 2: 9؛ رسالة فيلبي 2: 5-11؛ المزمور 22، وغيرها.

[260] إن عنوان المزمور 72 هو "لسليمان". يبدو أن سليمان هو الذي كتب هذا المزمور على الرغم من أنه ينتهي بهذه الكلمات: "*تَمَّتْ صَلَوَاتُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّى*" (المزمور 72: 20). هذه الآية تختم القسم الثاني من الأقسام الخمسة التي ينقسم إليها سفر المزامير. كان داود الكاتب الرئيسي للقسم الثاني من المزامير.

[261] مَنْ سَيُدان إلى الأبد؟ *"الخائفون وغير المؤمنين"* ؛ أي الأشخاص الذين لم يُصَدِّقوا قَطُّ رسالة الله لأنهم خافوا مما سيقوله أو يفعله أصدقاؤهم وعائلاتهم. عندما كان يسوع على الأرض أنذر سامعيه بوضوح: *"لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ ... لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي"* (إنجيل مَتَّى 10: 28، 34-37).

الفصل 30: نظرة إلى الفردوس

[262] إنجيل مَتَّى 13: 24-30. هذا المَثَل الذي ضربه يسوع يُعلن أن اختلاط الخير والشر معاً لن يدوم طويلاً.

[263] الجزء الباقي من الأصحاح الأول من سفر الرؤيا يُصوِّر الرب يسوع بطريقة بديعة مختلفة تماماً عن ما كتب عنه في الكتب وما صورته الأفلام والديانات الأخرى.

[264] إنجيل مرقس 3: 14-19؛ إنجيل يوحنا 19: 26-27؛ الرسول يوحنا كتب الأسفار التالية في الكتاب المقدَّس: إنجيل يوحنَّا ، ورسالة يوحنا الأولى، ورسالة يوحنَّا الثانية، ورسالة يوحنَّا الثالثة، وسفر الرؤيا.

[265] يأتي حجر "اليشب" بألوان عديدة. أما حجر العقيق فلونه أحمر فاتح شفاف. وعندما يتعرض للضوء يصبح لونه داكناً وأكثر جمالاً.

[266] لاحظ مَنْ الذي يجلس على العرش. قارن إشعياء 6 (رؤيا إشعياء المُشار إليها في الفصل 15 من هذا الكتاب) مع يوحنَّا 12: 36-41.

[267] تكوين 12: 2-3، إنجيل مَتَّى 1 (لمعرفة المزيد عن وعود الله لإبراهيم، راجع الفصل 20 من هذا الكتاب)

[268] على سبيل المثال، فإن قصة سندريلا الخيالية (التي حُكيت للمرَّة الأولى في الصين) متوفرة بنسخ وترجمات مختلفة بحسب البلدان. فلكل بلد نسخته؛ لكنَّ الأفكار مُتشابهة كثيراً. كذلك فإن التوق للفداء والحياة الأبدية كامن في قلوب الناس في العالم أجمع. كتب الملك سليمان: " [الله] *صَنَعَ الْكُلَّ حَسَنًا فِي وَقْتِهِ، وَأَيْضًا*

جَعَلَ الأَبَدِيَّة فِي قُلُوبهم، أَلَتِي بِلاَهَا لاَ يُدْرِكُ الإِنْسَانُ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللهُ ***مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ"*** (سِفْر الجامعة 3: 11).

تأمَّل في الرِّحلة

أسئلة للمناقشة

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب

سوف تساعدك أسئلة هذا القسم في الحصول على أقصى فائدة ممكنة من رحلتك في رِحاب الكتاب المُقدَّس. هل تفهم رسالة الأنبياء الرئيسية؟ هل تؤمن بتلك الرسالة؟ هل يمكنك أن تَسرد قصة الله أمام الآخرين؟ تأمُّلك في هذا القسم الأخير سيُساعدك على الإجابة عن هذه الأسئلة بوضوح ويُعزِّز ثقتك بنفسك.

يمكنك تصوير هذه الأسئلة واستخدامها للتأمل الشخصي، أو لمناقشتها مع الأصدقاء، أو لدراستها في المجموعات الصغيرة أو البيتية، أو في دروس الكتاب المُقدَّس بالمُراسلة.

"اخْتَبِرْنِي يَا اَللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي ... وَاهْدِنِي طَرِيقًا أَبَدِيًّا" – النبي داود (المزمور 139: 23–24)

1
اقْتَنِ الحَقَّ

1- مع وجود نحو عشرة آلاف ديانة في جميع أنحاء العالم، هل يمكننا أن نُميِّز الصواب من الخطأ؟ شارك وجهة نظرك الشخصية.

2- الكتاب المُقدَّس هو الأكثر مبيعاً على مَرِّ العُصور. كما أنه الكتاب الذي تُرجم إلى أكبر عدد من اللغات واللهجات. في رأيك، ما هو سبب شعبيَّة الكتاب المُقدَّس وانتشاره؟

3- اذكُر ثلاثة أشياء يقولها القرآن عن الكتاب المُقدَّس.

4- ما الذي يجب أن تعرفه عن أي شخص قبل أن تثق به؟ وما الذي يجب أن تعرفه عن الله قبل أن تثق به؟

5- هل تعتقد أنه من الممكن أن تتيقَّن من المكان الذي ستقضي فيه أبديتك؟ وَضِّح إجابتك.

عَبِّر بأسلوبك

اشرح أمثال 23: 23. *"اِقْتَنِ الْحَقَّ وَلاَ تَبِعْهُ، وَالْحِكْمَةَ وَالأَدَبَ وَالْفَهْمَ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

2
التغلُّب على العَراقيل

1- قال شيرلوك هولمز للدكتور واطسون: "أنت ترى، لكنَّك لا تُلاحظ". ما الفرق بين "الرؤية" و "المُلاحظة الدقيقة"؟

2- اذكُر ثلاثة أعذار يُمكن أن يُقدِّمها المُثقَّفون لتبرير عدم تخصيص أي وقت لفهم الكتاب المُقدَّس. هل تعتقد أن هذه الأعذار صحيحة أو مقبولة؟

3- هل مِنَ الحكمة أن نرفض رسالة الكتاب المُقدَّس بسبب الحياة المُشينة لبعض الأشخاص الذين يزعمون أنهم يؤمنون بها؟ وَضِّح إجابتك.

4- اذكُر ثلاثة مبادئ يُمكن أن تُرشد الناس وتساعدهم على فهم الكتاب المُقدَّس.

5- اذكُر سبباً أو سببين يُوضِّحان احتواء الكتاب المُقدَّس على عهد قديم وعهد جديد.

عَبِّر بأسلوبك

اشرح هوشَع 4: 6. *"قَدْ هَلَكَ شَعْبِي مِنْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

3
مُحرَّف أَم مَحْفوظ

1- بحسب ما يقوله القرآن، ما هو قصد الله من إعلان الأسفار المُقدَّسة (التوراة، والزَّبور، والإنجيل) للبشر؟

2- اذْكُر ثلاثة أسئلة عميقة يمكنك أن تطرحها على أي شخص يَدَّعى أن الكتاب المُقدَّس مُحرَّف.

3- يقول الكثير من العلماء إن الكتاب المُقدَّس هو الكتاب الأكثر توثيقاً على مَرِّ العصور. هل تتَّفق معهم؟ اشرح موقفك.

4- ما الفرق بين مخطوطات الكتاب المُقدَّس وترجمات الكتاب المُقدَّس؟

5- اذكُر سببين حقيقيين أو ثلاثة أسباب حقيقية تجعل الكثيرين يتجاهلون الكتاب المُقدَّس.

عَبِّر بأسلوبك

اشرح لوقا 16: 31. *"إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ، وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

4
العِلْم والكِتاب المُقدَّس

1- اذكُر ثلاث حقائق علمية أعلنها الكتاب المُقدَّس منذ آلاف السنين ثُمَّ جاء العلم الحديث ليؤكدها في العصور اللاحقة.

2- هل يُطالبنا الكتاب المُقدَّس أن نؤمن إيماناً أعمى أَم إيماناً واعياً؟ اشرح إجابتك.

3- كيف يعمل التاريخ وعلم الآثار على تأكيد صِحَّة الكتاب المُقدَّس؟

4- ما هو الشيء الذي تحاول الآية 23 من سورة البقرة إثباته؟ اشرح.

5- هل يُمكن للعلم وعلم الآثار والشِّعْر أن تُثْبِت أن أي "كتاب" هو كلمة الله الموحى بها؟ دافع عن موقفك.

عَبِّر بأسلوبك

اشرح أيُّوب 38: 4. *"أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الأَرْضَ؟ أَخْبِرْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

5
توقيع الله

1- هل يمكننا أن نصل إلى قناعة تامَّة بأن ما يُعلنه الكتاب المُقدَّس عن الماضي والحاضر والمستقبل صحيح. اشرح.

2- ما الفَرق بين نبوءات الكتاب المُقدَّس ونبوءات السَّحَرَة والعَرَّافين وقارئي الحظ؟

3- اذكُر نبوءة واحدة وَرَدَت في الكتاب المُقدَّس ثم جاء التاريخ غير الديني وأكَّد حدوثها بدقة مُتناهية.

4- ما هو القصد من النبوءات في الكتاب المُقدَّس؟

5- كيف يُمكن للنبوءات المُتحقِّقة أن تكون "توقيع الله"؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح يوحنَّا 13: 19. *"أَقُولُ لَكُمُ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

6
شهادة مُتناغمة

1- في رأيك، لماذا لا يَكفي وجود شاهد بشري واحد لإثبات الحقيقة؟

2- أعطى الله كل الناس في كل مكان شاهدين اثنين عن نفسه. ما هُما هذان "الشاهدان"؟

3- اذكُر أسماء عشرة أشخاص استخدمهم الله لتدوين رسالته للبشر.

4- كيف يمكننا أن نَفحص جدارة أي شاهد بالثقة؟

5- كيف يمكننا أن نُميِّز بين النبي الصادق والنبي الكاذب؟

عَبِّر بأسلوبك

اكتب تعليقك على متَّى 7: 15-17. *"اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلِ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. ... هكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

7
الأساس

1- بحسب ما جاء في عِظَة يسوع على الجبل، ما هو الفرق بين الرَّجُل العاقل والرَّجُل الجاهل؟ لماذا تُعتبر الأُسُس مهمة جداً للبناء – وللمُعتقدات أيضاً؟

2- سِفْر التكوين ("كتاب البدايات") يُقدِّم إجابات عن الكثير من التساؤلات المُحَيِّرة في الحياة. ما هي بعض أكبر التساؤلات في الحياة؟

3- حين نحكي قصَّة، من أين نبدأ؟ لماذا؟

4- كيف يُمكن تشبيه الحق الذي أعلنه الله بحبَّة القمح والجَنين؟

5- ما الذي اكتشفه ذلك الشخص من لبنان حين درس الكتاب المُقدَّس وتأمَّل فيه بنفسه؟

عَبِّر بأسلوبك

لَخِّص ما قاله الله في إشعياء 55: 9. *"لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

8
مَنْ هو الله

1- في رأيك، لماذا لا يُحاول الله أن يُثْبِت وجوده في الأصحاح الأوَّل من كتابه المُقدَّس؟

2- ما هي الملائكة؟ ولماذا خلقها الله؟

3- كيف يُمكن لله أن يكون واحداً وأن يتواجد في أكثر من مكان في الوقت نفسه؟

4- لماذا من المهم أن نعرف بعض الأشياء عن شخصية الله وصفاته؟

5- اذْكُر 6 صفات لله أظهرها في أيام الخلق الستة. هل هناك صفة مُحَدَّدة تود أن تشكر الله عليها اليوم؟ لماذا؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح المزمور 33: 9. *"لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

9
لا مَثيل له

1- في الأصحاح الأول من سِفْر التكوين، يتحدث الله الواحد عن نفسه باستخدام ضمير الجمع "نحن". في رأيك، ما هو أفضل تفسير لذلك؟

2- هل يُمكن للوحدات الثلاثيَّة في حياتنا اليومية أن تساعدنا على فهم الوحدانيَّة الجامعة لخالقنا؟ اشرح.

3- ما هي الأشياء التي لا نَعنيها حين نَذْكُر عبارة "ابن الله"؟

4- اذكُر ثلاثة أشياء يُعلنها الكتاب المُقدَّس عن الروح القُدُس.

5- كيف يختلف تعريف الكتاب المُقدَّس لله عن الفكرة الشائعة التي تقول إن الله قوة لا يُمكن للإنسان معرفتها؟

عبِّر بأسلوبك

اشرح المزمور 9: 10. *"وَيَتَّكِلُ عَلَيْكَ الْعَارِفُونَ اسْمَكَ، لأَنَّكَ لَمْ تَتْرُكْ طَالِبِيكَ يَا رَبُّ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

10
خَليقة خاصَّة

1- خلق الله أوَّل رَجُل وأوَّل امرأة "على صورته". اذكُر ثلاث صِفات بشريَّة تؤكِّد ذلك.

2- ما هي "المواد" التي استخدمها الله لخلق السَّماوات والأرض؟ ما هي المواد التي استخدمها لخلق أوَّل كائن بشري؟

3- اذكُر قَصْدين رائعين لخلق الله للإنسان.

4- اذكُر موقفين مُتطرِّفين يحُطَّان من شأن المرأة ويُعارضان خطَّة الله للبشر.

5- ما هي أهميَّة اليوم السَّابع الذي استراح فيه الله "مِنْ جَميعِ عَمَلِهِ الذي عَمِلَ"؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح يوحنَّا 8: 35. *"الْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ، أَمَّا الابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

11
دُخول الشَّر

1- كان كل ما خلقه الله حسناً جداً. إذا كان الأمر كذلك فمن أين جاء إبليس ومن أين أتت الخطيَّة؟

2- يُقَدِّم أنبياء الله تعاريف عديدة واضحة للخطيَّة. اقتبس تعريفاً ووَضِّحه من خلال قصة شخصية.

3- ما هي الكلمة-الصورة التي يستخدمها الكتاب المُقدَّس لوصف جهنَّم؟

4- اذْكُر أحد أهداف إبليس.

5- ما الذي قال الرب إنه سيَحْدُث للإنسان إن أكل من شجرة معرفة الخير والشر؟ ما الذي قال إبليس إنه سيحدث؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح يعقوب 2: 19. *"أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ. وَالشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ!"*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

12
ناموس الخطيَّة والموت

1- ما هي الكلمة التي تَصِف الموت أفضل من غيرها؟ كيف يُمكن توضيح هذه الحقيقة باستخدام غُصن مقطوع من شجرة؟

2- قال الله لآدم: *"لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ"* (تكوين 2: 17). ما هو نوع الموت الذي اختبره آدم في اليوم الذي أكل فيه من الشجرة المُحَرَّمة؟

3- كيف أثَّرت خطيَّة آدم عليك وعلى عائلتك؟

4- اذْكُر أنواع الموت الثلاثة التي لحقت بالجنس البشري كله نتيجة خطيئة آدم الأولى؟ أي نوع من الموت يُرعبك أكثر من غيره؟

5- كيف تجعلنا الخطيئة نشعر بالعار؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح شريعة الخطيئة والموت المذكورة في حزقيال 18: 20. *"اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

13
الرَّحْمَة والعَدالَة

1- هل يوجد شيء يمكن للإنسان أن يفعله ولا يُمكن لله أن يفعله؟

2- في مشهد المحكمة الخيالي، كيف ناقضت رحمة القاضي عدالته؟

3- لماذا لا يستطيع الله أن يتجاهل العدالة في سبيل إظهار الرحمة؟

4- لماذا استجوب الله آدم وحوَّاء رغم عِلْمِه بما فعلاه؟

5- لماذا وضع الله المسؤولية على آدم في أنه قاد الجنس البشري كله في طريق الخطيَّة والموت؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح المزمور 89: 14. *"الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. الرَّحْمَةُ وَالأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

14
اللَّعْنَة

1- ما هي أهمية "الحَيَّة" ولماذا لَعَنَها الله؟

2- مَنْ هو "نَسْل المرأة" الموعود؟ وما هو الشيء الفريد في هذا المُصطلح؟

3- اذكُر بعض الطرق التي أثَّرت فيها اللَّعْنَة على عالمنا.

4- هل الحُزن والألم والموت جزء من خطة الله الأصلية لخليقته؟ وَضِّح إجابتك.

5- بعد أن أخطأ آدم وحوَّاء شعرا بالخجل وحاولا أن يُغَطِّيا عورتيهما بأوراق التِّين. هل قَبِلَ الله جهودهما الشخصية؟ ما الذي قَدَّمه الله لهما لتغطية عارهما؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح معنى "النِّعْمَة" في ضوء ما حدث في تكوين 3: 21. *"وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

15
مَأزق مُزدوَج

1- لماذا من المهم جداً أن ننظر إلى أنفسنا نظرة صحيحة؟

2- لماذا من المهم جداً أن ننظر إلى الله نظرة صحيحة؟

3- في ضوء معرفتك بالوصايا العشر، كم عدد الوصايا التي أطعتها تماماً وبصورة دائمة؟

4- كيف يمكنك أن تستخدم المرآة لشرح القصد الرئيسي من إعطاء الوصايا العشر؟

5- ما هو "المأزق المزدوج" للإنسان في نظر الله؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح يعقوب 2: 10. *"لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

16
نَسْل المَرأة

1- لماذا كان من المهم جداً أن يولد المسيح من امرأة وليس من رَجُل؟

2- اشرح لماذا يُشير الكتاب المُقدَّس إلى المسيح بأنه "آدم الأخير" و "الإنسان الثاني".

3- اذكُر خمسة أشياء (على الأقل) تنبَّأ الأنبياء بحدوثها في ما يتعلَّق بمجيء المسيح.

4- قال جبرائيل لمريم العذراء إن المولود منها سيُدعى "ابن الله". اقرأ لوقا 1: 26-37 مرَّة أخرى، وراجع الصفحتين ___ و ___ (الفصل 9)، ثُمَّ اشرح بإيجاز سبب إطلاق لقب "ابن الله" على يسوع.

5- ما هو المعنى الحرفي لاسم "يسوع"؟

عبِّر بأسلوبك

اشرح لوقا 2: 10-11. *"فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ* [للرُّعاة]*: لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

17
مَنْ يَكونُ هَذا؟

1- كيف كان المسيح مُختلفاً تماماً عن سائر البَشَر؟

2- لماذا حاول رجال الدِّين اليهود أن يرجموا يسوع؟

3- هل تَتَّفق مع من يقولون إن يسوع "مُجَرَّد نبي"؟ عَلِّل.

4- كيف أدَّت أعمال يسوع إلى تأكيد أقواله؟

5- هل توافق على أن الشياطين أظهرت إجلالاً ليسوع أكثر ممَّا فعل القادة الدينيِّون؟ دافع عن رأيك.

عَبِّر بأسلوبك

أجِبْ عن سؤال يسوع الوارد في مَتَّى 22: 42. *"مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟"*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

18
خِطَّة الله الأزليَّة

1- ما هو الشيء الذي يجعلك مُميَّزاً عن الأنبياء؟

2- كيف تُفَسِّر لطفل معنى "فداء" شيء ما أو شخص ما؟

3- اذكُر حَدَثَيْن رئيسيَّين تنبَّأ عنهما النبي داود في ما يتعلَّق بالمسيح.

4- ما هو الدرس الهام الذي يُمكننا أن نتعلَّمه من المَثَل السَّنغالي القائل: "يجب على البيضة ألاَّ تتصارع مع حَجَر."

5- ما هو الجزء الذي لم يفهمه بُطرس في خطَّة الله للفداء؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح غلاطيَّة 4: 4-5. "وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ."

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

19
شَريعَة الذَّبائِح

1- ما هي الحقيقة المؤلمة التي اكتشفها آدم وحوَّاء بعد فترة قصيرة من إنجابهما لطفلهما الأوَّل؟

2- اذكُر السَّببين الرئيسيَّين لقبول الله لتقدمة هابيل.
اذكُر السَّببين الرئيسيَّين لرفض الله لتقدمة قايين.

3- هل تعرف أي شيء يمكنك القيام به لمحو خطاياك؟ لماذا من المستحيل أن تُسَدِّد دَيْن خطاياك عن طريق الصلوات والأعمال الصالحة؟

4- لا بُدَّ لله من مُعاقبة الخطيَّة. هل كانت هناك طريقة يمكن لله من خلالها أن يُدين الخطيَّة دون أن يُدين الخاطئ؟

5- اشرح كيف أنَّ شريعة الذبائح "أبْطَلَت" شريعة الخطيَّة والموت.

عَبِّر بأسلوبك

عَرِّف "الكَفَّارة" واشرح ما قاله الله لموسى في لاويِّين 17: 11. *"لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ، فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ، لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

20
ذَبيحَة عَظيمَة

1- قطع الله وَعْداً لإبراهيم بأنه سيجعله أُمَّة عظيمة وبأنه سيُعطي أرض كنعان لنسله. ما هي العوامل التي جعلت هذين الوعدين يبدوان مُستحيلين في ضوء الظروف التي نعرفها عن إبراهيم؟

2- لماذا حَسِبَ الله إبراهيم بارًّا؟ ما معنى "آمَنَ بالرَّبِّ"؟

3- اذكُر ثلاث طُرُق استخدمها الله لتوصيل حَقِّه وبَرَكاته لجميع الأمم من خلال شعب إسرائيل القديم.

4- أمَرَ الله لإبراهيم أن يُقَدِّم ابنه إسحاق ذبيحة. هل استنتج إبراهيم أن الله تراجع عن وعده (بأن يجعل نسل إسحاق أُمَّة عظيمة)؟ وَضِّح إجابتك. (انظر الهامش رقم 185).

5- لماذا لم يَمُت ابن إبراهيم على المَذْبَح؟

عَبِّر بأسلوبك

عَبِّر عن فهمك للآية تكوين 22: 14. *"وَدَعَا اِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذَلِكَ الْمَكَانِ 'يَهْوَهْ يِرْأَه' (وَمَعْنَاهُ: الرَّبُّ يُدَبِّرُ). وَلِذَلِكَ يُقَالُ حَتَّى الْيَوْمِ 'فِي جَبَلِ الرَّبِّ الإِلَهِ يُرَى'."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

21
دِماء تُسْفَك

1- في قصة الفِصْح، كيف اختبر كل بيت في كل أرض مصر الموت؟

2- اذكُر درسين هامَّين قَصَد الله أن يُعلِّمهما للشعب من خلال خيمة الاجتماع.

3- ما هو الشيء الذي يرمز إليه "تابوت العهد"؟

4- حال الانتهاء من صُنع خيمة الاجتماع، ماذا أنزل الله من السَّماء؟

5- ماذا كانت الغاية من الحجاب؟ هل كانت هناك طريقة تُتيح للإنسان اجتياز الحجاب والدخول إلى قُدس الأقداس؟ اشرح.

عَبِّر بأسلوبك

اشرح عبرانيِّين 9: 22. *"بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!"*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

22
الحَمَل

1- ما هي الفكرة الرئيسيَّة لكتاب الله؟

2- اذكُر طريقتين (على الأقل) قام المسيح من خلالهما بتحقيق رموز خيمة الاجتماع.

3- استخدم مثالاً توضيحياً من الحياة اليومية لشرح فكرة "التوبة".

4- ما الذي قاله الله عن يسوع ولا يمكنه أن يقوله عن أي شخص آخر؟

5- كيف كانت الحِمْلان المذبوحة تُلقي ظلالاً ورموزاً على خطة الله لدفع أُجْرَة خطيَّة جميع البشر؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح يوحنَّا 1: 29. *"وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ، فَقَالَ: هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!"*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

23
حَتَّى تُكَمَّل الكُتُب

1- "الوَعْدُ سَحابَةٌ، والإنجازُ مَطَرُهُ". اشرح كيف يمكن استخدام هذا المَثَل العربي لتوضيح خطَّة الله بإرسال مُخلِّص إلى الأرض.

2- قال يسوع لتلاميذه إنه سيموت في عيد الفصح. لماذا كانت خطَّة الله تقضي بأن يموت ابنه في هذا الوقت بالتحديد؟

3- حين تناول يسوع عشاء الفصح مع تلاميذه أخذ خُبزاً وكَسَّره وأعطى للتلاميذ ليأكلوا. كما أنه أعطى الكأس لتلاميذه ليشربوا. إلى ماذا يرمز الخُبز؟ وإلى ماذا يرمز الكأس؟

4- لماذا لم يُدافع يسوع عن نفسه حين جاء الجنود للقبض عليه؟

5- لماذا اتَّهم رئيس الكهنة يسوع بالتجديف؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح نبوءتا إبراهيم الواردتين في تكوين 22: 8. *"اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ ..."* وتكوين 22: 14 *"فِي جَبَلِ الرَّبِّ الإِلَهِ يُرَى* [الرَّبُّ يُدَبِّر]".

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

24
قَدْ أُكْمِل

1- ما هي أشنع وسيلة إعدام اخترعها الإنسان واستخدمتها الحكومات؟ ما هي وسيلة الإعدام التي اختارها القادة الدينيُّون والسياسيُّون ليسوع؟

2- ما هي مستويات الانفصال الثلاثة التي تُسَبِّبها الخطيَّة؟ ما هو شعورك تجاه اختبار يسوع لهذا الانفصال بمستوياته الثلاثة وهو على الصليب؟

3- لماذا كان من الضروري أن يموت يسوع على الصليب؟

4- كيف أمكن ليسوع أن يَحتمل العذاب الأبدي عن الخُطاة في بضع ساعات فقط؟

5- ما هي أهمية انشقاق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح يوحنَّا 19: 30. *"فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: 'قَدْ أُكْمِلَ'. وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

25
مَوْت يَهْزِم المَوْت

1- مَنْ أطلق الإشاعة التي تقول إن تلاميذ المسيح سرقوا جسد يسوع من القبر؟ لماذا اختلقوا هذه القصة؟

2- كيف كان موت يسوع ودفنه وقيامته هزيمة للشيطان؟

3- ما هو الدليل الذي يمكنك أن تُقدِّمه لإثبات أن يسوع قام من الأموات؟

4- قُلنا في بداية رحلتنا في رِحاب الكتاب المُقدَّس إن الله "استراح" بعد أن انتهى من جميع أعمال الخَلْق. ما هو الدرس المهم الذي يُمكننا أن نتعلَّمه من هذا بشأن عمل الفداء الذي قام به الله؟

5- ماذا فعل يسوع في اليوم الأربعين من قيامته؟ ما الأمر الذي أدهشك أكثر من غيره في هذه الحادثة؟

عبِّر بأسلوبك

اشرح أهمية 1 كورنثوس 15: 3-4. *"الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

26
مُتدَيِّن وبَعيد عن الله

1- كيف كان الله يَغفر الخطايا قبل موت يسوع وقيامته؟ وكيف يَغفر الله الخطايا اليوم؟ اشرح بإيجاز الفرق بين الخطايا التي كُفِّر عنها والخطايا التي أُلْغِيَت.

2- لماذا يُعتبر الإله الذي نؤمن به أهم من قوة إيماننا؟

3- هل تعتقد أن الله سيَسمح للناس بالدخول إلى مسكنه السماوي إذا كانت أعمالهم الصالحة تفوق أعمالهم الطالحة؟ اشرح موقفك في ما يتعلَّق بفكرة الخلاص القائم على الميزان.

4- وفقاً لتعليم الكتاب المُقدَّس، كيف يُمكن للخاطئ أن ينجو من الدينونة الأبديَّة وأن يتأهَّل للحياة الأبديَّة في مَحْضَر الله القُدُّوس؟

5- لماذا تُعتَبر الأعمال الصالحة ثمراً للخلاص وليست شَرْطَاً للخلاص؟

عَبِّر بأسلوبك

اشرح أعمال الرُّسُل 16: 31. *"آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

27
المرحلة الأولى:
بَرنامج الله السَّابق

1- يحتوي الفصل 27 على قصص اهتداء أشخاص مُختلفين: شخص ارتحل من مكان لآخر بحثاً عن الله، ومُجْرِم مُعَلَّق على الصليب، وقبيلة من آكلي لحوم البشر، وفتاة كانت تُفكِّر في الانتحار، ومُعَلِّم شريعة يهوديَّة مُتعصِّب، وشاب مُسلم يبحث عن السلام الداخلي. ما هي الشخصية الأقرب إلى شخصيتك ولماذا؟

2- قَطَعَ يسوع الوعد التالي للمُجرم المُعلَّق على الصليب: "إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ." أولاً، ما هو الشيء الأبدي الذي نجا منه هذا المُجرم التائب؟ ثانياً، بناءً على وَعْد يسوع، أين وجد ذلك المُجرم التائب نفسه في اللحظة التي مات فيها؟

3- كيف تُفَسِّر لطفل مفاهيم العدالة، والرحمة، والنعمة؟

4- ما هو "المأزق المزدوج" الذي يُعاني منه الإنسان؟ ما هو "العلاج المزدوج" الذي يُقدِّمه الله؟

5- بحسب كلمة الله، هل يمكن للناس أن يعرفوا أين سيقضون الأبديَّة؟ هل تعرف أين ستذهب بعد أن تموت؟ فَسِّر إجابتك.

عَبِّر بأسلوبك

اشرح رسالة كورنثوس الثانية 5: 21. *"لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.

28
المرحلة الثانية:
بَرنامج الله الحاضِر

1- لماذا يعيش غالبية الناس اليوم في قبضة الخوف؟

2- بحسب تعليم الكتاب المُقدَّس، مَنْ هو الرُّوح القُدُس وما الذي يفعله لكل من يؤمن بيسوع المسيح؟

3- هل يُمكن لأي شخص اختبر الولادة الجديدة وسكن فيه رُوح الله أن يرغب في الاستمرار في عمل الخطية والتمرُّد على الله؟ استخدم مثال "لوائح المحبَّة" لتوضيح الفرق بين الشخص الذي يَتبع تعاليم الدِّين والشخص الذي يتمتَّع بعلاقة حقيقية مع الله.

4- ما هو المعنى الحقيقي لمعموديَّة الماء؟

5- هناك فرق هام بين مقام المؤمن وحالته. استخدم مثال الأب/الابن لتوضيح الفرق.

عَبِّر بأسلوبك

اشرح رسالة بُطرس الأولى 1: 16. *"كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

29

المرحلة الثالثة:

بَرنامج الله المُستقبلي

1- اشرح المراحل الثلاث لخطَّة الله لسحق الشيطان وإبطال الخطيَّة.

2- وَضِّح كيف أنَّ المجيء الثاني للمسيح سيكون مُختلفاً تماماً عن مجيئه الأول.

3- أعِدْ قراءة المزمور 72: 7-19 ثُمَّ اذكُر بعض الطُرُق التي سيقوم حُكَّام العالم وشعوبه من خلالها بإظهار خضوعهم ليسوع المسيح الملك.

4- في فترة المُلك الألفي ليسوع المسيح، سوف تُرفع اللَّعنة التي جلبتها خطيَّة آدم. ما هي بعض التأثيرات الإيجابيَّة التي سيتركها ذلك على الأرض؟

5- هل تَتَّفق معي في الرأي بأن الآيات (رؤيا 20: 10-15) تَصِف أعظم حَدَث في التاريخ؟ وَضِّح إجابتك.

عَبِّر بأسلوبك

اشرح ما تراه في 1 يوحنَّا 3: 2. *"وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

30
نَظْرَة إلى الفِرْدَوْس

1- كيف ترى أنَّ نظرة "الين–يانغ" تُناقض الحَقَّ الذي تُعلنه كلمة الله؟

2- اذكُر فكرتين خاطئتين لدى الناس في ما يتعلَّق بالفردوس. ما هو الشيء الجوهري في مسكن الله السماوي؟

3- إنَّ قصَّة الفداء الرائعة التي بدأت في سِفْر التكوين تنتهي في سِفْر الرؤيا. لَخِّص في دقيقة أو دقيقتين (أو في حوالي 300 كلمة إذا رغبت في تلخيص ذلك كِتابَةً) قِصَّة تخليص الله للخُطاة التائبين من الشيطان، والخطيَّة، والموت الأبدي.

4- في رأيك، لماذا يجد الناس مُتعة كبيرة في سَرْد القصص ذات النهايات السعيدة؟ هل ستحيا بسعادة في الحياة الآخرة؟ ما هو الأساس الذي اعتمدت عليه في إجابتك؟

5- كيف استفدت من هذه الرِّحلة المُتأنية في رِحاب الكتاب المُقدَّس؟

عَبِّر بأسلوبك

أين تَجِد نفسك في الصورة الموصوفة في رؤيا 21: 27. *"وَلَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا يَصْنَعُ رَجِسًا وَكَذِبًا، إِلاَّ الْمَكْتُوبِينَ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْخَرُوفِ."*

أسئلة لمراجعة فصول الكتاب. © حقوق الطبع محفوظة لروك إنترناشيونال 2008. يُسمح بتصوير هذه الأسئلة.
www.One-God-One-Message.com

مُلاحظات شخصيَّة